UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190635

UNIVERSAL
LIBRARY

المكتبة الأهلية . بمصر

العروة الوثقى

للإمامين الكبيرين ، والمصلحين الحكيمين

السيد جمال الدين الأفغاني

والشيخ محمد عبده

رحمهما الله تعالى

عني بنشرها — محمد جمال

صاحب المكتبة الأهلية : بمصر

محرم الحرام سنة ١٣٤٦ هـ — يوليو سنة ١٩٢٧ م

المطبعة الرحمانية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد فان العالم الشرقى الاسلامى دَوَى يوماً من الأيام ولا يزال يدوى ، وسيظل بإسمين كبيرين فَصَلا بين الأزمنة والدهور ، فصلاً تاريخياً كان كالعلامة القائمة بين حضارة وحضارة ، وبين أمة وأمة ، وبين قسم من تاريخ الدنيا ، وقسم من تاريخها

ذانك الاسمان العظيمان : هما السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده رحمهما الله ، فنهما كان عصر النهضة الأخيرة واليهما يرجع الفضل بالاصلاح الاسلامى ، بما بثّا فى العقول من روحيهما ومبادئهما ، وما أصلحا من خطأ الفكرة الشرقية فى فهم الحياة بأساليبها المختلفة ، من دينية واجتماعية وسياسية وقد كان كنز جواهرهما ، ومستودع حكمتهما ، وسجلّ آرائهما هذه المجلة التى أصدراها فى باريس (عاصمة فرنسا)

وسمياها « العروة الوثقى [1] » فكانت لا انفصام لها وبقيت إلى اليوم مصدراً نورانياً يشعّ بروحي الإمامين الكبيرين حتى إنه مامن أديب ولا كاتب ولا عالم فى هذا الشرق إلاّ وهذه المجلة فى الفكر من بعض مصادره ، وفى الأدب من بعض حلاه وجواهره ، وفيما يعده من الكتب تعدّ من بعض مفاخره ، ولهذا رأيت أن أخدم العالم الاسلامى بتقديمها له كاملة ، بمقالاتها وأخبارها ، لا أدع منها شيئاً لأنها الآن من حق التاريخ الثابت ، لا من حق السياسة المتقلبة ، التى كانت تتصرف فيها فنأذن بنشر شيء منها ، وتأمر بطى شيء آخر

وانى لا رجو بذلك ان أكون قد عاونت ببعض الجهد فى بناء هذه النهضة ؛ وأن أكون قدمت لعشاق الأدب طُرفة طال احتجابها عنهم ، وطال بحثهم عنها والله الموفق

---

(١) صدر العدد الأول منها فى ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ . وبلغ ما نشر منها ١٨ عدداً صدر آخرها فى ذى الحجة سنة ١٣٠١ هـ .

السيد جمال الدين الإفغانى

ترجمته

بقلم حضرة الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

اتفق من ترجموا للسيد جمال الدين على أن اسمه محمد جمال الدين واسم أبيه صفدر . وقد حرف هذا الاسم من كتبوا ترجمته بالعربية فقالوا صفتر .

وصفدر لفظ فارسى من ألقاب الامام على ، مركب من كلمة (صف) العربية و(در) وصف من فعل دريدان الفارسى بمعنى افترس أواقتحم .

ولم يختلفوا في أن جمال الدين ولد سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ــ١٨٣٩ م) وهل هو بعدذلك قدولد في أسعد آباد قرية من قرى كرمن أعمال كابل من بيت عظيم في بلاد الافغان ، حنفى المذهب ، ينمى نسبه الى السيد على الترمزى المحدث المشهور ويرتقى الى سيدنا الحسين بن على ابن أبى طالب ، وفى كابل تلقى علومه واستكمل الغاية من دروسه ؟

أم هو قد ولد فى أسد آباد قرب همدان من أعمال فارس : وتعلم فى مدينة قزوين ومدينة طهران ، ثم سافر الى الافغان ، وليس أفغانى الجنس كما يزعم أهل السنة والجماعة ؟

أم أن والده من أهالى مازندران احدى ولايات ايران ، وكان ضابطاً

في الجيش الايرانى أوفدته حكومته الى بلاد الافغان لمهمة فطابت له السكنى هناك وتزوج وولد له جمال الدين أو ولد له جمال الدين فى ايران وحمله معه صغيرا

هذا خلاف لاسبيل الى تمحيصه ، فان ما يتعلق بنشأة السيد جمال الدين وحياته قبل اتصال الشيخ محمد عبده به سنة ١٨٧١ م هو على قلة مصادره محاط بغموض واضطراب كما قال الاستاذ براون .

ويدل على هذا قول الشيخ محمد عبده في فاتحة تعريبه لرسالة الرد على الدهريين «يحملنى على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رأيناه من تخالف الناس فى أمره وتباعد مابينهم في معرفة حاله ، وتباين صوره فى مخيلات اللاقفين لخبره ، حتى كأنه حقيقة كلية تجلت فى كل ذهن بما يلائمه ، أو قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله »

ويروى أن السيد جمال الدين وان كان فى الحقيقة فارسياً فقد انتسب الى الأفغان لأمرين :

١ ــ أن يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السنى لا الشيعى .

٢ ــ أن يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج

وقد عنى والده بتربيته ، فأيد العناية به قوة فطرته .

وتلقى معارف جمة بين علوم عربية وعلوم شرعية وعلوم عقلية وفنون رياضية . ودرس نظريات الطب والتشريح .

أخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة .

بدأ تعلمه فى السنة الثامنة من عمره واستكمل الغاية من درسه فى الثامنة عشرة

ويقول جورج كوتشى : ان الشيخ جمال الدين قد استرعى الانظار منذ حداثة السن بذكائه النادر وميله الواضح الى كل ماله صلة بالفنون العسكرية.

ولما أتم دروسه سافر الى الهند فأقام سنة تعلم في خلالها شيئا من العلوم الاوربية وأساليبها .

وقصد بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج فقضى نحو عام يتنقل في بلاد العرب حتى وافى مكة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ م

وعاد الى بلاد الافغان فانتظم في خدمة الامير دوست محمد خان وعلت منزلته عنده ، ورافقه في بعض غزواته ، ولما مات الامير انحاز جمال الدين الى محمد أعظم خان ، الذى اثار حربا عوانا على شير على ، وهو أخوه أصغر منه سنا تولى عرش الافغان بتأييد الانجليز .

وكان جمال الدين زعيم القواد في جيش محمد أعظم خان ، فميزته كفاية باهرة . ولكن الامير أوجس في نفسه خيفة أن يسامية الى العرش فجعل لا يصغى الى نصائحه ، وعلى أثر الهزيمة شخصا معا الى الهند ، وكانت الهند يومئذ تفور بالفتن وخشيت الحكومة الانجليزية أن يتصل الثوار بالسيد جمال الدين فردته من حيث جاء .

ولم يأمن الامير شير على مقام السيد في الافغان وأحس السيد ماتوسوس به نفس الامير فاستأذن فى الخروج للحج وارتحل من طريق الهند مع خادمه أبى تراب .

ولما بلغ التخوم الهندية تلقته حكومتها بحفاوة واجلال لكنها لم تسمح له بطول المكث ، ولم تأذن في لقائه الا على عين من رجالها . وبعد نحو

شهر سيرته من سواحل الهند في بعض مراكبها على نفقتها الى السو
فجاء مصر وأقام بها أربعين يوما تردد في خلالها على الجامع الا
وخالط كثيرين من طلبة العلم السوريين وألقى عليهم محاضرات في مسـ

ثم تحول عن الحجاز عزمه وصرف عنانه الى الاستانة سنة ٢٨٧
١٨٧٠ م وكانت سبقته شهرته الذائعة فحومت اليه لفضله قلوب الا
والوزراء وعلا ذكره بينهم واتصل برجال الادب والعلم .

وبعد ستة أشهر سمى عضواً فى مجلس المعارف برعاية عالى باشا الـ
الاعظم فأدى حق الاستقامة والنصح في آرائه وأشار الى طرق لـ
المعارف لم يوافقه عليها رفقاؤه ، ومن تلك الطرق ما أحفظ عليه
شيخ الاسلام لذلك العهد حسن افندى فهمى لانها كانت تمس شيئ
رزقه ، وأضمر له السوء وأرصد له العنت ، حتى كان رمضان سنة ٨٧
فرغب الى السيد مدير دار الفنون أن يلقى خطابا في الحث على الصنا
واحتشد الناس لسماع المحاضرة في تلك الدار من جميع الطبقات العا
وكان فيما ذكره السيد تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حى ، وأن كل ص
بمنزلة عضو من ذلك البدن . ثم قال : هذا مايتألف منه جسم السـ
الانسانية ؛ ولا حياة لجسم الا بروح ، وروح هـذا الجسم اما الـ
واما الحكمة .

هنالك راح شيخ الاسلام يقيم من الحق باطلا ليصيب غرضه
الانتقام ، فاشاع أن الشيخ جمال الدين يزعم أن النبوة صنعة محتجاً
ذكرها في خطاب يتعلق بالصناعات . ثم أوعز الى الوعاظ فى المسـ
أن يذكروا ذلك محفوفا بالتفنيد والتنديد . وأكثرت الجرائد من الحـ

واشار بعض اصحاب السيد عليه بان يغضى على الكريهة ويلزم السكون والزمن كفيل باضمحلال هذه الاشاعة وتلاشى أثرها ، لكن جمال الدين كان عصبياً دموياً ، في مزاجه حدة ، فلج في مخاصمة شيخ الاسلام وطلب محاكمته حتى صدر الامر اليه بالجلاء عن الاستانة ريثما تسكن الخواطر ، وحمله بعض من كان معه على أن يهبط مصر فجاءها أول سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م وكان ذلك في زمن اسماعيل ، واستمالته مساعى رياض باشا للمقام من حيث لم يكن ينويه ، وأجرت عليه الحكومة المصرية راتبا سنوياً مقداره ١٢٠ جنيهاً نزلا أكرمته به لا في مقابلة عمل .

استقر قرار الرجل فى وادى النيل ، بعد أسفار بعيدة . ومشاغل عديدة ، في حياة الميادين والكفاح .

ولم تكن كل هذه الشواغل لتعوق جمال الدين عن متابعة الدراسة العلمية العالية التى كان له اليها نزوع شديد . ولقد كان ينتقل في البلاد مصحوبا بكتبه ، وكان قارئا نهما لا يشبع ، عرف في شبابه كل المؤلفات القديمة فى الفارسية والعربية ؛ ولم يكن يجهل أى كتاب من الكتب الحديثة ترجم الى لغة شرقية .

لم يكن جمال الدين ذا لهو ولا شهوانيا ؛ وكان قليل الطعام يتبلغ منه بوجبة النهار ، ويكتفى بمنقوع الشاى يشربه مراراً ؛ وكان مغرما بتدخين السيجار ، ولم يكن لخلابة النساء وسحرهن سلطان على قلبه الحديدى .

شهد في مصر أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق اذ كانت تتمخض البلاد عن أزمات اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية ؛ بسبب اسراف اسماعيل وضعف توفيق ، وبما بدا من التصادم بين القديم والحديث وبسبب الدسائس السياسية وتدخل الاجانب .

كل ذلك هيأ الوسائل لمواهب رجل أوتى حظا عظيما من سمو النفس ومتانة الخلق وتوقد الذكاء وقوة الذاكرة ودقة الملاحظة ، الى علم غزير ونشاط لايكل وشجاعة لا تعرف الخوف ؛ وبلاغة فى الكتابة والخطاب خارقة للعادة ، مع نفوذ ساحر وسمت مهيب جليل . جذبت الى السيد مزاياه الباهرة قلوب كثير من الامراء وأرباب المقامات العالية وأهل العلم والادب ؛ فكانوا يوافونه فى القهوات والمتنزهات العامة حيث كان سامره مجلس علم وحكمة وأدب وسياسة .

والتف حوله أذكياء الطلاب ومن بينهم عدد من خيرة مجاورى الازهر . فكان يلقى عليهم دروساً فى الادب والمنطق والتوحيد والفلسفة وعلم التصوف وأصول الفقه والفلك . في مسامرات خالية من التكاليف والقيود .

وكانت مدرسته بيته ، ولم يذهب الى الازهر قط مدرسا ، وانما كان يذهب اليه زائراً . وأكثر ما كان يزوره فى يوم الجمعة .

وكان يحمل تلاميذه على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول الادبية والاجتماعية والسياسية فاشتغلوا على نظره ، وبرعوا بين يديه . وكانوا طليعة النهضة الادبية في مصر وكانوا مؤسسى بنيانها .

وانتظم السيد فى الماسونية وتقدم في درجاتها ، ثم أنشأ محفلا وطنياً جمع فيه ببهاء طلابه ومريديه حتى صار عدد أعضائه نحو ٣٠٠ وكان هو رئيسه يمرن فيه تلاميذه على الخطابة ويلهمهم مبادئه ويعدهم للعمل ، ويوقظ فيهم عواطف الوطنية ويعلمهم الشغف بحياة الحرية وبالنظم الدستورية .

وقد هيأ من تلاميذه طبقة ذات حرية وجرأة في السياسة والادب

والاصلاح وأخذ يتصل بالحركات السياسية . وكان الرجل سياسيا يعتبره أشياعه وطنيا عظيما ويعتبره خصومه مهيجا خطراً !

وفي سنة ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م صدر أمر الخديوى توفيق بأخراجه من القطر المصرى هو وتابعه أبى تراب لان مساعيه السياسية أوغرت عليه صدر المستر فيفيان قنصل انجلترا الجنرال ، وتعليمه الفلسفى هيج عليه الجامدين من الازهريين ، فجاءه الكيد من هنا وهنا ! !

أبحرَ السيد من السويس الى (بوشهر) ومنها ذهب الى حيدر أباد فأقام عاما كتب فى أثنائه مذكرات كثيرة باللغة الفارسية والافغانية ، وكتب فى ذلك الوقت بالفارسية رساله الرد على الدهريين .

ولما كانت الثورة العرابية دعى من حيدر أباد الى كلكتا وألزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى أمر الفتنة . وكانت الحكومة الانجليزية تظن أن له فيها يداً ، ثم أبيح له أن ينطلق الى حيث شاء فاختار الذهاب الى أوربا وقصد مدينة لوندرا فاقام بها أياما قلائل ثم انتقل الى باريس وأقام بها مايزيد على ثلاث سنوات .

وكتب فى طريقه من بورسيد الى الشيخ محمد عبده يخبره بذهابه الى لندرا ويطلب اليه أن يرسل الرد بعنوان جريدة الشرق والغرب أو المستر بلانت

وهذا يدل على أن السيد ذهب من الهند الى لندرا خلافا لما نقله جولد شهير فى دائرة المعارف الاسلامية عن المستر براون في روايته عن المستر بلانت « من أن السيد ذهبْ من الهند الى أمريكا فأقام بها بضعة أشهر على عزم أن يتجنس بالجنسية الامريكية ولكنه فيما يظهر لم ينفذ هذا العزم ، فانا نجده فى لندرا سنة ١٨٨٣ حيث أقام زمنا قصيراً ،

انحدر الى باريس مع صديقه ومريده الامين محمد عبده الذى صار بعد ذلك مفتى مصر »

والاقرب الى الصحة أن السيد جمال الدين وصل باريس آتيا من لوندرا سنة ١٨٨٣ كما ذكره جورج كوتشى في رسالته التى عنوانها « الشيخ جمال الدين الافغانى ودخائل صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان عبد الحميد الثانى »

أما الشيخ محمد عبده فقد وافي استاذه في باريس مدة مقامه بها ، على ماصرح به فى ترجمته لاستاذه في فاتحة تعريبه لرسالة الرد على الدهريين.

وكان ذلك في أواخر سنة ١٨٨٣ لان الشيخ عبده سافر الى سوريا منفيا فى أواخر سنة ١٨٨٢ وبعد نحو عام من مقامه هناك دعاه استاذه الى باريس فسافر اليها .

كان السيد جمال الدين فى باريس منذ أول سنة ١٨٨٣ ولقى الفيلسوف رينان في ذلك العهد كما يقول رينان نفسه فى رده على السيد جمال الدين المكتوب في ١٨ مايو سنة ١٨٨٣ :

« لقد تعرفت بالشيخ جمال الدين منذ نحو شهرين ، فوقع في نفسى منه مالم يقع لى الا من القليلين ، وأثر فى تأثيراً قوياً وجرى بيننا حديث عقدت من أجله النية على أن تكون علاقة العلم بالاسلام موضوع محاضرتى في السربون . والشيخ جمال الدين رجل أفغانى لا سلطان عليه لمؤثرات الاسلام . وهو ينتمى الى ذلك الجنس الآرى المستوطن ايران العليا الواقعة على حدود الهند والتى لايزال الذهن الآرى يعيش فيها مطويا في غلالة رقيقة من الاسلام الرسمى . والشيخ جمال الدين نفسه خير دليل يمكن أن نسوقه على تلك النظرية القائلة بان قيمة الاديان بقيمة

الاجناس التى تعتنقها . وقدخيل الى من حرية فكره ونبالة شيمه وصراحته وأنا أتحدث اليه أننى أرى وجها لوجه أحد من عرفتهم من القدماء ، وأننى أشهد ابن سينا أو ابن رشد أو أحد أولئك الملحدين العظام الذين ظلوا خمسة قرون يعملون على تحرير الانسانية من الاسار »

ألقى رينان محاضرته في الاسلام والعلم فى مارس ١٨٨٣ ونشرت عقب القائها في جريدة الديبا فأرسل السيد جمال الدين الى مدير هذه الجريدة رداً بالعربية ترجم الى الفرنسية ونشر بعد بضعة أسابيع وعقب عليه رينان برد مملوء باللطف والمجاملة .

أخذ السيد جمال الدين ينشر أفكاره السياسية محاربا تدخل بعض الدول الغربية فى شؤون الامم الاسلامية ، خصوصا الهند ومصر ، في مقالات تداولتها الجرائد الكبرى وامتدت اليها أعناق الدوائر السياسية المشتغلة بشؤون الشرق .

على أن أكبر مظهر لنشاط جمال الدين السياسى والادبى فى باريس كان فى انشاء « العروة الوثقى » وهي مجلة أسبوعية عربية كان هو مدير سياستها والشيخ محمد عبده محررها وكانت تتولى الانفاق عليها جمعية اسمها جمعية العروة الوثقى ذات فروع فى الهند ومصر وغيرها من أقطار الشرق الاسلامى تعمل على انهاض الدول الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها ، ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار الشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية . وقد أخذت هذه الجريدة من قلوب الشرقيين عموما والمسلمين خصوصاً مالم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه ، وهي ذات أثر فى كل ما وجد بعد من حركات الوطنية والحرية فى بلاد الشرق

وقد لقيت هـذه الجريدة كل مصادرة في الهند ومصر حتى كانت توضع في غلاف لتصل الى من يراد ايصالها اليه ، وحتى أعلن في الجريدة الرسمية المصرية أن كل من توجد عنـده العروة الوثقى يغرم خمسة جنيهات مصرية الى خمسة وعشرين جنيهاً !! وقد نشر منها فى ثمانية أشهر ١٨ عدداً صدر آخرها في ذى الحجة ١٣٠١

خفت صوت العروة الوثقى بما أرصدته لها انجلترا من عنت وارهاق وترك الشيخ محمد عبده باريس عائداً الى سوريا .

أما السيد جمال الدين فبقى في أوربا متنقلا بين لندرا وباريس يتصل بالعلمـاء والـكتاب ورجالات السياسـة وينشر فصوله ومقالاته فى الجرائد الـكبرى .

وجمع المستر بلانت بينه وبين اللورد سالسبرى واللورد نشرشل للمفاوضة في أمر ثورة المهدى فى السودان وهي يومئذ شغل القوم الشاغل لـكن التوفيق بين وجهات نظر متناقضة لم يكن مستطاعا .

وفي جمادى الاولى ١٣٠٣ سافر السيد الى البلاد الايرانية بدعوة من الشاه ناصر الدين ، فنال مكانة سامية وتزاحم حوله الامراء والمجتهدون والـكبراء وتمكن من نظم كثير منهم فى سلك الماسونية .

وكأنما غشيت الشاه من ذلك ريبة وملأه الخوف من تعاظم السلطان الروحى لجمال الدين على شعب أصبح يحيطه باجلاله ومحبته .

ولما جمال الدين تنكر الشاه له فغادر بلاد فارس الى روسيا فحل من الشعب الروسى محل الـكرامة وجعلت تتلقفه المجامع العالية ونشر في الجرائد الروسية فصولا تردد في عالم السياسة صداها .

ثم سافر الى باريس ليزور معرضها الـكبير سنة ١٨٩٩ فالتقى فى منيخ

بالشاه ناصر الدين عائداً من باريس ، ومازال الشاه يزين له العودة الى فارس حتى لان شماسه وأجاب الدعوة .

وقد سارع الشعب الايرانى الى الالتفاف حول السيد من جديد على وجه أبعث للهابة وأدل على الحب والثقة.

ولم يقتصر أمر مؤثر به على سماع مسامراته التى كان يبث فيها معارفه وافكاره الحرة . بل جعل الشعب يتوسل به الى تحقيق مطامحه فى اصلاح الادارة واقامة العدل والقانون وبدت نهضة اصلاح يكرهها الصدر الاعظم ويخشى عواقبها على سلطانه فوسوس للشاه حتى غير قلبه على السيد

هنالك خرج جمال الدين الى « شاه عبد العظيم » وهو مكان على بعد عشرين كيلو مترا من طهران به مقام مقدس لكنه لم يخلد الى راحة هناك ولا سكون . بل جعلت طوائف المستنيرين من الطبقات المختلفة حتى طبقات السبان من الضباط تشد رحالها الى « شاه عبد العظيم »

أدرك الشاه ناصر الدين الفزع وخاف أن تزلزل تلك الحركة قواعد سلطانه المطلق فبعث الى جمال الدين بخمسمائة من فرسانه مدججين بالسلاح اقتحموا عليه وهو عليل في فراشه وقاده خمسون منهم الى ما وراء الحدود

أقام جمال الدين فى البصرة زمنا حتى أبل من سقامه ، ولم يزل يوالى انصاره فى فارس بكتبه يثير فيهم الحمية ويؤجج بين جوانحهم نار الوطنية وكان مانالله من عسف الشاه قد أثار حفيظتهم

وفي سنة ١٨٩٠ كانت حكومة فارس جعلت حق احتكار التمباك لشركة انجليزية فاغتنم الفرصة السيد جمال الدين وكتب خطابا لميرزا حسن

الشيرازى رئيس المجتهدين يعيب فيه على الحكومة هذا العمل الضار بثروة البلاد الممكن لاعدائها

وكان من أثر هذا الخطاب أن أصدر المجتهد الشيرازى فتوى حرم بها على كل مؤمن تدخين التمباك مالم تعدل الحكومة عن مشروعها وقد اضطرت الى العدول عنه ودفعت للشركة تعويضاً .

وكذلك قويت دعوة الحرية والاصلاح الدستورى في فارس حتى طاحت بعد برأس الشاه ناصر الدين

وفي سنة ١٨٩٢ ذهب السيد الى لوندرا مرة أخرى وأقام فيها ثمانية أشهر موجها كل همته الى محاربة الشاه ناصر الدين بقلمه ولسانه ، داعياً الى تخليص الشعب الفارسى من ظلم الحكم الاستبدادى . وكان من المؤسسين للمجلة الشهرية « ضياء الخافقين » التى كانت تصدر بالعربية والانجليزية وكان من أكثر العاملين فيها نشاطا

وأرسل السلطان عبد الحميد الى السيد جمال الدين بوساطة سفير تركيا فى لوندرا كتابا خلابا يستدعيه الى الاستانة ، فتردد السيد واعتذر لكن السلطان وجه اليه رسالة ثانية أكثر خدعا ودهانا ، فأجاب برسالة برقية أنه ملبى دعوة صاحب الجلالة على أن يؤذن له بالعودة الى أوربا عقب الحظوة بالمقابلة

وسافر جمال الدين الى القسطنطينية فاستغواه السلطان عبد الحميد وهيأ له منزلا جميلا يقوم على ربوة نشان طاغ غير بعيد من يلديز وفرض له ٥٧ جنيها تركيا راتبا شهريا .

وقضى السيد جمال الدين خمس سنين من حياته فى الاستانة «يعيش بين مظاهر خداعة من عطف السلطان ؛ ودسائس لاتحصى يبيتها له

رجال القصر ! وكم تضرع اليهم أن يسمحوا له بالسفر ، فأمسكوه بقية عمره في أسار مموه بالذهب »

ذلك وصف سائح المانى زاره سنة ١٨٩٦

ومات جمال الدين يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ الساعة ١٢ والدقيقة ١٣ أثر أوجاع مضنية ، وعقب موته أرسل السلطان بعض موظفى قصره ليستحوذوا على أوراقه ومؤلفاته .

ويؤكد أكثر الايرانيين وغيرهم ممن ترجموا لجمال الدين أن موته لم يكن طبيعيا ، وأنه لقح في شفته بمادة سامة ، سببت له حالة مرضية شبه السرطان ، ويقولون ان ذلك من كيد أبى الهدى .

وأمر السلطان بدفنه لساعتين من وفاته ، فسير نعشه بين جموع عديدة من الشرطة مخافة فتنة مباغتة من أنصاره الذين كانوا في ريب من أسباب موته .

هكذا مات السيد جمال الدين وشيعت جنازته بعد أن عاش رجلا ممتازاً مؤثراً في حوادث الشرق الاسلامى خلال عشرين سنة أكثر مما أثر فيها أى رجل آخر من أهل زمانه .

وقد عاش متنقلا في البلاد منذ طفولته فزار بلاد العرب ومصر وتركيا وقام بالافغان والهند وفارس ، واتصل بحكومة الافغان في شبابه مشتركا في حروبها الداخلية كما اتصل بحركات النهوض في كل بلاد الشرق التى حل بها ، وزار كثيراً من العواصم الاوربية وكتب في جرائدها وخطب في مجامعها وخالط رجال السياسة والعلم والادب فيها وشهد دسائس الاستعمار الانجليزى والافغانى والهند ، ولمارده الانجليز في مصر وغيرها ، وأماتوا مجلة العروة الوثقى فى مهدها ووضعوا العقبات في سبيله أنى سار!!!

من أجل ذلك لم يتعلق ببلد من البلاد على انه وطن ، ولم تدخل فكرة الوطنية بهذا المعنى فى مذهبه الاجتماعى ؛ ومن أجل ذلك اشتد كرهه للانجليز وعاش عدواً لهم لدوداً . هو قدرأى الرقى في بلاد أوربا، ورأى الانحطاط في بلاد الشرق التى زارها ، شهد نفوذ الاجنبى فيها وسوء أثر الحكم الاستبدادى فتوجهت فكرته الى انهاض تلك البلاد جملة وفرادى ؛ ولهذه الممالك الشرقية الاسلامية حب في نفسه ينظمها جميعا

أما أساس النهوض لهذه البلاد عنده فهو خلاصها من سلطان الاجنبى وخلاصها من الحكم الاستبدادى ثم تلاؤمها بنوع من الوحدة يقوى التناصر بينها ويكفل لها الغلب .

وان استيفاء النظر في تاريخ السيد جمال الدين هو كما يقول الاستاذ براون ــ احاطة بتاريخ المسألة الشرقية كلها في الازمان الحديثة : يدخل في ذلك تاريخ الافغان والهند ، ويدخل فيها بوجه اخص تاريخ تركيا ومصر وايران . وفي هذه البلاد الثلاثة الاخيرة لايزال تأثيره حيا

واذا كان قبر السيد جمال الدين الافغانى ظل في الاستانة مهدما مهجوراً حتى جاءه فى العام الماضى مستر كرين الامريكى فشيده وأظهره فيحسب السيد أن مبادئه بعد مماته وموت الطغيان في الاستانة قامت حية مشرقة على اطلاله

حسب جمال الدين من عظمة ومجد ، انه في تاريخ الشرق الحديث أول داع الى الحرية ، وأول شهيد فى سبيل الحرية

الشيخ محمد عبده

ترجمته

بقلم حضرة الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

في محلة نصر احدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة ولد الشيخ محمد عبده من أب اسمه عبده خير الدين كان ممن رزقوا بسطة في جسومهم وقوة ومرنوا على الرماية والفروسية وما اليهما فكسبوا من الهيبة بقوتهم وبطشهم فوق ما كان لهم من عز ومال .

أما أمه فالسيدة جتينة أيم ذات ولد من حصة شينير من مركز السنطة بمديرية الغربية ، تزوجها أبوه في هجرته مطارداً من بعض الحكام .

وحفظ الشيخ محمد عبده القرآن فى بلده ثم ذهب الى طنطا فجوده فى الجامع الاحمدى ، وصد عن طلب العلم فعاد الى بلده ليشتغل بالزراعة ، وتزوج يومئذ على حداثة سنه .

وكان في خوولة أبيه رجل متصوف يدعى الشيخ درويش خضر كفكف من جماح الشاب فجعله متصوفاً وورده الى طلب العلم فى طنطا .

ورحل بعد ذلك الشيخ محمد عبده الى الأزهر فحضر دروس كبار العلماء في مختلف العلوم الأزهرية مع الاشتغال بالتصوف . وجاء الى مصر السيد جمال الدين الأفغانى فحضر دروسه ولازمه ، وظهرت

فى وقت قصير آثار انتفاعه بعشرته ومعارفه ، فألف في التصوف (رسالة الواردات) ثم ألف حاشـية على شرح التصووانى على العقائد العضدية « فى التوحيد » وأخذ يكتب فصولا في الجرائد استرعت اليه الانظار .

ثم نال شهادة العالمية من الدرجة الثانية بعد امتحان ظهر فيـه ان الشيوخ ينقمون عليه نزعاته الفكرية المتأثرة بمذهب أستاذه .

وعين على اثر ذلك مدرساً في مدرسة دار العلوم وفي مدرسة الألسن الخديوية . ولمـا نفى السيد جمال الدين من مصر عزل تلميذه وأمر بالمقام فى بلده لا يبرحه . وعفى عنـه فجعل من محررى الجرنال الرسمى (الوقائع الرسمية) ثم عين رئيساً للتحرير .

وجاءت الثورة العرابية فحوكم مع زعمائها وحكم عليـه بالنفى ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، قضى شطراً منها في سورية ثم دعاه أستاذه السيد الأفغانى الى أوربا فأصدرا في باريس معاً جريدة (العروة الوثقى) التى لم تعش الا نحو ثمانية أشهر .

ثم رجع الشيخ الى بيروت فعين أستاذاً في المدرسة السلطانية ، وكان يشتغل مع التدريس بالتأليف والكتابة فألف « رسالة التوحيد » ونقل الى العربيـة « رسالة الرد على الدهريين » التى كتبها السيد جمال الدين الأفغانى بالفارسية ، وشرح « نهج البلاغة » و « مقامات بديع الزمان الهمذانى » ونشر في الجرائد مقالات عديدة .

وفى بيروت تزوج زوجته الثانية بعد وفاة زوجه الأولى .

وعاد من منفاه فعين قاضياً أهلياً فمستشارا فى محكمة الاستئناف الأهلية . ثم جعل عضوا في مجلس ادارة الأزهر ، وهو أول مجلس

اسس ليكون رسول الاصلاح . ثم عين مفتياً للديار المصرية ، فظل في هذا المنصب حتى أدركه الأجل .

وفي عهد توليه الافتاء كتب في اصلاح المحاكم الشرعية تقريرا جليلا ، وأصدر فتاوى ذات شأن ، ووضع تفسير جزء عم وتفاسير لبعض السور ولبعض الآيات المشكلة ، وألف « كتاب الاسلام والنصرانيـة مع العلم والمدنية » وكتب للمجلات والجرائد فصولا قيمة في موضوعات دينية وغير دينية .

***

هذه الصورة المجملة من تاريخ الشيخ محمد عبده تبين مناصبه وتعدد مؤلفاته ، لكنها لا ترسم جوانب عظمته فان المناصب والكتب ليست محلى عظمة الشيخ محمد عبده وان كان ترك نفحة من النبل والعظم في كل ما اتصل به .

تخلد ذكرى العالم الكتب يودع فيها آيات عبقريته ، ويخلد الاثر الفنى ذكرى الفنان ، أما المصلح فهو يهيئ للجماعة مثلا أعلى لم تعرفه من قبله ، ويحاول أن يصرف الى ذلك المثل القلوب محاولة تظهر فيهـا قوة نفسه وقوة عزيمته ويظهر فيها فيض ما وهب من عبقرية والهام .

والشيخ محمد عبده مصلح جرىء ، حاول الهدم والبناء فى أقدس هيكل عند البشر ، فيما يعتبره الناس ديناً .

عرض لذلك في الشرق موطن العواطف الدينية وبين المسلمين أشد المتدينين بدينهم كبرا وأكثرهم غيرة وحفاظاً على ما له صورة دين .

أرسل صيحته في الازهر تدوى بين شيوخ ان لم يكونوا يومئذ هيأة كبار علماء فلعلهم لم يكونوا دون هؤلاء جمودا .

ولم يبال الاستاذ بما لقى من الاذى ، وقد لقى من الاذى كثيرا .



كان الشيخ محمد عبده رجلا مربوع القامة أو فوق ذلك قليلا ، ممتلئ الجسم متين البنية شديد العضل رشيق الحركة نشيطها .

ملامح وجهه جميلة في جملتها وتفصيلها تزيدها جمالا ومهابة تلك اللحية البيضاء النضيرة المطيفة بمحيا مشرق ذى جبهة غراء انحسر الشعر عنها رويدا وارتفعت فسيحة ناطقة بالعقل والارادة والذكاء .

ولعينيه المعتدلتين في السعة من غير ضيق بريق ساحر يملأ الصدر هيبة وأعجاباً وحباً .

وأشهد لقد كان جمال الشيخ محمد عبده من الجنود التى سخرها الله لعبقريته ، وكان صوته العذب المؤثر من جنود عبقريته أيضاً . كنت طالباً من صغار الطلاب أيام جاء الشيخ محمد عبده الى الازهر ، وكان أساتذتنا ، عفى الله عنهم ، لا يفتأون يذمون لنا الشيخ ويمثلونه خطراً على الدين وأهله داهما ، فتتأثر بذلك عقولنا الطفلة ، وكنت أفر بدينى من أن ألقى الأستاذ أو أستمع لدروسه مع أنه صديق لوالدى .

وحضرت درسه مرة لأشهد كيف تشيه وجوه الملحدين وتشيه معها عقولهم وقلوبهم .

فلما رأيت الرجل بالرواق العباسى وسمعته يفسر كتاب الله قلت مذ ذلك اليوم : اللهم ان كان هذا الحادا فأنا أول الملحدين

ان كان رفضا حبَّ آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافض

كان الشيخ محمد عبـــده متميزا من ناحية الكمال الجسمانى بالفطرة والوراثة والنشأة الريفية . ويظهر انه كان ذا منزلة خاصة عند أبويه لأنه أصغر أبناء أمه وأنجب اخوته فتربى على شيء من الحرية يكون عادة للأبناء المميزين ولا يكون لغيرهم فينشأون ذوى استقلال وجرأة واقدام . ولا ينكر أثر التربية الصوفية فى نفس الأستاذ فانها وجهت كل عواطف الشباب فى نفس الفتى الى اللذائذ القدسية لذائذ العارفين

واذا كانت التربية الحديثة تدعو الى تهذيب الأذواق بفنون الجمال الحسى فان التربية الصوفية تدعو الى تلطيف السر بانواع من الرياضة البدنية والروحية .

قال ابن سينا في الاشارات :

« العارف هش بش بسام . وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شيء فانه يرى فيه الحق .

العارف شجاع ، كيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت . وجواد ، وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل . وصفاح ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق »

هذه التعاليم الصوفية من شأنها أن تربى جانب الوجدان وتلطف السر وتجمل النفس وتزينها . ولا جرم كان الشيخ محمد عبـــده صوفي الأخلاق وقد هذبت من صوفيته تربيـــة السيد جمال الدين الأفغانى وزاده ما استفاد من الاسفار وتعلم اللغة الفرنسية تهذيباً .

قال المرحوم قاسم بك أمين في وصف الأستاذ : « بلغت فيه طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة : كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليه ويسعى الى كل نفع للغير عام أو خاص

كان ملجأ للفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين بأى مصيبة وأهل الأزهر الذين هم أكثر الناس احتياجاً الى المساعدة لأنهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم فى ميدان حياتنا الجديدة يبذل اليهم ماله ويسعى لهم عند ولاة الأمور بهمة لا تعرف الملل ، كأنما كان يسعى لأعز انسان لديه . بل كان يسعى لصاحب الحاجة وهو يعلم انه أساء اليه وقدح فيه وتحالف مع خصومه في ترويج عبارات القذف والنميمة التى لم تنقطع عنه يوماً مدة حياته . كان الأستاذ يرى أن الشر لا فائدة منه مطلقاً ، وان التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ، ويفيد في اصلاح فاعله » .

اتصل الشيخ محمد عبده بالمناصب الحكومية وبالشؤون السياسية وبالحركة العلمية والأدبية وبأعمال البر . وكان له في كل هذه الميادين نشاط مثمر ورأى مصلح ، وعزم لا يعرف دون الكمال تراجعاً ولا فتورا . لكن الميدان الذى أنفق في رحابه الشيخ محمد عبده خير ماوهب من صحة وهمة وعقل وعلم وفصاحة هو ميدان الاصلاح الدينى . دعا الشيخ محمد عبده إلى الاصلاح الدينى باعتباره أساسا لكل اصلاح في الشرق .

وتنتظم دعوة الشيخ إلى الاصلاح الدينى أموراً ثلاثة :

١ ـ تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الاديان .

٢ ـ اعتبار الدين صديقاً للعلم لا موضع لتصادمهما ، إذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات البشر لا تغنى إحداهما عن الأخرى

٣ ـــ فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الاولى

ومنابع الاسلام فى سذاجته التى ورد بها من صاحب الدين نفسه : هى الكتاب وقليل من السنة في العمل .

هذاهو الاصل الذى ينبغى أن يرد إليه الدين الاسلامى في مذهب أستاذنا

ولما كان الثابت بالتواتر من السنة قليلا فقد صرح الشيخ فى تفسير سورة الفاتحة (أنه يجب أن يكون القرآن أصلا تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين)

لهذا توجهت عزيمة الشيخ فى أخريات حياته إلى العناية بتفسير القرآن عناية كانت تكاد تستغرق كل مجهوده في الاصلاح الدينى

وجهة الطرافة في تفسير الاستاذ هى حسن الطريقة فى البحث ولطف التصوير لمعانى القرآن على مابوافق ذوق هذه العصور وادراكها حاجاتها والشيخ في كلا الأمرين متأثر بمناهج الفكر الحديث

ولا شك أن الشيخ قد تأثر بالحياة الغربية على وجه ما في حياته العقلية ومعيشته الخاصة ، ذلك بأنه تعلم اللغة الفرنسية وسافر إلى أوروبا عدة مرات وعاشر الأوربيين فى مصر وفي غير مصر ، فاستفاد من مخالطته وسياحاته ومن مطالعاته لكتب الغربيين في الفنون المختلفة . وظهر أثر ذلك فى أفكاره وكتاباته ودعواته الاصلاحية

☆☆☆

ولا يسع المؤرخ حين يترجم للشيخ محمد عبده ان يغفل الاشارة إلى مابلغه الرجل فى حياته من عز وجاه وحرمة موفورة ، كان للشيخ محمد عبده

خصوم يكرهونه ويكيدون له ويضعون له العقبات فى سبيل اصلاحه ، ولكن أحداً لم يكن يستطيع أن يغض من جلال الشيخ أو ينكر عليه منزلته الرفيعة في النفوس

كان الشيخ محمد عبده بين الطوائف الراقية من المصريين وبين طوائف الاجانب في مصر محبوباً معظما معترفاً له بمقام الامامة الذى لايسامیه مقام وانتشر صيته فى أقطار الشرق وتوجهت إليه الانظار

ولو شاء الشيخ محمد عبده لكان ذا غنى ولترك لأرملته المحترمة المريضة ثروة تكفل لها من بعده رفه الشيخوخة وتصونها من ذلة العسر ، ولكن الاستاذ الامام كان أكبر نفساً وأشد احتقاراً للدنيا من أن يبذل جهده فى جمع المال ، فعاش عظيما فقيرا ، ومات فقيرا عظيما

الرد على الدهريين

للمصلح الكبير — السيد جمال الدين الافغانى

نقلها الى العربية عن اللغة الفارسية

الشيخ محمد عبده

٣ ثمنها ثلاثة قروش صاغ ٣

وتطلب من المكتبة الأهلية . بمصر

باب

المقالات والفصول

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الجريدة

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)

هذا ما تمده العناية الإلهية من قول الحق ، متعلقاً بأحوال الشرق ، وعلى الله المتكل . فى نجاح العمل

خفيت مذاهب الطامعين أزمانا ثم ظهرت ، بدأت على طرق ربما لا تنكرها الأنفس ثم النوت ، أوغل الأقوياء من الأمم فى سيرهم بالضعفاء حتى تجاوزوا بيداء الفكر ، وسحروا ألبابهم حتى أذهلوهم عن أنفسهم وخرجوا بهم عن محيط النظام ، وبلغوا بهم من الضيم حداً لا تحتمله النفوس البشرية

ذهب أقوام الى مايسوله الوهم ، ويغرى به شيطان الخيال : فظنوا أن القوة الآلية وإن قل عمالها يدوم لها السلطان على الكثرة العددية وإن اتفقت آحادها بل زعموا أنه يمكن استهلاك الجم الغفير ؛ فى النزر اليسير ، وهو زعم يأباه القياس بل يبطله

البرهان ، فان تقلبات الحوادث فى الأزمان البعيدة والقريبة ناطقة بأنه إن ساغ أن عشيرة قليلة العدد فنيت فى سواد أمة عظيمة ونسيت تلك العشيرة اسمها ونسبتها فلم يجز فى زمن من الازمان أمحاء أمة أو ملة كبيرة بقوة أمة تماثلها فى العدد أو تكون منها علَى نسبة متقاربة ، وإن بلغت القوة أقصى مايمثله الخيال

والذى يحكم به العقل الصريح ويشهد به سير الاجتماع الانسانى من يوم علم تاريخه الى اليوم أن الأمم الكبيرة اذا عراها ضعف لافتراق فى الكلمة ، أو غفلة عن عاقبة لا تحمد ، أو ركون إلى راحة لاتدوم ، أو افتتان بنعيم يزول ، ثم صالت عليها قوة أجنبية ، أزعجتها ونبهتها بعض التنبيه ، فاذا توالت عليها وخزات الحوادث ، وأقلقتها آلامها فزعت إلى استبقاء الموجود ورد المفقود ، ولم تجد بداً من طلب النجاة من أى سبيل وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية وهي ماتكون بالتئام أفرادها ، والتحام آحادها ، وأن الالهام الأهلي والاحساس الفطرى والتعليم الشرعى ترشدها إلى أن لاحاجة لها إلى ما وراء هذا الاتحاد وهو أيسر شىء عليها

إن النفوس الانسانية وإن بلغت من فساد الطبع والعادة

مابلغت اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتمل الضيم إلا إلى حد يدخل تحت الطاقة ويسعه الإمكان فاذا تجاوز الاستطاعة كرت النفوس إلى قواها ، واستأسد ذئبها ، وتنمر ثعلبها ، والتمست خلاصها ، ولن تعدم عند الطلب رشاداً

ربما تخطى مرة فتكون عليها الدائرة ، لكن مايصيبها من زلة الخطأ يلهمها تدارك مافرط والاحتراس من الوقوع في مثله فتصيب أخرى فيكون لها الظفر والغلبة ، وان الحركة التي تنبعث لدفع مالا يطاق اذا قام بتدبيرها قيم عليها ، ومدبر لسيرها ، لايكفي في توقيف سريانها ، أو محو آثارها ، قهر ذاك القيم واهلاك ذاك المدبر ، فان العلة مادامت موجودة لا تزال آثارها تصدر عنها ، فان ذهب قيم خلفه آخر أوسع منه خبرة وأنفذ بصيرة ، نعم تمكن تخفيف الاثر أو ازالته بازالة علته ورفع أسبابه

جرت عادة الامم أن تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق والعادات والمشارب ، وان لم يكلفها بزائد عما كانت تدين به لمن هو عَلَى شاكلتها ، فكيف بها اذا حملها مالا طاقة لها به . لاريب انها تستنكره ، وان كانت تستكبره ، وكلما انكرته بعدت عن الميل اليه ، وكلما ابتعدت منه بجهة كونه غريباً تقرب بعضها

من بعض ، فعند ذلك تستصغره فتلفظه كما تلفظ النواة وما كان ذلك بغريب

ان مجاوزة الحد فى تعميم الاعتداء تنسى الامم ما بينها من الاختلاف فى الجنسية والمشرب ، فترى الاتحاد لدفع مايعمها من الخطر ألزم من التحزب للجنس والمذهب وفى هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية الى الائتلاف أشد من دعوتها اليه للاشتراك فى طلب المنفعة

أبعد هذا يأخذنا العجب اذا أحسسنا بحركة فكرية فى أغلب انحاء المشرق فى هذه الايام . كل يطلب خلاصا ويبتغى نجاة ويبتحل لذلك من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره على درجته من الجودة والاتقن وان العقلاء فى كثير من اصقاعه يتفكرون فى جعل القوى المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل

بلى ، كان هذا أمراً ينتظره المستبصر وان عمى عنه الطامع وليس فى الامكان اقناع الطامعين بالبرهان ولكن ما يأتى به الزمان من عاداته في أبنائه بل ما يجرى به القضاء الالهى من سنة الله فى خلقه سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون

بلغ الاجحاف بالشرقيين غايته ، ووصل العدوان فيهم نهايته ،

وادرك المغلب منهم نكايته ، خصوصا فى المسلمين منهم فمنهم ملوك انزلوا عن عروشهم جوراً وذووا حقه قد فى الامرة حرموا حقوقهم ظلماً ، وأعزاء باتوا اذلاء وأجلاء أصبحوا حقراء وأغنياء أمسوا فقراء وأصحاء اضحوا سقاماً وأسود تحولت اذماماً ، ولم تبق طبقة من الطبقات الا وقد مسها الضر من افراط الطامعين فى اطماعهم خصوصا من جراء هذه الحوادث التى بذرت بذورها فى الاراضى المصرية من نحو خمس سنوات بأيدى ذوى المطامع فيها . حملوا الى البلاد ما لا تعرفه فدهشت عقولها وشدوا عليها بما لا تألفه فحارت ألبابها والزموها ما ليس فى قدرتها فاستعصت عليه قواها وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم العدالة ليهيئوا بكل ذلك وسيلة لسيل المطمع فكانت الحركة العرابية العشواء فاتخذوها ذريعة لما كانوا له طالبين فاندفع بهم سيل المصاعب ، بل طوفان المصائب ، على تلك البلاد وظنوا باوغ الأرب ولكن أخطأ الظن و محوا بما لم ينالوا

لم تكد تخمد تلك الحركة فى بادىء النظر حتى خلفتها حركة أخرى وفتح باب كان مسدوداً وقام قائم بدعوة لها المكانة الاولى فى نفوس المسلمين بل هي بقية آمالهم ولا ندرى الآن ماذا تستعقبه هذه الحركة الجديدة وربما يوجد من يدرى أن

مسببيها في حيرة من تلافيها ، نعم انهم غرسوا غرسا إلا أنهم سيجنون أو هم الآن يجنون منه حنظلا ويطعمون منه زقوما . لاجرم هذه هي العواقب التى لامحيص عنها لمن يغالى فى طمعه ويغلغل فى حرصه ولو أنهم تركوا الأمر من ذاك الوقت لاربابه وفوضوا تدارك كل حادث للخبراء به والقادرين عليه العارفين بطرق مدافعته أو اقتناء فائدته لحفظوا بذلك مصالحهم ونالوا ما كانوا يشتهون من المنافع الوافرة بدون أن تزل لهم قدم أو ينكس لهم علم

غير أنهم ركبوا الشطط وغرهم ما وجدوا من تفرق الكلمة وتشتت الاهواء وهو انفذ عواملهم واقتلها وما علموا أنه وإن كان زريع الفتك إلا أنه سريع العطب وما أسرع أن يتحول عند اشتداد الخطوب إلى عامل وحدة يسدد لقلوب المعتدين فان بلاء الجور إذا حل بشطر من الامة وعوفي منه باقيها كانت سلامة البعض تعزية للمصابين وحجاب غفلة للسالمين يحول بينهم وبين الاحساس بما أصاب اخوانهم أما إذا عمّ الضرر فلا محالة يحيط بهم الضجر ويعز عليهم الصبر فيندفعون إلى ما فيه خيرهم ولا خير فيه لغيرهم

إن الحالة السيئة التي أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل

احتلالها على نفوس المسلمين عموما . إن مصر تعتبر عندهم من الاراضى المقدسة ولها في قلوبهم منزلة لايحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الاسلامية ولانها باب الحرمين الشريفين فان كان هذا الباب أمينا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع والا اضطربت أفكارهم وكانوا فى ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الاسلامية ، ان الخطر الذى ألم بمصر نغرت له أحشاء المسلمين وتكلمت به قلوبهم ولن تزال آلامه تستفزهم ما دام الجرح نغاراً . وما هذا بغريب على المسلمين فان رابطتهم الملية أقوى من روابط الجنسية واللغة وما دام القرآن يتلى بينهم وفى آياته مالا يذهب على افهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم ان الفجيعة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة وجددت أحزانا لم تكن في الحسبان وسرى الألم فى أرواح المسلمين سريان الاعتقاد فى مداركهم وهم من تذكار الماضى ومرافبة الحاضر يتنفسون الصعداء ولا نأمن أن يصير التنفس زفيراً بل نفيراً عاما بل يكون صاخة تمزق مسامع من اصمه الطمع .

ان أولى المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس لا كتائب له فى فتوحاته الا المداهاة ولا بيالق يسوقها للاستملاك سوى المحاباة ولا أسنة تحفظ بها ما تمتد إليه يده إلا المراضاة يظهر

بصور مختلفة الالوان متقاربة الاشكال كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ممالكهم ومثبت مراكز الأمراء ومسكن الفتن ومخاض الحكومات من غوائل العصيان وواقى مصالح المغلوبين فكان أول ما يجب عليه ملاحظته فى سيره هذا أن لايأتى من أعماله بمايهتك هذا الستر الرقيق الذى يكفى لتمزيقه رجع البصر وكر النظر وأن يتحاشى العنف مع أمة يشهد تاريخها بأنها إذا حنقت خنقت وليس له أن يغتر بعدم مكنتهم وهو يعلم أن الكلمة اذا اتحدت لا تعوزها الوسائط ولا يعدم المتحدون قوياً شديد البأس يساعدهم بما يلزمهم اتروبيح سياسته وان المغيظ لايبالى فى الايقاع بمناوئه أسلم أو عطب فهو يضر ليضر ، ان مسه الضر

الا ان غشية التهم ذهبت بعقول المنهومين ووقرت اسماعهم عن حسيس الهمسات المتراسلة من الهند الى مكة ومن مكة الى مصر والكرير (١) الممتد من مصر الى مكة ومن مكة الى الهند وكلها تتلاقى بين تراقى المغرورين بقوتهم المسترسلون فى جفوتهم

ان الرزايا الاخيرة التى حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة

(١) الكرير : صوت في الصدر كصوت المختنق

الاعتقاد بين ساكنيها فايقظت أفكار العقلاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم مع ملاحظة العلل التى أدت بهم الى ماهم فيه فتقاربوا فى النظر وتواصلوا فى طلب الحق وعمدوا الى معالجة الحق وعلل الضعف راجين أن يسترجعوا بعض مافقدوا من القوة ومؤملين أن تمهدلهم الحوادث سبيلا حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف وان فى الحاضر منها لعبرة تغتنم واليها يسطوا أكفهم ولا يخالونها تفوتهم ولئن فاتت فكم في الغيب من مثلها والى الله عاقبة الامور .

تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل فى عدة أقطار خصوصا البلاد الهندية والمصرية وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه ويوحدون كلمة الحق فى كل صقع لاينون فى السعى ولا يقصرون في الجهد ولو أفضى بهم ذلك الى اقصى ما يشفق منه حى على حيانه .

ولما كانت بدايتهم تستدعى مساعدة من يضارعهم فى مثل حالهم رأوا أن يعقدوا الروابط الأكيدة مع الذين يتململون من مصابهم ويحبون العدالة العامة ويحامون عنها من أهالى أوربا وكتبوا على أنفسهم النظر فى أمر السلطة العامة الاسلامية وفروض القائم بها . وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ومناط

اليقين وفيها موسم الحجيج العام فى كل عام يجتمع اليه الشرقى والغربى ويتآخى فى مواقفها الطاهرة الجليل والحقير والغنى والفقير كانت أفضل مدينة تتوارد اليها أفكارهم ثم تنبث الى سائر الجهات والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل .

ولما كان نيل الغاية على وجه أبعد من الخطر وأقرب الى الظفر يستدعى أن يكون للداعى في كل قلب سليم نفثة حق ودعوة صدق طلبوا عدة طرق لنشر أفكارهم بين من خفى عنه شأنهم من اخوانهم واختاروا أن يكون لهم فى هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم وهو اللسان العربى وأن تكون فى مدينة حرة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم وتوصيل أصواتهم الى الاقطار القاصية تنبيهاً للغافل وتذكيراً للذاهل . فرغبوا الى السيد جمال الدين الحسينى الافغانى أن ينشىء تلك الجريدة بحيث تتبع مشربهم وتذهب مذهبهم فلبى رغبتهم بل نادى حقا واجبا عليه لدينه ووطنه وكلف الشيخ محمد عبده أن يكون رئيس تحريرها فكان ماحمل الاول على الاجابة حمل الثانى على الامتثال ، وعلى الله الاتكال في جميع الأحوال

الجريدة ومنهجها

سياتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الامكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك مافات ، والاحتراس من غوائل ماهو آت

ويستتبع ذلك البحث فى أصول الاسباب ومناشىء العلل التي قصرت بهم إلى جانب التفريط والبواعث التى دفعت بهم إلى مهامه حيرة عميت فيها السبل واشتبهت بها المضارب وتاه فيها الخريت (١) وضل المرشد حتى لا يدرى السالكون من أين تفجعهم الطوارق المفزعة والمزعجات المدهشة والمدهشات القاتلة

وتكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التى شغلت أوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد وتزيح الوساوس التى أخذت بعقول المنعمين حتى أورثتهم اليأس من مداواة علاتهم وشفاء أدوائهم وظنوا أن زمان التدارك قد فات وأن العناية بلغت حدها

---

(١) الخريت : الدليل الحاذق بحرت الارض

وتحاول اشراب الأفهام أن لاحاجة فى الوصول الى نقطة الخلاص المرغوبة إلى قطع دائرة عظيمة تصورها يوجب فتور الهمم وانحطاط العزائم وأن تخيل تلك الدائرة الواسعة انما عرض من الادبار على المطلوب وهو تحت الجنح ويكفى فى الوصول اليه عطفة نظر وقطع بعض خطوات قصيرة

وان الظهور فى مظهر القوة لدفع الكوارث انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التى كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم وهى ما تمسكت به أعز دولة أوربية وأمنعها ولاضرورة فى إيجاد المنعة الى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التى جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى ولا ملجىء للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الأوربى فى نهايته بل ليس له أن يطلب ذلك وفيما مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد أوقر نفسه وأمته وقراً أعجزها وأعوزها

وتنبه بأن التكافؤ فى القوى الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فان فقد التكافؤ لم تكن الرابطة إلا وسيلة القوى لابتلاع الضعيف ، وتجعل اهاب الوداد المرفش بألوان الملاطفة المديج بأشكال المجاملة شفافاً ينم عما وراءه وتنقب عن المسالك الدقيقة التى يسرى بها الطامعون فى دياجر الغفلات

وتهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموماً المسلمون خصوصاً من التهم الباطلة التي يوجهها إليهم من لا خبرة له بحالهم ولا وقوف على حقائق أمورهم وإبطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدمون إلى المدنية ما داموا على أصولهم التى فاز بها آباؤهم الأولون ولا تهن في تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون فى شئونهم مع اختيار الصادق وانتقاء الثابت

وتراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الامم وتمكين الالفة فى أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التى لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين

ومع كل هذا فهذه الجريدة تتبع سير الداعين إليها والحاملين عليها لا تظهر اذا أدلجوا ولا تنجد اذا غوروا وتذهب مذاهب الرشد وتصيب بحول الله مواقعه عند من سبق فى أذلى علم الله هدايته والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

وترسل إلى الذين نعرف أسماؤهم مجانا بدون مقابل ليتداولها الأمير والحقير والغنى والفقير ومن لم يصل إلينا اسمه فما عليه إلا أن يكتب إلى ادارة الجريدة بالأسم المعروف به ومحل إقامته على النهج الذى يريده والله الموفق

الجنسية والديانة الاسلامية

ان استقراء حال الافراد من كل امة واستطلاع اهوائها يثبت لجلى النظر ودقيقه وجود تعصب للجنس ونعرة عليه عند الاغلب منهم وان المتعصب لجنسه منهم ليتيه بمفاخر بنيه ويغضب لما يمسهم حتى يقتل دون دفعه بدون تنبه منه لطلب السبب ولا بحث فى علة هذا الوجدان حتى ظن كثيرون من طلاب الحقيقة أن التعصب للجنس من الوجدانيات الطبيعية الا انه يبعد ظنهم ما نراه فى حال طفل ولد في امة من الامم ثم نقل قبل التمييز الى أرض امة أخرى وربى فيها الى ان عقل ولم يذكر له مولده فانا لانرى فى طبعه ميلاً اليه بل يكون خالى الذهن من قبله ويكون مع سائر الاقطار سواء بل ربما كان آلف لمرباه وأميل اليه والطبيعى لايتغير .

ولهذا لانذهب الى انه طبيعى ولكن قد يكون من الملكات العارضة على الانفس ترسمها على ألواحها الضرورات فان الانسان فى أى أرض له حاجات جمة وفى افراده ميل الى الاختصاص والاستئثار بالمنفعة اذا لم يصبغوا بتربية زكية ، وسعة المطمع اذا صحبها اقتدار تدعو بطبعها الى العدوان فلهذا صار بعض الناس

عرضة لاعتداء بعض آخر فاضطروا بعد منازلة الشرور احقاباً طوالاً الى الاعتصاب بلحمة النسب على درجات متفاوتة حتى وصلوا الى الاجناس فتوزعوا امماً كالهندى والانكليزى والروسى والتركمانى ونحو ذلك ليكون كل قبيل منهم بقوة افراده المتلاحمة قادرا على صيانة منافعه وحفظ حقوقه من تعدى القبيل الاخر ثم تجاوزوا فى ذلك حد الضرورة كما هي عادة الانسان فى اطواره فذهبوا الى حد ان يأنف كل قبيل من سلطة الآخر عليه علماً بانه لابد ان يكون جائراً اذا حكم ولئن عدل فان فى قبول حكمه ذلاً تحس به النفس وينفعل له القلب .

فلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية تبع هو الضرورة فى الزوال كما تبعها في الحدوث بلا ريب وتبطل الضرورة بالاعتماد على حاكم تتصاغر لديه القوى وتتضائل لعظمته القدرة وتخضع لسلطته النفوس بالطبع وتكون بالنسبة اليه متساوية الاقدام وهو مبدأ الكل ومقهار السموات والارض ثم يكون القائم من قبله بتنفيذ أحكامه مساهما للكافة في الاستكانة والرضوخ لاحكام احكم الحاكمين فاذا اذعنت الانفس بوجود الحاكم الاعلى وايقنت بمشاركة القيم على أحكامه لعامتهم فى التطامن لما امر به اطمأنت فى حفظ الحق ودفع الشر الى صاحب هذه السلطة المقدسة

واستغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها فحى أثرها من النفوس والحكم لله العلى الكبير .

هذا هو السر فى اعراض المسلمين على اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم أى نوع من أنواع العصبيات ماعدا عصبتهم الاسلامية فان المتدين بالدين الاسلامى متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه وبانت عن الرابطة الخاصة الى العلاقة العامة وهى علاقة المعتقد .

لان الدين الاسلامى لم تكن أصوله قاصرة على دعوة الخلق الى الحق وملاحظة أحوال النفوس من جهة كونها روحانية مطلوبة من هذا العالم الادنى الى عالم أعلى بل هي كما كانت كافلة لهذا جاءت وافية بوضع حدود المعاملات بين العباد وبيان الحقوق كليها وجزئيها وتحديد السلطة لوازعة التى تقوم بتنفيذ المشروعات واقامة الحدود وتعيين شروطها حتى لايكون القابض على زمامها لا من أشد الناس خضوعا لها ولن يناله بوراثة ولا امتياز فى جنس أو قبيلة أو قوة بدنية وثروة مالية وانما يناله بالوقوف عند أحكام الشريعة والقدرة على تنفيذها ورضا الامة . فيكون وازع المسلمين فى الحقيقة شريعتهم المقدسة الالهية التى لاتميز بين جنس وجنس واجتماع آراء الامة وليس للوازع أدنى امتياز

عنهم الا بكونه أحرصهم على حفظ الشريعة والدفاع عنها .

وكل فخار تكسبه الانساب وكل امتياز تفيده الاحساب لم يجعل له الشارع أثراً فى وقاية الحقوق وحماية الأرواح والاموال والاعراض بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهى ممقوتة على لسان الشارع والمعتمد عليها مذموم والمعتصب لها ملوم فقد قال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية) والاحاديث النبوية والآيات المنزلة متضافرة على هذا ولكن يمتاز بالكرامة والاحترام من يفوق الكافة فى التقوى — باتباع الشريعة — « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ومن ثم قام بأمر المسلمين فى كثير من الأزمان على اختلاف الاجيال من لا شرف له فى جنسه ولا امتياز له فى قبيله ولا ورث الملك عن آبائه ولا طلبه بشىء من حسبه ونسبه وما رفعه إلى منصة الحكم إلا خضوعه للشرع وعنايته بالمحافظة عليه .

وان بسطة ملك الوازعين فى المسلمين كان يسديها إليهم على حسب امتثالهم للاحكام الالهية واهتدائهم بهديها وتجردهم عن الاعتلاء الشخصى وكلما أراد الوازع أن يختص نفسه بما فوق

به غيره فى أبهته ورفاهة معيشته وأن يستأثر على المحكومين بحظ زائد رجعت الاجناس الى تعصبها ووقع الاختلاف وانقبضت سلطة ذاك الوازع .

هذا ما أرشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبات الاجناس وانما ينظرون الى جامعة الدين لهذا ترى العربى لا ينفر من سلطة التركى والفارسى يقبل سيادة العربى والهندى يذعن لرياسة الافغانى ولا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض ، وأن المسلم فى تبدل حكوماته لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من أشكالها وانتقالها من قبيل إلى قبيل مادام صاحب الحكم حافظاً لشأن الشريعة ذاهباً مذاهبها ، نعم اذا نبأ فى سيره عنها وجار فى حكمه عما نصت عليه وطلب الاثرة بما ليس من حقه انصدعت منه القلوب ، وانحرفت عن محبته الانفس ، وأصبح وإن كان وطنيا فيهم أشنع حالا من الاجنبى عنهم .

أن المسلمين اختصوا من بين سائر أرباب الأديان بالتأثر والاسف عند ما يسمعون بانفصال بقعة اسلامية عن حكم اسلامى بدون التفات إلى جنسها وقبيلها .

ولو أن حاكما صغيراً بين قوم مسلمين من أى جنس كان

تبع الاوامر الالهية وثابر على رعايتها وأخذ الدهماء بحدودها وضرب بسهمه مع المحكومين فى الخضوع لها وتجافى عن الاختصاص بمزايا الفخفخة الباطلة لامكنه أن يجوز بسطة في الملك وعظمة فى السلطان وأن ينال الغاية من رفعة الشأن فى الاقطار المعمورة بأرباب هذا الدين ولا يتجشم فى ذلك أتعابا ولا يحتاج إلى بذل النفقات ولا تكثير الجيوش ولا مظاهرة الدول العظيمة ولا مداخلة أعوان التمدن وأنصار الحرية . . . ويستغنى عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين والرجوع الى الاصول الاولى فى الديانة الاسلامية القويمة ومن سيره هذا تنبعث القوة وتتجدد لوازم المنعة ، أكرر عليك القول بأن السبب هو الدين الاسلامى لم تكن وجهته كوجهة سائر الأديان الى الآخرة فقط ولكن مع ذلك أتى بما فيه مصلحة العباد فى دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا والنعيم فى الآخرة وهو المعبر عنه فى الاصطلاح الشرعى بسعادة الدارين وجاء بالمساواة فى أحكامه بين الاجناس المتباينة والامم المختلفة .

ابيضت عين الدهر وامتقع لون الزمان حتى أصاب أن بعضا من المسلمين على حكم الندرة يعز عليهم الصبر ويضيق منهم الصدر لجور حكامهم وخروجهم فى معاملتهم عن أصول

العدالة الشرعية فيجاوز للدخول تحت سلطة أجنبية على أن الندم يأخذ بأرواحهم عند أول خطوة يخطونها في هذا الطريق فمثلهم كمثل من يريد الفتك بنفسه حتى اذا أحس بالألم رجع واسترجع . وان بعض مايطرأ على الممالك الاسلامية من الانقسام والتفريق انما يكون منشأه قصور الوازعين وحيدانهم عن الاصول القويمة التي بنيت عليها الديانة الاسلامية وانحرافهم عن مناهج أسلافهم الاقدمين فان منابذة الاصول الثابتة والنكوب عن المناهج المألوفة أشد ما يكون ضررهما بالسلطة العليا فاذا رجع الوازعون في الاسلام الى قواعد شرعهم وساروا سيرة الاولين السابقين لم يمض قليل من الزمان الا وقد آتاهم الله بسطة في الملك والحقهم في العزة بالراشدين أئمة الدين وفقنا الله للسداد ، وهدانا طريق الرشاد .

ماضى الامة وحاضرها وعلاج عللها (١)

﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً . ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هى بجميع كل واحد منها كون بديع النظام قوى الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد فى ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بايدى مديريها عقد المشاكل ثبت فيها أفنان العزة بعد ماثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والدانى اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بأن لا سعادة الا فى انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة السباجات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل

---

(١) أكثر عناوين المقالات مأخوذ عن تاريخ الامام (رحمه الله) — طبعة مجلة (المنار) الاسلامية

وبعد هـذا كله وهى بناؤها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الأهواء وانشقت العصى وتبدد ما كان مجتمعا وانحل ما كان منعقداً وانفصمت عرى التعـاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل فى محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لايلمح فى مناظره بارقة من حقوقها الـكليه والجزئية وهو فى غيبة عن أن ضروريات حاجاته لاتنال الا على أيدى الملتحمين معـه بلحمة الامة وانه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة فى سبات يخيله الناظر اليه صحوا وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بآمال أولئك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة التهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق فى خيال أحدهم أو استفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفا أو يعيد اليها مجداً عده هوساً وهذياناً أصيب به من ضعف فى المزاج أو خلل فى البنية أو حسب انه لواجاب داعي الذمة لعاد عليـه بالوبال وأورده موارد الهلـكة أو لصار من أقرب الاسباب لزوال نعمته ونـكد معيشته ويحكم لنفسه بالاسل من الجبن واغلال من اليأس فتغل يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعى ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل مافيه خيره وصلاحه

ويقصر نظره عن درك ما أتى أسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ماقام به أولئك الاباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيما على ما أورثوه لا عقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حداً يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيراً من الامم لم تكن ثم كانت وارتفعت ثم انحطت وقويت ثم ضعفت وعزت ثم ذلت وصحت ثم مرضت ولكن أليس لكل علة دواء . بلى .

وآاسفا ما أصعب الداء وما أعز الدواء وما أقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق الا لان كلا عكف على شأنه . . . استغفر الله لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن أخيه وهو أشد أعضائه اتصالا به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شئون نفسه . نعم ربما التفت كل الى ما هو فى فطرة كل حى من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدري من أى وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون فى أمن عليها ، كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت إلا بعد ما سكنت زمانا غير قصير إلى ماليس من معاليها هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد أن

الفوز فى سلوك سواد خصوصا بعد ما استدبر المقصد وفي كل خطوة يظن أنه على مقربة من الحظوة . كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبتهج باحلامه وفى أذنه وقر وفي ملامسه خدر ، هل من صيحة تقرع قلوب الاحاد المتفرقة من أمة عظيمة تتباعد أنحاؤها وتتنائى أطرافها وتتباين عاداتها وطبائعها هل من نبأة تجمع أهوائها المتفرقة وتوحد آرائها المتخالفة بعد ما ترا كم جهل وران غين وخيل للعقول أن كل قريب بعيد وكل سهل وعر أيم الله أنه لشيء عسير يعيي فى علاجه النطاسى ويحار فيه الحكيم البصير :

هل يمكن تعيين الدواء إلا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والعوارض التى طرأت عليه . إن كان المرض فى أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه إلا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يختار له نوعا من العلاج قبل أن يعرف ماعرض له من قبل فى حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض وإلا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيمها فى طور من أطوار العمر ثم لاتظهر إلا فى طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو اثرها ، كلا أنه ليصعب على

الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الاجل وافرة العدد ، لهذا يندر فى أجيال وجود بعض رجال يقومون بأحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها إليها وإن كان المتشبهون بهم كثيرين وكما أن المتطبب القاصر فى الامراض البدنية لايزيد علاجه المرض الاشدة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضى بالمريض إلى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اعتلالها ووجوه العلة فيها وانواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد فى أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المنزلتين فان اخطاء طالب اصلاحها فى اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء .

فمن له حظ فى الكمال الانسانى ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهى لايجرأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحسن من نفسه أدنى قصور فى أداء هذا الامر العظيم علما أو عملا . نعم يكون ذلك من محبى الفخفخة الباطلة وطلاب العيش فى ظل وظائف ليسوا من حقوقها فى شى

ظن قوم في هـذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وانها تكفل انهاض الامم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هـذا الظن وانا لو فرضنا ان كتاب الجرائد لايقصدون بما يكتبون إلا نجاح الامم مع التنزه عن الاغراض فبعد ماغم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكاتبون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل مايجده على غير مايراد منه لضيق فى التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه إلا سوء التأثير فيشبه غـذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافاً . على أن الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع مافيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك لعزيز

ويظن قوم آخرون ان الامة المنبثة فى أقطار واسـعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلادها الى مادون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا من مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هـذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة فى كل بقعة من

بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف باوربا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتى عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد مايظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوى قاهر يحمل الامة على ما تكره أزمانا حتى تذوق لذته وتجنى ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائبا عن سلطانه فى تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفى بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغنى ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين

فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لايدعون لهم سبيلا لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر

على انا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان تكفى لبث تلك العلوم فى بعض الافراد والاستزادة منها شيئا فشيئا فهل يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان مايصيبه البعض منها يهيئه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقى من ابناء أمته . واعجبا كيف يكون هذا

وان الامة فى بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت وباى ماء سقيت وباى تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التى قصدت منها فى مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لانباء عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجاة بعض الافراد بها وسوقها الى أذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من أخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد فى افادة اخوانهم

لعل الاقرب ان ناقلى تلك العلوم وهم من أمة هذا شأنها مع ما ينعكس اليهم من الاوهام المالوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يمظمونه من أمر الامة التى تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طبائعها الا فساداً

ماذا يكون من أولئك الناشئين فى علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا فى خدمة أوطانهم . يكون منهم ماتعطيه حالهم يؤدون ماتعلموه كما سمعوه لايراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن اصله ولهوهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه على مابلغهم هو الكمال لكل نفس

والحيوة لكل روح فيرومون من الصغير مالا يرام إلا من الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما نلموه ولا مفكرين في استعداد من يعرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيدها على ما بها اضعافاً وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقلة وحملة

فهؤلاء الصادقون الا من وفقه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحللة يشتتون بقية الجمع ويبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط فهؤلاء المغرورون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الا خيراً ان كانوا مخلصين ويوسعون بذلك الخصاص حتى تعود أبواباً ويباعدون ما بين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب فيهم تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبئس المصير

شيد العثمانيون والمصريون عدداً من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم

مايحتاجون اليه من العلوم والمعارف والصنائع والاداب وكل مايسمونه تمدنا وهو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى . هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لانفسهم من ذلك وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة ؟ هل صاروا أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد ؟ هل استنقذوا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم ؟ هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور ؟ هل نالوا بها من المنعة مايدفع عنهم غارة الاعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حداً يميل عزائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهى تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت فى سبيلها خلفها وارث على شاكلتها كما كان فى كثير من الامم

نعم ربما وجد بينهم أفراد يتغيهقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصونها فى عبارات متقطعة بتراء لاتعرف غايتها ولاتعلم بدايتها ووسموا أنفسهم زعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد . ومنهم آخرون

عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أو ضاع المبانى والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا فى تطبيقها على أجود ما يكون منها فى الممالك الاجنبية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فنسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة ما يروق منظره ولا يحمد أثره فاماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم أن يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم الجديدة من الحاجيات الجديدة والكماليات الجديدة لان مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لانف الامة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا إلا لان تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها .

علمتنا التجارب ونطقت مواضى الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المنتحلين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الدين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤما على أبناء أمتهم يذلونهم ويحتقرون

أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الامة بقية من الشمم أو نزوع الى معالى الهمم انصبوا عليه وارغموا من أنفه حتى يمحى أثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير أولئك المقابلون طلائع لجيوش الغالبين، وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الابواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ، ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا يظنون أن قوة تغالب قواهم . أقول ولا أخشى لوماً لو كان فى البلاد الأفغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ماتغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست إلا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون فى تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التى قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضا لأية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم ، كانما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم

***

فما الحيلة وما الوسيلة، والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الاثر لو صحت الضمائر فيها ، والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا

من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد . أى جهورى من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات . أى قاصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخامدة أى نفخة تبعث هذه الارواح فى أجسادها وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها . الاقطار فسيحة الجوانب بعيدة المناكب . المواصلات عسرة بين الشرقى والغربى والجنوبى والشمالى . الرؤوس مطرقة الى ما تحت القدم أو منغضة الى مافوق السماء ليس للابصار جولان الى الامام والخلف واليمين والشمال ولا للاسماع اصغاء ولا للنفوس رغبات وللاهواء تحكم وللوساوس سلطان .

ماذا يصنع المشفقون على الامة والزمن قصير ماذا يحاولون والاخطار محدقة بهم بأى سبب يتمكنون ورسل المنايا على أبوابهم لا أطيل عليك بحثا ولا أذهب بك فى مجالات بعيدة من البيان ولكنى استلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل . ارسل فكرك الى نشأة الامة التى خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الاول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وانهض همم آحادها ولحم مابين

أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الامم وتسوسهم وهى فى مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الالفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من ادران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه ، كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مبانى الاجتماعات البشرية ، وحافظ وجودها وينادى بمعتقديه الى جميع فروع المدنية .

فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الاصول ونبذها ظهريا وحدوث بدع ليست منها فى شىء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة ، واعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أتى لاجله وما أعدته الحكمة الالهية له حتى لم يبق منه إلا اسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجابا بين الامة وبين الحق الذى تشعر بندائه أحيانا بين جوانحها

فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ باحكامه على ما كان فى بدايته. وارشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متأصلة

في النفوس بالوراثة من احقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفى زواياها نور خفى من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة إلا الى نفخة واحدة يسرى نفثها فى جميع الارواح لاقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانسانى

ومن طلب اصلاح امة شأنها ماذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة إلا نحسا ولا يكسبها إلا تعسا .

هل تعجب أيها القارىء من قولى ان الاصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهى بها الى أقصى غاية فى المدنية . ان عجبت فان عجبى من عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوّم اخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم

وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها فى غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى ديارهم طب بقراط وجالينوس وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانوا قبل الدين فى شىء من هذا وكل أمة سادت تحت هـذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها فى التمسك بأصول دينها

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الامصار ، وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا وبعد الغايات وعلو المقاصد ، هي التى هذبت أخلاقهم ، وقومت أفكارهم ، وكفتهم عن معاطاة الرذائل ، وخسائس الامور وسوافلها ، ثم بعد مضى زمان من نشأتها أصابهـا من الانحطاط ما أصابها فبيان أسباب الخلل فيها وعلاته نفرد له فصلا مستقلا فى عدد آخر ان شاء الله ، وهو الموفق للصواب .

النصرانية والاسلام وأهلها

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

خلق الله الانسان عالماً صناعيا ويسر له سبيل العمل لنفسه وهداه للأبداع والاختراع ، وقدر له الرزق من صنع يديه ، بل جعله ركن وجوده ، ودعامة بقائه ، فهو على جميع أحواله من ضيق وسعة ، وخشونة ورفاهة ، وتبد وحضارة ، صنيعة أعماله ، أقواته من معالجة الارض بالزراعة أو قيامه على الماشية وسرابيله وما يقيه الحر أو البرد والوحى من عمل يديه نسجاً أو خصفاً وأكنانه ومساكنه ليست إلا مظاهر تقديره وتفكيره وجميع ما يفتتن فيه من دواعى ترفه ونعيمه إنما هي صور أعماله ومجالى أفكاره ، ولو نفض يديه من العمل لنفسه ساعة من الزمان وبسط أكفه للطبيعة ليستجديها نفسا من حياة لشحت به عليه ، بل دفعته إلى هاوية العدم ، وهو فى صنعه وإبداعه محتاج الى استاذ يثقفه وهاد يرشده ، فكما يعمل لتوفير لوازم معيشته وحاجات حياته يعمل ليعلم كيف يعمل ، وليقتدر على أن يعمل ، فصنعته أيضا من صنعه فهو فى جميع شؤونه الحيوية عالم

صناعى كانه منفصل عن الطبيعة بعيد من آثارها ، حاجته إليها كحاجة العامل لآلة العمل . هذا هو الانسان فى مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه

دعه فى هذه الحالة وخذ طريقا من النظر الى أحواله النفسية من الادراك والتعقل والاخلاق والملكات والانفعالات الروحية تجده فيها أيضا عالما صناعيا : شجاعته وجبنه ، جزعه وصبره ، كرمه وبخله ، شهامته ونذالته ، قسوته ولينه ، عفته وشرهه ، وما يشبهها من الكمالات والنقائص جميعها تابع لما يصادفه فى تربيته الاولى ، وما يودع في نفسه من أحوال الذين نشأ فيهم وتربى بينهم ، مرامى أفكاره ، ومناهج تعقله ، ومذاهب ميله ، ومطامح رغباته ونزوعه الى الاسرار الالهية ، أو ركونه الى البحث فى الخواص الطبيعية ، وعنايته باكتشاف الحقيقة فى كل شيء ، أو وقوفه عند بادىء الرأى فيه وكل ما يرتبط بالحركات الفكرية انما هي ودائع اختزنها لديه الاباء والامهات ، والاقوام والعشائر والمخالطون .

وأما هواء المولد والمربى ونوع المزاج ، وشكل الدماغ وتركيب البدن ، وسائر الغواشى الطبيعية فلا أثر له فى الاعراض النفسية والصفات الروحانية إلا ما يكون فى الاستعداد والقابلية ، على

ضعف في ذلك الأثر ، فان التربية وما ينطبع فى النفس من أحوال المعاشرين وأفكار المثقفين تذهب به كأن لم يكن أودع في الطبع ، نعم أن أفكاراً تتجدد ، ومعقولات عن أخرى تتولد وصفات تسمو ، وهمما تعلو ، حتى يفوق اللاحقون فيها السابقين ويظن أن هذا من تصرف الطبيعة لا من آثار الاكتساب ، ولكن الحق فيه أن ثمرة ماغرس ونتيجة ما كسب فهو مصنوع يتبع مصنوعا ، فالانسان فى عقله وصفات روحه عالم صناعى

هذا مما لا يرتاب عليه العقلاء والسذج ، ولكن هل تذكرت مع هذا أن الاعمال البدنية ، انما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية ، وأن الروح هي السلطان القاهر على البدن ؟ أظنك لا تحتاج فيه الى تذكير ، لأنه مما لايغرب عن الاذهان إنما قبل الدخول في موضوعنا أقول كلمة حق فى الدين ، ولا أظن منكرا يجحدها :

إن الدين وضع الهى ، ومعلمه والداعى اليه البشر ، تتلقاه العقول عن المبشرين المنذرين ، فهو مكسوب لمن لم يختصهم الله بالوحى ، ومنقول عنهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقين ، وهو عند جميع الامم أول ما يمتزج بالقلوب ، ويرسخ فى الافئدة ، وتصبغ النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات

والعادات ، وتتمرن الابدان على ما ينشأ عنه من الاعمال عظيمها وحقيرها ، فله السلطة الاولى على الافكار وما يطاوعها من العزائم والارادات ، فهو سلطان الروح ومرشدها الى ما تدبر به بدنها ، وكأنما الانسان فى نشأته لوح صقيل ، وأول ما يخط فيه رسم الدين ، ثم ينبعث الى سائر الأعمال بدعوته وارشاده . وما يطرأ على النفوس من غيره ، فانما هو نادر شاذ ، حتى لو خرج ما رق عن دينه لم يستطع الخروج عما أحدثه فيه من الصفات بل تبقى طبعته فيه كأثر الجرح في البشرة بعد الاندمال

وبعد هذا فموضوع بحثنا الآن الملة المسيحية والملة الاسلامية وهو بحث طويل الذيل وانما نأتى فيه على اجمال ينبئك عن تفصيل ان الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة فى كل شىء ، وجاءت برفع القصاص واطراح الملك والسلطة ، ونبذ الدنيا وبهرجها ، ووعظت بوجوب الخضوع لكل سلطان يحكم المتدينين بها ، وترك أموال السلاطين للسلاطين ، والابتعاد عن المنازعات الشخصية والجنسية ، بل والدينية ، ومن وصايا الانجيل : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الايسر . ومن اخباره ان الملوك انما ولايتهم على الأجساد وهي فانية والولاية الحقيقية الباقية على

الارواح وهي لله وحده . فمن يقف على مبانى هذه الديانة ويلاحظ ماقلنا من ان الدين صاحب الشوكة العظمى على الافكار ، مع ملاحظة ان لكل خيال أثراً فى الارادة يتبعه حركة فى البدن على حسبه ، يعجب كل العجب من اطوار الآخذين بهذا الدين السلمى ، المنتسبين فى عقائدهم اليه ، فانهم يتسابقون فى المفاخرة والمباهاة بزينة هذه الحياة ورفه العيش فيها ، ولا يقفون عند حد فى استيفاء لذاتها ، ويسارعون الى افتتاح الممالك ، والتغلب على الاقطار الشاسعة ، ويخترعون كل يوم فناً جديداً من فنون الحرب ، ويبدعون فى اختراع الآلات الحربية القاتلة ، ويستعملها بعضهم في بعض ، ويصولون بها على غيرهم ، ويبالغون فى ترتيب الجيوش وتدبير سوقها فى ميادين القتال ، ويصرفون عقولهم فى إحكام نظامها حتى وصلوا غاية صار بها الفن العسكرى من أوسع الفنون وأصعبها ، وان أصول دينهم صارفة لعقولهم عن العناية بحفظ أملاكهم ، فضلا عن الالتفات الى طلب غيرها .

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة والافتتاح والعزة ورفض كل قانون يخالف شريعتها ، ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل

يحكم حكما لاريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم ، وان يسبقوا جميع الملل الى اختراع الآلات القاتلة ، واتقان العلوم العسكرية ، والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيماء وجر الاثقال والهندسة وغيرها ، ومن تأمل في آية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » أيقن ان من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة ، وطلب كل وسيلة الى مايسهل له سبيلها ، والسعي اليها بقدر الطاقة البشرية ، فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ، ومن لاحظ ان الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا فى السباقة والرماية انكشف مقدار رغبة الشارع فى معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها ، ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المتمسكين بهذا الدين لهذه الاوقات ، إذ يراهم يتهاونون بالقوة ، ويتساهلون فى طلب لوازمها ، وليست لهم عناية بالبراعة فى فنون القتال ولا فى اختراع الآلات ، حتى فاقتهم الامم سواهم فيما كان أول واجب عليهم ، واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات ، وسقط كثير منهم تحت سلطة مخالفيهم واستكانوا لها ورضخوا لاحكامها ومن وازن بين الديانتين حار فكره كيف اخترع مدفع الكزوب والمتراليوز وغيرهما بأيدى

أبناء الديانة الاولى قبل الثانية . وكيف وجدت بندقية مارتين فى ديار الأولين ، قبل وجودها عند الآخرين ! وكيف أحكمت الحصون ، ودرعت البواخر ، وأخذت مغالق البحار بسواعد أهل السلامة والسلم ، دون أهل الغلبة والحرب !

لم لايحار الحكيم وان كان نطاسياً ! لم لايقف الخبير البصير دون استكناه الحقيقة ! هل القرون الخالية والاحقاب الماضية لم تكن كافية لرسوخ الديانتين فى نفوس المتمسكين بعراها ؟ هل نبذت كل ملة من الملتين عقائد دينها ظهرياً من اجيال بعيدة ؟ هل اقتصر النصارى فى دينهم عَلَى الأخذ بشريعة موسى ، واقتفاء سيرة يوشع بن نون ؟ هل تخللت بعض آيات الانجيل من حيث يدرى ولا يدرى بين الخطب والمواعظ التى تتلى على منابر المسلمين ، أو القى شىء منها فى أمانى معلميهم وناشرى شريعتهم عند مايتربعون فى محافل دروسهم ؟ هل تبدلت سنة الله فى الملتين هل تحول مجرى الطبيعة فيهما ؟ هل استبدت الابدان فيهما على الارواح ؟ أو وجد للارواح دبير سوى الفكر والخيال ؟ أو انفلتت الافكار من سلطة الدين ؟ أو تعاصت النفوس عن الانتقاش بنقشته ، وهو أول حاكم عليها وأقوى مؤثر فيها . هل تتخلف العلل عن معلولاتها ؟ هل تنقطع النسب بين الاسباب

ومسبباتها ؟ ماذا عساه يرشد العقول الى كشف المساتير وحل المعميات ؟

أينسب هذا الى اختلاف الاجناس ، وكثير من أبناء الملتين يرجعون الى أصول واحدة ويتقاربون فى الانساب الدانية . أينسب هذا الى اختلاف الاقطار وكثير من القبيلين يتشابهون فى طبائع البلدان ، ويتجاورون فى مواقع الامكنة . ألم يصدر من المسلمين وهم في شبيبة دينهم أعمال بهرت الابصار ، وادهشت الالباب . ألم يكن منهم مثل فارس والعرب والترك الذين دوخوا الممالك واستووا على كرسى السيادة فيها ، كان للمسلمين فى الحروب الصليبية آلات نارية اشباه المدافع ، فزع لها المسيحيون ، وغابوا عن معرفة أسبابها ذكر ملكام سرجم « انكايزى » فى تاريخ فارس أن محموداً القزنوى كان يحارب وثنيي الهند بالمدافع وكانت هي الأسباب في انهزامهم بين يديه سنة ٤٠٠ من الهجرة ، وما كان المسيحيون لذلك العهد يعرفون شيئا منها

فأى عون من الدهر أخذ بأيدى الملة المسيحية فقدمها الى ما لم يكن في قواعد دينها . وأى صدمة من صدماته دفعت فى صدور المسلمين فأخرتهم عن تعاطى الوسائل لما هو أول مفروض فى دينهم ؟ مقام للحيرة وموضع للعجب ! ويظن ان لابد لهذا

التخالف من سبب ، نعم وتفصيله يطول ، ولكن نجمل على ماشرطنا : ان الدين المسيحى انما امتد ظله وعمت دعوته فى الممالك الاوربية من أبناء الرومانيين ، وهم على عقائد وآداب وملكات وعادات ورثوها عن أديانهم السابقة ، وعلومهم وشرائعهم الاولى ، وجاء الدين المسيحي اليهم مسالما لعوائدهم ومذاهب عقولهم ، وداخلهم من طرق الاقناع ومسارقة الخواطر لا من مطارق البأس والقوة ، فكان كالطراز على مطارفهم ، ولم يسلبهم ماورثوه عن أسلافهم ، ومع هذا فان صحف الانجيل الداعية الى السلامة والسلم لم تكن لسابق العهد مما يتناوله الكافة من الناس بل كانت مذخورة عند الرؤساء الروحانيين ، ثم ان الاحبار الرومانيين لما اقاموا أنفسهم فى منصب التشريع ، وسنوا محاربة الصليب ، ودعوا اليها دعوة الدين ، التحمت آثارها فى النفوس بالعقائد الدينية ، وجرت منها مجرى الاصول ، ولحقها على الاثر تزعزع عقائد المسيحيين فى أوربا ، وافترقوا شيعاً ، وذهبوا مذاهب تنازع الدين فى سلطته ، وعاد وميض ما أودعه أجدادهم فى جراثيم وجودهم ضراماً ، وتوسعوا فى فنون كثيرة ، وانفسح لهم مجال الفكر فيها ، وكانت براعتهم في الفن العسكرى ، واختراع آلات الحرب والدفاع مساوقة لبراعتهم فى سائر الفنون

أما المسلمون فبعد أن نالوا فى نشأة دينهم ماناالوا ، وأخذوا من كل كمال حربى حظاً ، وضربوا فى كل مخار عسكرى بسهم ، بل تقدموا سائر الملل فى فنون المقارعة ، وعلوم النزال والمكافحة ظهر فيهم أقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه ، وخلطوا بأصوله ما ليس منها ، فانتشرت بينهم قواعد الجبر ، وضربت فى الاذهان حتى اخترقتها ، وامتزجت بالنفوس حتى أمسكت بعنانها عن الاعمال ، هذا الى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما أحدثه السوفسطائية الذين أنكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر ، ولا تثبتها الحقائق ، وما وضعه كذبة النقل من الاحاديث ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها فى الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة وأن ما يلصق منها بالعقول يوجب ضعفاً فى الهمم وفتوراً فى العزائم وتحقيق أهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصاً بعد حصول النقص فى التعليم والتقصير فى إرشاد الكافة الى أصول دينهم الحقة ومبانيه الثابتة التي دعا إليها النبي وأصحابه فلم تكن دراسة الدين على طريقها القويم إلا منحصرة فى دوائر مخصوصة وبين فئة ضعيفة لعل هذا هو العلة فى وقوفهم . بل الموجب لتقهقرهم . وهو

الذى نعانى من عنائه اليوم ما نسأل الله السلامة منه .

إلا أن هذه العوارض التي غشيت الدين . وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته وان كان حجابها كثيفاً . لكن بينها وبين الاعتقادات الصحيحة التى لم يحرموها بالمرة تدافع دائم وتغالب لا ينقطع . والمنازعة بين الحق والباطل كالمدافعة بين المرض وقوة المزاج . وحيث أن الدين الحق هو أول صبغة صبغ الله بها نفوسهم . ولا يزال وميض برقه يلوح فى أفئدتهم بين تلك الغيوم العارضة . فلا بد يوما أن يسطع ضياؤه ويقشع سحاب الاغيان . وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل و امامهم الحق . وهو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم . ومغالبة المعتدين . وطلب المنعة من كل سبيل . لا يعين لها وجها . ولا يخصص لها طريقا .

فاننا لا نرتاب فى عودتهم الى مثل نشأتهم . ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ما سلب منهم . فيتقدمون على من سواهم فى فنون الملاحمة والمنازلة والمصاولة حفظا لحقوقهم . وضنا بأنفسهم عن الذل وملتهم عن الضياع وإلى الله تصير الأمور

*

انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

إن للمسلمين شدة فى دينهم وقوة فى ايمانهم وثباتا على يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل . وان فى عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض . ومما رسخ فى نفوسهم أن فى الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ، ويشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة فى عامتهم . حتى لو سمع أى شخص منهم فى أى بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا أن واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في أى قطر ومن أى جنس صباعن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر فى تحرق وتأسف يلهج بالحوقلة والاسترجاع . ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به . بل وعلى جميع من يشاركه فى دينه . ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من

السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان . ويستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكى عن عجيب

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل فى ولايتهم من البلدان . وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه، وهو فرض عين على كل واحد منهم أن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ، ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الأموال والارواح وارتكاب كل صعب ، واقتحام كل خطب ، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم فى حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم ، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره ، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه . وهذه قواعد مثبتة فى الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ، ولا يغير منها تأويلات أهل الأهواء وأعوان الشهوات فى كل زمان .

المسلمون يحث كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه

يذكره بما تطالبه به الشريعة ، وما يفرض عليه الايمان ، وهو هاتف الحق الذى بقى له من إلهامات دينه ، ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين فى هذه الأيام بعضهم فى غفلة عما يلم بالبعض الآخر ، ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل (بلوجستان) كانوا يرون حركات الانكليز في (أفغانستان) عَلَى مواقع أنظارهم ، ولا يجيش لهم جأش ولم تكون لهم نعرة عَلَى إخوانهم ، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز فى بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون ، وإن جنود الانكليز تضرب فى الاراضى المصرية ذهاباً وإياباً تقتل وتفتك ، ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجارى دمائهم ، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم ، الذين احمرت أحداقهم من مشاهدها بين ايديهم وتحت ارجلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق فى نفوسهم مع هذه الحالة التى هم عليها مما يقضى بالعجب ويدعو الى الحيرة ، ويسبق الى بيان السبب فخذ مجملاً منه : ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وإن كانت هى الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدر العزيز العليم ، لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها فى الانفس

عليها حتى يصير مايعبر عنه بالملكة والخلق ، وتترتب عليه الآثار التى تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده إلا أن ماينعكس الى مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يوثر فيه أشد التأثير ، فكل شهود يحدث فكراً وكل فكر يكون له اثر في داعية ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل الى الفكر ، ولاينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار ، مادامت الارواح فى الاجساد ، وكل قبيل هو للآخر عماد

إن للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولااثر لها فى الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات ، وتلجىء اليه الحاجات ، عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع ، وتضافرهم على دفع المضار ، وبعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذاً يصرفه فى آثارها بقية الاجل ويكون انبساط النفس لعون القريب ، وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جارياً مجرى الوجدانيات الطبيعية ، كالاحساس بالجوع والعطش والرى والشبع ، بل اشتبه امره على بعض الناظرين فعده طبيعياً . فلو اهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ، ولم تدع ضرورات

الحياة في وقت من الاوقات الى مايمكن تلك الصلة ويؤكدها ، أو وجد صاحب النسب من يظاهره فى غير نسبه أو الجأته ضرورة الى ذلك ، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ، ولم يبق منها إلا صورة فى العقل تجرى مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ماذكرنا في رابطة النسب وهي اقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التى لها اثر فى الاجتماع الانسانى من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقد الفكرى ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود اثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكالها ، فلن يكون منشأ لآثاره ، وانما يعد فى الصور العلمية له رسم يلوح فى الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا

بعد تدبر هذه الأصول البينة ، والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين إلى ماهم فيه مع شدتهم فى دينهم ، والعلة فى تباطؤهم عن نصرة إخوانهم ، وهم أثبت الناس في عقائدهم ، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين فى الاغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال ، وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، فالعلماء وهم القائمون

على حفظ العقائد وهداية الناس إليها لاتواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركى فى غيبة عن حال العالم الحجازى فضلا عمن يبعد عنهم ، والعالم الهندى في غفلة عن شؤون العالم الافغانى وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ، ولاصلة تجمعهم إلا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر ، أما فى هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم ، بل لا أنساب بينهم ، وكل ينظر إلى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء ، كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لاتكون سفارة للعثمانيين فى مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لاتكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين فى المشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وإرسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد إلا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم ، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة إذا التقى بعضهم ببعض فى موسم الحجيج العام ، وهذا النوع

من الاحساس هو الداعى إلى الأسف وانقباض الصدر إذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبى عن ملته ، لكنه لضعفه لايبعث على النهوض لمعاضدته

كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج ، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه ، فتداعت للتناثر والانحلال ، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضى الله عنهم كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة إلى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان ، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت إلى أقسام : خلافة عباسية فى بغداد ، وفاطمية فى مصر والمغرب ، وأموية فى أطراف الاندلس ، تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة إلى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس ، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون إليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيز خان واولاده وتيمورلنك وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلا وإذلالاً حتى أذهلوهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا ، وانفرد كل بشأنه وانصرف إلى ما يليه ، فتبدد الجمع إلى آحاد ، وافترق الناس فرقاً كل فرقة تتبع داعياً إما إلى ملك أو مذهب ، فضعفت آثار العقائد التى كانت تدعو إلى الوحدة ، وتبعث على اشتباك الوشيجة ، وصار ما في العقول منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال ، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما فى خزائن النفس من المعلومات ، ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين ، بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر إلى المسامع على طول من الزمان ، وما هو إلا نوع من الحزن على الفائت ، كما يكون على الأموات من الأقارب ، لايدعو إلى حركة لتدارك النازلة ، ولا دفع الغائلة

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذى وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذى يدعو إليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم

حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ فى جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز فى أقطار مختلفة يرجعون إليها فى شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدى العامة إلى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر ، ويجمعوا أطراف الوشائج إلى معقد واحد يكون مركزه في الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام ، حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث االخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع ، فان إحكام الربط انما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف ، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة ، وليس بخاف على المستبصرين مايتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع مايغشاها من النوازل .

الا إنا نأسف غاية الاسف اذ لم تتوجه خواطر العلماء

والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهى اقرب الوسائل وإن التفتت اليها فى هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق ان يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم ، فقد دارستهم التجارب ببيان لامزيد عليه ، وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ، ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ، ويتعرفوا احوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة ، أوما يخشى ان يمسها بضرر ، ويكونون بهذا العمل الجليل قد ادوا فريضةً وطلبوا سعادة ، والرمق باق والآمال مقبلة ، والى الله المصير .

سبات من له الحق
وحراك من لاحق له

هـذه دول أوربا جميعاً ودولة فرانسا خصوصاً شاخصة الابصار الى ما أصاب مصالحها وأضاع حقوقها فى القطر المصرى واضر بتجارتها فيه ، ولا تبدى حركة ولا يسمع لها صوت ، إلا همس خفى فى الجرائد ، والدولة العثمانية وهي شديدة الازر

قوية العضد بما لها من المكانة فى قلوب الهنديين ، وكل انكليزى قلبه بين أصابع الدولة العثمانية ، وأحشاه مستقرة على أناملها ، وفي نظرها ان سلطتها أشرفت على الزوال فى الاقطار المصرية ، وسيادتها عليها كادت تكون اسماً ، ومع ذلك لا تأتى عملا ولا تخطو خطوة ، سوى انها اكتفت باقامة الحجيج ورفع الصوت بالاستغاثة لدى الدول ، حتى ابحها الصياح وليس من يسمع ولا من يجيب . وذوو الحقوق فى الولاية على مصر والاخذ بزمام الحكم فيها على اختلاف مشاربهم ، قد قد شدت أياديهم بحبال من الآمال ، وسلاسل من المخاوف ، لا يجدون لهم فراراً على فكر ، ولا ثباتاً على رأى ، وانما هم بين أعصار من الاوهام ، وتيارات من هواجس الخيال ، يحملقون الى مواقع الحوادث ، حائرين لا يطرف لهم طرف ، ولا ينغمض لهم جفن ، وعامة الاهالى فى الديار المصرية بين فقر كاد يفضى الى قحط ، واختلال فى النظام ، وضعف فى السلطة ، وخبط فى الاحكام ، كادت تؤدى الى يأس من الاصلاح ، وقد أخذهم الدوار من التلفت الى جوانبهم طوراً ينظرون الى حكامهم نظر الآمل فى همهم ، وحسن تدبيرهم ، وآخر الى ماوعدتهم به الحكومة الانكليزية من الجلاء عن أوطانهم ، وتركهم ومايدبرون لانفسهم . والقرعة

تضرب عند الامة البريطانية على ديارهم ، بدون أن يجعل لهم فيها سهم ، كانما هم عنها أغراب لايؤبه بهم ، ولا يبالى بشأنهم .

تراع بين رجال السياسة الانكليزية : بعضهم يدفع الحكومة للاستيلاء على مصر واعلان السيادة عليها ، واستلام أزمة أحكامها وآخرون يقولون هـذا مما يخالف أحكام الزمم ، ولا تسوغه شريعة الوفاء ، وانما علينا أن نحل بها عساكرنا زمنا يكفى لقضاء ما نريده فيها ، ثم نخليها اذا لم يوجد موجب يحتم البقاء . عبارات مختلفة ، ومعان متشابهة ، يتنازعون وهم متوافقون ، ويتخالفون وهم متحدون ، يذهبون فى انتحال الاسباب لما يبتغون ، مذاهب مختلفة فبعض الجرائد كجريدة التمس وماعلى مشربها تعتل بالجنرال كوردون وتهون ماحل به من الفشل وتتقدم الى الحكومة الانكليزية بطلب انقاذه من الخطر ولا وسيلة لخلاصه الا اعلان الحكومة بالسيادة على البلاد المصرية ، فلهذا الاعلان من القوة المعنوية التي تدافع عن الجنرال مالبس لجيش عرمرم ، أما ارسال الجيوش فهو محال لوعرة السبل وكثرة النفقات وشدة الحرارة ، ولئن همت به الحكومة فانما يكون من أعمال اليأس والقنوط . فهذه الجرائد جعلت هذه المصالح الدولية وحقوق الدولة العثمانية وحقوق ستة ملايين من سكان القطر المصرى ، فداء لرأس الجنرال

كوردون وفى زعمها أن ماتراه ليس رأياً يبديه أرباب الجرائد بل هو ما تراه الأمة البريطانية بأسرها ، وربما لا يكون بعيداً ، وبعض الجرائد وتشاركهم جريدة التمس تتذرع فيما تطلب بما حصل لارباب الديون المصرية من القلق على ديونهم ، وليس لهم ضمانة ترفع قلقهم ، ويسكن اضطرابهم ، إلا اعلان السيادة على القطر المصرى ، وقوم آخرون منهم يجعلون حجتهم مصائب الاهالى المصريين ورزاياهم وماحل ببلادهم من الاختلال ، ولاينقذهم من هذا الشقاء إلا السيادة الانكليزية ، جميعهم على وفاق على أن هذه السيادة هى الجوهر الثمين والسر المكنون ، والاكسير المضنون به على غير أهله ، متى أبرزوه لم يبق مريض إلا عوفي : ولا ضعيف إلا قوى ، ولا فاسد إلا صلح ، كأن فى هذا الاسم مافى الرقى والطلاسم ، يغنى عن الجيوش والاموال ، والعدة والرجال

ولا نظن أن يكون في هذا الاسم ما يدعيه الانكليز من القوة ولا أن تكون فى طيه هذه الاسرار العجيبة ، ولو أننا فرضنا تنازل أرباب الحقوق عن حقوقهم من الدول الاوربية والدولة العثمانية وأرباب الشأن الولاية وسوغوا لحكومة انكلترا أن تنقش أحرف السيادة فى أوراقها الرسمية أو فى هوآء الديار المصرية فليس من السهل عليها أن تزيد الحامية الى حد

يحفظ ملكا عظيما يتاخم بلاد أوربا وقد ظهرت آثار قوتها مدة الحلول وماعاد منها على البلاد ، على أن الاهالى كانوا فى سكون تام لركونهم الى ماتعدهم به حكومة انكلترا من الجلاء عن أوطانهم فاذا أعلنت السيادة انفصمت علائق الآمال ، وانحرفت القلوب ومالت الى الدعوة القائمة على القرب منها ، وانقلب الكافة الى الذود عن حقوقهم الوطنية أو الملية ، ولا يرهبون القوة الانكليزية في داخل البلاد بعد ما علموا شأنها ويكون هذا حجة جديدة لمحمد احمد فى تأييد دعواه لدى المصريين ولا يرعبه اسم السيادة بعد مالم ترهبه جيوش الجنرال هكس وكراهام ، وفتكه بالاولى والجائه الثانية ، إلى إخلاء سواحل البحر الاحمر ، فأى شأن يكون لهذا الاسم الشريف ، نعم يكون بداية مشكل جديد فى مصر والله أعلم بعاقبته

التعصب

« اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء »

لفظ شغل مناطق الناس خصوصاً في البلاد المشرقية تلوكه الألسن وترمى به الافواه في المحافل والمجامع حتى صار تكأة (١) للمتكلمين، يلجأ اليه العيي (٢) في تهتهته، (٣) والذملقاني (٤) في تفيهقه (٥). اخذ هذا اللفظ بمواقع التعبير فقلما تكون عبارة إلا وهو فاتحتها أو حشوها أو خاتمتها، يعدون مسماه علة لكل بلاء، ومنبعا لكل عناء، ويزعمونه حجابا كثيفا وسداً منيعا بين المتصفين به وبين الفوز والنجاح، ويجعلونه عنوانا على النقص وعلماً للرذائل، والمتسربلون بسرابيل الافرنج الذاهبون في تقليدهم مذاهب الخبط والخلط لا يميزون بين حق وباطل، هم أحرص الناس على التشدق بهذا البدع الجديد، فتراهم في بيان مفاسد التعصب يهزون الرؤس ويعبثون باللحى ويبرمون السبال، وإذا رموا به شخصا لحظ

(١) التكأة : مايتوكأ عليه (٢) العيي : من العي وهو العجز عن الكلام (٣) التهتهة : ضرب من اللكنة (٤) الذملقاني السريع الكلام (٥) التفيهق : التوسع والتنطع

من شأنه اردفوه للتوضيح بلفظ أفرنجى (فناتيك) فان عهدوا بشخص نوعا من المخالفة لمشربهم عدوه متعصبا . وهمزوا به وغمزوا ولمزوا ، وإذا رأوه عبسوا وبسروا ، وشمخوا بأنوفهم كبراً وولوه دبراً ، ونادوا عليه بالويل والثبور . ماذا سبق إلى افهامهم من هذا اللفظ ، وماذا اتصل بعقولهم من معناه حتى خالوه مبدأ لكل شناعة ، ومصدراً لكل نقيصة ، وهل لهم وقوف على شيء من حقيقته

التعصب قيام بالعصبية ، والعصبية من المصادر النسبية ، نسبة إلى العصبة ، وهي قوم الرجل الذين يعززون قوته ، ويدفعون عنه الضيم والعداء، فالتعصب وصف للنفس الانسانية ، تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه ، ووجوه الاتصال تابعة لأحكام النفس فى معلوماتها ومعارفها

هذا الوصف هو الذى شكل الله به الشعوب ، وأقام بناء الأمم وهو عقد الربط فى كل أمة ، بل هو المزاج الصحيح يوحد المتفرق منها تحت اسم واحد ، وينشئها بتقدير الله خلقا واحداً ، كبدن تألف من أجزاء وعناصر ، تدبره روح واحدة ، فتكون كشخص يمتاز فى أطواره وشؤونه وسعادته وشقائه عن سائر الاشخاص .

وهذه الوحدة هي مبعث المباراة بين أمة وأمة ، وقبيل وقبيل ، ومباهاة كل من الأمتين المتقابلتين بما يتوفر لها من أسباب الرفاهة وهناء العيش ، وما تجمعه قواها من وسائل العزة والمنعة ، وسمو المقام ونفاذ الكلمة ، والتنافس بين الأمم كالتنافس بين الأشخاص أعظم باعث على بلوغ أقصى درجات الكمال في جميع لوازم الحياة بقدر ما تسعه الطاقة .

التعصب روح كلى مهبطه هيئة الأمة وصورتها ، وسائر أرواح الافراد حواسه ومشاعره ، فاذا ألم بأحد المشاعر مالا يلائمه من أجنبى عنه انفعل الروح الكلى ، وجاشت طبيعته لدفعه ، فهو لهذا مثار الحمية العامة ، ومسعر النعرة الجنسية . هذا هو الذى يرفع نفوس آحاد الامة عن معاطاة الدنايا وارتكاب الخيانات فيما يعود على الامة بضرر ، أو يؤول بها الى سوء عاقبة ، وان استقامة الطباع ورسوخ الفضيلة فى أمة تكون على حسب درجة التعصب فيها والالتحام بين آحادها . يكون كل منهم بمنزلة عضو سليم من بدن حى ، لا يجد الرأس بأرتفاعه غنى عن القدم ، ولا يرى القدمان فى تطرفهما انحطاطا فى رتبة الوجود وإنما كل يؤدى وظائفه لحفظ البدن وبقائه

وكلما ضعفت قوة الربط بين أفراد الامة بضعف التعصب فيهم

استرخت الاعصاب ، ورثت الاطناب ، ورقت الاوتار ، وتداعى بناء الامة إلى الانحلال كما يتداعى بناء البنية البدنية إلى الفناء ، بعد هذا يموت الروح الكلي ، وتبطل هيئة الامة وإن بقيت آحادها ، فما هي إلا كالاجزاء المتناثرة ، إما أن تتصل بأبدان أخرى بحكم ضرورة الكون ، وإما أن تبقى فى قبضة الموت إلى أن ينفخ فيها روح النشأة الاخرى . (سنة الله فى خلقه) إذا ضعفت العصبية فى قوم رماهم الله بالفشل ، وغفل بعضهم عن بعض ، وأعقب الغفلة تقطع فى الروابط ، وتبعه تقاطع وتدابر فيتسع للاجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم ، ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بافاضة روح التعصب في نشأة ثانية .

نعم إن التعصب وصف كسائر الاوصاف ، له حد اعتدال وطرفا إفراط وتفريط ، واعتداله هو الكمال الذى بينا مزاياه والتفريط فيه هو النقص الذى أشرنا لرازياه ، والافراط فيه مذمة تبعث على الجور والاعتداء ، فالمفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق ، ويرى عصبته منفردة باستحقاق الكرامة ، وينظر إلى الاجنبى عنه كما ينظر إلى الهمل ، لا يعترف

به بحق ، ولا يرعى له ذمة ، فيخرج بذلك عن جادة العدل ، فتنقلب منفعة التعصب إلى مضرة ويذهب بهاء الامة ، بل يتقوض مجدها ، فان العدل قوام الاجتماع الانسانى ، وبه حياة الامم ، وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرها إلى الزوال ، وهذا الحد من الافراط فى التعصب هو الممقوت على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم فى قوله « ليس منا من دعا إلى عصبية »

التعصب كما يطلق ويراد منه النعرة على الجنس ، ومرجعها رابطة النسب والاجتماع فى منبت واحد ، كذلك توسع أهل العرف فيه ، فاطلقوا على قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضاً ، والمتنطعون من مقلدة الافرنج يخصون هذا النوع منه بالمقت ، ويرمونه بالتعس . ولا نخال مذهبهم هذا مذهب العقل . فان لحمة يصير بها المتفرقون إلى وحدة ، تنبعث عنها قوة لدفع الغائلات ، وكسب الكمالات ، لايختلف شأنها إذا كان مرجعها الدين أو النسب ، وقد كان من تقدير العزيز العليم وجود الرابطتين فى أقوام مختلفة من البشر ، وعن كل منهما صدرت فى العالم آثار جليلة يفتخر بها الكون الانسانى ، وليس يوجد عند العقل أدنى فرق بين مدافعة القريب عن قريبه ، ومعاونته على حاجات معيشته ، وبين ما يصدر من ذلك عن المتلاحمين

بصلة المعتقد ورابطة المشرب

فتعصب المشتركين فى الدين المتوافقين فى أصول العقائد بعضهم لبعض إذا وقف عند الاعتدال ولم يدفع إلى جور فى المعاملة ، ولا انتهاك لحرمة المخالف لهم أو نقض لذمته ، فهو فضيلة من أجل الفضائل الانسانية ، وأوفرها نفعاً وأجزلها فائدة بل هو أقدس رابطة وأعلاها ، إذا استحكمت صعدت بذوى المكنة فيها إلى أوج السيادة وذروة المجد ، خصوصا إن كانوا من قبيل قوى فيهم سلطان الدين ، واشتدت سطوته على الاهواء الجنسية حتى أشرف بها على الزوال كما فى أهل الديانة الاسلامية ، على ما أشرنا اليه فى العدد الثانى من جريدتنا

ولا يؤخذ علينا فى القول بأنه من أقدس الروابط ، فانه كما يطمس رسوم الاختلاف بين أشخاص وآحاد متعددة ، ويصل ما بينهم فى المقاصد والعزائم والاعمال ، كذلك يمحو أثر المنابذة والمنافرة بين القبائل والعشائر ، بل الاجناس المتخالفة فى المنابت واللغات والعادات ، بل المتباعدة فى الصور والاشكال ، ويحول أهواءها المتضاربة الى قصد واحد ، وهو تأصيل المجد وتأييد الشرف ، وتخليد الذكر تحت الاسم الجامع لهم هذا الاثر الجليل عهد لقوة التعصب الدينى ، وشهد عليه التاريخ بعد ما أرشد

اله العقل الصحيح ، وما كانت رابطة الجنس لتقوى على شيء منه

ثغثغ جماعة من متزندقة هذه الاوقات فى بيان مفاسد التعصب الديني وزعموا أن حمية أهل الدين لما يؤخذ به اخوانهم من ضيم ، وتضافرهم لدفع مايلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذى يصدهم عن السير الى كمال المدنية ، ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة ، ويرمى بهم في ظلمات الجهل ، ويحملهم على الجور والظلم والعدوان على من يخالفهم في دينهم ، ومن رأى أولئك المثقفين أن لاسبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح إلا بانحلال العصبية الدينية ومحو أثرها ، وتخليص العقول من سلطة العقائد وكثيراً ما يرجفون بأهل الدين الاسلامى ، ويخوضون فى نسبة مذام التعصب اليهم

كذب الخراصون ، ان الدين أول معلم وأرشد أستاذ وأهدى قائد للانفس الى اكتساب العلوم والتوسع فى المعارف ، وأرحم مؤدب ، وأبصر مروض ، يطبع الارواح على الآداب الحسنة ، والخلائق الكريمة ، ويقيمها على جادة العدل ، وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة ، خصوصاً دين الاسلام فهو الذى رفع أمة كانت من اعرق الامم فى التوحش والقسوة والخشونة ، وسما بها الى ارقى مراقى الحكمة والمدنية فى أقرب مدة ، وهي الامة العربية

قد يطرأ على التعصب الدينى من التغالى والافراط مثل ما يعرض على التعصب الجنسى فيقضى الى ظلم وجور ، ربما يؤدى الى قيام أهل الدين لابادة مخالفيهم ومحق وجودهم ، وكما قامت الامم الغربية واندفعت على بلاد الشرق لمحض الفتك والابادة لاللفتح ولا للدعوة الى الدين فى الحرب الهائلة المعروفة بحرب الصليب ، وكما فعل الاسبانيوليون بمسلمى الاندلس ، وكما وقع قبل هـذا وذاك فى بداية ماحصلت الشوكة للدين المسيحى ، إن صاحب السلطان من المسيحيين جمع اليهود فى القدس واحرقهم ، إلا ان هذا العارض لمخالفته لاصول الدين قلما تمتد له مدة ، ثم يرجع ارباب الدين الى أصوله القائمة على قواعد السلم والرحمة والعدل .

أما أهل الدين الاسلامى فمنهم طوائف شطت فى تعصبها فى الاجيال الماضية الا انه لم يصل بهم الافراط الى حد يقصدون فيه الابادة واخلاء الارض من مخالفيهم فى دينهم ، وماعهد ذلك في تاريخ المسلمين بعد ما تجاوزوا حدود جزيرة العرب ، ولنا الدليل الاقوم على مانقول ، وهو وجود الملل المختلفة فى ديارهم الى الآن حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها وهم فى عنفوان القوة وهي في وهن الضعف ، نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع

الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة على من يعارضهم فى سلطانهم ، إلا انهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الاديان، ويرعون حق الذمة ، ويُعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه ، ويدفعون عنه غائلة العدوان ، ومن العقائد الراسخة فى نفوسهم (ان من رضى بذمتنا فله مالنا وعليه ما علينا) ولم يعدلوا فى معاملتهم لغيرهم عن امر الله فى قوله (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين) اللهم إلا مالا تخلو عنه الطبائع البشرية

ومن نشأة المسلمين الى اليوم لم يدفعوا احداً من مخالفيهم عن التقدم الى مايستحقه من علو الرتبة وارتفاع المكانة ، ولقد سما فى دول المسلمين على اختلافها الى المراتب العالية كثير من ارباب الاديان المختلفة ، وكان ذلك فى شبيبتها وكمال قوتها ، ولم يزل الامر على ما كان . وفى الظن ان الامم الغربية لم تبلغ هذه الدرجة من العدل الى اليوم (فسحقاً لقوم يظنون ان المسلمين بتعصبهم يمنعون مخالفيهم من حقوقهم)

لم يسلك المسلمون من عهد قريب مسلك الالزام بدينهم والاجبار على قبوله مع شدة بأسهم فى بدايات دولهم ، وتغلغلهم فى افتتاح الاقطار ، واندفاع هممهم للبسطة في الملك والسلطة ،

وانما كانت لهم دعوة يبلغونها . فان قبلت والا استبدلوا بها رسما ماليا يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الاسلامى ، هذا على خلاف منتصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الاولى ، فانهم ما كانوا يطأون أرضاً الا ويلزمون أهلها بخلع اديانهم ، والتطوق بدين أولئك المسلطين وهو الدين المسيحى كما فعلوا في مصر وسورية ، بل فى البلاد الافرنجية نفسها .

هذا فصل من الكلام ساق اليه البيان وفيه تبصرة لمن يتبصر ، وتذكرة لمن يتذكر ، ثم اعود بك الى سابق الحديث فيما كنا بصدده : هل لعاقل لم يصب برزيئة فى عقله أن يعد الاعتدال من التعصب الدينى نقيصة ، وهل يوجد فرق بينه وبين التعصب الجنسى الا بما يكون به التعصب الدينى اقدس وأطهر وأعم فائدة . لا نخال عاقلاً يرتاب في صحة ما قررناه فما لاولئك القوم يهذرون بما لا يدرون ؟ أى أصل من أصول العقل يستندون اليه فى المفاخرة والمباهاة بالتعصب الجنسى فقط ، واعتقاده فضيلة من اشرف الفضائل ، ويعبرون عنه بمحبة الوطن ، واى قاعدة من قواعد العمران البشرى يعتمدون عليها فى التهاون بالتعصب الدينى المعتدل وحسبانه نقيصة يجب الترفع عنها .

نعم ان الافرنج تأكد لديهم ان أقوى رابطة بين المسلمين انما في الرابطة الدينية، وادركوا أن قوتهم لا تكون الا بالعصبية الاعتقادية ، ولأولئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين واوطانهم ، فتوجهت عنايتهم إلى بث هذه الأفكار الساقطة بين أرباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها ، لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزقوها شيعاً وأحزاباً ، فانهم علموا كما علمنا ، وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم وتسنى للمفسدين نجاح في بعض الاقطار الاسلامية ، وتبعهم بعض الغفل من المسلمين جهلا وتقليداً فساعدوهم على التنفير من العصبية الدينية بعد ما فقدوها ولم يستبدلوا بها رابطة الجنس التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حمقا منهم وسفاهة ، فمثلهم كمثل من هدم بيته قبل أن يهيء لنفسه مسكنا سواه فاضطر للاقامة بالعراء معرضاً لفواعل الجو وما تصول به على حياته

من هذا ماسلك الانكليز في الهند لما أحسوا بخيال السلطنة يطوف على أفكار المسلمين منهم لقرب عهدها بهم وفي دينهم ما يبعثهم على الحركة إلى استرداد ماسلب منهم ، وأرشدهم البحث في طبائع الملل إلى أن حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية

وما دام الاعتقاد المحمدى والعصبة الملية سائدة فيهم فلا تؤمن بغشهم إلى طلب حقوقهم فاستهووا طائفة ممن يتسمون بسمة الاسلام ، ويلبسون لباس المسلمين ، وفى صدورهم غل ونفاق وفى قلوبهم زيغ وزندقة ، وهم المعروفون فى البلاد الهندية بالنيجرية أى الدهريين فاتخذهم الانكليز أعوانا لهم على فساد عقائد المسلمين ، وتوهين علائق التعصب الديني ليطفئوا بذلك نار حميتهم ويخمدوا ثائرة غيرتهم ، ويبددوا جمعهم ، ويمزقوا شملهم ، وساعدوا تلك الطائفة على إنشاء مدرسة كبيرة فى (عليكر) ونشر جريدة لبث هذه الاباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف فى العقائد وترث أطناب الصلات بين المسلمين فيستريح الانكليز فى التسلط عليهم ، وتطمئن قلوبهم من جهتهم كما اطمأنت من جهة غيرهم ، وغر أولئك الغفل المتزندقين أن رجال دولة بريطانيا يظهرون لهم رعاية صورية ؛ ويدنونهم من بعض الوظائف الخسيسة (تعس من يبيع ملته بلقمة وذمته برذال العيش)

هذا أسلوب من السياسة الأوربية أجادت الدول اختباره وجنت ثماره ، فاخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم ، فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل فى البلاد العثمانية والمصرية

وغيرها من الممالك الاسلامية ، ولم تعدم صيداً من الأمراء والمنتسبين إلى العلم والمدنية الجديدة . واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم ، وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام أن يميلوا مع هذه الاهواء الباطلة ، ولكنا نعجب من أن بعضاً من سذج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم وثباتهم فى إيمانهم يسفكون الكلام فى ذم التعصب الدينى ، ويهجرون في رمى المتعصبين بالخشونة ، والبعد عن معدات المدنية الحاضرة ، ولا يعلم أولئك المسلمون أنهم بهذا يشقون عصاهم ، ويفسدون شأنهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المارقين ، يطلبون محو التعصب المعتدل ، وفى محوه محو الملة ودفعها إلى أيدى الأجانب يستعبدونها ما دامت الارض أرض والسماء سماء

والله ما نجبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشدمن العجب لاحوال الغربيين من الامم الافرنجية الدين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تبشيع التعصب الدينى ورمى المتعصبين بالخشونة . الافرنج أشد الناس فى هذا النوع من التعصب وأحرصهم على القيام بدواعيه ، ومن القواعد الاساسية فى حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين

بنشره ومساعدتهم على نجاح أعمالهم ، وإذا عدت عادية مما لايخلو عنه الاجتماع البشرى على واحد ممن على دينهم ومذهبهم فى ناحية من نواحى الشرق سمعت صياحاً وعويلا وهيعات ونباءآت تتلاقى أمواجها فى جو بلاد المدنية الغربية وينادى جميعهم : ألا قد ألمت ملمة ، وحدثت حادثة مهمة ، فاجمعوا الامر وخذوا الاهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لاتنخدش الجامعة الدينية ، وتراهم على اختلافهم فى الاجناس وتباغضهم وتحاقدهم وتنابذهم فى السياسات ، وترقب كل دولة منهم لعثرة الاخرى حتى توقع بها السوء ، يتقاربون ويتآلفون ويتحدون فى توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم فى الدين وان كان في أقصى قاصية من الارض ، ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية

أما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وغمر البسيطة من دماء المخالفين لهم فى الدين والمذهب ، فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم إحساس ، بل يتغافلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى يأخذ مده الغاية من حده ، ويذهلون عما أودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والمرحمة الطبيعية ، كأنما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة والهمل الراعية ،

وليس من نوع الانسان الذى يزعم الاوربيون انهم حماته وأنصاره ، وليس هذا خاصا بالمتدينين منهم ، بل الدهريون ومن لايعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين فى تعصبهم الدينى ، ولا يألون جهداً فى تقوية عصبيتهم وليتهم يقفون عند الحق ، ولكن كثيراً ما تجاوزوه. أما ان شأن الافرنج في تمسكهم بالعصبية الدينية لغريب .

يبلغ الرجل منهم أعلى درجة فى الحرية كغلادستون وأضرابه ، ثم لا تجد كلمة تصدر عنه إلا وفيها نفثة من روح بطرس الراهب (١) بل لاترى روحه إلا نسخة من روحه ، (أنظر إلى كتب غلادستون وخطبه السابقة)

فيا أيتها الامة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ، ودماؤكم فلا تريقوها ، وأرواحكم فلا تزهقوها ، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت . هذه هي روابطكم الدينية لاتغرنكم الوساوس ولا تستهوينكم الترهات ، ولا تدهشكم زخارف الباطل ، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم ، واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التى هى أحكم رابطة اجتمع فيها التركى بالعربى ، والفارسى بالهندى ، والمصرى بالمغربى ، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية

(١) هو داعية الحرب الصليبية

حتى ان الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر وان تنأت دياره ، وتقاصت أقطاره

هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله إليكم ، وفيها عزتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها ، ولكن عليكم فى رعايتها أن تخضعوا لسطوة العدل ، فالعدل أساس الكون وبه قوامه ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم ، وعليكم أن تتقوا الله وتلزموا أوامره فى حفظ الذمم ، ومعرفة الحقوق لاربابها ، وحسن المعاملة و إحكام الالفة فى المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم وجيرانكم من أرباب الاديان المختلفة ، فان مصالحكم لاتقوم إلا بمصالحهم ، كما لاتقوم مصالحهم إلا بمصالحكم ، وعليكم أن لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان ، وذريعة لانتهاك الحقوق فان دينكم ينهاكم عن ذلك ويوعدكم عليه بأشد العقاب . هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض ، بل تضافروا بها على مباراة الامم فى القوة والمنعة والشوكة والسلطان ومنافستهم فى اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الانسانية . احعلوا عصبيتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم ، واجتماع شملكم ، وأخذ كل منكم بيد أخيه لير فعه من هوة النقص إلى ذروة الكمال ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

القضاء والقدر

مضت سنة الله فى خلقه بان للعقائد القلبية سلطاناً على الاعمال البدنية ، فما يكون فى الاعمال من صلاح أو فساد ، فانما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على مابينا فى بعض الاعداد الماضية . ورب عقيدة واحدة تأخذ باطراف الافكار فيتبعها عقائد ومدركات أخرى ، ثم تظهر على البدن باعمال تلائم اثرها فى النفس ، ورب أصل من أصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت على الانفس في تعليم أو تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بما ليس من قبيلها أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة أو الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شيء مما تصادفه ، وفى كلا الحالين يتغير وجهها ويختلف أثرها ، وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطأ فى الفهم ، أو على خبث الاستعداد ، فتنشأ عنها اعمال غير صالحة ، وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ، ولا كيف يصرفه اعتقاده ، والمغرور بالظواهر يظن أن تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ، ومن مثل هذا الانحراف فى الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض أصول الاديان غالباً ، بل هو

علة البدع في كل دين على الاغلب ، وكثيراً ما كان هذا الانحراف ومايتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال ، حتى افضى بمن ابتلاهم الله به الى الهلاك وبئس المصير ، وهذا مايحمل بعض من لاخبرة لهم على الطعن في دين من الاديان ، أو عقيدة من العقائد الحقة ، استناداً الى اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين أو العقيدة .

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التى تعد من أصول العقائد فى الديانة الاسلامية الحقة . كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون ، وزعموا انها ما تمكنت من نفوس قوم إلا وسلبتهم الهمة والقوة ، وحكمت فيهم الضعف والضعة ، ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطواراً ، ثم حصروا علتها فى الاعتقاد بالقدر فقالوا : ان المسلمين فى ففر وفاقة وتأخر فى القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم ، وقد فشا فيهم فساد الاخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض ، وتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لاينافسون غيرهم فى فضيلة ، ولكن متى امكن لاحدهم ان يضر اخاه لايتصر فى إلحاق الضرر به ، فجعلوا بأسهم بينهم

والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد اخرى ، رضوا بكل عارض، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون فى كسور بيوتهم ، يسرحون فى مرعاهم ؛ ثم يعودون الى مأواهم ، الامراء فيهم يقطعون ازمنتهم فى اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات، وعليهم فروض وواجبات تستغرق فى ادائها اعمارهم ولا يؤدون منها شيئا . يصرفون اموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافا وتبذيراً نفقاتهم واسعة ، ولكن لايدخل فى حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخازلون ويتنافرون ، وينوطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية ، فرب تنافر بين اميرين يضيع امة كاملة، كل منها يخذل صاحبه ، ويستعدى عليه جاره ، فيجد الاجنبى فيهما قوة فانية وضعفا قاتلاً ، فينال من بلادهما مالا يكلفه عددا ولا عدة . شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور ، يفزعون من الهمس ، ويألمون من اللمس . قعدوا عن الحركة الى مايلحقون به الامم فى العزة والشوكة ، وخالفوا فى ذلك أوامر دينهم ، مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم ، يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون ، واذا اصاب قوما من اخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لايسعون فى تخفيف مصابهم ، ولاينبعثون لمناصرتهم ، ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبرة لاجهرية

ولا سرية ، يكون من مقاصدها احياء الغيرة ، وتنبيه الحمية ، ومساعدة الضعفاء، وحفظ الحق من بغى الاقوياء وتسلط الغرباء.

هكذا نسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الاطوار ، وزعموا ان لامنشأ لها الا اعتقادهم بالقضاء والقدر ، وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية ، وحكموا بان المسلمين لو داموا على هـذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ، ولن ينالوا عزاً ولن يعيدوا مجداً ، ولا يأخذون بحق ، ولايدفعون تعديا ، ولا ينهضون بتقوية سلطان ، أو تأييد ملك ، ولا يزال بهم الضعف يفعل فى نفوسهم ، ويركس من طباعهم ، حتى يؤدى بهم الى الفناء والزوال (والعياذبالله) يفنى بعضهم بعضاً بالمنازعات الخاصة ، ومايسلم من أيدى بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد أولئك الافرنج انه لافرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين: بان الانسان مجبور محض فى جميع افعاله ، وتوهموا ان المسلمين بعقيدة القضاء يرون انفسهم كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ، ومتى رسخ فى نفوس قوم أنه لا خيار لهم في قول ولاعمل ، ولا حركة ولا سكون ، وانما جميع ذلك بقوة جابرة ، وقدرة قاسرة ،

فلا ريب تتعطل قواهم ، ويفقدون ثمرة ماوهبهم الله من المدارك والقوى ، وتمحى من خواطرهم داعية السعي والكسب ، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم .

هكذا ظنت طائفة من الافرنج ، وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول فى المشرق ولست أخشى أن أقول : كذب الظان . وأخطأه الوهم وبطل الزاعم . وافتروا على الله والمسلمين كذبا — لا يوجد مسلم فى هذا الوقت من سني وشيعي وزيدى واسماعيلى ووهابى وخارجي يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ، بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزاء اختيارياً فى أعمالهم ، ويسمى بالكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم ، وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختيارى ، ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية ، والنواهى الربانية ، الداعية الى كل خير ، الهادية الى كل فلاح ، وأن هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكليف الشرعى ، وبه تتم الحكمة والعدل

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى أن الانسان مضطر فى جميع أفعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار وزعمت أن لافرق بين أن يحرك الشخص فكه للأكل والمضغ

وبين أن يتحرك بقفقفة البرد عند شدته ، ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة ، وقد انقرض أرباب هذا المذهب فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم أثر ، وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ، ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ماظنه أولئك الواهمون

الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع ، بل ترشد اليه الفطرة ، وسهل على من له فكر أن يلتفت الى أن كل حادث له سبب يقاربه في الزمان ، وأنه لايرى من سلسلة الاسباب الا ما هو حاضر لديه ، ولايعلم ماضيها إلا مبدع نظامها ، وأن لكل منها مدخلا ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم . وإرادة الانسان انما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة . وليست الارادة إلا أثراً من آثار الادراك . والا دارك انفعال النفس بما يعرض على الحواس . وشعورها بما أودع فى الفطرة من الحاجات . فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة مالا ينكره أبله . فضلا عن عاقل ، وأن مبدأ هذه الاسباب التى ترى في الظاهر مؤثرة انما هو بيد مدبر الكون الأعظم الذى أبدع الاشياء على وفق حكمته : وجعل كل حادث تابعاً لشبهه كأنه جزاء له . خصوصا فى العالم الانسانى

ولو فرضنا أن جاهلا ضل عن الاعتراف بوجود إله صانع للعالم فليس في إمكانه أن يتملص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في الارادات البشرية . فهل يستطيع إنسان أن يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنها الله في خلقه ؟ هذا أمر يعترف به طلاب الحقائق فضلا عن الواصلين — وان بعضا من حكماء الافرنج وعلماء سياستهم التجأوا إلى الخضوع لسلطة القضاء ، وأطالوا البيان في اثباتها ، ولسنا في حاجة إلى الاستشهاد بآرائهم

ان للتاريخ علما فوق الرواية عني بالبحث فيه العلماء من كل أمة ، وهو العلم الباحث عن سير الامم في صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها ، وما ينشأ عنها من التغيير والتبديل في العادات والاخلاق والافكار ، بل في خصائص الاحساس الباطن والوجدان ، وما يتبع ذلك كله من نشأة الامم ، وتكون الدول ، أو فناء بعضها واندراس أثره .

هذا الفن الذي عدوه من أجل الفنون الادبية وأجزلها فائدة بناء البحث فيه على الاعتقاد بالقضاء والقدر ، والاذعان بأن قوى البشر في قبضة مدبر للكائنات ، ومصرف للحادثات ، ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ، ولا ضعف وي ، ولا انهدم مجد ، ولا تقوض سلطان

الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجراءة والاقدام ، وخلق الشجاعة والبسالة ، ويبعث على اقتحام المهالك التى توجف لها قلوب الأسود ، وتنشق منها مرائر النمور . هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على التبات ، واحتمال المكاره ، ومقارعة الأهوال ، ويحليها بحلى الجود والسخاء ، ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح ، والتخلى عن نضرة الحياة ، كل هذا فى سبيل الحق الذى قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة ،

الذى يعتقد بأن الأجل محدود ، والرزق مكفول ، والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء ، كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة أمته أو ملته ، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى تعزيز الحق وتشييد المجد ، على حسب الأوامر الالهية ، وأصول الاجتماعات البشرية

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله الحق (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل

عظيم). اندفع المسلمون فى أوائل نشأتهم إلى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها ، فأدهشوا العقول وحيروا الألباب بما دوخوا الدول وقهروا الأمم ، وامتدت سلطتهم من جبال بيرنى الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا إلى جدار الصين ، مع قلة عددهم وعددهم ، وعدم اعتيادهم على الأهوية المختلفة ، وطبائع الأقطار المتنوعة ، أرغموا الملوك ، وأذلوا القياصرة والأكاسرة ، فى مدة لاتتجاوز ثمانين سنة . ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات

دمروا بلاداً ، ودكدكوا أطواداً ، ورفعوا فوق الأرض أرضا ثانية من القسطل ، وطبقة أخرى من النقع ، وسحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم ، وأقاموا بدلها جبالاً وتلالاً من رؤوس النابذين لسلطانهم ، وارجفوا كل قلب ، وأرعدوا كل فريضة وما كان قائدهم وسائقهم إلى جميع هذا إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر

هذا الاعتقاد هو الذى ثبتت به أقدام بعض الاعداد القليلة منهم أمام جيوش يغص بها الفضاء ، ويضيق بها بسيط الغبراء ، فكشفوهم عن مواقعهم ، وردوهم على أعقابهم

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق ، وانقضت شهبها على

الحيارى فى هبوات الحروب من أهل المغرب ، وهو الذى حملهم على بذل أموالهم وجميع ما يملكون من رزق في سبيل اعلاء كلمتهم ، لا يخشون فقراً ولا يخافون فاقة . هذا الاعتقاد هو الذى سهل عليهم حمل أولادهم ونسائهم ومن يكون فى حجورهم الى ساحات القتال فى أقصى بلاد العالم ، كانما يسيرون الى الحدائق والرياض ، وكأنهم أخذوا لانفسهم بالتوكل على الله أماناً من كل غادرة ، وأحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يصونهم من كل طارقة ، وكان نساؤهم واولادهم يتولون سقاية جيوشهم ، وخدمتها فيما تحتاج اليه ، لايفترق النساء والاولاد عن الرجال والكهول الا بحمل السلاح ، ولا تأخذ النساء رهبة ، ولا تغشى الاولاد مهابة ، هذا الاعتقاد هو الذى ارتفع بهم الى حد كان ذكر اسمهم يذيب القلوب ، ويبدد افلاذ الاكباد ، حتى كانوا ينصرون بالرعب ، يقذف به فى قلوب أعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة قبل أن يشيموا بروق سيوفهم ولمعان أسنتهم ، بل قبل أن تصل الى نحورهم أطراف جحافلهم

(بكائى على السالفين ونحيبي على السابقين ، أين أنتم ياعصبة الرحمة وأولياء الشفقة أين أنتم يا اعلام المروءة ، وشوامخ القوة ، أين أنتم يا آل النجدة ، وغوث المضيم يوم الشدة أين أنتم ياخير

أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ؟ أين أنتم أيها الامجاد الانجاد القوامون بالقسط الآخذون بالعدل الناطقون بالحكمة ، المؤسسون لبناء الامة ، ألا تنظرون من خلال قبوركم الى ما اتاه خلفكم من بعدكم ، وما أصاب أبناءكم ومن ينتحل نحلتكم ، انحرفوا عن سنتكم ، وجاروا عن طريقكم فضلوا عن سبيلكم ، وتفرقوا فرقاً واشياعاً ، حتى أصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب أسفاً ، وتحترق الاكباد حزناً . اضحوا فريسة للامم الاجنبية لايستطيعون ذوداً عن حوضهم ، ولا دفاعا عن حوزتهم ، ألا يصيح من براز خكم صائح منكم ينبه الغافل ، ويوقظ النائم ، ويهدى الضال ، الى سواء السبيل ؟ (انا لله وانا اليه راجعون)

أقول وربما لا أخشى واهماً ينازعنى فيما أقول انه من بداية تاريخ الاجتماع البشرى الى اليوم ماوجد فاتح عظيم ، ولا محارب شهير ، نبت في أوسط الطبقات ، ثم رقى بهمته الى اعلى الدرجات فذللت له الصعاب ، وخضعت الرقاب ، وبلغ من بسطة الملك مايدعو الى العجب ، ويبعث الفكر لطلب السبب ، إلا كان معتقداً بالقضاء والقدر . سبحان الله ، الانسان حريص على حيانه شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة ، فما الذى يهون عليه

اقتحام المخاطر ، وخوض المهالك ، ومصارعة المنايا ، إلا الاعتقاد بالقضاء والقـدر ، وركون قلبه الى أن المقدر كائن ، ولا أثر لهول المظاهر

أثبتت لنا التواريخ أن كورش الفارسى (كيخسرو) وهو أول فاتح يعرف فى تاريخ الاقدمين ما تسنى له الظفر فى فتوحاته الواسعة ، الا لانه كان معتقداً بالقضاء والقدر ، فـكان لهـذا الاعتقاد لا يهوله هول ، ولا توهن عزيمته شدة ، وان اسكندر الاكبر اليونانى كان ممن رسخ فى نفوسهم هذه العقيدة الجليلة وجنكيزخان التترى صاحب الفتوحات المشهورة كان من أرباب هذا الاعتقاد ، بل كان نابليون الاول بونابرت الفرنساوى من أشد الناس تمسكا بعقيدة القضاء ، وهى التي كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة ، فيتهيأ له الظفر ، وينال بغيته من النصر

فنعم الاعتقاد الذى يطهر النفوس الانسانية من رذيلة الجبن وهو أول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله فى طبقته أيا كانت ، نعم اننا لا ننكر ان هـذه العقيدة قد خالطها فى نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر ، وربما كان هذا سببا فى رزيئتهم ببعض المصائب التى أخذتهم بها الحوادث فى

الاعصر الاخيرة ، ورجاؤنا فى الراسخين من علماء العصر أن يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ماطرأ عليها من لواحق البدع ، ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون ، وينشروا بينهم ما أثبتته أئمتنا رضى الله عنهم كالشيخ الغزالى وأمثاله من أن التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا فى العمل ، لا في البطالة والكسل ، وما أمرنا الله أن نهمل فروضنا ، وننبذ ما أوجب علينا ، بحجة التوكل عليه فتلك حجة المارقين عن الدين ، الحائدين عن الصراط المستقيم ولا يرتاب أحد من أهل الدين الاسلامى في أن الدفاع عن الملة في هذه الاوقات صار من الفروض العينية على كل مؤمن مكلف وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقة التى تجمع كلمتهم ، وترد اليهم عزيمتهم ، وتنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الاول ، الا دعوة خير من علمائهم ، وان جميع ذلك موكول الى ذمتهم

أما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأوه هذه العقيدة « ولا غيرها من العقائد الاسلامية » ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم

نشوة من الظفر ، وثمل من العز والغلب وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان ، صدمة من طرف الشرق، وهي غارة التتر من جنكيزخان واحفاده . وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربية بأسرها على ديارهم ، وان الصدمة فى حال النشوة تذهب بالرأى ، وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة ، ووسد الامر فيهم الى غير أهله ، وولى على أمورهم من لا يحسن سياستها ، فكان حكامهم وأمراؤهم من جراثيم الفساد في أخلاقهم وطباعهم ، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم ، وقصرت انظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التى لا تتجاوز لذته الآنية ، وأخذ كل منهم بناصية الآخر ، يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب ، لا لعلة صحيحة ولا داع قوى ، وجعلوا هذا ثمرة الحياة ، فآل الامر بهم إلى الضعف والقنوط وأدى إلى ما صاروا اليه

ولكنى أقول — وحق ما أقول — ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم ، ورسومها تلوح فى أذهانهم ، وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم ، وكل ما عرض عليهم من الامراض النفسية

والاعتلال العقلى ، فلا بد أن تدفعه قوة العقائد الحقة ، ويعود الامر كما بدا وينشطوا من عقالهم ، ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر فى انقاذ بلادهم ، وارهاب الامم الطامعة فيهم ، وإيقافها عند حدها ، وما ذلك ببعيد ، والحوادث التاريخية تؤيده فانظر إلى العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القوية (حروب التتر والحروب الصليبية) وساقوا الجيوش إلى أرجاء العالم ، واتسعت لهم ميادين الفتوحات ، ودوخوا البلاد وأرغموا أنوف الملوك ، ودانت لسلطانهم الدول الافرنجية ، حتى كان السلطان العثمانى يلقب بين الدول بالسلطان الأكبر

ثم أرجع البصر تجد هزة فى نفوسهم وحركة فى طباعهم أحدثها فيهم ما توعدتهم به الحوادث الأخيرة من رداءة العاقبة وسوء المنقلب ، حركة سرت فى أفكار ذوى البصيرة منهم فى أغلب الانحاء شرقا وغربا وتألفت من خيارهم عصبات للحق كتبت على نفسها نصرة العدل والشرع ، والسعى بغاية الجهد لبث أفكارها ، وجمع الكلمة المفترقة ، وضم الاشتات المتبددة وجعلوا من أصغر أعمالهم نشر جريدة عربية ، لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الاجانب لهم ، وانا نرى عدد الجمعية الصالحة يزداد يوماً بعد يوم ، نسأل

الله تعالى نجاح أعمالها، وتاييد مقصدها الحق ، ورجاؤنا من كرمه أن يترتب على حسن سعيها أثر مفيد للشرقيين عموماً وللمسلمين خصوصاً

الفضائل والرذائل وأثرهما

«وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين»

قالوا للانسان كمال مفروض عليه ان يسعى اليه ، وقالوا انه عرضة لنقص يجب عليه الترفع عنه ، وقالوا كماله في استيفاء مايمكن من الفضائل ، ونقصه في التلوث برذيلة من الرذائل ، فما هي الفضائل وما هي الرذائل ، الفضائل سجايا للنفس من مقتضاها التأليف والتوفيق بين المتصفين بها ، كالسخاء والعفة والحياء ونحوها ، فالسخيان لايتشاحان ولا يتنازعان في التعامل ، فان من سجية كل منهما البذل في الحق ، والمنع اذا اقتضاه الحق ، فكل يعرف حده فيقف عنده ، فلا يوجد موضوع للنزاع عند معاطاة الاعمال المالية ، والاعفاء لايتزاحمون على مشتهى من المشتهيات ، فان من خلق كل منهم التجافي عن الشهوة ، وفي طبيعته الايثار بالرغائب ، وهكذا اذا استقريت جميع ماعده

علماء التهذيب من الصفات الفاضلة تجد ان من لوازم كل فضيلة منها التأليف بين المتصفين بها فى متعلق الاثر الناشىء عن تلك الفضيلة فاذا اجتمعت الفضائل أو غلبت فى شخصين مالت نفوسهما الى الاتحاد والالتئام فى جميع الاعمال والمقاصد أو جلها ودامت الوحدة بينهما بمقدار رسوخ الفضيلة فيهما وعلى هذا النحو يكون الامر فى الاشخاص الكثيرة ، فالفضائل هي مناط الوحدة بين الهيئة الاجتماعية وعروة الاتحاد بين الآحاد ، تميل بكل منهما الى الآخر الى من يشاكله حتى يكون الجمهور من الناس كواحد منهم ، يتحرك بارادة واحدة ، ويطلب فى حركته غاية واحدة ، مجموع الفضائل هو العدل فى جميع الاعمال فاذا شمل طائفة من نوع الانسان وقف بكل من آحادها عند حده في عمله لايتجاوزه بما يمس حقاً للآخر فيه يكون التكافؤ والتوازر ، لكل شخص من أفراد الانسان وجود خاص به وأودعت فيه العناية الالهية من القوى مابه يحفظ وجوده ، ومابه التناسل لبقاء النوع ، وهو فى هذا يساوى سائر أفراد الحيوان ، لكن قضت حكمة الله أن يكون الانسان ممتازاً عن بقية الانواع الحيوانية بكون اخر ، ووجود أرقى وأعلى ، وهو كون الاجتماع ، حتى يتألف من أفراده الكثيرة بنية واحدة

يعمها اسم واحد ، والافراد فيها كاعضاء تختلف فى الوظائف والاشكال ، وإنما كل يؤدى عمله لبقاء البنية الجامعة وتقويتها وتوفير حظها من الوجود ليعود إليه نصيب من عملها الكلي كما أودع الله فى أعضاء أبداننا وبنيتنا الشخصية ، والفضائل فى المجتمع الانسانى كقوة الحياة المستكملة فى كل عضو مايقدره على أداء عمله مع الوقوف عند حد وظيفته كاليد بها البطش والتناول وليس من خصائصها الابصار ، والعين بها الابصار وتمييز الالوان والاشكال ، وليس من وظائفها البطش والكل حى بحياة واحدة ، وان شئت قلت الفضائل فى عالم الانسان كالجذبة العامة فى العالم الكبير ، فكما أن الجذبة العامة يحفظ بها نظام الكواكب والسيارات ، وبالتوازن فى الجاذبية تثبت كل كوكب فى مركزه ، وحفظت النسبة بينه وبين الكوكب الآخر وانتظم بها سيره فى مداره الخاص بتقدير العزيز العليم ، حتى تمت حكمة الله فى وجود الاكوان وبقائها ، كذلك شان الفضائل فى الاجتماع الانسانى ، بها يحفظ الله الوجود الشخصى الى الاجل المحدود ويثبت البقاء النوعى الى أن يأتى أمر الله

أى أمة يكون الواضع فيها والرافع ، والحارس والوازع ، والجالب والدافع ، وجميع من يدير أمورها ، ويسوسها فى

شؤونها انما هم أفراد منها من هاماتها أو من لهازمها « من الاعلياء والاوساط بل سائر الاطراف » ويكون كل واحد منها قائما بحق الكل ولا يختار مقصداً يعكس مقصد الكل ، ولا يسعى الى غاية تميل به عن غاية الكل ، ولا يهمل عملا يتعلق بالامة حتى يكون الجميع كالبنيان المتين لا تزعزعه العواصف ، ولا تدكه الزلازل ، وبقوة كل منهم يجتمع للامة قوة ، تحفظ بها موقعها ، وتدفع بها عن شرفها ومجدها ، وترد غارة الاغيار عليها ، فهى الامة التى سادت فيها الفضائل ، واستعلت فيها مكارم الاخلاق

أن أمة هذا شأنها لايتخالف أفرادها إلا للتآلف ، ولا يتغايرون الا للاتحاد ، فمثلهم في اختلاف أعمالهم كمثل المتدابرين على محيط دائرة يتفارقان فى مبدأ السير ليتلاقيا على نقطة من المحيط ومثالهم فى تغاير مأخذهم لجلب منافعهم كجاذبى طرفى خيطة واحدة (حبل واحد) كل آخذ بطرف مع تعادل القوتين ففى جذب أحدهما لصاحبه ابعاد لنفسه عنه من وجه ، وحفظ لمكان قربه منه من وجه آخر ، فلا يفترقان ولا يتباينان ، ولا تفنى منفعة أحدهما فى منفعة الآخر ، أما أن مسالك الافراد من مثل هذه الامة بما منحوه من الارتباط بينهم كانصاف دائرة مركزها حياة الامة وعظمتها ، ولا يخرج ولا واحد منهم عن

محيط الجنسية ، وانهم فى جلب منافعهـا واستكمال فوائدها كالجداول تمد البحر لتستمد منه

يرى كل واحدمنهم ان ماتبتهج به النفوس البشرية . وتمتاز بالميل اليه عن سائر الحيوانات من رفعة المكانة والغلب وبسط الجاه ونفاذ الكلمة . انما يمكن اذا توفر للامة حظها من هذه المزايا فيسعى جهده لابلاغ كل واحد من الامة أقصى مايؤهله استعداده ليأخذ بسهم مما يناله . فلا يهمل ولايخون فى الدفاع عن فرد من أفرادها . فضلا عن هيئتها العامة . و إلا فقد خان نفسه . لانه أبطل آلة من آلات عمله . وقطع سببا من أسباب غايته . ولا يحتقر واحداً من الآحاد . ولا يزدرى بعمله . ويحسب الشخص من الامة وان كان صغيراً بمنزلة مسمار صغير في آلة كبيرة لوسقط منها تعطلت الآلة بسقوطه

عليك أن تنظر فى حقائق الصفات الفاضلة لتحكم بما ينشأ عنها من الاثر الذى بيناه : التعقل والتروى وانطلاق الفكر من قيود الاوهام والعفة والسخاء والقناعة والدماثة « لين الجانب » والوقار والتواضع وعظم الهمة والصبر والحلم والشجاعة والايثار « تقديم الغير بالمنفعة على النفس » والنجدة والسماحة والصدق

والوفاء والامانة وسلامة الصدر من الحقد والحسد والعفو والرفق والمروءة والحمية وحب العدالة والشفقة

ألا ترى لو عمت هذه الصفات الجليلة أمة من الامم أو غلبت فى أفرادها يكون بينها سوى الاتحاد والالتئام التام ؟ هل يوجد مثار للخلاف والتنافر بين عاقلين حرين صادقين وفيين كريمين شجاعين رفيقين صابرين حليمين متواضعين وقورين عفيفين رحيمين . أما والله لو نفخت نسمة من أرواح هذه الفضائل على أرض قوم وكانت مواتا لأحيتها ، أو قفر لأنبتتها أو جدباً لأمطرتها من غيث الرحمة ما يسبغ نعمة الله عليها ، ولأقامت لهامن الوحدة سياجاً لايخرق ، وحرزاً منيعاً لا يهتك ، وان أولى الامم بأن تبلغ الكمال فى هذه السجايا الشريفة أمة قال نبيهم « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » الفضيلة حياة الامم تصون أجسامها عن تداخل العناصر الغريبة ، وتحفظها من الانحلال المؤدى الى الزوال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

وأما الرذائل فهي كيفيات خبيثة تعرض للانفس ، من طبيعتها التحليل والتفريق بين النفوس المتكيفة بها ، كالقحة « قلة الحياء » والبذاء « التطاول على الاعراض بما لا تقتضيه الحشمة والادب

من الكلام » والسفه والبله والطيش والتهور والجبن والدناءة والجزع والحقد والحسد والكبرياء والعجب واللجاج والسخرية والغدر والخيانة والكذب والنفاق ، فأى صفة من هذه الصفات تلوث بها نفسان القت بينهما العداوة والبغضاء ، وذهبت بهما مذاهب الخلاف الى حيث لا يبقى أمل في الوفاق ، فان طبيعة كل واحدة منها اما مجاوزة الحدود فى التعدى على الحقوق واما السقوط الى مالا يمكن معه للشخص أداء الواجب عليه لمن يشاركه في الجنسية أو الملية أو القبيلة أو العشيرة أو بأى نوع من أنواع التعامل ، والانسان مجبول بالطبع على النفرة ممن يتعدى على حقوقه أو يمنعه حقاً منها ، وإن شئت فتخيل وقحين بذيئين سفيهين جبانين بخيلين « كل يمنع الآخر حقه » شرهين حاقدين حاسدين متكبرين « كل لا يستحسن إلا فعل نفسه » لجوجين خائنين غادرين كاذبين منافقين ، هل يمكن أن يجمعهما مقصد أو توحد بينهما غاية ؟ أليس كل وصف على حدته قاضيا بانتباذ كل من صاحبه وان لم تكن داعية ، وكفى بخلقه وصفته باعثا قويا للتنابذ .

هذه الرذائل اذا فشت في أمة نقضت بناءها ونثرت أعضاءها بددتها شذر مذر ، واستدعت بعد ذلك طبيعة الوجود الاجتماعى

أن تسطو على هذه الامة قوة أجنبية عنها لتأخذها بالقهر ، وتصرفها فى أعمال الحياة بالقسر ، فان حاجاتهم فى المعيشة طالبة للاجتماع وهو لا يمكن مع هذه الاوصاف ، فلابد من قوة خارجة تحفظ صورة الاجتماع الى حد الضرورة

هذه صفات اذا رسخت فى نفوس قوم صار بأسهم بينهم شديدا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، تراهم أعزة بعضهم على بعض ، أذلة للاجنبي عنهم ، يدعون أعدائهم للسيادة عليهم ، ويفتخرون بالانتماء إليهم ، يمهدون السبل للغالبين الى النكاية بهم ويمكنون مخالب المغتالين من أحشائهم ، ويرون كل حسن من ابناء جنسهم قبيحا ، وكل جليل منهم حقيرا ، اذا نطق أجنبي بما يدور على ألسنة صبيانهم عدوه من جوامع الكلم ونفائس الحكم ، واذا غاص أحدهم بحر الوجود واستخرج لهم درر الحقائق وكشف لهم دقائق الاسرار عدوه من سقط المتاع وقالوا بلسان حالهم أومقالهم ليس فى الامكان أن يكون منا عارف ومن المحال أن يوجد بيننا خبير . ويغلب عليهم حب الفخفخة والفخر الكاذب ، ويتنافسون فى سفاسف الامور ودنياتها ، يرتابون فى نصح الناصحين ، وان قامت على صدقهم أقطع البراهين ، يسخرون بالواعظين ، وان كانوا في طلب خيرهم من أخلص

المخلصين ، يبذلون جهدهم لخيبة من يسعى لاعلاء شأنهم ، وجمع كلمتهم ، ويقعدون له بكل سبيل ، يقيمون فى طريقه العقبات . ويهيئون له أسباب العثار ، تراهم بتضارب اخلاقهم وتعاكس أطوارهم كالبدن المصاب بالفالج ، لاتنتظم لاعضائه حركة ، ولا يمكن تحريك عضو منه على وجه مخصوص لمقصد معلوم ، فتنفلت اعمالهم عن حد الضبط ، وتخرج عن قواعد الربط . فساد طباعهم بهذه الاخلاق يجعلهم منبعاً ومبعثاً للضر ، يصير الواحد منهم كالكلب الكلب ، أول مايبدأ بعض صاحبه قبل الاجنبى ، بل كالمبتلى بجنون مطبق ، أول مايفتك بمربيه ومهذبه ثم يثنى بطبيبه ومن يعالج دائه ، تكون الآحاد منهم كالامراض الاكالة من نحو الجذام والآكلة ، يمزقون الامة قطعاً وجذاذات بعد مايشوهون وجهها ويشوشون هيئتها ، أولئك قوم يسامون فى مراعى الدنايا والخسائس لتغلب النذالة على سائر أوصافهم ، فيتفخون على أبناء جلدتهم ، ويذلون لقزم الاجانب فضلا عن عليتهم ، وبهذا يمكنون الذلة فى نفوسهم ، من دونهم ، ويطبعونها على الخضوع للغرباء ، بل الاعداء الالداء ، من طبقة الى طبقة حتى تضمحل الامة وتنسخ هيئتها وتفنى فى أمة أو ملة أخرى . سنة الله في تبدل الدول وفناء الامم ، (وكذلك أخذ ربك اذا

أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) اعاذنا الله من هذه العاقبة ، وحرس أمتنا وملتنا من المصير الى هذه النهاية

بقيت لنا لمحة نظر الى مابه تقتنى الفضائل . وتمحص النفوس من الرذائل ، حتى تسعد الجمعيات البشرية بالاتحاد ، وتصون به أكوانها من الفساد « كل مولود يولد على الفطرة » مادة مستعدة لقبول كل شكل والتلون بأى لون ، فهل ينال كمال الفضيلة من آبائه وأسلافه ، انى يكون لهم حظ منها ، وقد كانوا ناشئين على مثل مانشأ وليدهم يرشدنا رائد الحق الى أن الاعتدال فى أصول الاخلاق والتحلى بحلية الفضائل وترويض القوى والآلات البدنية على العمل بآثارها انما يكون بالدين ولن يتم أثر الدين فى نفوس الآخذين به فيصيبوا حظا وافراً مما يرشد اليه فيتمتعوا بحياة طيبة وعيشة مرضية الا اذا قام رؤساء الدين وحملته وحفظته باداء وظائفهم من تبيين أوامره ونواهيه وتثبيتها فى العقول ودعوة الناس الى العمل بها ، وتنبيه الغافلين عن رعايتها وتذكير الساهين عن هديها اما اذا اهمل خدمة الدين وظائفهم أو تهاونوا فى تأدية أعمالها ضعف اليقين في النفوس ، وذهلت العقول عن مقتضيات العقائد الدينية ، وأظلمت البصائر بالغفلة وتحكمت الشهوات البهيمية ، وتسلطت الحاجات المعاشية ، ومال

ميزان الاختيار مع الهوى ، فحشدت الى الانفس اوفاد الرذائل ، فيحق على الناس كلمة العذاب ، ويحل بهم من الشقاء ما أشرنا اليه سابقاً

هذه علل الخراب فى كل أمة ولقد ظهر اثرها فى أمم لا تحصى عدداً من بداية كون الانسان إلى الآن ، ولم يزل بقايا بعضها يشهد على ما فتكت به الرذائل فيهم ، بعد مابدلوا وغيروا كما فى طائفة الدهيرو (منك) من سكنة الاقطار الهندية المعروفين عند الأوربيين بطائفة « باريا » (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم) . فالدين وهو السائق إلى السعادة في الدنيا كما يسوق اليها في الآخرة

تقلب قلب الدهر على بعض طوائف من المسلمين فى أقطار مختلفة من الأرض وسلبهم تيجان عزهم والقاها على هامات قوم آخرين ، واليوم ينازع طوائف أخرى ولا نخاله يتغلب عليهم فكشف هذا عن نوع من الضعف ، ولا يكون ناشئا إلاعن شيء من الاهمال في اتباع أوامر الشرع الاسلامى ونواهيه بحكم قول الله فى كتابه (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقد يكون ذلك ، وربما لا ينكر الآن أن كثيراً من عامة المسلمين وان صحت عقائدهم من حيث ما تعلق به

الاعتقاد إلا انهم لا ينهجون فى بعض أعمالهم منهاج الشريعة الغراء ، وهذا مما يحدث ضعفا فى قوة الأمة بقدر الميل عن جادة الاعتدال فى الفضائل والأعمال (وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)

إلا أن المسلمين لم يزالوا على أصول الفضائل الموروثة عن اسلافهم ولهم حسن الاذعان بما جاء به شرعهم وكتاب الله متلو على ألسنتهم ، وسنة نبيهم يتناقلونها رواية ودراية ، وسير الخلفاء الراشدين والسلف الصالح مرسومة على صفحات نفوس الخاصة منهم ، فليس ما طرأ على بعضهم من الغفلة عن متابعة الشرع وما تسبب عنه من الضعف فى القوة الا عرضا لا يبقى وحالا لا يدوم

انظر نظرة انصاف الى ما أودعته آيات القرآن من غرر الفضائل وكرائم الشيم ، وإلى حرص المسلمين على احترام كتابهم وتبجيله ، تجد من نفسك حكماً باتا بأن علماء الديانة الاسلامية لو نشطوا لأداء وظائفهم المفروضة عليهم بحكم وراثتهم لصاحب الشرع ، والمحتومة على ذمتهم بأمر الله الموجه إلى الذين يعقلونه وهم هم فى قوله الحق (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك

هم المفلحون) وبالحض الالهى المفهوم من قوله (فلولا نفر من كل فرقة منهم « المؤمنين » طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ولوقاموا يعظون العامة بما ينطق به القرآن ويذكرونهم بما كان عليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الناهجون على سنته من الأخلاق المحمودة والاعمال المبرورة ، لرأيت أن الأمة الاسلامية ناشطة من عقالها ، متضافرة على اعادة مجدها وصيانة ولايتها العامة من الضعف ، وبيضة دينها من الصدع ، كل ذلك فى أقرب وقت ، ولن تكون إلا صيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون

ولا ريب أن الراسخين فى العلم من أهل الدين الاسلامى يعلمون أن ما أصيب به المسلمون فى هذه الازمان الاخيرة ، انما هو مما امتحنهم الله به جزاء على بعض ما فرطوا ، وليس للناس على الله حجة فالرجاء فى همهم وغيرتهم الدينية وحميتهم الملية أن يوجهوا العناية إلى رتق الفتق قبل اتساعه ، ومداواة العلة قبل استحكامها ، فيذكروا أبناء الملة بأحكام الله ، ويحكموا بينهم روابط الاخوة والالفة كما أمر الله فى كتابه وعلى لسان نبيه ، ويبذلوا الجهد لمحو اليأس والقنوط الذى ملك أفئدة البعض منهم ، ويقنعوهم أنه لا ييأس من لطف الله الا الذين في

قلوبهم مرض وفي عقائدهم زيغ ، ويسيروا بهم فى سبيل يجمع كلمتهم ، ويوحد وجهتهم،ويقوى فيهم اباءة الضيم ، والنفرة من الذل ، ويحرك فيهم روح الأنفة ، حتى لاتسمح نفس أحدهم أن يأتى الدنية فى دينه ، ويكشفوا لهم حقيقة وعد الله ووعده الحق في قوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

الوحدة الاسلامية

« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

أظلت ولاية الاسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى الى تونكانى على حدود الصين في عرض ما بين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء . اقطار متصلة ، وديار متجاورة ، يسكنها المسلمون ، وكان لهم فيها السلطان الذى لا يغالب . أخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام ، فأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلا . ما كان يهزم لهم جيش ، ولا ينكس لهم علم ، ولا يرد قول على قائلهم . قلاعهم وصياصيهم متلاقية ، ومثابتهم ومغارسهم في سهوبهم « أراضيهم السهلة الواسعة » وأخيافهم « الأراضى المنحدرة عن الجبل »

رابية مزدهية بأنواع النبات ، حاليـة بأصناف الأشجار ، صنع أيدى المسلمين ، ومدنهم كانت آهلة مؤسسة على أمتن قواعد العمران ، تباهي مدن العالم بصنائع سكانها وبدائعهم ، وتفاخرها بشموس الفضل ، وبدور العلم ، ونجوم الهداية ، من رجال لهم المكان الأعلى في العلوم والآداب .

كان فى نقطة الشرق من حكمائهم ابن سينا والفارابى والرازى ومن يشاكلهم ، وفي الغرب ابن باجه وابن رشد وابن الطفيل ومماثلوهم ، وما بين ذلك أمصار تتزاحم فيها أقدام العلماء فى الحكمة والطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم العقلية ، هذا فضلا عن العلوم الشرعية التى كانت عامة فى جميع طبقات الملة ، كان خليفتهم العباسى ينطق بالكلمة فيخضع لها فغفور الصين (١) وترتعد منها فرائص أعظم الملوك فى أوربا . ومن ملوكهم فى قرونهم المتوسطة مثل محمود الغزنوى وملكشاه السلجوقى ، وصلاح الدين الأيوبى ، وكان منهم فى المشرق مثل تيمور الكوركان ، وفى الغرب مثل السلطان محمد الفاتح . والسلطان سليم والسلطان سليمان العثمانى ، أولئك رجال قضوا ولم يطو الزمان ذكرهم ولم يمح أثرهم .

(١) فغفور : لقب ملوك الصين

كانت لأساطيل المسلمين سلطة لا تبارى فى البحر الابيض والأحمر والمحيط الهندى ولهـا الكلمة العليا في تلك البحار الى زمان غير بعيد ، كان مخالفوهم يدينون للملكوت فضلهم كما يذلون لسلطان غلبهم ، والمسلمون اليوم هم هم يملأون تلك الاقطار التى ورثوها عن آبائهم وعديدهم لا ينقص عن مئتى مليون ، وأفرادهم فى كل قطر بما اشربت قلوبهم من عقائد دينهم أشجع وأسرع اقداما على الموت ممن يجاورهم ، وهم بذلك أشد الناس ازدراء بالحياة الدنيا وأقلهم مبالاة بزخرفها الباطل ، جاءهم القرآن بمحكم آياته يطالب الناظرين بالبرهان على عقائدهم ، ويعيب الاخذ بالظنون والتمسك بالاوهام ، ويدعو الى الفضائل وعقائل الصفات ، فأودع فى أفكارهم جراثيم الحق وبذر في نفوسهم بذور الفضل ، فهم بأصول دينهم أنور عقلا وأنبه ذهنا وأشد استعدادا لنيل الكمالات الانسانية ، وأقرب الى الاستقامة فى الأخلاق ، وربما يرون لأنفسهم من الاختصاص بالشرف ، وما وعدوا به على لسان كتابهم الصادق من اظهار شأنهم على شؤون العالم أجمع ولو كره المبطلون ، لا يرغبون بسلطة لغيرهم عليهم ، ولا يحوم بفكر واحد منهم أن يخضع لذى سطوة من سواهم ، وان بلغت من الشدة أو اللين ما بلغت .

ولما بينهم من الاخاء المؤزر بمناطق العقائد ، يحسب كل واحد منهم ان سقوط طائفة من بنى ملته تحت سلطة الاجانب سقوط لنفسه . ذلك احساس يشعر به وجدانه ولا يجد عنه مسليا ، وبما ساخ (غاص ورسب) في نفوسهم من جذور المعارف التى أرشدهم اليها دينهم ، ونالوا منها النصيب الاعلى فى عنفوان دولتهم ، يعدون أنفسهم أولى الناس بالعلم واجدرهم بالفضل .

ذلك شأنهم الاول وهذا وصفهم للآن ، ولكنهم مع هذا كله وقفوا فى سيرهم بل تأخروا عن غيرهم في المعارف والصنائع بعد ان كانوا فيها أساتذة العالم ، وأخذت مما لكهم تنقص أطرافها وتتمزق حواشيها مع ان دينهم يرسم عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم بل الركن الاعظم لدينهم طرح ولاية الاجنبى عنهم وكشفها عن ديارهم بل منازعة كل ذى شوكة فى شوكته . هل نسوا وعد الله لهم بأن يرثوا الارض وهم العباد الصالحون . هل غفلوا عن تكفل الله لهم باظهار شأنهم على سائر الشؤون ولو كره المجرمون ؟ هل سهوا عن ان الله اشترى منهم لاعلاء كلمته أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ؟ لا . لا . ان العقائد الاسلامية مالكة لقلوب المسلمين حاكمة فى ارادتهم وسواء في العقائد الدينية والفضائل الشرعية عامتهم وخاصتهم .

نعم يوجد للتقصير فى انماء العلوم ، وللضعف فى القوة أسباب أعظمها تخالف طلاب الملك فيهم ، لانا بينا ان لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم ، فتعدد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء فى قبيلة واحدة ، والسلاطين فى جنس واحد ، مع تباين الاغراض وتعارض الغايات ، فشغلوا أفكار الكافة بمظاهرة كل خصم على خصمه ، وألهوا العامة بتهيئة وسائل المغالبة وقهر بعضهم لبعض ، فأدت هذه المغالبات وهى أشبه شىء بالمنازعات الداخلية الى الذهول عما نالوا من العلوم والصنائع ، فضلا عن التقصير فى طلب مالم ينالوا منها ، والاغسار دون الترقى في عواليها ، ونشأ من هذا ما نراه من الفاقة والاحتياج ، وعقبه الضعف فى القوة والخلل فى النظام ، وجلب تنازع الامراء على المسلمين تفرق الكلمة وانشقاق العصا ، فلهوا بأنفسهم عن تعرض الاجانب بالعدوان عليهم .

هذا كان من أمراء المسلمين مع مافيه من الضرر الفادح عند ما كانوا منفردين في ميادين الوغى ، لايجاريهم فيها سواهم من الملل ، ولكن ضرب الفساد فى نفوس أولئك الامراء بمرور الزمان ، وتمكن من طباعهم حرص وطمع باطل فانقلبوا مع الهوى ، وضلت عنهم غايات المجد المؤثل ، وقنعوا بالقاب الامارة

واسماء السلطنة وما يتبع هـذه الاسماء من مظاهر الفخفحة وأطوار النفخة ونعومة العيش مدة من الزمان ، واختاروا موالاة الاجنبى عنهم المخالف لهم فى الدين والجنس ، ولجأوا للاستنصار به وطلب المعونة منه على أبناء ملتهم ، استبقاء لهذا الشبح البالى والنعيم الزائل

هذا الذى أباد مسلمى الأندلس ، وهدم أركان السلطنة التيمورية فى الهند ومحا اطلالها وعلى رسومها شيد الانكليز ملـكهم بتلك الديار . هكذا تلاعبت أهواء السفهاء بالممالك الاسلامية ، ودهورتها أمانيهـم الـكاذبة فى مهاوى الضعف والوهن ، قبح ماصنعوا وبئس ما كانوا يعملون ، أولئك اللاهون بلذاتهم ، العاكفون على شهواتهم ، هـم الذين بددوا شمل الملة ، وأضاعوا شأنهـا ، وأوقفوا سير العلوم فيهـا ، وأوجبوا الفترة فى الأعمال النافعة ، من صناعة وتجارة وزراعة بما غلوا من أيدى بنيها

ألا قاتل الله الحرص على الدنيا والتهالك على الخسائس ، ما أشد ضررهما وما أسوأ أثرهما ، نبذوا كلام الله خلف ظهورهم وجحدوا فرضاً من أعظم فروضه ، فاختلفوا والعدو على أبوابهم . وكان من الواجب عليهم أن يتحدوا فى الـكلمة الجامعة ، حتى

يدفعوا غارة الاباعد عنهم ، ثم لهم أن يعودوا لشؤونهم ، ماذا افادتهم المغالاة فى الطمع والمنافسة فى السفاسف ؟ افادتهم حسرة دائمة فى الحياة ، وشقاء ابدياً بعد الممات ، وسوء ذكر لا تمحوه الايام

أما وعزة الحق وسر العدل ، لو ترك المسلمون وأنفسهم بما هم عليه من العقائد مع رعاية العلماء العاملين منهم ، لتعارفت أرواحهم وائتلفت آحادهم ، ولكن واأسفا تخالهم أولئك المفسدون الذين يرون كل السعادة فى لقب أمير أو ملك ولو على قرية لا أمر فيها ولا نهى . هؤلاء الذين حولوا أوجه المسلمين عما ولاهم الله وخرجوا على ملوكهم وخلفائهم ، حتى تناكرت الوجوه وتباينت الرغائب .

الاتفاق والتضافر على تعزيز الولاية الاسلامية ، من أشد أركان الديانة المحمدية ، والاعتقاد به من أوليات العقائد عند المسلمين ، لايحتاجون فيه الى استاذ يعلم ، ولا كتاب يثبت ، ولا رسائل تنشر . ان رعاة المسلمين فضلا عمن علاهم تتصاعد زفراتهم ، وتفيض أعينهم من الدمع حزنا وبكاء على ما أصاب ملتهم من تفرق الآراء ، وتضارب الاهواء ، ولولا وجود الغواة من الامراء ، ذوى المطامع فى السلطة بينهم ، لاجتمع

شرقيهم بغربيهم ، وشماليهم بجنوبيهم ، ولبى جميعهم نداء واحداً ان المسلمين لايحتاجون فى صيانة حقوقهم ، إلا الى تنبه أفكارهم لمعرفة مابه يكون الدفاع واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه وارتباط قلوبهم الناشىء عن احساس بما يطرأ على الملة من الاخطار

ألم تر أمة الروس هل تجد فيها ما يزيد على هـذه الاصول الثلاثة ، هى أمة متأخرة فى الفنون والصنائع عن سائر امم أوربا وليس في ممالكها ينابيع للثروة ، ولئن كانت فليس هنـاك مايستفيضها من الاعمال الصناعية ، فهى مصابة بالحاجة والاعواز غير أن تنبه أفكار آحادها لما به يكون الدفاع عن أمتهم واتفاقهم فى النهوض به وارتباط قلوبهم صير لها دولة تميد لسطوتها رواسى أوربا . لم يكن للروسية مصانع لمعظم الآلات الحربية ، ولكن لم يمنعها ذلك عن اقتنائها ، ولم يرتق فيها الفن العسكرى الى حد ماعليه جيرانها ، الا ان هذا لم يقعدها عن جلب ضباط من الامم الأخرى لتعليم عساكرها ، حتى صار لجيشها صولة تخيف ، وحملة تخشاها دول أوربا .

فما الذى أقعدنا عن مشاكلة غيرنا ، فيما هو أيسر الاشياء علينا ، ونحن أشد الناس ميلا اليه : من رعاية شرف الملة والتألم

بما يحط منه والتعاون على صون الوحدة الجامعة لنا عن كل ما يثلمها . مارد الأفكار عن الحركة ، وما أقعد الهمم عن النهوض ؛ إلا أولئك المترفون ، يحرصون على طيب فى المطعم ، ولين فى المضجع ، وتطاول فى البنيان ، وتفاخر بالخدم والحول ، ولا يراعون فى حرصهم مابعد يومهم ، ويحافظون على لقب موضوع ورسم متبوع ، يقنعون منه بالاحتفال لهم فى المواسم والاعياد وهز الرؤوس وثنى الاعطاف ، تعظيما وتبجيلا ، ثم تذييل الأوراق الرسمية باسماء ليس لها مسميات . هؤلاء الساقطون يرضون لتخيل هذه المواثل (جمع ماثل من الرسوم ماذهب أثره) بكل دنيئة ، هؤلاء يقبلون من تصرف أعدائهم فى بيوتهم ما لا يقبله واحد من آحاد الناس دون موته ، أولئك صاروا فى أعناق المسلمين سلاسل وأغلالا ، يحبسون هذه الأسود عن فريستها بل يجعلونها طعمة للثعالب ، لاحول ولا قوة إلا بالله

أيا بقية الرجال ، ويا خلف الابطال ، ويانسل الاقيال ، هل ولى بكم الزمان ، هل مضى وقت التدارك ، هل آن أوان اليأس ، لا ، لا ، معاذ الله أن ينقطع أمل الزمان منكم ، إن من أدرنه الى بيشاور دولا اسلامية متصلة الاراضى ، متحدة العقيدة يجمعهم القرآن ، لا ينقص عددهم عن خمسين مليونا ، وهم ممتازون

بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة ، أليس لهم أن يتفقوا على الذب والاقدام كما اتفق عليه سائر الامم ، ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم ، فالاتفاق من أصول دينهم ، هل أصاب الخدر مشاعرهم فلا يحسون بحاجات بعضهم البعض ، أليس لكل واحد أن ينظر الى أخيه بما حكم الله في قوله (انما المؤمنون أخوة) فيقيمون بالوحدة سداً يحول عنهم هذه السيول المتدفعة عليهم من جميع الجوانب .

لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الامر في الجميع شخصاً واحدا ، فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فان حياته بحياته وبقائه ببقائه ، إلا أن هذا بعد كونه أساسا لدينهم تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجة فى هذه الاوقات ، هذا آن الاتفاق ، هذا آن الاتفاق ، ألا ان الزمان يواسيكم بالفرص وهى لكم غنائم فلا تفرطوا ، إن البكاء لا يحيى الميت ، أن الاسف لايرد الفائت ، أن الحزن لايدفع المصيبة ، ان العمل مفتاح النجاح ، إن الصدق والاخلاص سلم الفلاح ، إن الوجل يقرب الاجل ، ان اليأس وضعف الهمة من اسباب الحتف (وقل اعملوا فسيرى الله

عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) ألا لاتكونوا ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ، أحذروا أن تقعوا تحت قول الله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون) أن القرآن حى لايموت ، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت ، كتاب الله لم ينسخ فارجعوا اليه ، وحكموه فى أحوالكم وطباعكم (وما الله بغافل عما تعملون)

ولعل أمراء المسلمين قد وعظوا بسوء مغبة أعمال السالفين وهموا بملافاة أمرهم ، قبل أن يقضي عليهم ، بمارزىء به المفرطون من قبلهم ، ورجاؤنا ان أول صيحة تبعث الى الوحدة وتوقظ من الرقدة ، تصدر عن أعلاهم مرتبة ؛ وأقواهم شوكة ؛ ولا نرتاب فى أن العلماء العاملين ستكون لهم اليد الطولى فى هذ العمل الشريف ؛ والله يهدى من يشاء ولله الامر من قبل ومن بعد .

الوحدة والسيادة

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »

امران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة ، ويهدى اليهما الدين تارة أخرى، وقد تفيدهما التربية وممارسة الآداب، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه ، بل يستلزمه ، وبهما نمو الامم وعظمها ورفعتها واعتلاؤها ، وهما الميل إلى وحدة تجمع ، والكلف بسيادة لا توضع . وإذا أراد الله بشعب أن يوجد ويلقى بوانيه (يثبت ويقيم) الى أجل مسمى أودع في ضئاضئه (أصوله) هذين الوصفين الجليلين ، فأنشأه خلقا سويا ، ثم استبقى له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين إلى منتهى أجله .

كل أمة لا تمد ساعدها لمغالبة سواها لتنال منها بالغلب ما تنمو به بنيتها ، ويشتد به بناؤها ، فلا بد يوماً أن تقضم وتهضم وتضمحل ويمحى أثرها من بسيط الأرض. إن التغلب فى الامم كالتغذى فى الحياة الشخصية ، فاذا أهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو ، ثم ارتدت إلى الذبول والنحول ، ثم

أفضت إلى الموت والهلاك ، وليس من الممكن لأمة أن تحفظ قوامها ، وتصول على من يليها لتختزل منه ما يكون مادة لفنائها ، إلا أن تكون متفقة فى تحصيل ما تحتاج اليه هيئتها. اذا أحسست من أمة ميلا إلى الوحدة فبشرها بما أعد الله لها فى مكنون غيبه من السيادة العليا والسلطة على متفرقة الأمم ، اذا تصفحنا تاريخ كل جنس واستقرينا أحوال الشعوب فى وجودها وفنائها ، وجدنا هذه سنة الله فى الجمعيات البشرية ، حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها فى الغلب ، وما انحط شأن قوم وما هبطوا عن مكانتهم ، إلا عند لهوهم بما فى أيديهم ، وقناعتهم بما تسنى لهم ، ووقوفهم على أبواب ديارهم ، ينظرون طارقهم بالسوء ، وما أهلك الله قبيلا إلا بعد ما رزئوا بالافتراق ، وابتلوا بالشقاق ، فأورثهم ذلا طويلا وعذابا وبيلا ، ثم فناء سرمديا .

الوفاق تواصل وتقارب يحدثه احساس كل فرد من أفراد الامة بمنافعها ومضارها ، وشعور جميع الآحاد فى جميع الطبقات بما تكسبه من مجد وسلطان ، فيلذ لهم كما يلذ أشهى مرغوب لديهم ، وبما تفقده من ذلك ، فيألمون له كما يألمون لأعظم رزء يصابون به ، وهذا الاحساس هو مايبعث كل واحد على الفكر

فى أحوال أمته . فيجعل جزءا من زمنه للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسؤدد ، وما يدفع عنها طوارق الشر والغيلة ، ولا يكون همه بالفكر في هذا أقل من همه بالنظر فى أحواله الخاصة ثم لا يكون نظراً عقيما حائزاً بين جدران المخيلة ، دائراً على أطراف الألسنة ، بل يكون استبصاراً تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر على استكماله بما يمكن من السعة ، وما تحتمله القدرة على نحو ما يكون فى استحصال مواد المعيشة بلا فرق ، بل تجد الأنفس أن شأن الامة في المكان الاول من النظر ، والدرجة الاولى من الاعتبار ، والشؤون الخاصة في المنزلة الثانية منهما . ولا تقف فيما تجد عند جلب المصالح ودرء المفاسد لأوقاتها الحاضرة ، بل يأخذ العقلاء منها سبلا من التفكير ، ويخترطون سيوفا من الهمة ، ليصيبوا من سعيهم شوارد من القوة ، ونوادر من المكنة ، ويستخرجوا دفائن من الثروة ويجمعوا ذلك للأمة ، لصيانة حياتها إلى حد العمر اللائق بها ، كما يسعى الحازم جهده لتوفير ما يلزم لمعيشته ، وما يطمئن به قلبه فى دفع حاجته مدة العمر الغالب ، بل يزيد عليه ما فيه الكفاية لأبنائه من بعده وإن الدور الاول من أعمار الأمم لا ينقص عن خمسة قرون ثم تتلوه سائر الادوار وأولها أقصرها وهو سن

الطفولية ، وبدء الكمال فيما بلده ، فما أرفع همم العقلاء فى الأمم المستبصرة .

اذا بلغ الاحساس من مشاعر أفراد الأمة إلى الحد الذى بيناه ، رأيت فى الدهماء منهم والخاصة هما تعلو ، وشيما تسمو ، واقداما يقود ، وعزما يسوق ، كل يطلب السيادة والغلب ، فتتلاقى هممهم ، وتتلاحق عزائمهم ، فى سبيل الطلب فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم ، كما تندفع السيول على الوهاد ، ولا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه ، ويكون تزوهم على الامم بعد الغلب الاول تدفقاً من الطبع لايحتاج الى فكر وروية الا فى إعداد وسائل الفوز والظفر

هذان الامران الوفاق والغلب عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الاسلامية ، وفرضان محتومان على من يستمسك بها ، ومن خالف أمر الله فيما فرض منهما عوقب من مقته بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الاخرة ، جاء فى قول صاحب الشرع « إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وأن المؤمن ينزل من المؤمن منزلة أحد أعضائه اذا مس أحدهما ألم تأثر له الآخر ، وجاء فى نهيه « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا » وأنذر من شذ عن الجماعة

بالخسران والهلكة وضرب له مثل الشاة القاصية تكون فريسة للذئاب .

هذا كله بعد ما أمر الله عباده بالاعتصام بحبله ، ونهاهم عن التفرق والتغابن ، وامتن عليهم بنعمة الاخوة بعد أن كانوا أعداء ونطق الكتاب الأسمى (إنما المؤمنون إخوة) وطاب من المخاطبين بآياته أن يبادروا باصلاح ذات البين عند التخالف ، ثم شدد على وجوب الاصلاح وان أدى الى مقاتلة الباغى ، فقال : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » وإنما أمر الله الدخول فيما اتفق عليه المؤمنون وتوحيد الكلمة الجامعة « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات » وتوعد الكتاب الاقدس كل من انحرف عن سبيل المؤمنين بالعقاب الاليم ، فحكم بأن من يتبع غير سبيل المؤمنين يوله الله ما تولى ، ويصله جهنم وساءت مصيراً ، وفى أمره الصريح إيجاب التعاون على البر والتقوى ، ولا بر أحق بالتعاون عليه من تعزيز كلمة الحق وإعلاء منار الامة ، وأخبر الصادق صلى الله عليه وسلم (أن يد الله مع الجماعة) وكفى بالقدرة الالهية عونا اذا صح الاجتماع وصدقت الالفة ، وقد بلغت مكانة الاتفاق

فى الشريعة الاسلامية أسمى درجة فى الرعاية الدينية ، حتى جعل اجماع الامة واتفاقها على أمر من الامور كاشفا عن حكم الله وما فى علمه وأوجب الشرع الاخذ به على عموم المسلمين ، وعد جحوده مروقا من الدين ، وانسلاخا عن الايمان ، ومن عناية الشارع بأمر الاتفاق قوله صلى الله عليه وسلم « لو دعيت الى حلف الفضول لفعلت » (حلف الفضول ما كان من هاشم وزهرة وتيم حيث وفدوا على عبد الله بن جدعان وتحالفوا على أن يدفعوا الظلم ويأخذوا الحق من الظالم ، وسمى حلف الفضول لانهم تحالفوا على أن لايدعوا عند أحد فضلا يزيد عن حقه ويكون نواله بالظلم إلا أخذوه منه وردوه لمستحقه) فهو من حلف الجاهلية ، وقد صرح الشارع بقبوله لودعي اليه ، هذا اجمال الادلة على وجوب الاتفاق وحظر المنابذة والمغابنة بين المسلمين ، بل وبينهم وبين غيرهم ممن رضى بذمتهم وقبل جوارهم بالمعروف فى شرعهم فان سبيل المؤمنين يسعه ولايضيق عنه

وأما السعي لأعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا تجد آية من آيات القرآن الشريف إلا وهي داعية اليه ، جاهرة بمطالبة المسلمين بالجد فيه ، حاظرة عليهم أن يتوانوا في

أداء المفروض منه ، ومن الاوامر الشرعية أن لا يدع المسلمون تنمية ملتهم حتى لاتكون فتنةويكون الدين كلهلله ، وفى السنة المحمدية والسيرة النبوية ، مما يضافر آيات القرآن ماجمعه العلماء في مجلدات يطول عـدها ، هذا حكم ديننا لايرتاب فيه أحد من المؤمنين به والمستمسكين بعروته

هل يمكن لنا ونحن على ما نرى من الاختلاف والركون إلى الضيم ان ندعى القيام بفروض ديننا . كيف ومعظم الاحكام الدينية موقوف اجراؤه على قوة الولاية الشرعية ، فان لم يكن الوفاق والميل إلى الغلب فرضين لذاتهما أفلا يكونان مما لايتم الواجب إلابه ، فـكيف بهما وهما ركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا ، هل لنا عذر نقيمه عند الله يوم العرض والحساب يوم لا ينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين الركنين ، وأيسر شفاعة الينا اقامتهما وعديدنا مئتا مليون أو يزيد ، هل يتيسر لنا إذا خلونا بأنفسنا وجادلتنا ضمائرنا ان نقنعها ونرضيها بما نحن عليه الآن

كل هـذه الرزايا التى حطت بأقطارنا ، ووضعت من أقدارنا ، ما كان قاذفنا ببلائها ، ورامينا بسهامها ، إلا افتراقنا وتدابرنا والتقاطع الذى نهانا الله ونبيه عنه، لوادينا حقوقا تطالبنا

بها تلك الكلمة التى تهل بها السنتنا ، وتطمئن قلوبنا بذكرها ، وهي كلمة الله العليا ، هل كان يمكن للاغراب أن يمزقوا ممالكنا كل ممزق ، وهل كان يلمع سيف العدوان فى وجوهنا ، وهل كنا نشيم نيران الاعداء الا وأقدامنا فى صياصيهم ، وأيدينا على نواصيهم . ان لابناء الملة الاسلامية يقينا بما جاء به شرعهم ، لكن أليس على صاحب اليقين بدين أن يقوم بما فرض الله عليه فى ذلك الدين ؟ (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ولا ريبة فى أن المؤمن يسره أن يعلمه الله صادقا لا كاذبا ، وأى صدق تظهره الفتنة ويمتاز به الصادق من الكاذب إلا الصدق فى العمل ، هل يود المسلم لو يعمر الف سنة فى الذل والهوان وهو يعلم أن الازدراء بالحياة هو دليل الايمان ، أنرضى ونحن المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة العليا أن تضرب علينا الذلة والمسكنة ، وأن يستبد فى ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يحترم شريعتنا ، ولا يرقب فينا إلا ولا ذمة ، بل أكبر همه أن يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى منا أوطاننا ، ويستخلف فيها بعدنا أبناء جلدته ، والجالية من أمته ،

لا . لا . ان المخلصين فى ايمانهم الواثقين بوعد الله فى نصر من ينصر الله الثابت في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) لا يتخلفون عن بذل أموالهم وبيع أرواحهم ، والحق داع والله حاكم والضرورة قاضية فأين المفر . المبصر بنور الله يعلم أنه لا سبيل لنصر الله وتعزيز دينه إلا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين . هل يسوغ لنا أن نرى أعلامنا منكسة، وأملاكنا ممزقة ، والقرعة تضرب بين الغرباء على مابقى فى أيدينا ثم لا نبدى حركة ، ولا نجتمع على كلمة ، وندعى مع هذا أننا مؤمنون بالله وبما جاء به محمد . وأخجلتاه لو خطر هذا ببالنا ولا أظنه يخطر ببال مسلم يجرى على لسانه شاهد الاسلام

ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة فى حفظ حوزة الاسلام كل هذه صفات كامنة فى نفوس المسلمين قاطبة ولكن دهاهم بعض ماأشرنا اليه فى أعداد ماضية فألهاهم عما يوحى به الدين فى قلوبهم وأذهلهم أزمانا عن سماع صوت الحق يناديهم من بين جوانحهم ، فسهوا وما غووا ، وزلوا وماضلوا ، ولكنهم دهشوا وتاهوا، فمثلهم مثل جواب المجاهيل من الارض فى الليالى المظلمة ، كل يطلب عونا وهو معه ولكن لا يهتدى اليه ، وأرى أن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لإيصال أصوات بعض

المسلمين إلى مسامع بعض لا أمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم فى أقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الأرض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل مسلم أن يحجه ما استطاع ، وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين وعشائرهم وأجناسهم فما هي إلا كلمة تقال بينهم من ذى مكانة فى نفوسهم تهتزلها أرجاء الأرض ، وتضطرب لها سواكن القلوب . هذا ما أعدتهم له العقائد الدينية فان أضفت اليه ما أذاب قلوبهم من تعديات الاجانب عليهم ، وما ضاقت به صدورهم من غارات الاغراب على بلادهم ، حتى بلغت أرواحهم التراقى ، ذهبت إلى أن الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حداً يوشك أن يكون فعلا ، وهو مما يؤيد الساعين فى هذا المقصد ، ويهيىء لهم فوزاً ونجاحا بعون الله الذى ما خاب قاصده ، وهو ربى اليه أدعو واليه أنيب

الامل وطلب المجد

﴿ انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾

﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾

تلك آيات الكتاب الحكيم ، تنبىء عن سر عظيم ، اختص الله به الانسان ، ورفعه به على سائر الأكوان ، ليبلغ به المقام المحمود ، ويحوز ما أعدته له العناية الالهية من الكمال اللائق به راجع نفسك ، واصغ لمناجات سرك ، تجد في وجدانك ميلا قوياً ، وحرصا شديداً ، يدفعك الى طلب المجد ، وعلو المنزلة ، فى قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتمامها » تجد مثل ذلك فى كليتها كما هو فى آحادها تبتغى رفعة المكانة فى نفوس الامم سواها ، ذلك أمر فطرى جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفرداً ومجتمعاً . ليس من السهل على طالب المجد وعلو المكانة أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقى فى الوصول اليه وعراً فى السبل ، وعقبات تصد عن المسير ، ومع هذا فلا يضعف حرصه ، ولا ينقص ميله ، يقطع شعاباً ، ويعانى صعابا ، حتى يرقى ذروة المجد ، ويتنسم شاهق العزة ، ولو قام فى وجهه

مانع عن الاسترسال فى مسيره والتجأ للسكون رأيته يتململ ويتضجر كانما يتقلب على الرمضاء ، لو سبر الحكيم الخبير أعمال لبشر ، ونسب كل عمل الى غاية العامل منه ، رأى أن معظمها فى طلب الكرامة وعلو المقام ، كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئا مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف ، هذه خلة ثابتة فى الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الامر والنهى ، كل ينافس أهل طبقته فى أسباب الكرامة بينهم ، ويأنف من ضعته فيهم ويحرص على ما يحله من قلوبهم محل الاعتبار ، حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم ، تخطى حدود تلك الطبقة ودخل فى طبقة أخرى ، ونافس أهلها في الجاه ، ولا يزال يتبع سيره مادام حيا يخطر فى بسيط الارض ، ذلك لان الكمال الانسانى ليس له حد ، ولا تحده نهاية ، وليس فى استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حدا ليست بعده غاية

سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الانسان وماذا ملكت من أهوائه ؟ بعده ثمرة حياته وغاية وجوده ، حتى أنه يحتقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه ، أو عند مسه والخوف

من سلبه ، أرأيت أن فقيرا ذا اسمال لايؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهينه ، أو قذفة تشينه ، يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التى هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وأن القذف أو الاهانة ما نقصت شيئا من طعامه ولاشرابه ، ولا خشنت مضجعة فى مبيتة ، آلاف مؤلفة من الناس فى الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك ، وماتوا دفاعا عن الشرف أو طلبا للكرامة والمجد ، جل شأن الله لا يهنأ للانسان طعام ولا شراب ، ولا يلين له مضجع إلا أن يلحظ فيه أن ما نال منه أعلى مما نال سواه ، مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيه ، كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعانى الانسان من التعب البدنى ، وكم يقاسى من مشاق الاسفار ، وكم يخاطر بروحه فى اقتحام الحروب والمكافحات ، وكم يتحمل فى الانقطاع عن اللذات ، مع التمكن منها ، كل ذلك لينال شهرة أوليكسب فخارا أو ليحفظ ما أتاه الله منه ، ما أجل عناية الله بالانسان لايعيش إلا ليشرف فيشرف به العالم ، وكل لذة دون الشرف فهى وسيلة اليه ،

بل الحياة الدنيا هى السبيل الوعر يسلكها الحى الى مايستطيع من المجد ، وفي نهاية الاجل يفارقها قرير العين بما قارب منه آسف الفؤاد على ما قصر عنه .

ما هو المجد الذى يسعى إليه الانسان بالالهام الالهى ، ويخوض الاخطار فى طلبه ، ويقارع الخطوب فى تحصيله ، هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بألسؤدد ، وتذعن له بالاعتلاء ، وتلقى اليه قياد الطاعة ، يكون هذا له ولكل من يدخل فى نسبته اليه من ذوى قرابته وعشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته اليه وكلمة المتصلين به ، والملتحمين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معانات الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن فى هذه الحياة الاولى ، فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة . يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بنى جلدته أجمعين . واها ! تلك حكمة بالغة : اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السؤدد . نعم وهل نال ما نال الا بمعونة سائر الآحاد منها (ذلك تقدير العزيز العليم) . ماذا يستطيع المجاهد وحده . وما ذا يكسبه من سعيه . ان لم يكن له أعضاد من بنى قبيله . فمن كان همه ان يصعد الى عرش العزة . ويرقى الى ذروة السيادة

فعليه أن يهيء نفسه والمنتمين اليه لتحصيل كل ما يعد فى العالم الانسانى فضيلة وكمالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطرى والالهام الالهى . وما أشد ما تحمل النفوس فى قضاء بعض الوطر مما يتصل به . وما أعظم الحامل للانفس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع . ماهذا الباعث الشريف الذى يسهل على الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ، ويصغر كل عظيم ، ويلين كل خشن ، ويسليها عن جميع الآلام ، ويرضيها بالتعرض للتهلكة ومفارقة الحياة ، فضلا عن بذل كل نفيس ، والسماح بكل عزيز ، هذا الباعث الجليل ، وهذا الموجب الفعال هو الامل .

الامل ضياء ساطع فى ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق فى يهماء الكروب ، وعلم هاد فى مجاهيل المشكلات ، وحاكم قاهر للعزائم اذا عرتها فترة ، ومستفز للهمم إن عرض لها سكون ، ليس الامل هو الامنية والتشهى اللذين يلمحهما الذهن تارة بعد أخرى ، ويعبر عنهما بليت لى كذا من المال وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش ، واللهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يروم أن يبدل الله سنته فى سير الانسان عنايةً بنفسه الشريفة أو الخسيسة ، فيسوق اليه ما يهجس

بخاطره دون أن يصيب تعبا أو يتلافى مشقة ، إنما الامل رجاء يتبعه عمل ، ويصحبه حمل النفس على المكاره ، وعرك لها فى المشاق والمتاعب ، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر ، والشدائد بالجلد وتهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ فى مداركها ان الحياة لغو اذا لم تغذ بنيل الارب ، فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلا عن المال الذى لا يقصد منه إلا وقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون .

وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً ، كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة ، غير أن ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان داعيا للمزاحمات والممانعات ، فان كل واحد بما أودع فى جبلته يطلب الكرامة والتمكن فى قلب الآخر فكل طالب ومطلوب ، ولم تبلغ سعة العقل الانسانى الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملا تكون له به المنزلة العليا فى جميع النفوس ، غير ما يكون به للآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم أمجادا شرفاء بما يأتون من أعمالهم ، ولكنهم تزاحموا فى الآمال والاهواء ، ومسالكهم ضيقة ، ومشارعهم ضنكة ، فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشرى حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى

الصدام على شخص أو قوم حدث في الهمم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد فى هاتين الخلتين الشريفتين « الرجاء وطلب المجد » كما يحصل الفساد فى سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤول الضعف الى اليأس والقنوط « نعوذ بالله منهما »

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم ، يحكمون على أنفسهم بالحطة ، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة ، فيأتون الدنايا ويتعاطون الرذائل ، ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول مايوجه اليهم من ذلك أيا كان ، فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التى يمتاز بها الانسان عن الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم ، فلا يهتمون الا بحاجات قبقبهم وذبذبهم ، ثم ياليتهم يكونون هملا وسوائب يرعون النبات ، ويتبعون مواقع الغيث ، ولكنهم وان تركوا العمل لانفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم ، فيكونون كالثمال الحمالة لاتستفيد مما تحمل شيئا ، وظيفتها أن تسعى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح ، فيعالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرهما من الاعمال الشاقة ، ويدأبون بأشد مما يدأب العامل لنفسه ، ثم لا ينالون مما يعملون شيئا ثمرات كسبهم باسرها محولة الى الدين سادوا عليهم بهممهم

« هذا الذى يتجشمه الذليل فى ذله من مشاق الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضا منه فى طلب العزة لاصاب حظه منها »
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة ، فان السائدين يشعرون بحكم البداهة ، إن هؤلاء أسقطوا أنفسهم عن منزلة كانوا يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها ، بل بما لا يصح أن يكون من شأنها وكفروا نعمة الله فى تكوينهم على الشكل الانسانى وايداعهم ما أودع فى أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون من الحيوانات ، ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التى أدركها اليأس وسقطت فى أيدى الاجانب .

ونظن انه يوجد أقوام آخرون سامهم سادا تهم فى الزمن السابق ويسومونهم الان مالاتسام به السوائم الراعية وهم على القرب منا وليسوا ببعيد عنا .

عجبا كيف تتبدل أحكام الجبلة وكيف يمحى أثر القطرة ؟ كيف تسفل النفس حتى لاتطلب رفعة ؟ وكيف تقنط حتى لايكون لها أمل ؟ والامل وحب الكرامة طبيعيان فى الانسان بعد إمعان النظر نجد السبب في ذلك ظن الانسان أن جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وأن قوته هى

سلطان أعماله وليس فوق يده يد تمده بالمعونة أو تصده بالقهر فاذا صادفته الموانع مرة بعد أخرى وقطعت عليه سبيل الوصول لمطلبه رجع الى قدرته فوجدها فانية ، وقوته قُرآها واهنة ، فيعترف بوهنه ، ويسكن الى عجزه ، فييأس ويقنط ، ويذل ويسفل اعتقادا منه بانه لا دافع لتلك الموانع التى تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فيقطع الأمل فيقع فى الشقاء الابدى ، أما لو إيقن أن لهذا الكون مدبرا عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته ، وتدين كل سطوة لجبروته الاعلى ، وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء ، لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس ، وتغتال آماله غائلة القنوط ، فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر إلى قوة الله التى هى أعلى من كل قوة ، فيركن إليها فى اعماله ، ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا ، فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا فى مدافعتها معتمداً على أن قدرة الله أعظم منها وكلما أغلق فى وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب ، فلا يمل ولا يكل ، ولا تدركه السآمة ، لاعتقاده أن فى قدرة مدبر الكون أن يقهر الاعزاء ، ويلقى قيادهم الى الاذلاء ، وأن

يدك الجبال ، ويشق البحار ، ويمكن الضعفاء ، من نواصى الاقوياء وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار ، فتشتد عزيمته ويدأب فيما كلفه الله من السعى لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة فى الاولى والآخرة ، وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته أن يقنط ويبأس ، ولهذا أخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التى لا ريبة فيها بما قال وهو أصدق القائلين (أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) وبما حكى من قول نبيه ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر ومن أين يطرق اليأس قلباً عقد على الايمان بالله وقدرته الكاملة .

لهذا نقول أن المسلمين لايسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد علية الصلاة والسلام أن يقنطوا من رحمة ربهم فى إعادة مجدهم مع كثرة عددهم ، ولا يسوغ لهم أيمانهم أن يرضخوا للذل ، ويرضوا للضيم ، ويتقاعدوا عن إعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلى به كثير من الامم ، فان لهم ملوكا عظاما ، ولا يزال فى أيديهم ملك عظيم على بسيط الارض ، وأن من الحق أن نقول : أن أبواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وأن روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم

سوى أن يستنشقوها والفرص دائما تمد أيديها اليهم تطلب انهاضهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم ، وليس عليهم فى استرجاع مكانتهم الاولى والصعود الى مقامهم الاول إلا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من اعزاز ملتهم ، وذلك أيسر ما يكون عليهم ، بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم ، فأى موجب لليأس وأى داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين ، وهل توجد واسطة بين الرشد والغي (فماذا بعد الحق إلا الضلال) هل يكون للقانطين فيهم من عذر ؟ أيرضون بالعبودية للاجانب بعد تلك السيادة العليا ، ما ذا يبتغون من الحياة إن كانت فى ذل واهانة وفقر وفاقة وشقاء دائم بيد عدو غاشم ؟ أيطمئنون وهم بين أجنى حاكم ، وبغيض شامت ، ومقبح غبي ، ومشنع دنى ، ومعير خسيس ، يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ، ويحكمون بأن محالا عليهم أن يصيروا أمة فى عداد الامم ، ألم ينسلخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات . أينسون أنهم كانوا فى الارض وماطال على ذلك الزمان ، ولا محيت التواريخ ولا عفت الآثار ، ولا اضمحلت بالكلية شوكة المسلمين من وجه الارض .

إن كان للعامة عذر فى الغفلة عما أوجب الله عليهم فاى عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون فى علومه ، لم لا يسعون في توحيد متفرق المسلمين ، لم لا يبذلون الجهد فى جمع شملهم ، لم لا يفرغون الوسع لاصلاح ما فسد من ذات بينهم لم لا يأتون على مافى الطاقة لتقوية آمال المسلمين ، وتذكيرهم بوعود الله التى لاتخلف لمن صدق فى طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على أرواحهم . بلى أن قوما شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر فى مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا أن أملنا فى بقية المسلمين أن يتفقوا معهم ويقوموا بتعضيدهم ، ليتمكن الجميع من نصر الله (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

رجال الدولة و بطانة الملك

كيف يجب أن يكونوا

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ﴾
﴿ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى ﴾
﴿ صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾

قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة ، والقلاع المنيعة ، والجيوش العاملة ، والأهب الوافرة ، والاسلحة الجيدة قلنا نعم هي إحراز وآلات لابد منها للعمل فيما يقي البلاد ، ولكنها لاتعمل بنفسها ، ولا تحرس بذاتها ، فلا صيانة بها ولا حراسة إلا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة ، وأولوا رأى وحكمة ، يتعهدونها بالاصلاح زمن السلم ، ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب ، وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوى التدبير والحزم وأصحاب الحذق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة ، يوطئون طريق الأمن ، ويبسطون بساط الراحة ويرفعون بناء الملك على قواعد العدل ، ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ، ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الاجنبية . ليحفظوا لها المنزلة التى تليق بها بينها ، بل

يحملوها على اجنحة السياسة القويمة الى أسمى مكانة تمكن لها ولن يكونوا أهلا للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بمحبة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة على سكانها ، وحتى تكون الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم ، يجدون فى انفسهم منبها على ما يجب عليهم ، وزاجراً عما لا يليق بهم ، وغضاضة وألماً موجعاً عند مايمس مصلحة المملكة ضرر ، ويوجس عليها من خطر ، ليتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال وظائفهم كما ينبغي ، ويصونوها من الخلل الذى ربما يفضى قليله الى فساد كبير فى الملك ، فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية والقوة الغالبة .

يسهل على حاكم فى أى قبيل أن يكتب الكتائب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بنقد النقود وبذل النفقات ، ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرنا إليهم : عقلاء رحماء ، أباة أصفياء ، تهمهم حاجات الملك كما تهمهم ضرورات حياتهم ، لابد أن يتبع فى هذا الامر الخطير قانون الفطرة ، ويراعى ناموس الطبيعة ، فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق ، وقلما يخطىء فى رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلا ، وجعل له من هديه مرشداً

واذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التى وقعت فى العالم الانسانى من كلية وجزئية وطلب أسبابها لايجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

من أحكام هذا الناموس الثابت أن الشفقة والمرحمة والحمية والنعرة على الملك والرعية ، انما تكون لمن له فى الامة أصل راسخ ووشيج يشد صلته بها . هذه فطرة فطر الله الناس عليها ان الملتحم مع الامة بعلاقة الجنس أو المشرب يراعي نسبته اليها ونسبتها اليه ويراها لا تخرج عن سائر نسبه الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه فى تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحريمه « راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى بين العامة عند مايرمى أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسورى ينتقد المصريين أو مصرى ينتقد السوريين » هذا الى ما يعلمه كل واحد من الامة أن ما تناله أمته من الفوائد يلحفه حظ منها ومايصيبها من الارزاء يصيبه سهم منه ، خصوصا ان كان بيده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم ، وسهمه من العار الذى يلحق الامة أكبر ، فيكون اهتمامه بشؤون الامة التى

هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمله من المنفعة أو يخشاه من المضرة .

فعلى ولى الامر في مملكة ان لا يكل شيئا من عمله إلا الى أحد رجلين اما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتمزيق موقرة فى نفوس المنتظمين فيها محترمة فى قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التفانى فى وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان ، واما رجل يجتمع معه فى دين فامت جامعته مقام الجنسية ، بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها ، كالدين الاسلامى الذى حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلا من الجامعتين « الجنسية على النحو السابق والدينية » مبدأ للحمية على الملك ومنشأ للغيرة عليه .

أما الاجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك فى جنس ولا في دين تقوم رابطته مقام الجنس ، فمثلهم فى المملكة كمثل الاجير فى بناء بيت لا يهمه الا استيفاء اجرته ثم لا يبالى أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل ، هذا اذا صدقوا فى أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الاجر ، واقفين فيها عند الرسم الظاهر ، فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الامة

الذى هو خادم فيها ولا يمسه شيء مما يمسها من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقها وارتد الى منبته الذى ينتسب اليه ، بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته فى جميع شؤونة ماعدا الاجر الذى يأخذه وهذا معلوم ببداهة العقل فلا يجد فى طبيعته ولا فى خواطر قلبه مايبعثه على الحذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلى شأنه ، بل لا يجد باعثا يبعثه على الفكر فيما يقوم مصلحته من أى وجه ، هذه حالهم هى لهم بمقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبراءتهم من أغراض أخر ، فما ظنك بالاجانب لوكانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا فى أرض غيرهم طلبا للعيش من أى طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا ، وسواء راعوا الذمة أوخانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لامهم يمهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التى يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الاجانب فى الممالك الاسلاميه لا يجدون فى أنفسهم حاملا على الصدق والامانة ولكن يجدون منها الباعث على الغش والخيانة) ومن تتبع التواريخ التي تمثل أحوال الامم الماضية وتحكى لنا عن سنة الله فى خليقته وتصريفه بشئوون عباده رأى أن الدول فى

نموها وبسطتها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها بيد اجنبي عنها وان تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط الا عند دخول العنصر الاجنبي فيها ، وارتقاء الغرباء الى الوظائف السامية في أعمالها فان ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً اذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون اعمالها منافسات واحقاد مزجت بها دماؤهم ، وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة .

نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجايا الطبيعية لسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمية ابناء الدين أو الامة ، ويطرأ النقص على شفقتهم ومرحمتهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك اذا كان ولي الامر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافعهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الامة ويضرب الفساد ، ولكن ما يكون من ضرره أخف وأقرب الى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الاجانب لهامات الامور في البلاد لان صاحب اللحمة في الامة وان مرضت أخلاقه واعتلت صفاته ، إلا أن ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة ، لا يمكن

محوه بالكلية فاذا اساء فى عمله مرة أزعجه من نفسه صائح الوشيجة الدينية أو الجنسية ، فيرجع إلى الاحسان مرة أخرى ، وان ماشد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والالتفات اليها ، ويميله الى المتصلين معه بتلك العلائق وان بعدوا .

لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الاسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمراء المسلمين ، حيث سلموا أمورهم ووكلوا أعمالهم من كتابة وادارة وحماية للاجانب عنهم ، بل زادوا فى موالاة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم فى بطون بيوتهم ، بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم فى مما لكهم ، بعد ما رأوا كثرة المطامع فيهم لهذا الزمان ، وأحسوا بالضغائن والاحقاد الموروثة من أجيال بعيدة ، وبعد ماعلمتهم التجارة أنهم اذا ائتمنوا خانوا ، واذا عززوا اهانوا ، يقابلون الاحسان بالاساءة والتوقير بالتحقير ، والنعمة بالكفران ، ويجازون على اللقمة باللطمة ، والركون اليهم بالجفوة ، والصلة بالقطيعة ، والثقة فيهم بالخدعة ، أما آن لامراء الشرق أن يدينوا الاحكام الله التى لا تنقص ألم يأن لهم أن يرجعوا الى حسهم ووجدانهم ، ألم يأت وقت

يعملون فيه بما أرشدتهم الحوادث ودلتهم عليه الرزايا والمصايب ألم يكن لهم أن يكفوا عن تخريب بيوتهم بأيديهم وأيدى أعدائهم

ألا أيها الامراء العظام ما لكم وللاجانب عنكم (ها انتم تحبونهم ولا يحبونكم) قد علمتم شأنهم ولم تبق ريبة فى أمرهم (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) سارعوا الى أبناء أوطانكم واخوان دينكم وملتكم، واقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير عون وأفضل نصير، اتبعوا سنة الله فيما ألهمكم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين، وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوى بكم الخطل الى أسفل سافلين، ألم تروا، ألم تعلموا، ألم تحسوا، ألم تجربوا، الى متى؟ الى متى؟ انا لله وإنا إليه راجعون.

كم حكمة الله فى حب المحمدة الحقة

العالم الانسانى كتاب المعتبر، وسفر المستبصر، وكل قرن من قرونه صفحة، وكل جيل من الناس سطر فيه أو جملة ولنا فى كل ماخطه القلم الالهى عبرة.

أول ما يفيدنا النظر فيه وقوفنا على أحوال الشعوب فى

أطوارها المختلفة ، وأدوارها المتبدلة فترى أمماً علت وسمت وحلقت في جو المعالى وجازت فى الرفعة مسارح النظر ، ثم انحدرت بعد هذا وتدهورت وعفت رسومها ، ولم يبق لها أثر إلا فى الروايات والاحاديث ، ومنها أجيال كانت فى ثنى العدم ثم اكتست حلية الوجود ، واتخذت من الاجتماع الانسانى مكان الهامة من الجسد ، ثم انطوت وأخنت عليها أمهات قشعم ومنها ما نراه الى اليوم يسحب مطارف العزة ، ويشرف على العالم بالامر والنهي من شواهق القوة .

فمن الناس من تتجلى له هذه الشئوون وتلك الأطوار كما تعرض عليه التماثيل ينبسط لبعضها اذا أعجبه ، وينقبض لآخر اذا أنكره ، وهو فى غفلة عن منشأ ظهورها وعلل انقلابها ، فان سئل عن السبب قال : سبحان الله هكذا كان وهكذا يكون ، وما هو إلا بخت يسعد فيسعد به السعداء ، وينحس فيتعس به الاشقياء .

ومنهم من تنفذ بصيرته الى الحقيقة فيقف على ما هيأه الله من الاسباب التى تتبعها أحوال الامم فى صعودها وهبوطها ، ويعلم أن ما سيق من الخير لامة إنما كان بأيدى آحاد من أماثلها جدوا وجاهدوا ، وربما بذلوا من نفائسهم وأنفسهم فازوا بتأصيل

المجد لشعوبهم وبنى جنسهم ، ويرى لأولئك الاعلام ذكرا يرفع ومكانة من القلوب تحمد ، وتمييزاً عند الخلف بالكرامة وهم لا يخالفوا الناس في جسومهم ودمائهم ، وانما تقدموهم بهممهم وقد يسوقه الاعتبار الى الاقتداء بهم رغبة في اقتطاف ثمار الثناء وتخليد الذكر ، فاذا أخذ مأخذهم ، واستقام على طريقهم فلا يكاد يخطو بعض خطوات ومبدأ المسير تحت نظره ، حتى تتعثر أقدامه فى أياد مقطعة ، ورءوس مجذوذة ، وأشلاء مبددة وشعور منثورة ، وصدور مدقوقة ، ويشهد الطريق مضرسة بقبور الشهداء ، من طلاب الحق والناهجين فى منهاجه ، ولا محيص عن سلوكها ، وتبدوا له غابات وادغال يرجع اليه منها صدى زئير الآساد وزمجرة الضراغم ، ولابد له من اختراقها

هكذا تنكشف لطالب المعالى موحشات مدهشات مصاولة لمخاطر أدناها ، والموت الشريف أقصاها وأعلاها ، فتارة يخور عزمه ويضعف همه فينكص على عقبيه ، ويرتد إلى اسوإ حاليه ويرتع فى مراتع أمثاله ، حتى يروح إلى عطنه الاولى به وهو العدم ، وتارة يوحى اليه الالهام الالهى أن الشخص فى خاصته والامم فى هيئاتها ونوع الانسان فى مجموعه ، تطالبها صورة الابداع بأعمال شريفة دونها اجهاد الانفس فى السعى ، وحملها

على ما لا تهوى ، ومغالبة الاهوال والغوائل ، وفيما أودع الله الانسان من القوى العالية ، والخواص السامية ، أكبر مساعد على ما تندفع اليه الهمة ، وتنبعث له العزيمة

ان من أحياه الله بالحياة الانسانية كلما هاجمته المصاعب لا يزداد إلا حرصا على قهرها كما أن صاحب الشمم لا يزيده الخصام إلا حدة فى الجدال ، وإصراراً على اقناع المخاصم ، وكثير ممن على شكل الانسان يحيا حياته هذه بروح حيوان آخر وهو يعانى فيها من الشقاء أشد مما يعانيه الانسان فى ابراز مزايا الانسان

أن صاعد الجبل ربما يجد شيئا من التعب ويخشى مفترسه الكواسر ، ولكن قد ينجو منها ويستريح على القنة ، ويعتصم بمكانه من الرفعة ، وتقصر عنه يد المتناول ، أما من أخلد الى السفل فحظه من الحياة خوف لا ينقطع ، واشفاق لا يزول ، كل لحظة توعده بالسقوط في صيد الصائد ، والوقوع بين أنياب الغائل ، مات من الناس كثير فى طلب العلاء ولم ينالوا ، وبلغ كثير من الطالبين غاية ما أملوا ، ولكن هلك بالفتك أضعاف هؤلاء وهؤلاء ممن رغموا الخمول ، ورضوا بالحياة الحيوانية — هذه أحاديث الحق ونفثات الروح الزكية تبعث من أيده الله

ووهبه نعمة العقل الى مداومة السير واقتفاء أثر الماضين الى أشرف المقاصد ، فإما وصل وإما مات كما يموت الكرام .

لم تنل أمة من الامم مزية من المزايا المحمودة عند بنى البشر سواء فى العلوم والمعارف ، والآداب والفضائل ، أو القوانين والنواميس العادلة ، أو العسكرية وقوة الحماية ، حتى خرج آحاد منها الى ماتخشاه النفوس وتهابه القلوب ، وسلكوا تلك المسالك الوعرة ، فبلغوا بأممهم ، أقصى ما بلغت بهم هممهم ، مع الاعتماد على العناية الازلية في جميع سيرهم .

ماذا يريد العانون في خدمة الامم أو النوع الانسانى ، والمنفقون لحياتهم فى أعمال فادحة يعود نفعها على من تجمعه معهم جامعة الامة أو الملة أو يشاركهم فى النوع ، أليس قد جعل الله لكل شىء سببا ، أليس من سنة الله فى عباده أن لا تتجه الارادة البشرية الى حركة تصدر عن المريد الا بعد تصور غاية تعود الى ذاته وبعد اليقين أو راجح الظن بانه يستفيد الغاية من العمل ، فان كان الاجل يذهب في مساورة الآلام الروحية ، والعمر ينفد فى مناهدة الاوصاب البدنية ، فماذا يقصدون من أعمالهم ، ان كان يوجد في أبناء جلدتهم ، وذوى ملتهم ، من يساعد حوادث الكون على ايلامهم ، وممانعتهم فى مقاصدهم ، وصدهم

عن السعى فيما يرجع خيره الى أنفس المعارضين ، ويثخن فيهم جراح اللوم والتقريع والشماتة والتشنيع ، أو يدافعهم بالمكافحة والمنازلة فما الذى يبتغون من جدهم وكدهم ، لا لذة تجتنى ، ولا ألم يتقى ، فما هذا الباعث القوى الذى غلب الاهواء ، ولم يضعفه جهد البلاء .

نعم أودع الله فى الانسان ميلا أقوى من كل ميل ، وهو أخص خاصة فيه يمتاز بها عن غيره من الانواع ، وهو (حب المحمدة الحقة وحسن الذكر من وجوه الحق) أقول هذا تفاديا من حب المحمدة من أى وجه حقا كان أو باطلا ، وطاب الثناء بالزور والغش والرياء ، والظهور بمظاهر الاخيار ، مع تبطن سرائر الاسرار ، فان هذا من أسوأ الخلال ، وانما يعرض بعد اعتلال الفطرة وفساد الطبيعة . المحمدة هى الغذا الروحانى ، والمقوم النفسانى ، وكلما قرب الشخص من الكمال الانسانى تهاون بالشهوات أو ازدرى باللذائذ الحسية ، وقوى فيه الميل إلى المحمدة الباقية ، وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الاعمال ، تأمل ، ان الفاضل يرى له فى هذا العالم أجلين أقصرهما الاجل المحدود من يوم ولادته الى نهاية العمر المقدر ، والآخر أبعد من هذا نهاية ، وبدايته عند ما ينجم من عمله الصالح أثر

لمنفعة تشمل أمته أو تعم النوع الانسانى ، وغاية هذا الاجل عند ما يمحى أثره من الواح النفوس وصفحات التاريخ ، فللروح الفاضلة وجودان : وجود فى بدنها الخاص ، ووجود فى جميع الأبدان ، وهوما يكون بحلولها من كل روح محل الكرامة والتبجيل ، ولا ريب أن هذا الأجل الطويل ، وهذا الوجود العريض ، خير من ذاك الأجل القصير ، وذاك الوجود الكز[1] وحقيق بالانسان أن يبيع ما هو أدنى بالذى هوخير .

بطول بى الكلام فاقصر ، ان الله الذى وهب كل نوع ما به كماله وضع فى جبلة البشر ميلا إلى الحمد ، والهمهم تأدية حقه لمستحقه ، ألم تر انطلاق الالسن فى كل أمة بالثناء على كل من كان سبباً لها فى مجد ورفعة ، أو نهوض من سقطة ، أو توحيد كلمة ، أو تجديد قوة ، أو كمال فى فضيلة ، أو تقدم فى علم أو صنعة ، ويرسمونه فى الألواح ، ويسجلون مدحته فى بطون التواريخ ، ويرفعون له الهيا كل والتماثيل ، ويحفظون له ذكراً حميداً يتناقله الابناء عن الآباء ، حتى ينقرضوا وينقرض العالم .

اذا جحدت الامة حق العامل لها ، أوقصرت في إستحسان عمله ، ضعفت الهمم ، وقل السعى فى المصالح العامة ، وانقبضت

(١) الكز : اليابس والمنقبض ، والمراد هنا مالا خير فيه .

الايدى عن تعاطيها ، فهبطت شؤون الأمة ، فافترقت وماتت.

ان الله جل شأنه قرن كل حادث بسبب ، فاذا استوى لدى الامة الحسن والقبيح ، والطيب والخبيث ، والفضيلة والرذيلة ، والمصلحة والمفسدة ، وفقد منها التميز ، ولم تقدر أعمال العاملين حق قدرها ، ولم تعرف معروفا ، ولم تنكر منكرا ، سلبت آحادها الميل إلى المعالى والكمالات ، وكان هذا أشد نكاية بها من جور الظالمين ، وتغلب الغالبين ، ظلم الظالم لا يدوم ، وسطوة الغالب لا تثبت ، اذا كان جمهور الامة يقابل الاحسان بالاعتراف ، والفضل بالحمد ، فانه يوجد منها من يشترى هذه المكافأة بتخليصها وانقاذها ، وأما فقد هذا الاحساس الشريف ، فهو أشبه علة بالهرم ، لاعقبى له الا الموت والهلاك .

كيف لاتكون المدحة الحقة نعمة على النفوس الانسانية ، يسعى اليها الأعلون من بنى الانسان ، وقد أمتن الله بها على نبيه فيما يقول له (ورفعنا لك ذكرك) ، وكيف لا تكون حقاً تطالب به الطبيعة وقد سمح الله لمستحقها بالتحدث بنعم الاعمال الصالحات ، كما سوغ لنبيه ذلك في قوله (وأما بنعمة ربك فحدث)

قلب طرفك فى تواريخ الامم أقصاها وأدناها ، تجد برهانا قاطعاً على أن الامة متى بخست قيم الاعمال العالية ، وازدرى فيها بشأن الفضيلة ، فقدت مابه قوامها ، وانهدم بناؤها ، وذهبت كما ذهب أمس ، ولا جرم أن الكفران مقرون بزوال النعم .

يمكننى أن أختم كلامى هذا بكلمة شكر لهذه العصابة الطاهرة ، التى أقدمت في هذه الاوقات النحسة ، ووقفت على شفير الخطر ، وكتبت على نفسها السعى فى توحيد المسلمين ، ويسرنا أنا نرى عددها كل يوم فى ازدياد ، نسأل الله نجاح أعمالها وتأييد مقاصدها أنه نعم المولى ونعم النصير .

الشرف

كلمة يهتف بها أقوام مختلفة من الناس ، إلا أن أكثرهم عن حقيقة معناها غافلون ، فئة ترى الشرف فى تشييد القصور ، والتعالى في البنيان ، وزخرفة الحوائط والجدران ، ووفرة الخدم والحشم ، واقتناء الجياد ، وركوب العربات ، وفئة أخرى تتوهم أن الشرف فى لبس الفاخر من الثياب ، والتزين بألوان الالبسة وأنواعها ، والتحلى بحلى الجواهر الثمينة ، مرصعة بالاحجار الكريمة ، كالألماس والياقوت والزمرد ونحوها . وفئة تتخيل

الشرف فى الالقاب والرتب كالبيك والباشا ، أو في الوسامات المعروفة بالنياشين وعلو أسمائها كالاول من الصنف الفلانى ، والثانى من الدرجة الفلانية ، حتى أنك ترى الرجل يسلب مال أخيه ، وينهب ثروة أقاربه وذويه ، أو بني ملته ومواطنيه ، ليشيد بما يصيب من السحت قصراً ، ويرفع بناء ويزخرف بيتاً ، ويقيم له حراساً من المماليك ، وخفراء من الغلمان ، ويظن بذلك أنه نال مجداً أبديا وفخاراً سرمدياً ، وصح لحاله أن يعنون بعنوان الشرف ، وتجد الآخر يذهب فى الكسب أشنع مما يذهب الاول ليكتسى برفيع الثياب ، ويتزين بأجمل الحلى ، أو ليكون له من ذلك ما يفاخر به أمثاله ، ويتخيل أنه بلغ به درجة من الرفعة لا يدانى فيها ، ويعبر عن حاله هذا بلفظ الشرف ، ويتوهم أنه وصل الحقيقة من معناه — ومنهم ثالث يسهر ليله ويقطع نهاره ، بالفكر فى وسيلة ينال بها لقباً من تلك الالقاب ، أو يحصل بها وساما أو يستفيد وشاحا ، ولا واء عنده الوسائل يطلبها أيا كان نوعها ، وان أفضت إلى خراب بلاده ، أو تذليل أمته ، أو تمزيق ملته ، وعنده أنه رقى الذروة من معنى الشرف .

نحن نرى هذه الاوهام قائمة مقام الحقائق فى اذهان كثير

من الناس ولكن لا نظنها طمست عين الحق فيهم ، حتى عموا عن ادراك خطائهم وانحرافهم عن الصواب في وهمهم ، ماذا يجد من نفسه المباهى بقصوره ، وولدانه وحوره ، ألا يحس من أنه وان حاز منها أعلى مايتصوره العقل ، فذاته التي هي أعز لديه من جميع ما كسب لم تستفد شيئاً من الكمال ، وان جميع ماحصله فهو أجنبى عنه ، وليس له نسبة اليه إلا نسبة العناء في تحصيله ، ألا يرى أن كثيراً ممن بلغ مبلغه أو فاقه ، سلبتهم صروف الدهر ما بأيديهم ، فأصبحوا بصفاتهم وجواهر ذاتهم ، فان لم تكن على جانب من الكمال الانسانى انحرطت في سلك الطبقات السافلة ، ولم يبق لهم في القلوب منزلة ولا فى النفوس مكانة .

ماذا يشعر به المفاخر بحليه ولباسه اذا تجرد منه وخلى بنفسه ان لم يكن لذاته حلية من الفضيلة وزينة من الكمال ، ألا يكون هو وعراة الفقراء سواء وألا يجد من سره عند المفاخرة أنه يجول مع الغانيات وربات الخدور ، فى ميدان واحد ، ماذا يتصور الزاهى برتبته ، المعجب بوسامه ، إن لم يكن قبل وسمته أو الصعود لرتبته ، على حال تجل ، أو كمال يبجل ، أليس يشعر أنه لو سلب الوسام ، أو نزع عنه الوشاح ، يعود الى منزلته من

الاحتقار فان نال الكرامة عند بعض السذج واللقب معلق عليه ، أليس ذلك تعظيما للقب لا للملقب به ، الا تكون هذه الكرامة عارضا سريع الزوال ، بل رسما ظاهرا لا يمس بواطن القلوب .

نعم لهذه الالقاب الشريفة شأن يرتفع به النظر اذا سبق بعمل يعترف عموم العالم بشرفه ، وكان اللقب دليلا عليه أو مشيراً اليه ، كما يكون لمثلها حال يسقط به الاعتبار اذا تقدمها فعلة يمقتها العقلاء من النوع البشرى ، وكان الوسام أو اللقب عنوانا على ما اقترف كاسبه ، وعلامة على ما احترم .

انظر وتدبر ولا تخطى فما أنت من الصواب ببعيد ، ان عثمان الغازى الذى لقبه أعداؤه بأسد (بلاونه) نال رتبة ومنح لقبا ، وحظى بمكانة رفيعة بين الطبقة العليا من العظماء فى دولته بعد ما دفع بروحه للموت فى المدافعه عن ملته ، وجاهد فى إعلاء كلمة دينه ، بما شهد له الاعداء والاصدقاء ، وان بعض الامراء في ديار اسلامية علقت عليهم ألقاب شريفة من دولة كدولة الانكليز جزاء لهم على ما تقدموا أمام جيوش أعدائهم ، لافتتاح بلادهم ، حتى مكنوا الانجليز من ديارهم ، وجميع المسلمين الآن يكابدون الجهد في إيجاد الوسائل لخروجهم منها ، أين موقع

النيشان من صدر عثمان باشا الغازى من موقعه على صدور أولئك المخدوعين ، أظن رجع النظر بين الموقعين يثبت لك أن النيشان يشرف بشرف العمل الذى جعل دليلا عليه ويسقط بسقوطه

ماذا غر أولئك الواهمين على اختلافهم ، ألا يعلمون أن الثياب المعلمة بالدم ، الموشاة بالنجيع ، الملونة بالمهج ، هي التى حفظت للابسيها ذكرا حسناً لا ينقطع ، وأثراً مجيداً لا يمحى أن الذين ضرجوا بدمائهم فى طلب المجد لملهم ، هم الذين خشعت لذكرهم الاصوات ، وأجمعت على فضلهم خواطر القلوب ، ألم يصل اليهم أن الذين قضوا نحبهم فى غيابات الجب ، وانتهت حياتهم في ظلمات السجن ، لطلب حق مسلوب ، أو حفظ مجد موجود هم الذين سما ذكرهم الى شرف الشمس الاعلى ، وعلت اسماؤهم على جميع الاسماء ، أظن أن الذين كانوا في الغرفات العالية ينظرون الى جناتهم وحدائقهم ، ويشرفون على الناس من شرفات قصورهم ، وقصروا حياتهم على التمتع بما نالوا ، لم يبق لهم ذكر ولم يكن لهم فى حياتهم شان ، إلا ماهو محصور في دوائر بيوتهم ، ولا يختلف عنهم أولئك الذين كانوا يسحبون مطارف الرفه ويكتسون حلل الخز والديباج ، ذهبوا وذهبت معهم

أكسيتهم ، فارتدوا من حيث أتوا لايعلم متى جاءوا الى الدنيا ، ومتى انكشفوا عنها .

هل سمعنا أن أحداً يذكر بين بنى البشر بأنه نال نيشان كذا وحصل رتبة كذا ، نعم يقولون علم وعمل ، وأعطى وبذل ورفع ووضع ، وجاهد وكافح ، وأباد وأبقى ، وما يشاكل ذلك من الاعمال التى لها أثر ثابت ، اذا ذكر اسكندر الاكبر هل يخطر بالبال إن كان له قصر أو لا . أى أبله يطلب سيرة نابليون الاول في آثار قصر كان يسكنه ، أو في خرق ثياب كان يلبسها وهل بلغ عظماء العالم ما بلغوا من مقامات الشرف بعد ماشيدوا وزينوا وترفهوا وتنعموا أكان جميع ما ينالون من ذلك بعد أن يسودوا ويفتحوا ويغلبوا ويأخذوا بالنواصى . خدع قوم بالاحلام وغرتهم الاوهام ، ففرطوا فى شؤون بلادهم وباعوا مجدها الشامخ بتلك الاسماء التى لامسمى لها ، وزعموا ان لم تطاوعهم ضمائرهم انهم رقوا من مكانة الشرف وان كان خاصا بهم بعد ما علموا أن الرتب والنياشين جاوزت حدها ، وناالها غير أهلها ، فلو انهم اصغوا لما تحدثهم به سرائرهم ، وتعنفهم به خواطر أفئدتهم ، ورمقوا بأبصارهم ما يحيط بهم ، لعلموا أنهم فى أخس المنازل وأبعد المزاجر ، وأدركوا خطأهم فى معنى الشرف وجورهم عن

جادة الصواب فى طلبه ، لو أحسوا بما رزئت به أوطانهم ، وما لصق من الذل والعار بذراريهم ، لطرحوا الوشاحات ، ونبذوا الوسامات ، ولبسوا أثواب الحداد ، ونفروا خفافا وثقالا لطلب الشرف الحقيقى .

الشرف حقيقة محدودة كشفتها الشرائع ، وحددتها عقول الكاملين من البشر ، وليس لذى شاكلة انسانية أن يرتاب فى فهمها ، إلا من ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

الشرف بهاء للشخص ، يحوم عليه بالانظار ، ويوجه اليه الخواطر والافكار وجمال يروق حسنه فى البصاير والابصار ومشرق ذلك البهاء عمل يأتيه طالبه يكون له أثر حسن فى أمته أو بنى ملته ، أو فى النوع الانسانى عامة ، كانقاذ من تهلكة ، أو كشف لجهالة ، أو تنبيه لطلب حق سلب . أو تذكير بمجد سبق . وسؤدد سلق . أو انهاض من عثرة أو أيقاظ من غفلة أو إرشاد لخير يعم . او تحذير من شر يغم . او تهذيب اخلاق او تثقيف عقول . او جمع كلمة وتجديد رابطة او اعادة قوة . وانتشال من ضعف . أو إيقاد حمية أو حضو لغيرة

من أتى عملا من الاعمال له أثر من هذه الآثار فهو الشريف وان كان يسكن الخصاص والاكواخ . ويلبس الدلوق

والاسمال ، ويقتات بنبات البر ، ويبيت على تراب الفقر ، ويتوسد نشز الارض ، ويضرب فى كل واد ، ويتردد بين الربى والوهاد ، هذا له حلية من عمله ، وزينة من فضله ، وبهاء من كماله ، وضياء من جده ، يهدى اليه ضالة الالباب ، وتأهة الافئدة ، تعرفه المشاعر الحساسة ولا تنكره ، وتكتنفه دارات القلوب المتطايرة اليه ولا تنفصل عنه ، له من روحه قصور شاهقة ، وغرفات شائقة ، ومناظر رائقة ، وجمال باهر ، ونور زاهر ، لا يكاد يخفى حتى يظهر ، ولا يكاد يستتر حتى يبصر ، اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح ، يرفعه الى أعلى عليين ، حياة طيبة فى القلوب وعزة مشرقة فى جبهة الزمان (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

نعم قد ينبعث عليه من أرباب الطباع الفاسدة بعض الكرائه ، فيسلقونه بالألسنة ، ويرشقونه بسهام اللوم ، ولا تروق في أنظارهم أزهار اعماله ، ولا أنوار مزاهره ، لبعدها عن فهمهم ، وغرابتها على حواسهم ، لما ألفوه من الانكباب على تلك السفاسف الساقطة ، التى عدوها شرفا ، وحسبوها مجداً ، وقد بيناها كما كشفتها الشرائع وآراءها العقلاء ، وانما مثلهم مثل

الجعل ينفر من رائحة الورد ، ويألف روائح القذر ، لا يبعد أن يسخر بالعامل الفاضل أناس لاخلاق لهم ، أويقصده بالاضرار من لاذمة له،ولكنهم بأنفسهم يهزأون ، وبمصالحهم يضرون ، ولا يطول عليهم الزمان فى هذا العمى ، بل لا يلبثون اذا بدت الثمرة الشهية أن يهرعوا لاقتطافها ، ويطعموا من جناها ، ولا يسعهم بعد ذلك الا الحمد لغارس الشجرة ، وحافظ الثمرة ، وان كان دونهم فى تلك الزخارف التي لاقيمة لها فى نظر العاقل ثم يكون عقابهم على مافرط منهم ندما على الخطيئة ، وأسفا على السيئة وألماً فى قلوبهم تهيجه ذكرى ماقاموا من سوء عملهم ، وانكشاف نقصهم لدى وجدانهم ، هكذا تمنح العناية الالهية هذه الكرامة لصاحب العمل الشريف مادام حيا ، فاذا غابت شمسه عن أفق هذا العالم لم تحجب أشعة ضيائه التى فاضت منه على نجوم هاديات ، وبدور منيرات ، نعم أنه يموت ويتوارى خلف حجاب العدم بجسمه ، ولكنه قائم فى الافئدة ، شاهد على الألسنة ، حى يرزق عند ربه ، ونعمة الحياة حياته ، ولمثل هذا فليعمل العاملون

الامة وسلطة الحاكم المستبد

وما ظلمهم الله ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون

ان الامة التي ليس لها فى شؤونها حل ولا عقد ، ولا استشار فى مصالحها ، ولا أثر لارادتها ، فى منافعها العمومية ، وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ، ومشيئته نظام . يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، فتلك أمة لا تثبت على حال واحد ، ولا ينضبط لها سير . فتعتورها السعادة والشقاء . ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الغنى والفقر . ويتناوبها العز والذل . وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال . خيرها وشرها . فهو تابع لحال الحاكم فان كان حاكمها عالما حازما أصيل الرأى . على الهمة . رفيع المقصد قويم الطبع . ساس الامة بسياسة العدل . ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة . وفتح لها أبوابا للتفنن فى الصنائع . والحذق فى جميع لوازم الحياة . وبعث فى أفراد المحكومين روح الشرف والنخوة ، وحملهم على التحلى بالمزايا الشريفة من الشجاعة والشهامة واباء الضيم . والانفة من الذل ، ورفعهم الى مكانة عليا من العزة . ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير

وان كان حاكمها جاهلا سيء الطبع . سافل الهمة . شرها

مغتاما جبانا · ضعيف الرأى . أحمق الجنان . خسيس النفس معوج الطبيعة. اسقط الامة بتصرفه الى مهاوى الخسران، وضرب على نواظرها غشاوات الجهل . وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار فى سلطته عن جادة العدل · وفتح أبوابا للعدوان · فيتغلب القوى على حقوق الضعيف · ويختل التظام . وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة · ويغلب اليأس فتمتد اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها فى احشاء الامة ·

عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها، وأراد الله بها خيراً اجتمع أهل الرأى وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة . واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بزورها وأجزاءها السامة القاتلة بين جميع الامة ،فتميتها وينقطع الامل من العلاج · وبادروا الى قطع هذا العضو المجذم قبل أن يسرى فساده الى جميع البدن فيمزقه .وغرسوا لهم شجرة طيبة . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء .فانذرها بمضض العبودية · وعناء الذلة ووصمة العار بين الامم .جزاء على ما فرطوا فى أمورهم .وما ربك بظلام للعبيد

دعوة الفرس الى الاتحاد مع الافغان

اذا أراد الله بقوم خيراً جمع كلمتهم

سرنا من الجرائد الفارسية صدقها فى خدمة أوطانها واعتدالها في مشاربها ، وزادنا مسرة اهتمامها بترجمة بعض الفصول المهمة من جريدتنا ونقلها الى اللسان العذب الفارسى مما تظن فيه تنبيها لأفكار المسلمين ، واستلفاتا لعقولهم الى ما فيه خيرهم ، فلها منا ومن كل مخلص فى محبة ملته أوفر الشكر ، خصوصا جريدة (اطلاع) التى تطبع فى مدينة (طهران) وهذا المنهج القويم مما تعم به الفائدة فى جميع الاقطار الاسلامية ، فان جميعها بعد بلاد العرب ، وان اختلفت ألسنة سكانها باختلاف شعوبهم الا أنهم ينطقون باللغة الفارسية ، فهى في الشرق كاللسان الفرنساوى فى الغرب ، وكان بودنا ان يعززوا أفكارنا بما تجود به قرائحهم السليمة ، وأذهانهم الصافية ، ترشدهم اليه عقولهم العالية ، خصوصا فيما يتعلق بالدعاء للوحدة الاسلامية ، واحياء الرابطة المليّة ، بين المسلمين ، لا سيما فى الاتفاق بين الايرانيين والافغانيين

هاتان طائفتان هما فرعان لشجرة واحدة ، وشعبتان ترجعان لأصل واحد هو الأصل الفارسى القديم ، وقد زادهما ارتباطا اجتماعهما فى الديانة الحقة الاسلامية ، ولا يوجد بينهما الا نوع من الاختلاف الجزئى لا يدعو الى شق العصا ، وتمزيق نسيج الاتحاد ، وليس بسائغ عند العقول السليمة ان يكون مثل هذا التغاير الخفيف سبب فى تخالف عنيف

ليس ببعيد على همم الايرانيين وعلو أفكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية ، وتقوية الصلات الدينية ، كما قاموا فى بداية الاسلام بنشر علومه ، وحفظ أحكامه وكشف أسراره ، وما قصروا فى خدمة الشرع الشريف بأية وسيلة

نعم البخارى ومسلم والنيسابورى والنسائى والترمذى وابن ماجه وأبو داود والبغوى وأبو جعفر البلخى والكلينى وغيرهم ممن أنبتتهم أراضى ايران ، أبو بكر الرازى الطبيب الشهير والامام فخر الدين الرازى ممن نشأوا فى طهران ، أبو حامد الغزالى حجة الاسلام ، وأبو اسحق الاسفرايينى ، والبيضاوى ، وخواجه نصير الدين الطوسى ، والابهرى وعضد الملة والدين ، وغيرهم من علماء الكلام والاصول ممن تفتخر بهم بلاد فارس

وهم فخار المسلمين ، الفيلسوف الشهير أبو علي بن سينا ، وشهاب الدين المقتول ، ومن على شاكلتهم ممن جبلوا من تراب فارس ان أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط أصوله ، وتاسيس فنونه ، منهم سيبويه ، وأبو علي الفارسي ، والرضي ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني ، مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القرآن ، وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية ، وصاحب صحاح الجوهري من احدى قراهم ، ومجد الدين الفيروزابادي ، من احدى بلدانهم ، الزمخشري ، والسكاكي ، وأبو الفرج الاصفهاني ، وبديع الزمان الهمذاني ، وغيرهم ممن بينوا دقائق القرآن ، وشيدوا معالم الدين ، كلهم من أرض فارس

الطبري أول المؤرخين ، والاصطخري ، والقزويني ، أول الجغرافيين ، كانوا من بلاد فارس ، الشبلي كان من نهاوند ، وأبو يزيد البسطامي كان من بسطام ، والاستاذ الهروي وهو الاستاذ الحقيقي للشيخ محيي الدين بن العربي ، كان من هراة وكلها بلاد ايران

هل ينسى صدر الشريعة وفخر الاسلام البزدوي والآمدي ، والمرغيناني ، والسرخسي ، والسعد التفتازاني ، والسيد الشريف والابيوردي ، وكلهم من أبناء فارس ، من أين كان القطب

الشيرازى ، والصدر الشيرازى ، ورأس الحكمة في المتاخرين ميرباقر الداماد ، وميرفندركسى وغيرهم كانوا من بلادفارس ؟ أى فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى ، أى مزية من الله بها على الاسلام ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها ، نعم وفيهم جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو كان العلم فى الثريا لناله رجال من فارس)

فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم فى العلم ، وانظروا الى آثاركم فى الاسلام ، وكونوا للوحدة الدينية دعامة ، كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية ، أنتم بما سبق لكم أحق الناس بالسعى فى استرجاع ما كان لكم فى فتوة الاسلام ، أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس للوحدة الاسلامية ، وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم ، أظن لا يخفى عليكم ان هذا الوقت هو أحسن الاوقات لندائكم بالوحدة مع الافغانيين، والتحالف معهم على مقاومة العادين ، لتكونوا بالاتحادمعهم حصناحصينا ، وحرزاً منيعا ، تقف دونه أقدام الطامعين ، أظنكم لم تنسوا ان استيلاء الانكليز على الممالك الهندية ، انما تم بوقوع الخلاف بينكم وبين الافغانيين

هل يخفى عليكم ان كل مسلم فى الهند شاخص بصره الى

طرف بنجاب ينتظر قدومكم اذا اتحدتم مع اخوانكم الافغانيين حصلت لكم تجارب كثيرة وشهدتم من مظاهر الحوادث مافيه أكمل عبرة ، فهل يصح بعد هـذا أن تستمروا على التجافي والتباعد مع علمكم ان الوحدة منبت الشوكة

هذا آن التآخي والتوافق ، هـذه أوقات التحالف والتواثق ، أحاط الاعـداء ببلادكم ، شرقا وغرباً وكل يشحذ سيفه ويسدد سهمه ، حتى تمكنه الفرصة من شن الغارة على أطراف بلادكم ، فلو ضاعت الفرصة في هذا الوقت فربمـا لا تصاد فونها فى غيره ، الانكليز فى ارتباك شديد فى المسئلة المصرية مع ضعفهم فى القوة العسكرية ، ومتورطون باختلاف الدول عليهم ومعاكساتها لمقاصدهم

الأمير عبد الرحمن خان أمير افغانستان على ما نعهده من أول شبوبيته أشد الناس عداوة للانكليز ، وبينه وبينهم حزازات لا تزول ، بل نقول ان عـداوة الانكليز سارية فى عروق الافغانيين عموما ممتزجة بدمائهم ، فلو حصل الاتفاق الآن بين سلطنة الشاه وبين إمارة الافغان ، لوجدت قوة اسلامية جديدة فى المشرق بين سائر الطوائف الاسـلامية ، وينبعث فيهم وفي سائر المسلمين حياة جديدة ، وتتجدد لهم آمال جليلة ،

وتنتعش بذلك أرواح المؤمنين ، هذا وقت تنبهت فيه أفكار الافغانيين الى أعمال جيرانهم فى المسألة المصرية ، وتحركت فيهم السواكن ، وهي أعظم فرصة لاهل فارس فى دعوتهم للاتحاد معهم

هذا عمل من أجل الأعمال وأجزلها فائدة ، وإن من أكبر الفضل أن يقوم أهل الفضل من أهالى ايران بتحرير الفصول ونشر الرسائل فى بيان فوائد الاتفاق بين الطائفتين ، وان لذلك لأثراً عظيماً فى النفوس خصوصاً ان كانت من أقلام العلماء الاعلام ، والمجتهدين الكرام

العالم الانسانى عالم الفكر والكلام فأحكام الفكر الصالح ونشره فى الكتب والرسائل والجرائد مما يؤثر أجمل الاثر فى تهذيب الناس وتثقيف عقولهم ، وازالة الضغائن المفسدة لمعاشهم ومعادهم ، فاذا قام المستبصرون وخطبوا ووعظوا ، وكتبوا ونشروا ، مع الوقوف عند الحدود الدينية ، والاصول الشرعية ، كان فضل الله كافلا لهم النجاح

أى فرق بين الافغانيين واخوانهم الايرانيين ، كل يؤمن بالله وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، عبد الرحمن خان بما أكسبته التجارب أول من يتقدم لهذا الاتفاق ، ولانشك ان

شاه ايران لما اطلع عليه في سياحاته وشاهده في اسفاره لا يأبى المبادرة اليه والسعى فيه . ان البادىء بالعمل فى هذا المقصد الاسمى هو صاحب الفضل الاعظم بين المسلمين خصوصاً وبين العالم عموما ويجنى ثمرته فى وقت قريب

كان الالمانيون يختلفون في الدين المسيحى على نحو ما يختلف الايرانيون مع الافغانيين فى مذاهب الديانة الاسلامية ، فلما كان لهذا الاختلاف الفرعى أثر فى الوحدة السياسية ، ظهر الضعف فى الامة الالمانية ، وكثرت عليها عاديات جيرانها ، ولم يكن لها كلمة في سياسة أوربا ، وعند ما رجعوا الى أنفسهم وأخذوا بالاصول الجوهرية ، وراعوا الوحدة الوطنية في المصالح العامة ، أرجع الله إليهم من القوة والشوكة ما صاروا به حكام أوربا وبيدهم ميزان سياستها

رجاؤنا في الافاضل الكرام صاحب جريدة (فرهنك) الاصفهانية ، وصاحب جريدة « اطلاع » الطهرانية وسائر أرباب الجرائد الايرانية أن يوجهوا أفكارهم الى هذا المطلب الرفيع ، ويجعلوا له محلا فسيحا في جرائدهم ، وينشروها فى بلادهم ، وبلاد الافغان ، باللسان الفارسى ، وهو لسان الطائفتين ، وما هى الا أيام ثم نرى علائم النجاح ان شاء الله رب العالمين

امتحان الله للمؤمنين

الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

من الناس بل أغلب الناس من يقول آمنا . وللايمان آثار ثم يحسبون أن الله يتركهم وما يقولون ، ويدعهم وما يتوهمون ، ويعاملهم سبحانه وهو الحكم العدل بما يظنون فى أنفسهم قبل أن يبتليهم أيهم أحسن عملا ، حتى تظهر أنفسهم لانفسهم ، ويعلموا هل هم حقيقة مؤمنون أو هذه دعوى سولتها النفس ، وغرت بها الأمانى ، وانهم تائهون فى أوهامهم يحسبون أنهم على شىء ، وهم خلو من كل شيء ، ولما يدخل الايمان في قلوبهم . الا انهم في حسبانهم لمخطئون ، فلن يدع الله المغرور فى غيه حتى يبتليه فى دعوى الايمان ليعلم الله الذين جاهدوا ويعلم الصابرين ولئلا تكون للناس على الله حجة ، حاشا حكيما أنزل الكتب وأرسل الرسل ووعد واوعد ، وبشر وأنذر ، وقوله الصدق ، ووعده الحق ، أن يجازى من بنى عقيدته على خيال ليس له أثر ، وظن ليس له أساس ، بالسعادة السرمدية ، والنعيم الابدى ،

ان المغتر بزعمه ، الحائر فى ظلمات أوهامه الذى لا يسهل عليه الايمان احتمال المشاق وتجشم المصاعب فى سبيله، ليس بمعزل عن المنافقين الذين حكم الله عليهم بالشقاء الابدى والعذاب المخلد الايمان يغلب كل هوى ، ويقهر كل أمنية ، ويدفع بالنفس الى طلب مرضاة الله بلا سائق ولا قائد سواه . يقول الله وهو أصدق القائلين (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والله عليم بالمتقين ، انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) هذا قضاء الله وهذا حكمه على الذين يستأذنون في بذل أرواحهم وأموالهم في أداء فريضة الايمان ، حكم عليهم بأنهم لايؤمنون .

صدق الله وصدقت كتبه ورسله ان للعقائد الراسخة آثاراً تظهر في العزائم والاعمال وتأثيراً فى الافكار والارادات لا يمكن للمعتقدين أن يزيحوها عن أنفسهم ما داموا معتقدين ، هكذا الايمان فى جميع شؤونه وأطواره، له خواص لا تفارقه ، ونزعات لا تزايله ، وصفات جليلة لاتنفك عنه وخلائق عالية سامية لاتباينه ، بها كان يمتاز المؤمنون فى الصدر الاول وكان يعترف بمزيتهم وعلو منزلتهم من كانوا يجحدون عقيدتهم ، نعم هم الذين

صبروا فى نيران امتحان الله وابتلائه حتى ظهر ايمانهم ذهبا ابريزاً صافيا من كل غش ، وأعد الله لهم جزاء على صبرهم نعيما مقيما . ما أصعب ابتلاء الله وما أشد فتنته وما أدق حكمته فى ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب .

نعم ان دون ابتلاء الله خلع العادات ، وتحمل الصعوبات ، وبذل الاموال وبيع الارواح ، كل خطر فهو تهلكة ينبغي البعد عنها إلا فى الايمان ، فكل تهلكة فيه فهى نجاة ، وكل موت فى المحاماة عن الايمان فهو بقاء أبدى وكل شقاء فى أداء حقوق الايمان فهو سعادة سرمدية ، المؤمن يبذل ماله فيما يقتضيه ايمانه ولا يخشى الفقر ، وان كان الشيطان يعده الفقر ، ليس فى النفقة لأداء حق الايمان تبذير ولو أتت على كل مافي أيدى المؤمنين ، ان للمؤمن حياة وراء هذه الحياة ، وأن له لذة وراء لذاتها ، وأن له سعادة غير مايزينه الشيطان من سعادتها . هكذا يرى المؤمن ان كان الايمان مس قلبه ولو لم يبلغ العناية من كماله

ان الفرار من محنة الله في الايمان مجلبة للخزى الابدى . ان الفرار من صدمة جيش الضلال وأن بلغت أقصى ما يتصور موجب للشقاء السرمدى . لاسعادة إلا بالدين ودون حفظ الدين تتطاير الاعناق ، ان للايمان تكاليف شاقة وفرائض صعبة

الاداء إلاعلى الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، ان القيام بفرائض الايمان محفوف بالمخاطر ، مكتنف بالمكاره . كيف لا وأول مايوجبه الايمان خروج الانسان عن نفسه وماله وشهواته ووضع جميع ذلك تحت أوامر ربه ، لن يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه . أول احساس يلم بنفس المؤمن أنه في هذه الدنيا عابر سبيل الى دار أخرى خير من هذه الحياة وأبقى . وأول خطوة يخطوها المؤمن بذل روحه اذا دعاه داعى الايمان ، ولاداعى أرفع صوتا وأبين حجة من نداء الحق على لسان انبيائه . لا يقبل الله فى صيانة الايمان عذراً ولا تعلة مادامت الرجل تمشى والعين تنظر واليد تعمل . ان امتحان الله للمؤمنين سنة من سننه

ومن يضلل الله فما له من هاد

يوجد بين بنى البشر نفوس لم يرضها الاسلام ، ولم تقنع بالكفر ، تتلون تلون الحرباء ، وتتشكل تشكل الاغوال . وتتقلب تقلب الدهر الخؤون ، لا ترضى بحالى . ولا تنسج على منوال ، يضحكون وقت البكاء ، ويمرحون عند اشتداد اللأواء ، ويبكون لأوقات المسرة ، ويضجرون لسعة الرحمة ، مثلهم كمثل الحسك

المثلث الاضلاع ، كله شوك حيثما قلبته ، تراهم فى النهار مسلمين متقلبين بين مذاهب الاسلام يصبحون سنيين ويقيلون شيعيين ويقضون طرف اليوم وهابيين ، فاذا جن الليل رأيتهم دهريين اباحيين ، أولئك الذين غضب الله عليهم ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، منهم أناس من أرباب الجرائد الساقطة فى الهند يريدون ان يتزلفوا للحكومة الهندية الانكليزية بما فيه مضرة أوطانهم وأبناء الملة التى ولدوا فيها لينالوا من ظالميهم جائزة ما ، أو ليكون لهم فى دوائرهم اسم ما ، فأخذوا يؤولون بعض فصول العروة الوثقى ويحولونها عن وجهتها جهلا ، أو عناداً ولوما ، ويحرفون الكلم عن مواضعه على حسب أهوائهم الخسيسة ، وطباعهم الخبيثة ؛ قاتلهم الله أنى يؤفكون ، أولئك قوم عرفناهم وليس لهم بين قومهم شأن يعرفون به فليس يهمنا أمرهم . وانا نقدم الشكر للجرائد المهمة الهندية الناهجة في خدمة أوطانهم منهج الحق السالكة جادة الاعتدال على ماتعنى به من ترجمة فصول العروة الوثقى الى اللسان الهندى تعميما للفائدة فى ابناء أوطانها ، جزاها الله عن المسلمين خيراً

أسباب حفظ الملك

(أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور)

أهلك الله شعوباً ، وأباد قبائل ، ودمر بلاداً ، ولا يزال عدل الله يبدل قوما بقوم ويأتى لكل حين بأناس آخرين ، حكيم سبقت رحمته غضبه ، جعل لكل عمل جزاء ، وعين بحكمته لكل حادث سبباً (ولا يظلم ربك أحداً) وليست أفعاله جزافاً ، ولا يصدر عنه شيء عبثاً ، أمر الله عباده بالسير في الأرض (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ليريهم قضاءه الحق وحكمه العدل ، فيمن سلف ومن خلف ، فيطيعوا أوامره ، ويقفوا عند حدود شرائعه ، ويفوزوا بخير الدنيا وسعادة الآخرة ، من كان له قلب يعقل وعين تبصر ، وعقل يفقه ، وتتبع حوادث العالم ، وتدبر كيفية انقلاب الامم ، وخاض فى تواريخ الاجيال الماضية ، واعتبر بما

قص الله علينا فى كتابه المنزل ، يحكم حكما لا يخالطه ريب ، بأنه ما حاق السوء بأمة وما نزلت بها نازلة البلاء ، وما مسها الضر فى شيء إلا وكانت هى الظالمة لنفسها ، بما تجاوزت حدود الله وانتهكت حرماته ، ونبذت أوامره العادلة ، وانحرفت عن شرائعه الحقة ، وحرفت الكلم عن مواضعه ، وأولت من كلامه تعالى على حب الاهواء والشهوات

كما أن للأغذية والادوية ، واختلاف الفصول والاهوية ، أثراً ظاهراً في الامزجة بتقدير العزيز العليم ، كذلك اقتضت حكمة الله أن يكون لكل عمل من الاعمال الانسانية ، ولكل طور من أطوار البشر ، أثر فى الهيئة الاجتماعية ، ولهذا كان من رحمته بعباده تحديد الحدود ، وتقرير الاحكام ليتبين الخير من الشر ، ويتميز النفع من الضر ، فأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، فمن خالف الأوامر الالهية فقد ظلم نفسه ، فليستعد لجزى الدنيا وعذاب الآخرة

ان تأثير الفواعل الكونية فى أطوار الحياة قد يخفى سببه حتى على الطبيب الماهر ، أما تأثير أحوال بنى الانسان في هيئة اجماعهم ، فيسهل الوقوف على سره لكل ذى ادراك ، إن لم تكن عين بصيرته عمياء .

ألم تر أن الله جعل اتفاق الرأى فى المصلحة العامة والاتصال

بصلة الالفة فى المنافع الكلية سببا للقوة واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا ، والتمكن من الوصول لخير الابد فى الآخرة ، وجعل التنازع والتغابن علة للضعف ، وداعيا للسقوط فى هوة العجز عن كل فائدة دنيوية أو أخروية ، ومهيأ لوقوع المتنازعين فى مخالب العاديات من الامم ، فمن نظر نظرة فى أحوال الشعوب ماضيها وحاضرها ، ولم يكن مصاباً بمرض القلب ، وعمى البصيرة ، أدرك سر أمر الله فى قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) وسر نهيه فى قوله (ولا تفرقوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) أى جاهكم وعظمتكم وعلو كلمتكم

ان الله تعالى جعل الركون الى من لا يصح الركون اليه ، والثقة بمن لا تنبغى الثقة به ، سببا فى اختلال الامر وفساد الحال ، فمن وثق فى عمله بمن ليس منه فى شىء ، ولا تجمعه معه جامعة حقيقية ، ولا تصله به رابطة صحيحة ، وليس في طبعه ما يبعثه على رعاية مصلحته ، أو كتم سره ، ولا ما يحمله على بذل الجهد فى جلب منفعته ، ودفع المضار عنه ، فلا ريب يفسد حاله ، ويسوء مآله ، وإن كان ملكا ضاع ملكه أو أمير أبطل أمره والحوادث شاهدة ، وأحوال المغرورين ناطقة ، فمن لم يرزأ بعمى البصيرة يدرك بأول التفات سر نهى الله تعالى فى قوله (لا تتخذوا

عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) وقوله (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) وسائر نواهيه المبنية على الحكمة البالغة المرشدة الى مصالح الدارين .

لكل شخص في طبقته من أمته عمل مفروض عليه ، وواجب يلزمه القيام به ، ليحفظ بذلك لنفسه حياة طيبة فى هذه الدنيا ، ويعد لها ما لا صالحا فى الآخرة ، وهو انسان له قلب واحد ، لو جعل معظم همه فى شيء فانه سائر الأشياء ، فلو توغل فى الشهوات ، وبالغ فى الترف ، وبطر فيما أنعم الله عليه ، فقد أغفل فرائضه ، وأضر بنفسه ، وحرم من منافعه ، وحل به من عقاب الله أشد الوبال ، وخسر الدنيا والآخرة معاً ، وربما مست آثار أعماله بالسوء من يجاوره ، واحترق بناره الموقدة بفساد أخلاقه ، وانحرافه عن سنن الحق من يساكنه فى بلدته ، أو يواطنه فى مدينته ، وهذه آثار المترفين في كل أمة تنطق بما لا يعجم الا على أذن صماء ، وتشهد بما لا يخفى الا على بصيرة كمهاء ، وان فيما قص الله علينا من أحوال المترفين ، لأكبر عبرة (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم

لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ، حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون ، لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون ، ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) هذه عواقب اللاهين بحظوظهم عما أوجب الله عليهم (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)

ما أوتى الانسان من العلم الا قليلا ، لا يمكن لانسان وحده أن يحيط بوجوه المنافع الخاصة بنفسه ، ولا أن يطلع على منابع فوائده ليكسبها ، أو يكشف مكامن مضاره فيتقيها ، خلق الانسان ضعيفاً فارشده الله للاستعانة بغيره من بنى جنسه (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) خلقنا محتاجين للعون مضطرين للصبر وهدانا ربنا للتعاون والتناصر

هذا مما يحكم به العقل في المصالح الخاصة ، فكيف لو كان شخص ولاه الله رعاية أمة ، وألقى اليه بزمام شعب معالجه التامة تحت ارادته ، وهو الوازع فيه والواضع والرافع ، لا ريب أن مثل هذا الشخص أحوج الى المشورة والاستفادة من آراء العقلاء ، وهو أشد افتقاراً الى ذلك ممن يكون سعيه لمتعلقات ذاته ، وتكون سعة دائرة افتقاره الى التشاور على مقدار سعة

سلطانه ، وقدأمر الله نبيه وهوالمعصوم من الخطأ تعليما وارشاداً فقال (وشاورهم فى الأمر) وقال فيما امتدح به المؤمنين(وأمرهم شورى بينهم) أى بصر يزوغ عن هذا الصراط المستقيم ، أى بصيرة لا تهتدى الى هذا المنهج القويم (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين)

ان وازع البلاد والقائم على الملك لو لمح لمحة الى نفسه لرأى ان بلاده فى كل وقت معرضة لأطماع الطامعين ، وأن الحرص المودع فى طباع البشر ، يحرك جيرانه كل آن للسطوة على ممالكه ليذلوا قومه ، ويستعبدوا أهله ، ويستأثروا بمنافع أرضهم ، وثمار كدهم ، ويمنحوها أبناء جلدتهم ، فعليه وعلى من يشركه فى أمره من عماله ، والحكام النائبين عنه فى إيالاته ، وقواد جيشه ، وعلى كل أرباب الرأى ، ومن بهم قوام الملك ، ان يستعدوا لدفع طوارئ العدوان ، ورفع نوازل الغارات الأجنبية ، فلو فرطوا فى اعداد لوازم الدفاع ، أو تساهلوا فيما يكف عنهم سيل الاطماع ، أو تهاونوا فيما يشد قوتهم ، ويقوى شوكتهم ، بأى وجه كان ، ومن أى نوع كان ، فقد عرضوا ملكهم للهلاك ، وألقوا بأنفسهم فى مهاوى الاخطار

هذا مما يفهمه الابله والحكيم ، ويصل إليه ادراك الجاهل

والعليم ، وهو سر الافصاح والابهام في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أمر باعداد القوة ووكلها الى الطاقة وحكم الاستطاعة ، على حسب ما يقتضيه الزمان ، وما تكون عليه حالة من تخشى غوائلهم ، هذا أمر الله ينبه الغافل ، ويذكر الذاهل (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)

اعطاء كل ذى حق حقه ، ووضع الأشياء فى مواضعها ، وتفويض أعمال الملك للقادرين على أدائها ، مما يوجب صيانة الملك ، وقوة السلطان ، ويشيد بناء السلطة ، ويحكم دعائم السطوة ، ويحفظ نظام الداخل من الخلل ، ويشفى نفوس الامة من العلل ، هذا مما تحكم به بداهة العقل وهو عنوان الحكمة التى قامت بها السموات والأرض ، وثبت بها نظام كل موجود ، وهو العدل المأمور به على لسان الشرع فى قوله تعالى (ان الله يأمركم بالعدل والاحسان) كما ان الجور عن الاعتدال والميل عن سبيل الاستقامة فى كل جزء من أجزاء العالم يوجب فناءه واضمحلاله ، كذلك الجور في الجمعيات البشرية يسبب دمارها ، لهذا حثت الاوامر الالهية على العدل ، وكثر النهى فى الكتاب المجيد عن الظلم والجور ، والحكام أولى من توجه اليه الاوامر والنواهى فى هذا الباب ، العدل هو الحكمة التى امتن الله بها

على عباده ، وقرنها بالخير الكثير فقال (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) هى مظهر من أجل مظاهر صفاته العلية ، فهو الحكم العدل وهو اللطيف الخبير .

من سار فى الأرض ، وتتبع تواريخ الأمم ، وكان بصير القلب ، علم انه ما انهدم بناء ملك ، ولا انقلب عرش مجد ، إلا لشقاق واختلاف ، أو ثقة بمن لا يوثق به ، وتخلل العنصر الأجنبى ، أو استبداد فى الرأى ، واستنكاف عن المشورة ، واهمال فى اعداد القوة ، والدفاع عن الحوزة ، أو تفويض الاعمال لمن لا يحسن أداءها ، ووضع الاشياء فى غير مواضعها ، فيكون جور فى الحكم ، واختلال فى النظم ، وفى كل ذلك حيد عن سنن الله ، فيحل غضبه بالخاطئين ، وهو أحكم الحاكمين.

لو تدبرنا آيات القرآن ، واعتبرنا بالحوادث التى ألمت بالممالك الاسلامية ، لعلمنا ان فينا من حاد عن أوامر الله وضل عن هديه ، ومنا من مال عن الصراط المستقيم الذى ضربه الله لنا وأرشدنا اليه ، وبيننا من اتبع أهواء الانفس وخطوات الشيطان (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم) فعلى العلماء الراسخين وهم روح الامة ، وقواد الملة المحمدية ، أن يهتموا بتنبيه الغافلين

عن ما أوجب الله ، وايقاظ النائمة قلوبهم عما فرض الدين ، ويعلموا الجاهل ، ويزعجوا نفس الذاهل ، ويذكروا الجميع بما أنعم الله به على آبائهم ، ويستلفتوهم الى ما أعد الله لهم لو استقاموا ، ويحذروهم سوء العاقبة لو لم يتداركوا أمرهم بالرجوع الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ورفض كل بدعة ، والخروج عن كل عادة سيئة ، لا تنطبق على نصوص الكتاب العزيز ، ويقصوا عليهم أحوال الأمم الماضية ، وما نزل بها من قضاء الله عند ما حادت عن شرائعه ، ونبذت أوامره (فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

على العلماء أن يزيلوا اليأس بتذكير وعد الله ووعده الحق في قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) هذه وظيفة العلماء الراسخين وماهم بقليل بين المسلمين ، ولانظنهم يتهاونون فيما فوض الله إليهم ، ووكل الى ذمتهم ، وهم أمناء الدين وحملة الشرع ، ورافعوا لواء الاسلام ، وأوصياء الله على المؤمنين ، أعانهم الله على خير أعمالهم ، ونفع بهم المؤمنين بارشادهم .

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض
ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

للانسان عقل سمى ، وفكر على ، وحدث قوى ، وبراعة في الاستدلال ، ومهارة فى الاستنباط . ومع هـذا كله تراه فى رأيه عليلا ، ولا يصيب فى مقاصده إلا قليلا ، تشابه علل الحوادث في تنوعها يحول بين المرء وعلم الحوادث الآتيـة ، ويحجب عن نظره جادة الصواب ، فيخبط فى خطاء ويخوض فى عمه ، وتلتبس عليه المقدمات ، فتشتبه النتائج ، فيختل قياس الاستنباط ، هذا ما يحمل كثيراً من الناس على الحكم باستحالة ممكن ، أو امكان مستحيل . لو أن حاذقا بصيراً بفنون السياسة ، خبيراً وبأحوال الامم ، ذهب الى البلاد الهندية قبـل اليوم بأربعين سـنة ، وساح فى أرجائها ووقف على أحوال أولاد السلاطين المغوليين ؛ وماهم فيه من الذلة واحفاد تيبو سلطان وما أصابهم من الفقر والمسكنة ، وسلالة سلاطين (اوده) وما نزل بهم من الهوان ، ونوابى (كارناتك) وأمراء السند وماحل بهم من الصغار ، وتدبر شئون (مرتة) تلك القبيـلة العظيمة القاطنة في (فونا) و (ستارة) وما حولها ، وأحاط بالبـلاء

المنصب على غيرهم من سائر الأمراء والرجوات العظام ، ثم لاحظ سلطة الانكليز وتغلبهم على تلك البلاد وما أعدوه لقهرها من الآلات الحربية ، والحصون القوية ، وما هم عليه من الحذق في الحيل والخدع السياسية ، وما عليه رعاياهم من الضعف والعجز وسلامة القلب وغرة الجنان ولو أتى من الفكر في لواحق هذه الأحوال على غاية جهده لحكم بناء على ما لديه من المقدمات ، وما يحضره من الاقيسة ، بأن أولئك الأقوام وسلائل الأمراء وأحفاد السلاطين ، قد ضرب عليهم الذل الأبدى ، وسجلت عليهم العبودية السرمدية ، بل ربما ذهب به الوهم الى الحكم عليهم بتحتم الفناء ولزوم الاضمحلال ، فان الناظر فى شئونهم ما كان يحضره الا صولة الانكليز وسعة اقتدارهم ، وخضوع الهنديين وشدة عجزهم ، ما كان يخطر فى ذلك الوقت بخاطر أحد ان الايام تأتى بهذا الحادث الجديد

ان الروسية تقطع الفيافي من وراء بحر الخزر حاملة عواملها رافعة أعلامها ضاربة فى تلك البوادى . زاحفة الى حدود الهند ما كان يختلج في صدر أحد فى تلك الاوقات أن حرص الانجليز وطمعهم في الاستيلاء على مصر يوجب انحراف الدول عنهم ويقتضى قيام رجل السياسة (البرنس باسمارك) لجمع كلمة

الدول على مصادمتهم . ما كان يحوم في خيال ان قائما يسمى محمد احمد يقوم بدعوة دينية فى أعالى السودان وبعد ارغامه للانكليز مرات يحرك قلوب الهنديين ويوقظ نائمهم ، ويثير الساكن من خواطرهم وينهض الهمم ، ويحيي الآمال فيهم بعد القنوط وتنتشر دعوته فى أرجاء الهند ، نعم ومن أين يكون للانسان علم هذه الحوادث وهي محجوبة بستار الغيب ، فهو معذور فى أحكامه مقصور على أوهامه

نرى دوائر السوء تدور بالحكومة الانجليزية ، وقد تهيأت ضاريات الشر للوثبة عليها ، وليس لها حليف فى أوروبا ، وأن استئثارها بمنافع الامم ، وطمعها فى الاختصاص بمصالح العالم ، أبعد عنها الاصدقاء . ونفر منها الاولياء ، فكانت هذه السقطة بهزة لنهوض الروسية وتقدمها الى الحدود الهندية ، ومن مصلحة الدول في أوربا خصوصاً دولة الالمان على ما يظهر من جرائدها الرسمية أن تؤيد الروسية فيما تقصد من فتح الهند ، فان اندفاع السيل الروسى على تخوم الهند خير لأوربا عموما والمانيا خصوصا من انحداره الى بعض المواقع الاوربية وأنجع فى صيانة انسلم الاوربى اذا جاء يوم التصادم بين الروسيا والانكليز على جدود الهند وما هو ببعيد كان قضاء السوء على الجيش الانكليزى

فى الصدمة الاولى فيما نظن لقلة عدده ، ولأن العدد الغالب فيه من الهنديين الحرجة صدورهم المجروحة قلوبهم المتبرقبين لفرصة تمكنهم من الخروج على حكامهم الظالمين . فاذا وقعت الهزيمة اشتعلت نار الثورة فى عموم الهند ، ومحيت سلطنة الانكليز بأيدى الهنديين .

ليس من الممكن للروسية أن تستولى على الاقطار الهندية استيلاء مطلقا لأول وهلة فان البلاد واسعة أطرافها شاسعة تحتاج في أدارتها والمحافظة عليها الى ملايين من الناس يعسر عليها جلبهم من بلادها البعيدة ، نعم أن الانكليز تسلطوا على الهند ولكن فى أحقاب . فدولة الروسية ملجأة بحكم الضرورة الى تشكيل ممالك في الهند يديرها رجال من العائلات الملكية القديمة من أولاد سلاطين المغول وذرية سيبو سلطان وأمراء السند و (أوده) و (كارناتك) والمرتين وغيرهم وتكتفى دولة الروس بعقد محالفات تجارية بينها وبين تلك الممالك . وربما كانت هذه السيرة توافق بعض الامارات الاسلامية المستقلة وبعض ممالك المسلمين وقد يكون من مصلحة دولة إيران وأمارة أفغانستان أن تتفقا مع الروسية اتفاقاً يفيد كلا من المتحالفين .

ان الروسية ما جاءت الى مرو لتهلك عساكرها فى قفارها

ولا يصدها عن سيرها اخلاصها فى محبة الانجليز ولا ارتباطها معهم بعهد مع علمها أن لا عهد لهم . انما جاءت لتفتح باب التجارة مع أثرى قطر في المشرق وتهدم سلطان الانكليز فيه فان الاثرة الانكليزية ما تركت مصلحة تجارية تتمتع بها أمة من الامم . هذا عارض سوء على حكومة بريطانيا ولكنه سحاب رحمة على الهنديين بما انتقم الله لهم من عدوهم فبذلك فليفرحوا وليعد الامراء أنفسهم لما أعد الله لهم من العزة بعد الذلة والحرية بعد العبودية والخلاص من قهر حكومة لا ترحم صغيراً ولا توقر كبيراً .

لانظن ولن نظن أن يجد الانكليز لهم يوم التصادم نصيراً من دول أوربا ولا من دول المشرق ولا من الهنديين ولا من صنف من أصناف البشر لانه لاتوجد نفس تشعر بوجود حكومة الانكليز على سطح الارض إلا وقد مسها منهم شيء من الضر . ان حكومة الانكليز تشعر بقربها من هذا الخطر العظيم وتعلم أن ماينزل بها من المصاب فى الهند لايقتصر ضرره على حالها فيه ولكنه يزلزل جزائر بريطانيا فان حياتها ومجدها ليس إلا بالهند ، كيف لايشعر الانكليز بسوء عاقبتهم وهم يحسون بضعفهم فى القوى العسكرية وانحراف قلوب رعاياهم الهنديين عنهم واحتدامها غيظا عليهم عجل الله لهم ما فيه خير الضعفاء .

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

أزفت هجمة الروسية على الهند وسير الدول فى سياستها وحرصها على تقرير السلم في أوربا يمد الروس فى مقاصدهم ويهيء لهم الاسباب ويقرب مدة الوصول . هذا طور من السياسة جديد لو اتفقت فيه دولة ايران مع أمارة أفغانستان لكان لكل منها حظ وافر ونفع جزيل ، أن الروسية وان كانت تنصرها نفرة القلوب الهنديين من الانكليز إلا أن فى طريقها عقبات لا يذللها إلا موالاة الفرس والافغان . ان الهند بعيد من معسكرات الروس ودونه مسالك مجهولة وطرق ملتوية وليس الروس من الخبرة بها في شيء ، الروس في حاجة للمواصلة مع امراء الهند وفي ضرورة للوقوف على أخلاقهم ومجارى ميلهم ومواقع أهوائهم ولا سبيل يوصلهم الى ذلك إلا اشراك الفارسيين والافغانيين فى أعمالهم الحربية والسلمية . ليس من السهل على الروسية أن تستعين بدولة فارس وامارة الافغان على فتح أبواب الهند إلا أن تساهمهما في الغنيمة وتشركهما فى المنفعة وإلا كانا سداً محكما دون أهم غاياتها

كيف يمكن للروسية أن تخرق تلك الأجسام الآخذة بطريق الهند وهى مرابض الاسود . كيف تتوهم السلامة فى معابرها الضيقة اذا قصدت الاختصاص بالفريسة . ان الروسية لا تخفى عليها صعوبة الأمر ولا يغيب عنها ان كشف أمة عظيمة عن بلاد سكنتها أحقابا ونالت فيها أعلى مجد وأعظم فخار يعد من أعظم الاعمال ويحتاج لكثرة الاعوان والانصار وليس بين يديها من يصح به الاستنصار الا دولة الفرس وحكومة الافغان فليس من الحكمة فى العمل ان تختص دونهما بثمراته خصوصا وأنها لا تبتغى سوى فتح أبواب الهند للتجارة فعلى الافغانيين أن يرفعوا أبصارهم ويستقبلوا حظهم بفكر سديد وعقل رشيد ، ويتقدموا للاتفاق مع اخوانهم الايرانيين، فليس بينهم وبينهم ما يصح عليه الاختلاف في المصالح العمومية فالجميع من أصل واحد ، وتجمعهم رابطة واحدة . وهي أشرف الروابط « رابطة الدين الاسلامى » وليعلموا أن استمرارهم على التخالف فى مثل هذا الوقت ربما يجلب الضرر عليهم وعلى اخوانهم المسلمين من الهنديين . وعلى الفارسيين والافغانيين أن يراعوا الكلمة الجامعة والصلة الجنسية ولا يجعلوا الاختلاف الفرعى في المذهب سببا فى خفض الكلمة الاسلامية ، وقطع

الصلة الحقيقية ، فليس من العقل أن يقام من خلاف جزئى علة لاضمحلال الكل .

أظن أن قد علم كل من القبيلين أن الاختلاف بينهما هو الذى جلب على كل منهما ما جاب . هذا الخلاف الفرعى بينهم استعمله بعض السياسيين فى الازمان السابقة آلة للشقاق والمناوءات ، وربما جنوا من غرسهم ثماراً آتية ، ولكنه الآن لايثمر إلا الدمار والبوار ، وهذا مما لا أخاله يخفى على عاقل . لايجوز للأفغانيين في هذا الوقت أن يقفوا عند هذا الخلاف الفرعى فليجوزوه إلى الوحدة الأصلية فان الاخطار حاطتهم من كل جانب ، ولا منجاة لهم إلا بالاتفاق مع إخوانهم الفارسيين ، هذا وقت التآخى ، وهذه فرصة الالتئام ، ليس للافغانيين عذر ، ولالتعلله عندهم محل ، لاسيما وقد تولى الصدارة في الدولة الفارسية رجل عظيم القدر رفيع الشان ، واسع الذرفان ، لاتحجبه شؤون الكثرة ، عن ذات الوحدة ، ولا تقف به أطوار الناوين ، دون منازل التمكين ، ولاتشغله مظاهر الفرق عن مقامات الجمع ، يتجلى له الواحد فى مراتب الكثير ، وتتجلى له حقيقة الأحدية فى المنازل العددية ، فالاتحاد مشربه ،

والائتلاف مذهبه ، وعندى أنه الأب الرحيم لكل إيرانى بدون استثناء ، يسعى لجمع كلمتهم بلا ملاحظة اختلاف فى المذهب ، ولا تفارق فى الفروع ، وإنما يراعى الجامعة الحقة ، فعلى الافغانيين أن يمدوا سواعدهم فى هذه الأوقات لمحالفة إخوانهم ولا يضيعوا هذه الفرصة ، وعلى القبيلين أن يجعلوا وفاقهم سياجاً لأوطانهم ، وعدة لمكافحة أعدائهم ، ومنبعا فياضا لخير بلادهم ، فينالوا شرفا رفيعا ، ويورثوا اعقابهم مجداً مخلداً .

سنن الله فى الامم

وتطبيقها على المسلمين

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

تلك آيات الكتاب الحكيم ، تهدى الى الحق والى صراط مستقيم ، ولا يرتاب فيها الا القوم الضالون ، هل يخلف الله وعده ووعيده وهو أصدق من وعد ، وأقدر من أوعد ، هل كذب الله رسله ، هل وُدع أنبياءه وقلاهم ، هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال ، نعوذ بالله ! ! هل أنزل الآيات البينات لغواً وعبثا ، هل افترت عليه رسله كذباً ، هل اختلقوا

عليه افكا ، هل خاطب الله عبيده برموز لا يفهمونها ، واشارات لا يدركونها ، هل دعاهم اليه بما لا يعقلون ، نستغفر الله ! ! أليس قد أنزل القرآن عربيا غير ذى عوج ، وفصل فيه كل أمر وأودعه تبيانا لكل شيء ، تقدست صفاته وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا ، هو الصادق فى وعده ووعيده ، ما اتخذ رسولا كذاباً ، ولا أتى شيئاً عبثاً ، وما هدانا الا سبيل الرشاد ، ولا تبديل لآياته ، تزول السموات والأرض ولا يزول حكم من أحكام كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

يقول الله (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، ويقول ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين ، وقال ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) هذا ما وعد الله فى محكم الآيات مما لا يقبل تأويلا ، ولا ينال هذه الآيات بالتأويل ، الا من ضل عن السبيل ، ورام تحريف الكلم عن مواضعه ، هذا عهده الى تلك الأمة المرحومة ، ولن يخلف الله عهده ، وعدها بالنصر والعزة وعلو الكلمة ، ومهد لها سبيل ما وعدها الى يوم القيامة ، وما جعل لمجدها أمداً ، ولا لعزتها حداً

هذه أمة أنشأها الله عن قلة ، ورفع شأنها الى ذروة العلى ،

حتى ثبتت أقدامها على قنن الشامخات ، ودكت لعظمتها عوالى الراسيات ، وانشقت لهيبتها مرائر الضاريات ، وذابت للرعب منها أعشار القلوب ، هال ظهورها الهائل كل نفس ، وتحير فى سببه كل عقل ، واهتدى الى السبب أهل الحق فقالوا : قوم كانوا مع الله فكان الله معهم ، جماعة قاموا بنصر الله واسترشدو بسنته فأمدهم بنصر من عنده ، هذه أمة كانت فى نشأتها فاقدة الذخائر ، معوزة من الاسلحة وعدد القتال ، فاخترقت صفوف الأمم واختطت ديارها ، ولا دفعتها أبراج المجوس وخنادقهم ، ولا صدتها قلاع الرومان ومعاقلهم ، ولا عاقها صعوبة المسالك ، ولا أثر فى همتها اختلاف الأهوية ، ولا فعل فى نفوسها غزارة الثروة عند من سواها ، ولا راعها جلالة ملوكهم ، وقدم بيوتهم ، ولا تنوع صنائعهم ، ولا سعة دائرة فنونهم ، ولا عاق سيرها أحكام القوانين ، ولا تنظيم الشرائع ، ولا تقلب غيرها من الأمم فى فنون السياسة ، كانت تطرق ديار القوم فيحقرون أمرها ، ويستهينون بها ، وما كان يخطر ببال أحد ان هذه الشرذمة القليلة تزعزع أركان تلك الدول العظيمة ، وتمحو أسماءها من لوح المجد ، وما كان يخلج بصدر ان هذه العصابة الصغيرة ، تقهر تلك الأمم الكبيرة ، وتمكن فى نفوسها عقائد

دينها ، وتخضعها لأوامرها وعاداتها وشرائعها ، لكن كان كل ذلك ونالت تلك الأمة المرحومة على ضعفها ، ما لم تنله أمة سواها ، نعم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفاهم أجورهم مجداً في الدنيا ، وسعادة في الآخرة

هذه الأمة يبلغ عددها اليوم زهاء مائتي مليون من النفوس ، وأراضيها آخذة من المحيط الاتلانتيكي الى احشاء بلاد الصين ، تربة طيبة ، ومنابت خصبة ، وديار رحبة ، ومع ذلك نرى بلادها منهوبة ، وأموالها مسلوبة ، تتغلب الأجانب على شعوب هذه الأمة شعباً شعباً ، ويتقاسمون أراضيها قطعة بعد قطعة ، ولم يبق لها كلمة تسمع ، ولا أمر يطاع ، حتى ان الباقين من ملوكها يصبحون كل يوم في ملمة ، ويمسون في كربة مدلهمة ، ضاقت أوقاتهم عن سعة الكوارث التي تلم بهم ، وصار الخوف عليهم أشد من الرجاء لهم

هذه هي الأمة التي كانت الدول العظام يؤدين لها الجزية عن يد وهن صاغرات ، استبقاء لحياتهن ، وملوكها في هذه الأيام يرون بقاءهم في التزلف الى تلك الدول الاجنبية ، يا للمصيبة ويا للرزية

أليس هذا بخطب جلل ، أليس هذا ببلاء نزل ، ما سبب

هذا الهبوط ، وما علة هذا الانحطاط ؟ هل نسيء الظن بالوعود الالهية ، معاذ الله هل نستيئس من رحمة الله ونظن ان قد كذب علينا ، نعوذبالله ! هل نرتاب فى وعده بنصرنا بعد ان أكده لنا ، حاشاه سبحانه ، لا كان شيء من ذلك ولن يكون فعلينا أن ننظر لأنفسنا ولا لوم لنا الا عليها ، ان الله تعالى برحمته قد وضع لسير الأمم سننا متبعة ، ثم قال : (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

أرشدنا سبحانه فى محكم آياته الى أن الأمم ماسقطت من عرش عزها ، ولابادت ومحى اسمها من لوح الوجود ، الابعد نكوبها عن تلك السنن التى سنها الله على أساس الحكمة البالغة ، ان الله لايغير مابقوم من عزة وسلطان ، ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة ، حتى يغير أولئك القوم ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر ، واشراق البصيرة والاعتبار بأفعال الله فى الأمم السابقة ، والتدبر فى أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدمار ، ثم لعدولهم عن سنة العدل ، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة ، حادوا عن الاستقامة فى الرأى ، والصدق في القول ، والسلامة فى الصدر ، والعفة عن الشهوات ، والحمية على الحق ، والقيام بنصره ، والتعاون

على حمايته ، خذلوا العدل ولم يجمعوا هممهم على اعلاء كلمته ، واتبعوا الاهواء الباطلة ، وانكبوا على الشهوات الفانية ، وأتوا عظائم المنكرات ، خارت عزائمهم ، فشحوا ببذل مهجهم فى حفظ السنن العادلة ، واختاروا الحياة فى الباطل على الموت في نصرة الحق ، فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين

هكذا جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلى بالفضائل التى أشرنا اليها ، وجعل هلاكها ودمارها فى التخلى عنها ، سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الامم ، ولا تتبدل بتبدل الاجيال ، كسنته تعالى فى الخلق والايجاد ، وتقدير الارزاق وتحديد الآجال ، علينا أن نرجع الى قلوبنا ، ونمتحن مداركنا ، ونسبر أخلاقنا ، ونلاحظ مسالك سيرنا ، لنعلم هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالايمان ، هل نحن نقتفى أثر السلف الصالح ، هل غير الله مابنا قبل ان نغير ما بأنفسنا ، وخالف فينا حكمه وبدل فى أمرنا سنته ، حاشاه وتعالى عما يصفون ، بل صدقنا الله وعده ، حتى اذا فشلنا وتنازعنا فى الامر وعصيناه من بعد ما أرى أسلافنا مايحبون ، وأعجبتنا كثرتنا فلم تغن عنا شيئاً ، فبدل عزنا بالذل ، وسمونا بالانحطاط ، وغنانا بالفقر ، وسيادتنا بالعبودية ، نبذنا أوامر الله ظهريا ، وتخاذلنا عن نصره ، فجازانا بسوء أعمالنا ، ولم

يبق لنا سبيل الى النجاة سوى التوبة والانابة اليه ، كيف لانلوم أنفسنا ونحن نرى الاجانب عنا يغتصبون ديارنا ، ويستذلون أهلها ، ويسفكون دماء الابرياء من اخواننا ، ولانرى فى أحد منا حراكا .

هذا العدد الوافر والسواد الاعظم من هذه الملة لايبذلون فى الدفاع عن أوطانهم وأنفسهم شيئاً من فضول أموالهم ، يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، كل واحد منهم يود لو يعيش ألف سنة ، وان كان غذاؤه الذلة ، وكساؤه المسكنة ، ومسكنه الهوان ، تفرقت كلمتنا شرقا وغربا ، وكاد يتقطع مابيننا ، لايحن أخ لاخيه ، ولا يهتم جار بشأن جاره ، ولا يرقب أحدنا فى الآخر الاًّ ولا ذمة ، ولا نحترم شعائر ديننا ، ولا ندافع عن حوزته ، ولا نعززه بما نبذل من أموالنا وأرواحنا حسبما أمرنا

أيحسب اللابسون لباس المؤمنين ان الله يرضى منهم بما يظهر على الالسنة ولا يمس سواد القلوب ، هل يرضى الله عنهم بأن يعبدوه على حرف ، فان أصابهم خير أطمأنوا به ، وان أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة ، هل ظنوا أن لا يبتلى الله ما فى صدورهم ، ولا يمحص ما فى قلوبهم ، ألا يعلمون ان الله لا يذر المؤمنين على ماهم عليه حتى

يميز الخبيث من الطيب ، هل نسوا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم للقيام بنصره واعلاء كلمته ، لايبخلون فى سبيله بمال ، ولا يشحون بنفس ، فهل لمؤمن بعد هذا أن يزعم نفسه مؤمنا وهو لم يخط خطوة في سبيل الايمان ، لا بماله ولا بروحه

انما المؤمنون هم الذين اذا قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لا يزيدهم ذلك الا إيمانا وثباتا ، ويقولون في اقدامهم حسبنا الله ونعم الوكيل ، كيف يخشى الموت مؤمن وهو يعلم أن المقتول فى سبيل الله حى يرزق عند ربه ، متمتع بالسعادة الابدية ، فى نعمة من الله ورضوان ، كيف يخاف مؤمن من غير الله ، والله يقول (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)

فلينظر كل الى نفسه ولا يتبع وساوس الشيطان ، وليمتحن كل واحد قلبه قبل أن يأتى يوم لا تنفع فيه خلة ولا شفاعة ، وليطبق بين صفاته وبين ما وصف الله به المؤمنين ، وما جعله الله من خصائص الايمان ، فلو فعل كل منا ذلك لرأينا عدل الله فينا واهتدينا ، ياسبحان الله ، ان هذه أمتنا أمة واحدة ، والعمل فى صيانتها من الأعداء أهم فرض من فروض الدين عند حصول الاعتداء ، يثبت ذلك نص الكتاب العزيز ، واجماع

الامة سلفا وخلفا ، فما لنا نرى الاجانب يصولون على البلاد الاسلامية ، صولة بعد صولة ، ويستولون عليها دولة بعد دولة ، والمتسمون بسمة الايمان آهلون لكل أرض ، متمكنون بكل قطر ، ولا تأخذهم على الدين نغرة ، ولا تستفزهم للدفاع عنه حمية ، ألا يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن ، وتعلموا بما فيه من الاوامر والنواهى ، وتتخذوه إماما لكم فى جميع أعمالكم ، مع مراعاة الحكمة في العمل ، كما كان سلفكم الصالح ، الا يأهل القرآن هذا كتابكم فاقرأوا منه (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) ألا تعلمون فيمن نزلت هذه الآية ، نزلت فى وصف من لا ايمان لهم ، هل يسر مؤمنا أن يتناوله هذا الوصف المشار اليه بالآية الكريمة أو غر كثيرين من المدعين للايمان مازين لهم من سوء أعمالهم ، وما حسنته لديهم أهواؤهم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

أقول ولا أخشى نكيراً ، لا يمس الايمان قلب شخص الا ويكون أول أعماله تقديم ماله وروحه في سبيل الايمان ، لا يراعى فى ذلك عذراً ولا تعلة ، وكل اعتذار فى القعود عن

نصرة الله فهو آية النفاق وعلامة البعد عن الله

مع هذا كله نقول ان الخير فى هذه الأمة الى يوم القيامة كما جاءنا به نبأ النبوة ، وهذا الانحراف الذى نراه اليوم نرجو أن يكون عارضاً ، يزول ولو قام العلماء الاتقياء وأدوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأحيوا روح القرآن ، وذكروا المؤمنين بمعانيه الشريفة ، واستلفتوهم الى عهد الله الذى لا يخلف لرأيت الحق يسمو والباطل يسفل ، ولرأيت نوراً يبهر الأبصار ، وأعمالا تحار فيها الافكار ، وان الحركة التى نحسها من نفوس المسلمين فى أغلب الاقطار ، هذه الأيام تبشرنا بأن الله قد أعد النفوس لصيحة حق يجمع بها كلمة المسلمين ، ويوحد بها بين جميع الموحدين ، ونرجو أن يكون العمل قريبا ، فان فعل المسلمون وأجمعوا أمرهم للقيام بما أوجب الله عليهم ، صحت لهم الأوبة ، ولصحت منهم التوبة ، وعفا الله عنهم ، والله ذو فضل على المؤمنين ، فعلى العلماء أن يسارعوا الى هذا الخير ، وهو الخير كله : جمع كلمة المسلمين ، والفضل كل الفضل لمن يبدأ منهم بالعمل (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً)

الوهم

اللهمَّ اكشف عن بصائرنا ستار الأوهام حتى نرى الحقائق كما هى كيلا نضل ونشقى

ألا قاتل الله الوهم ، الوهم طوراً يكون مرآة المزعجات ، ومجلى المفزعات ، وطوراً يكون ممثلا للمسرات ، حاكياً للمنعشات ، وهو فى جميع أطواره حجاب الحقيقة ، وغشاء على عين البصيرة ، لكن له سلطان على الارادة ، وحكم على العزيمة ، فهو مجلبة الشر ، ومنفاة الخير

الوهم يمثل الضعيف قويا ، والقريب بعيدا ، والمأمن مخافة ، والموئل مهلكا ، الوهم يذهل الواهم عن نفسه ، ويصرفه عن حسه ، يخيل الموجود معدوماً ، والمعدوم موجوداً ، الواهم فى كون غير موجود ، وعالم غير مشهود ، يخبط فيه خبط المصروع ، لا يدرى ماذا أدركه وماذا تركه ، الوهم روح خبيث يلابس النفس الانسانية وهي فى ظلام الجهل ، اذا خفيت الحقائق تحكمت الأوهام ، وتسلطت على الارادات ، فتقود الواهمين الى بيداء الضلالة ، فيخبطون في مجاهيل ، لا يهتدون الى سبيل ، ولا يستقيمون على طريق

كان الانكليز أمة مجتمعة القوى ، مستكملة العدد مستعدة للفتوحات ، وذلك في زمان بليت فيه الأمم الشرقيـة بتفريق الكلمة ، واختلاف الأهواء ، وحجبت بالجهل عن معرفة أحوال الغربيين وصنائعهم وعوائدهم ، فكان الشرقيون يعدون كل غريبة معجزة ، وكل بديع من الاختراع سحراً أو كرامة ، فانتهز الانكليز تلك الفرصة و تدفعوا الى الشرق وبسطوا سلطتهم على غالب أرجائه ، وما دهموا سكانه الا ببعض غرائب الصنعة الاوربية التي أثارت فيهم خواطر الاوهام ، ثم زاد الوهم قوة ما نصبه الانكليز من حبائل الحيلة ، والمكر حتى خلبوا قلوب المساكين وأذهلوهم عما في أيديهم ، بل أخذوهم عن عقولهم وخطرات قلوبهم ، فسلبوا أموالهم ، وانتزعوا منهم أراضيهم ، وأجلوهم عن أملاكهم ، فاستغنت الأمة الانكليزية بما سلبت ، وأثرت بما نهبت ، وترفهت بما ملكت . واليوم تراها حاكمة على أقطار واسعة ، وأنحاء شاسعة ، وقواها منقسمة على تلك الاقطار ، متوزعة فيها فلا ترى في كل إيالة من إيالاتها الشرقية إلا نزر من العدد والعدد ، وهي في جميعها ضعيفة واهنة ، لا تستطيع ذوداً ولا دفاعا ، وان أخف حركة في تلك الانحاء توجب زعزعة في تلك القوة أو هدمها بالمرة ، وقد ظهر هذا

الامر على أنفس الامة الانكليزية ، فهى دائما فى رجفة على أملاكها ، فى خيفة من تمزقها وضياعها ، تتوجس من كل حادثة في العالم ، وتقلق لأية حركة تحدث فى الوجود ، وكل ملمة تلم بالشرق أو الغرب توجب بحدوثها زلزلة فى قوى الانكليز المتوزعة في الانحاء الضعيفة فى جميع الارجاء .

ومع هذا كله نرى الامر لم يزل خفيا على الشرقيين ، محجوبا عنهم بحجاب الوهم ، يمثل الوهم لكل شرقى ان الانكليز على ما كانوا عليه فى ماضى زمانهم ، فمثل الشرقيين مع الانكليز كمثل مار فى مفازة يرى بها جثة أسد مطروحة على طريقه فاقدة الحياة عديمة الحراك فيتوهمها سبعا ضاريا ومفترسا قويا فينكب عن الطريق وهماً وريبة بدون تحقيق لما تخوف منه ، يرتعد ويسقط ويموت خوفا أو يضل بعد ذلك عن الجادة وتشبه عليه مسالك الوصول الى غايته وربما صادف مهلكة فى ضلالة ومتلفة في غيه ، بل لا نخطىء ان قلنا ان هذا الوهم كان متسلطا على الغربيين كما هو متسلط على الشرقيين ، فالأوربيون كانوا ينظرون الى انكلترا فى أملاكها البعيدة كما ينظرون اليها فى جزائر بريطانيا وكانت حكومة انكلترا متحصنة ممتنعة في هذه القبة الوهمية ، متربعة على عرش هذه العظمة

الخيالية ، يحس الانكليز بضعف قوتهم فيجتهدون دائما فى ستره ولا ستار أكثف من الوهم ، ولهذا نراهم فى كل حادثة يجلبون ويصيحون ويزأرون ليثيروا بالضوضاء هواجس الاوهام ، فتحول أنظار الناظرين ، وتغشى بصائر المستبصرين ، فتحول دون استطلاع الحقيقة ، والا فقليل من الالتفات يكشفها فتقوم قيامة الخراب على الانكليز

ذهب الانكليز الى الهند فى قوى مجتمعة وتسابقوا مع الفرنساويين وهولاندا والبرتغال فى مدان الاراضى الهندية الواسعة فحازوا فى هذه المباراة قصب السبق بما امتازوا به من الدهاء والمكر ، وبما ساعدهم على ذلك من غفلة الهنديين لذاك العهد أو طيب قلوبهم ، فمالت النفوس الى الانكليز اغتراراً ، وتغلبوا على تلك البلاد واستقلوا بأمرها شيئاً فشيئاً وما أبقوا لغيرهم من الدول الا مضائق من الارض لا تذكر ، وأول ما استمالوا به القلوب السالمة قولهم اننا نريد تخليصكم من هذه الدول الظالمة (فرانسا وهولاندا وبورتغال) فانها تريد التسلط على ممالككم ، أما نحن (الانكليز) فلا نريد الا تحريركم واستقلالكم . ثم انا نرى للانكليز الآن فى الهند الاصلية والهند الصنية والبرمان سلطة على نحو مائتين وخمسين مليونا من

النفوس جميعها كاره لتلك السلطة الانكليزية ، طالب للتخلص منها ، يفضل أية سلطة سواها ، ظالمة كانت أو عادلة ، كأنما يتصور كل واحد من أفراد تلك الامم انه لا توجد حكومة في العالم تبلغ في ظلمها مبلغ الانكليز ، ولا تصل الى ما وصل اليه الانكليز فى الكبرياء والجبروت ، ولكن مع هذه البغضاء الآخذة بقلوب أولئك الرعايا ، ومع سعة ديارهم وتباعد أرجائها ، وشدة ميلهم للتملص من تلك السلطة الظالمة ، لا يوجد فيهم قوة تقهرهم على الخضوع لتلك الحكومة المبغوضة إلا خمسون ألف جندى انكليزى ، مع انه يوجد من الممالك الصغيرة التى لها نوع من الاستقلال ونخشى زوال ما بقى لها مالو جمعت قواها لبلغت أزيد من ثلاثمائة ألف جندى ، هذا فضلا عمن يمكنه حمل السلاح من أهالى البلاد التى دخلت فى الحكومة الانكليزية وزال استقلالها بالمرة ، فلولا الوهم الذى استولى على المشاعر والحواس حتى أذهلها عما بين يديها ، بل عما هو موجود فيها ، مابقيت هذه النفوس الكثيرة العدد الفائقة القوة فى قبضة قوم ضعاف يسومونهم عذاب الذل والهوان ، ولولمح أولئك المساكين أنفسهم لمحة اعتبار ، وأدركوا ما أتاهم الله من القوة الطبيعية ، ونظروا الى ضعف الانكليز

فى الحالة الحاضرة لرأوا موئل الخلاص بين أيديهم ، وملجا النجاة تحت أرجلهم ، وعلموا أن استقلالهم لانفسهم وبلادهم ، لايحتاج الى تجشم تعب ولا تكلف مشقة ، ولا يدعو الى بذل أموال وافرة ، ولا سفك دماء غزيرة .

يوجد فى الدول الأوربية من يهاب دولة الانكليز اعتبارا لما فى سلطتها من الممالك الواسعة والامم العظيمة مما لم يبلغ عده رعية دولة من الدول ويقيس شأنها وقوتها فى تلك الاطراف القاصية بما يراه في جزائر بريطانيا ويظن انها قدرة على الدفاع عن تلك الممالك تساوى قدرتها عليه في بريطانيا أو تقرب منها . ولم يلتفت الى ان جسم الانكليز قد مد في الطول والعرض الى حد لوحصلت فيه أدنى هزة لتقطعت أوصاله (رق حتى انقطع) تفرقت قواهم فى بسيط الأرض حتى لم تبق لهم فى موضع قوة ورعاياهم في كل صقع فى ضجر لا مزيد عليه يترقبون فى كل آن زحفا من خارج يعينهم على ما يقصدون من النكاية بحكامهم الظالمين ، لو التفتت تلك الدولة التى تهاب انكلترا إلى حقيقة الأمر لما احتاجت فى معارضتها ومنازلتها إلى تدبر ولا مشورة ، فقد وصل الأمر من الظهور إلى حد لا يحتاج إلى دقة الفكر لولا حجاب الوهم . قاتل الله الوهم .

ان العثمانيين ينظرون إلى دولة الانكليز كما ينظرون الى دولة الروس مع ملاحظة أن دولة انكلترا تحكم على مائتين وخمسين مليونا من النفوس فيظنون لهذا النظر أن معارضة هذه الدولة ربما تجلب الضرر ، وليتهم مدوا أنظارهم الى ما وراء ذلك ليتبين لهم قوتها العسكرية ، وماذا يمكنها أن تسوق من الجنود الى ميادين القتال ، ويتضح لهم أن هذه الملايين الكثيرة لا اعتداد بها فى قوة دولة انكلترا ، فانما هي فى الحقيقة قوة لأعدائها عليها ، وهى فى ارتقاب الفرص لخلع طاعتها ، فمتى ارتبكت دولة انكلترا بالحرب مع دولة أخرى رأيت مائتين وخمسين مليونا تقاتل عساكر الانكليز خصوصا خمسين مليونا من المسلمين فى حكومة انكلترا يعدون الدولة العثمانية قبلة لهم وملاذاً يلجؤن اليه وهم أول قوم حربيين فى البلاد الهندية . ليت العثمانيين يعلمون أن دولة انكلترا انما تستميل المسلمين فى الهند وبكونها حليفة الدولة العثمانية ونصيرة لها ومدافعة عن حقوقها . أما والله لو علم العثمانيون مالهم من السلطة المعنوية على رعايا الانكليز واستعملوا تلك السلطة استعمال العقلاء لما تجرعوا مرارة الصبر على تحكمات الانكليز وحيفهم فى أعمالهم، وتعديهم على حقوق السلطان فى مثل المسالة المصرية التى هى

فى الحقيقة أهم مسئلة عثمانية أو إسلامية .

ان سكنة مصر كانوا أيام عرابى على قسمين ، قسم يروم حفظ الحالة القديمة والوقوف عند ما يرسم به توفيق باشا ، وقسم كان يميل بأحد جانبيه إلى عرابى ، ويهاب بالجانب الآخر ساطة الرسم القديم ، فكان هذا القسم الثانى فى ريبة من أمره . ولا عزيمة من الريب . والقسم الأول مخلد إلى الفشل فدخل الانكليز بلا حرب حقيقية ، نوع من الترهيب وقليل من الترغيب وخفيف من الدسائس . صادف قلوباً مستعدة فأخذ منها مقاما فانحلت الرابطة وتفرق الناس عن عرابى بزوال جانب الميل اليه من قلوبهم . ومع ذلك ما كان يعتقد واحد منهم أن الانكليز يبتغون من البلاد شيئاً سوى أنهم يؤيدون توفيق باشا وينقذونه من الثائرين عليه ، فتساهل المصريون فى الأمر بحسن ظنهم فى حكومة الانكليز مع ما جاءتهم من الحجة القوية القائمة على أن صاحب السيادة الشرعية فى رضاء عن تصرفها ، بهذا فاز الانكليز واستقرت أقدامهم ، اما وقد مضى الزمان الكافى لظهور غدرهم ، وسوء نيتهم ، فلا يوجد من الأهالى المصريين من يميل اليهم ، بل لا يوجد إلا من يبغضهم ويتمنى فناءهم ، ويود لو يعمل عملاً

لهلاكهم ، ولكن الوهم يجسم المخافة ويكبح العزيمة ، ان أهالى مصر كأنهم ذهلوا عن الأسباب التى مكنت الانكليز من بلادهم ، كأنهم يظنون أن المصريين كانوا على كلمة واحدة فى مدافعة الانكليز ، ثم تغلبت عليهم القوة الانكليزية وقهرتهم جميعاً . كأن المصريين نسوا ما كان بينهم وأن الانكليز مادخلوا بلادهم إلا بمعونتهم . هذا هو الوهم العجيب . ان الذين كانوا من مدة سنتين سبباً فى تغلب العساكر الانكليزية وحلولها فى وادى النيل وأنه لولاهم ما استقر لها قدم فيه يظنون الآن أن تلك العساكر قادرة على قهر الأهالى عموما واخضاعهم لحكومة بريطانيا . وبهذا الظن الباطل يستسلمون لأعدائهم كرهاً ويجارونهم فى أهوائهم نفاقا . هلا ينظر المصريون نظرة متأمل إلى القوة الانكليزية ليعلموا أن ليس فى طاقة بريطانيا لو أفرغت جهدها أن تبعث إلى مصر والسودان أزيد من عشرين الف جندى . ألا يعلمون أنه إذا اشتغل الجند الانكليزى بالسودان وحصلت حركة خفيفة فى الشرقية والبحرية والفيوم لارتبك الانكليز وخارت عزائمهم والتجأوا لترك البلاد لاهلها ألا قاتل الله الوهم .

إن للانكليز قوة حربية بحرية لاتنكر ولكن مبلغ تلك

القوة البحرية هو الذى ظهر أثره فى سواكن . لايمكن أن تعمل عملا فيما يبعد عن البحر أكثر من فرسخين فلو فرضنا أن الانكليز أطلقوا قنابرهم على السواحل فهل فى استطاعتهم أن يقيموا تحت ظلال القنابر إلى أبد الآبدين ، إذا كان الأهالى في داخل البلاد يناوئهم وليس لهم من القوة العسكرية البرية ما يقهرهم على الطاعة . ليس فى الأمر شيء سوى الوهم ، هذا الوهم تمزقت حجبه عن بصائر الغربيين فعلموا ما هو الانكليز ضعيف يسطو على حقوق الأقوياء . صوت عال . وشبح بال . قامت الدول على معارضتهم لعلمها أن الانكليز صاروا للأمم كالدودة الوحيدة على ضعفها تفسد الصحة وتدمر البنية . لكن بقى أن يزول هذا الوهم عن الشرقيين حتى يستفيدوا من هذه الحركات ويستقلوا بأمورهم ولا ينتقلوا من عبودية إلى أخرى ، ولا يستبدلوا سيداً أجنبيا بسيد آخر . اللهم ارفع عنا حجب الأوهام وهيىء لنا الرشد فى أمورنا ، واحفظنا من الغواية واهدنا إلى خير نهاية .

الجبن

(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ،
قل إن الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم)

شهد العيان ودلت الآثار على ماصدر من بعض أفراد الانسان من أعمال تحير الالباب ، وتدهش الافكار ، ينظر اليها ضعفاء العقول ، فيعدونها معجزات ، وإن لم تكن في أزمنة النبوات ، ويحسبونها خوارق عادات ، وإن لم تكن من تحدى الرسالات ، وقد ينسبها الغفل الى حركات الافلاك ، وأرواح الكواكب ، وموافقة الطوالع ، ومن القاصرين من يظنها من أحكام الصدف ، وقذفات الاتفاق ، عجزاً عن درك الاسباب ، وفهم الصواب ، وأما من أتاه الله الحكمة ، ومنحه الهداية ، فيعلم أن الحكيم الخبير جل شأنه ، وعظمت قدرته ، أناط كل حادث بسبب ، وكل مكسوب بعمل ، وانه قداختص الانسان من بين الكائنات بموهبة عقلية . ومقدرة روحانية ، يكون بهما مظهرا لعجائب الامور ، وبهذه المقدرة وتلك الموهبة مناط التكاليف الشرعية ، وبهما استحقاق المدح أو الذم عند العقلاء والثواب أو العقاب عند واسع الكرم سريع الحساب :

اذا رجع البصير الى القياس الصحيح ، راى فى تشابه القوى الانسانية ، وتماثل الفطرة البشرية ، ما يدل على تقارب العقول بل على استواء المدارك ، وأرشده الفكر السليم الى أن فضل الله قد أعد كل انسان للكمال : ومنحه مايكون به مصدراً لفضائل الأعمال ، على تفاوت لايظهر به الاختلاف بينها إلا للنظر الدقيق هنا وقفة الحيرة : استعداد فطرى للكمال فى خلقة الانسان ، ميل كلى فى كل فرد لأن يتفرد بالفخار ، ويمتاز بجلائل الآثار ، وفضل عام من الجواد المطلق سبحانه وتعالى ، لايخيب طالباً ، ولا يرد سائلا ، اذا صدق القاصد فى قصده ، وأخلص السالك في جده ، فما العلة في اخلاد الجمهور الاعظم من بنى الانسان الى دنيات المنازل وقصورهم عن الوصول الى ما أعدته لهم العناية ويستفزهم اليه الميل الغريزى ، خصوصا إن كانت النفوس مؤمنة بعدل الله مصدقة بوعده ووعيده ، ترجو ثواباً على الباقيات الصالحات ، وتخشى عقاباً على ارتكاب الخطيئات ، وتعترف بيوم العرض الاكبر ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ماذا يقعد بالنفوس عن العمل ، ماذا ينحدر بها في مزالق الزلل . اذا ردت المسببات الى أسبابها . وطلبت الحقائق من حدودها ورسومها

وجدنا لهذا علة هي أم العالل . ومنشأ يقرن به كل خلل (الجبن)

الجبن هو الذى أوهى دعائم الممالك فهدم بناءها . هو الذى قطع روابط الامم فحل نظامها . هو الذى أوهن عزائم الملوك فانقلبت عروشهم . وأضعف قلوب العالمين فسقطت صروحهم . هو الذى يغلق أبواب الخير فى وجوه الطالبين . ويطمس معالم الهداية عن أنظار السائرين . يسهل على النفوس احتمال الذلة . ويخفف عليها مضض المسكنة . ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل . يوطن النفس على تلقى الاهانة بالصبر والتذليل بالجلد ويوطىء الظهور الجاسية لاحمال من المصاعب أثقل مما كان يتوهم عروضه عند التحلى بالشجاعة والاقدام . الجبن يلبس النفس عاراً دون القرب منه موت أحمر عند كل روح زكية وهمة علية . يرى الجبان وعر المذلات سهلا . وشظف العيش في المسكنات رفها ونعيما .

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

لابل يتجرع مرارات الموت فى كل لحظة ولكنه راض بكل حال وإن لم يبق له إلا عين تبصر الاعداء . ولاترى إلا حباء . ونفس لايصعد إلا بالصعداء وإحساس لايلم به الا ألم اللأواء . هذه حياته : أضاع كل شيء فى القناعة بلاشيء . وهو يظن انه أدرك البغية . وحصل المنة

ماهو الجبن ؟ انخذال فى النفس عن مقاومة كل عارض لا يلائم حالها ، وهو مرض من الامراض الروحية ، يذهب بالقوة الحافظة للوجود التى جعلها الله ركنا من أركان الحياة الطبيعية ، وله أسباب كثيرة لو لوحظ جوهر كل منها لرأينا جميعها يرجع الى الخوف من الموت ، الموت مآل كل حى ومصير كل ذى روح ، ليس للموت وقت يعرف ، ولا ساعة تعلم ، ولكنه فيما بين النشأة وأرذل العمر ينتظر فى كل لحظة ، ولا يعلمه الا مقدر الآجال جل شأنه (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت) يشتد الخوف من الموت الى حد يورث النفس هذا المرض القاتل بسبب الغفلة عن المصير المحترم ، والذهول عما أعده الله للانسان من خير الدنيا وسعادة الآخرة اذا صرف قواه الموهوبة فيما خلقت لأجله ، نعم يغفل الانسان عن نفسه فيظن ما جعله الله واقيا للحياة — وهو الشجاعة والاقدام — سببا فى الفناء ، يحسب الجاهل أن فى كل خطوة حتفا ، ويتوهم أن في كل خطوة خطراً ، مع أن نظرة واحدة لما بين يديه من الآثار الانسانية ، وماناله طلاب المعالى من الفوز بآمالهم ، وما ذللوا من المصاعب فى سيرهم ، تكشف له أن تلك المخاوف انما هى أوهام وأصوات غيلان .

ووساوس شياطين · غشيته فادهشته · وعن سبيل الله صدته · ومن كل خير حرمته

الجبن ، فخ تنصبه صروف الدهر وغوائل الأيام ، لتغتال به نفوس الانسان ، وتلتهم به الامم والشعوب ، هو حبالة الشيطان يصيد بها عباد الله ويصدهم عن سبيله ، هو علة لكل رذيلة ، ومنشأ لكل خصلة ذميمة ، لاشقاء إلا وهو مبدأه ، ولافساد إلا وهوجرثومته ، ولا كفر إلا وهوباعثه وموجبه ممزق الجماعات ، ومقطع روابط الصلات ، هازم الجيوش ، ومنكس الاعلام ، ومهبط السلاطين من سماء الجلالة الى أرض المهانة ، ماذا يحمل الخائنين على الخيانة فى الحروب الوطنية ، أليس هو الجبن ؟ ماذا يبسط أيدى الادنياء لدنيئة الارتشاء ، أليس هو الجبن ؟ ربما تتوهم بعد المثال فتأمل ، فان الخوف من الفقر يرجع بالحقيقة الى الخوف من الموت ، وهو علة الجبن سهل عليك أن تعتبر هذا فى الكذب والنفاق وسائر أنواع الامراض المفسدة لمعيشة الانسان ، الجبن عار وشنار على كل ذى فطرة انسانية خصوصا الذين يؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر ، ويؤملون أن ينالوا جزاء لاعمالهم أجراً حسنا ومقاما كريما ينبغى أن يكون أبناء الملة الاسلامية بمقتضى أصول دينهم أبعد

الناس عن هذه الصفة الرديئة (الجبن) فانها أشد الموانع عن أداء ما يرضى الله وأنهم لا يبتغون إلا رضاه ، يعلم قراء القرآن أن الله قد جعل حب الموت علامة الايمان ، وامتحن الله به قلوب المعاندين ، ويقول في ذم من ليسوا بمؤمنين (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) الخ الآيات . الاقدام في سبيل الحق ، وبذل الأموال والأرواح فى أعلاء كلمته أول سمة يتسم بها المؤمنون ، لم يكتف الكتاب الالهى بأن تقام الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتكف الأيدى ، وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون والكافرون والمنافقون ، بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح فى أعلاء كلمة الحق ، والعدل الالهى بل عده الركن الوحيد الذى لا يعتد بغيره عند فقده ، لا يظن ظان أنه يمكن الجمع بين الدين الاسلامى وبين الجبن في قلب واحد ، كيف يمكن هذا وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة ويصور الاقدام ، وإن عماده الاخلاص لله والتخلى عن جميع ما سواه لاستحصال رضاه

المؤمن ممن يوقن أن الآجال بيد الله يصرفها كيف يشاء

ولا يفيده التباطؤ عن أداء الفروض زيادة فى الاجل ، ولا ينقصه الاقدام دقيقة منه ، المؤمن من لاينتظر بنفسه إلى احدى الحسنيين ، إما أن يعيش سيداً عزيزاً ، وإما أن يموت مقربا سعيداً ، وتصعد روحه إلى أعلى عليين ، ويلتحق بالكروبيين والملائكة المقربين .

من يتوهم أنه يجمع بين الجبن وبين الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد غش نفسه وغرر بعقله ولعب به هوسه وهو ليس من الايمان فى شيء . كل آية من القرآن تشهد على الجبان بكذبه فى دعوى الايمان ، لهذا نؤمل من ورثة الانبياء أن يصدعوا بالحق ، ويذكروا بآيات الله ، وما أودع الله فيها من الأمر بالاقدام لاعلاء كلمته ، والنهى عن التباطىء والتقاعد فى أداء ما أوجب الله من ذلك ، وفى الظن أن العلماء لو قاموا بهذه الفريضة (الامر بذلك المعروف والنهى عن هذا المنكر) زمناً قليلا ووعظوا الكافة بتبيين معانى القرآن الشريف واحيائها فى أنفس المؤمنين رأينا لذلك أثراً فى هذه الملة يبقى ذكره أبد الدهر ، وشهدنا لها يوما تسترجع فيه مجدها فى هذه الدنيا وهو مجد الله الأكبر ، فالمؤمنون بما ورثوا عن أسلافهم وبما تمكن فى أفئدتهم من آثار العقائد لايحتاجون إلا لقليل من التنبيه ،

ويسير من التذكير ، فينهضون نهضة الأسود فيستردوا مفقودا ويحفظوا موجودا ، وينالوا عند الله مقاما محمودا

زلزال الانكليز فى السودان

نقلت الجرائد الانكليزية تلغرافاً ورد إلى جريدة الستندارد من دونقلا ثم كررت ذكره وثبتت مفاده أياماً متواليات ومحصله : ان الألسن تلهج في مدينة دونقلا وفيما بين الجيوش الانكليزية بقدوم جيش محمد أحمد والحديث مستفيض فى جميع المعسكرات بأنه زاحف اليهم بجيشين أحدهما يأتى من الصحراء والآخر على شطوط النيل وأنهم لابد أن يلاقوا منه صدمة شديدة لا قبل لهم باحتمالها ، وقد استولى بذلك الاضطراب والتشويش على أفكار العساكر خصوصا عساكر مدير دونقلا لا خوفا وفزعا فقط . ولكن لما أيقنوا به واطمأنوا اليه من أن السلطان راض عن أعمال محمد أحمد بل صدرت منه التنبيهات إلى جميع المؤمنين فى تلك الأطراف بأن يتجنبوا محاربة هذا القائم وأن يعتبروا الانكليز فى منزلة العدو الألد ويقاوموهم مقاومة الآيسين اه

كنا نعلم أن جميع المسلمين وعموم الوطنيين يرون من

فروض ذمتهم السعى في معاكسة سير الانكليز واقامة الموانع فى طريقهم بقدر الطاقة والامكان قياما بمايوجبه الدين والوطن ولايحتاجون فى الانبعاث لهذا العمل الشريف إلى أمر سلطانى، فان الشريعة الالهية والنواميس الطبيعية فى كل ملة وكل قطر من أقطار الأرض تطالب كل شخص بصيانة وطنه والذود عن حوزته وتبيح الموت دونه بل توجبه في مدافعة الباغين عليه وتدعو كل ذى عقل لأخذ الحذر من حيل المحتالين ، والتوقى من الأرواح الشريرة الخبيثة التى تتجلى في أشكال من الصور منها مايخطف برونقه الظاهر لب الا لباب ويذهب بهوة الصورى بنور الابصار ، وهي منابع الشر ومصادر الفساد ومهب رياح الفتن والاختلال . تلك أرواح الاجانب ونفوس الأباعد الذين يهتكون حرم البلاد ويخفضون شئون العباد ويغمطون الحقوق ويفسدون الاخلاق ويذلون النفوس ، المدافعة عن الوطن أمر طبيعى وفرض معاشى يكاتف في دعوة الطبيعة اليه الميل إلى الطعام والشراب فليس يمدح القائمون به ولا يثنى عليهم في أدائه . نعم تتجلى صورهم الجميلة محلاة بأوصافها الفاضلة فى مزايا التواريخ عند ما يمر النظر اليها على تماثيل الخائنين الذين جاوزوا تخوم الطبيعة وصيغت لهم هيا كل

من اللعن الأبدى مسربلة بالخزى والعار السرمدى هكذا يعرف الشيء بضده

لسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس أو بغير بخس (وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس) بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها ، ذلك هو الخائن فى أى لباس ظهر وعلى أى وجه انقلب . القادر على فكر يبديه ، أو تدبير يأتيه ، لتعطيل حركات الأعداء ثم يقصر فيه ، فهو الخائن من لم يستطع عملا وأمكنه أن يرشد العامل وتهاون فى النصيحة فقد خان من سوّف عمل اليوم إلى غد ، وتوانى فى تضليل كيد الأعداء بقول أو فعل ، فقد ارتكب خطيئة الخيانة ، وكل خائن لوطنه أو ملته فهو ملعون على ألسنة الانبياء والمرسلين وممقوت في نظر العالم أجمعين . ما أعظم جريمة الخيانة « المساهلة في شؤون الأوطان » يأتى الزمان بطوله على كل شيء فيمحو أثره ويطمس رسمه إلا وصمة الخيانة فلا تطويها الادهار ولا يخفيها تطاول الاعصار . محيت أسماء العظماء والملوك والسلاطين ولكن لم تمح أسماء الخائنين . لوث على وجه الزمان ودرن فى

صفحة الامكان مكتنفة باللعنة محفوفة بالمقت الى أبد الآبدين. لا يحيط القلم بوصف الخائن وما يتبعه من الشنائع ولكن النفوس مهما تدانت فى الادراك تشعر بعظم جرمه فلنرجع الى موضوع كلامنا

كنا على يقين ولا نزال عليه. ان الذات الشاهانية وهي الأب الاكبر لعموم المسلمين وهى الكافلة للشريعة الحافظة للدين هى أجدر الناس بالالتفات الى حركة الاعداء فى البلاد الاسلامية وهي لا تألو جهداً فى تعويق سيرهم واحباط أعمالهم، ولا يمكن أن يطمئن للسلطان قلب وهو يرى أن أمة عظيمة من اخلص الأمم فى الولاء له والخضوع لشوكته سقطت تحت السلطة الاجنبية وانه لحرج الصدر من أعمال الحكومة الانجليزية وعدوانها على الحقوق العثمانية والاسلامية والمصرية بلغت غشمرة الانكليز الى حد لا يحتمل فليس من الغريب أن تضيق بها الصدور وتفيض بالغيظ منها القلوب وتبلى منها دروع الصبر وتذوب سابغات الجلد.

فيا أيها المصريون هذه داركم وأموالكم وأعراضكم وعقائد دينكم وأخلاقكم وشريعتكم قبض العدو على زمام التصرف فيها غيلة واختلاساً، زحف العدو اليكم تحت راية المحبة، ثم قلب

لكم ظهر المجن ، وتناول بيده الظالمة شؤونكم العامة ، من عسكرية ومالية وادارة وقضاء ، ولم يبق لكم شيئاً إلا الحرمان من خدمة أوطانكم ، وأنتم أحق بها وطالما دافعتم عنها فى الايام السابقة ، هذا وهو لم يأمن طوارق السياسة الخارجية ولم يمح القوى الداخلية ، يطلب استمالة القلوب اليه ، وجمع النفوس عليه ، فكيف به اذا رسخت أقدامه ، وارتكزت أعلامه ، وخلا له الجو من المعارضين ، ماذا ترجون من مطاولته وماذا تؤملون فى ارخاء العنان له ، وماذا تهابون في معارضته والاخذ على يده أما رجاء الخير منه فوهم فاسد وخيال باطل ، فقد رأيتم أنه أفسد شؤونكم ، وأقلق راحتكم ، وحرم رجالكم من الخدم ، وأفقر آلافا مؤلفة من العائلات ، ووهب من بلادكم لاعدائكم وأضر بمنافعكم العامة من زراعة وتجارة وصناعة فاغلق أبواب الكسب فى وجوهكم ، وقصد الى التداخل فيما يختص بأمور دينكم ، (كالاوقاف) وعمد الى خرق سياجكم وازالة قوتكم بطرد جنودكم وهذه أوائل أعماله فكيف تكون نهايتها . فماذا تخشون منه ، هل تخشون أن تنقص أموالكم ، وثمرات كسبكم اذا أديتم حقوق وطنكم ، ودافعتم عدوكم ، ربما يختلج هذا الخاطر

بعضكم ، وهو من عجيب الخواطر ، أنتم واقعون بسكونكم فيما تخافون منه ، انتقصت الاموال والثمرات ، وفاضت العبرات وزادت الحسرات ، وإن زدتم في الخضوع زادكم عدوكم خساراً وأوسعكم خراباً ودماراً ، ان رسخت قدم العدو بينكم لا يبقى منكم غنى الا افتقر ، ولا عظيم إلا احتقر ، وإن شئتم فانظروا مستقبلكم في مرآة حاضركم ، واقرأوا حالكم فى تواريخ من سبقكم .

هل تخشون اذا قمتم بفروضكم أن يأتى الخطر على حياتكم يمكن أن يعرض هذا الوهم بخيال طائفة منكم ، ولكن فلتعلموا أن عدوكم فى هذا الوقت ضعيف العزيمة خائر القوة . الدول متألبة عليه يترقب منها فى كل آن مطالبته بنتائج أعماله ومحاسبته على عواقب تصرفه ، ثم هو يخشاكم كما يخشى الدول أو أشد خشية . انه مسرع فى سيره منطلق الى مقصده بغاية مايمكنه ليتخذ لنفسه قراراً مكينا ، ومقراً أمينا ، ولا يخفاكم أن المسرع في جريه يكبه على وجهه عثرة فى مدرة ، فلو ظهرت منكم فى هذا الوقت مقاومة خفيفة ، أو مؤاخذة طفيفة ، أو تظاهرتم بالنفرة وعدم الرضاء عن سيره فيكم ، وجهرتم بذلك لرأيتم أن ماءه سراب ، وسحابه جهام ، وسيفه كهام ، وأوقفتم سيره

واستعليتم بقوتكم على ضعفه ، وأقمتم للدول حجة قوية فى كبحه ورد جماحه ، والزامه باحترام الحقوق العامة والخاصة ، ونزع قوة العمل من يد استبداده ، وتخويلها لسلطة تحفظ بها الموازنة بين حقوقكم وحقوق أوربا كافة ، أما لو تركتم عدوكم حتى ينتهى لمقره ، ويقوى على أمره ، ويدوخ السودان ، ويحيط بجيوشه أعالى البلاد المصرية « لاأناله الله ذلك » صعب بعدهذا تعريفه بقدره ، وإيقافه عند حده ، وضعفت حجة الدول فى معارضته ، ان أقوم حجة للدول عليه هي عجزه عن القيام بما كتب على نفسه من تقرير الراحة واصلاح ما كان يظن من الخلل في مصر فلو تمكن عدوكم بسكونكم من اظهار قدرته وإقامة الدليل على كفاءته للولاية عليكم فقد فاز بالسيادة فيكم وأصبحت دماءكم وأموالكم وجميع شئون حياتكم في قبضة جوره

فى امكانكم الآن أن تضروا بعدوكم وليس فى إمكانه أن يضر بكم ، فاذا مضى زمن انعكست القضية وأصبحتم فى عجز عن مقاواته وأصبح وفى يده عصى الجبروت لاذلالكم

ان كنتم تخافون من الموت أو التذليل فهل هو الآن على بعد منكم ، أليس يؤخذ منكم الابرياء بالشبه الباطلة ، ويهانون ويذللون وكثير منهم يقتلون ، أن عدوكم هذا سيحاسبكم على

لكم ظهر المجن ، وتناول بيده الظالمة شؤونكم العامة ، من عسكرية ومالية وادارة وقضاء ، ولم يبق لكم شيئاً إلا الحرمان من خدمة أوطانكم ، وأنتم أحق بها وطالما دافعتم عنها فى الايام السابقة ، هذا وهو لم يأمن طوارق السياسة الخارجية ولم يمح القوى الداخلية ، يطلب استمالة القلوب اليه ، وجمع النفوس عليه ، فكيف به اذا رسخت أقدامه ، وارتكزت أعلامه ، وخلا له الجو من المعارضين ، ماذا ترجون من مطاولته وماذا تؤملون فى ارخاء العنان له ، وماذا تهابون في معارضته والاخذ على يده أما رجاء الخير منه فوهم فاسد وخيال باطل ، فقد رأيتم أنه أفسد شؤونكم ، وأقلق راحتكم ، وحرم رجالكم من الخدم ، وأفقر آلافا مؤلفة من العائلات ، ووهب من بلادكم لاعدائكم وأضر بمنافعكم العامة من زراعة وتجارة وصناعة فاغلق أبواب الكسب فى وجوهكم ، وقصد الى التداخل فيما يختص بأمور دينكم ، (كالاوقاف) وعمد الى خرق سياجكم وازالة قوتكم بطرد جنودكم وهذه أوائل أعماله فكيف تكون نهايتها . فماذا تخشون منه ، هل تخشون أن تنقص أموالكم ، وثمرات كسبكم اذا أديتم حقوق وطنكم ، ودافعتم عدوكم ، ربما يختلج هذا الخاطر

ان هذا لشيء عجاب ، هل نذكركم بقول شاعركم :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

ليس هذا مقام التذكير وليس المكان مكان المباراة فى المجد والمسابقة الى معالى الامور. انما الكلام الآن في الدفاع عن الحياة وصيانة ضروريات المعيشة ، فان لم يستفزكم طلب العلا وسمو الهمم فليستفزكم تصور الشقاء المنتظر ، الذى رأيتم بوادره ونعوذ بالله أن تدركم أواخره . استغفر الله لاتزال ترجى فيكم النجدة والشمم والرفعة .لايزال دينكم يترقب منكم حمية عليه وغيرة لدفع الغائلة عنه . ان صاحب الدين صلى الله عليه وسلم ينتظر فيما يعرض عليه من أعمالكم نهضة لاعلاء كلمة الحق وانفاذه من مخالب أعدائه وأن الله فى عزة جبروته لن يدعكم على ماأنتم عليه حتى يعلم الصادقين منكم ويعلم الصابرين ، يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين

باب

النتف والاخبار

سياسة انكلترا فى الشرق

هلع على مافي البيت فهلوع لاغلاق الباب ، فانخلع المصراع وانقض الجدار من ورائه .

هذا شأن دولة بريطانيا في الهند ، وقنال السويس ، قصارى بغيتها ان تكون في أمن على هذا الباب ، وكان سهلا عليها ان تخلص النية ، فى مسالمة ارباب الولاية عليه ، فيقونه بارواحهم وأموالهم ، ثم هى تفوز بفوائده الى الأبد

الا ان جيشان الاوهام ، وموحشات الاحلام ، دفعتها لمباشرة حمايته بنفسها ، فاذا الأمر اصعب من ان ينال ، واساس البيت أوهى من ان يدوم

ارادت دولة انكلترا بعد تبوئها ارض مصر ، ان تدخلها تحت حمايتها ، وان تبدل العساكر الوطنية بانكليزية ، وان تقيم فى السودان سلطنة مستقلة ، وحاولت في ذلك إرضاء المصريين بانه من الضروريات لتنظيم أحوالهم ، وافرار الراحة بينهم ، وتسكين روع العثمانيين بحفظ الحق وتخفيف الوزر ، وكان لكل ان يستبشر بهذه الخدمة الجليلة ان تمت ، لولا مالدولة انكلترا من تقسيم الممالك التيمورية في الهند ، واقامتها لكل قسم حامية من قبلها ، وكان هذا اكبر الاسباب وأصغرها لاستيلائها على الاقطار الهندية ، وانا لنأسف على التفاوت بين الزمانين ، والتباين بين المكانين ، فلا الاحسان الانكليزى يسهل تتميمه ، ولا العثمانيون والمصريون يستبشرون بنوله ، وخطر الامرين غير يسير

ظهرت دعوى المهدوية في السودان واشتد ازر القائم بها بمسارعة الانكليز الى التداخل فى مصر بحجة حفظ باب الهند ، وعظم خطب

الداعي بعد ماراق دماءغزيرة ، ودبت روح دعوته الى سواحل البحر الاحمر ، وحدود مصر الطبيعية ، وامالت القلوب اليه نفرتها من السلطة الانكليزية .

يقرب من الظن ان نفثاته مازجت افئدة العرب في فيافي طرابلس، اوقاربت وان هذه النيران التي يشعلها بالبكاء على الدين والنواح على امتهانه ، لاتلبث ان تنقض شرارة منها على جزيرة العرب ، وفيها يصعد عويل الدين ونحيبه الى عنان السماء ، وعند ذلك يمسي باب الهند بين ألسنة النيران من جهتين بل من ثلاث جهات ، أيبعد عند العقل وبريطانيا لاهية بانقاذ الباب ان تتقد النيران في البيت ، ان الخطر اليوم اشد مما اهتمت بدفعه سابقاً ، ماذا اخذت من الوسائل لدفع هذه الغائلة؟

ارسلت كوردون باشا الى السودان لتفريق كلمة المحاربين ورقية محمد احمد الحمداني ، السودانيون لم ترقا دما جراحهم من ظلم كوردون ايام كان حاكما مستبداً عليهم ، وفي علمهم انه اعدى اعداء الديانة الاسلامية، فقد طلب وهو فيهم قسساً من السويس لنشر الدين البروتستنتي بين مسلميهم ، فهل تمكنه الفصاحة الانكليزية ان يمحص صدور العرب من الضغينة الدينية والدنيوية ، بعد مارسخت اعواماً و يمحوها في بضعة ايام، وهل يسهل عليه ارضاء محمد احمد ، بعد ماقام بدعوة عظيمة كهذه يمنحه لقب امير كوردفان ، أوهل يقنع صاحب هذه الدعوى بمثل هذا اللقب بعد ماتسنى له من الفتوحات واستولى على تلك البلاد ، بدون اذن كوردون قد يظن هذه الظنون من لاوقوف له على حقيقة دعوى المهدوية وموقعها من قلوب المسلمين ، ويكفي لكشف بعض مافي الغيب ماانفقت عليه الجرائد الانكليزية والفرنساوية واثبتته المخابرات الرسمية من اخفاق كوردون في سعيه كما تراه في غير هذا المحل .

ساقت خمسة الاف وعلى بعض الروايات اربعة الاف جندى تحت قيادة الجنرال كراهام الى سواحل البحر الاحمر لاسترجاع شرف بيكر باشا وثار ضباطه من الانكليز (اماهكس باشا وضباط جيشه فلبعدهم عن البحر لاشرف لهم ولاثار) وغلب هذا الجيش المدرب الكامل العدة الشاكى السلاح من اجود طرز ثلاثة الاف من عراة العرب السودانيين (بمعنى انه قتل منهم ثمانمائة بدوى) والقبائل على عصبيتها لم تجبن بعد . هل بهذا تدفع الغوائل . ايظن ذو عقل ان فاتحافتك بعشرة الاف جندى مرة والفين وخمسماية مرة اخرى جميعها تحت امرة مشاهير من قواد جيش انكلترا يخور عزمه لانهزام شرذمة من المنتسبين اليه وهل يؤثر هذا وهنا في اعتقاد المذعنين لدعوته . سبحان الله ! كان لغلبة هذا الجيش رجة فى انكلترا وخيل لحكومتها انها نجاح في العمل وربما نشأ هذا الخيال من التهنئات التى وردت اليها من الدول وسفرائها مما لم ينله نابليون الاول وغليوم الالمانى

أقول وحق ما أقول أن الضيم شديد فان ترك امتد وأخاف الدانية والقاصية وليس في مكنة كوردون ولا أحذق سياسى فى انكلترا أن يخمد لهبه والمناوشات البريطانية تحضره فتزيده اشتعالا وانما يتيسر اطفاؤه لاولى العزم من العثمانيين والمصريين لكونهم على شاكلة صاحب الدعوى وبيدهم عنانها .

كان من حذق الانكليز لو اكتفوا في حفظ باب الهند بعضد العثمانيين وخضوع المصريين مع القوة البريطانية والتفتوا إلى ترميم سياج الهند من الجهة الشمالية . ماذا يفيدهم سد الباب اذا وهى الاساس فتداعت الجدران وخر السقف ، ان قبائل التركمان في مرو مع شوس طباعهم

لحقوا بدولة الروسية اختياراً بعد ما كانوا مستقلين فى أمورهم لا يدينون لسلطة أجنبية عنهم فأى مانع يمنع تركمان سرخس وهم سنيون من الاقتداء بهم تخلصاً من حكومة فارس المخالفه لهم فى المذهب فان وقع هذا فتح للروسيا طريق فراه إلى قاين إلى سجستان وأى قوة تصدها عن طمعها وان حلت في سجستان أو فراه فأية عقبة بينها وبين الهند .

ان قبائل ازبك من سكان (ميمنة) و (اندخو) و (شيورغان) و (سربول) وسائر بلاد بلخ الى (وبلميان) في ضجر من الحكومة الافغانية أفلا يتبع هؤلاء أثر ابناء أعمامهم التركمان فان غفلوا فتحت لهم الروسية باباً من الملاطفة وذهبت بهم فى طرق من سياسة اللين لتشويقهم إلى الدخول في حمايتها والتملص من نير الافغانيين وليس في قوة حكومة الافغان كبحهم ان أرادوا لضعفها فيهم .

ان قبائل هزازة من الشيعة الساكنين فى الجبال الممتدة من هراة إلى كابول يتحلون الاسباب للخروج على حكومة الافغان نفرة من سلطة السنيين وقد كانوا فى الحرب الاخيرة بين الانكليز والافغان متفقين مع الانكليز فهو لا بعد ما يرون حيرانهم انحازوا إلى الروسية أفلاينزعون إلى مجاراتهم خصوصاً إذا لمعت لهم بوارق الوعود الروسية. هذا كله يكون فتشرف الروسية بعده على الميدان المتسع الممتد من هراة إلى قندهار إلى غزنة بل إلى كابل من جهات كثيرة . فهل بعد هذا يبقى للهند سياج وهل يمكن أن يقام فى وجه الروسية مانع من المسير اليه وهل ينفع عند ذلك الوقوف على بابه (قنال السويس)

اليس يسهل على الروس عند اشرافهم على تلك المواقع الايقاع بين

قبائل الافغان وبين المترشحين للامارة ويتخذون منهم أحزاباً كما فعلوا بخوانين القرم .

تقربت دولة الروسيا إلى المانيا والنمسا فى هذه الايام وانعقدت بينهم معاهدة على حفظ السلم في أوروبا إلى زمن غير قصير ولم يكن هذا التقرب مبنياً على ما يخيله السياسيون فى كل دولة على حسب سوالحهم وانما رأت الروسيا أن الوقت وقت العمل في آسيا فطلبت الراحة من جهة حدودها الاوربية لتتفرغ لاجراء مقاصدها فى أطراف الهند وان الفزع من هذا الانتقال الفجائى قد ظهر أثره فى جميع الجرائد الانكليزية.

ليت الانكليز صرفوا قوتهم ووجهوا عزيمتهم لدفع ما يلم بهم من الخطر القريب ولم يقعوا في شرك المسئلة المصرية . فان ما كانوا يخافونه من مصر كان وهما صرفاً فلما طرقوها أوقدوا فتنة ما كانت تخطر ببال أحد ثم هم في عجز عن علاجها واننا نظن كما يزعم الوزراء العثمانيون أن الانكليز ليس فى امكانهم أن يكسروا سورتها بأنفسهم ولا بد لهم من يوم يلجأون فيه الى ذوى العزيمة من العثمانيين والمصريين وإلى الله عاقبة الامور

مصر

كانت حكومة هذه البلاد في الربع الاول من القرن الماضى (الهجرى) تعد من نوع حكومة الاشراف ويحسبها المؤرخون فى تلك الاوقات بدرجة لانعرف هيئتها ولايصل بحث الباحث إلى كنهها وإذا عبروا عنها بالتقريب قالوا طرز قديم كان معروفاً فى أغلب أنحاء المسكونة .

ثم أعجب الدهر فيها بغرائبه بعد ما فوضت أمورها لمحمد على باشا فلم يمض قليل من الزمن حتى دخلت فى طور جديد من أطوار المدنية وظهر فيها شكل من الحكومة النظامية وتقدمت فيه على جميع الممالك الشرقية بلا استثناء وعد هذا التقدم السريع من عجائب الامور

هل كان في حسبان أحد أن يستلم زمام الحكومة في مصر رجل من بعض قرى الروملى لم يتربع في دروس العلم ولم يجبل في مصانع السياسة إلا أن طبيعته الفطرية كانت فائضة بحب الحضارة ، وبث العلوم، وتأسيس قواعد العمران ، مع تدفق همته لبلوغ الغاية مما يميل اليه

بلى ، كان هذا فى الغيب وابرزه القدر الالهى ، ونالت مصر فى عهد ذاك الرجل العظيم ، وعهد خلفائه من بعده ، ما كانت تقف دونه أفكار الناظرين ، طرقت أبواب السعادة من كل وجه ، فتقدمت فيها الزراعة تقدماً غريباً ، واتسعت دائرة التجارة ، وعمرت معاهد العلم ، وانتشرت في أرجائها مبادىء المعارف الصحيحة ، وتقاربت أنحاؤها ، واتصلت أطرافها ، بما أنشىء فيها من سلك الحديد ، وخطوط التلغراف ، وتعارفت أهاليها ، وائتلف الجنوبى بالشمالى ، والشرقى بالغربى ، وقوى فيهم معنى الاخوة الوطنية ، بعد أن كانوا لبعد الشقة بين بلدانهم كأنهم أبناء أقطار مختلفة ، وتواصلوا في المعاملات ، وتشاركوا فى المنافع ، واعتدلت المشارب المذهبية ، حتى كان لهم زمن أحس فيه كل واحد بنسبته من الآخر،وارتفعت بذلك أصواتهم ، بعد ماجالت فيه أفكارهم .

تفجرت من أرض مصر ينابيع الثروة ، وعمت بقاعها وطفحت ، ففاض خيرها على ما يجاورها من الاقطار الشرقية ، بل وصل مد نيلها إلى أراضى البلاد الغربية ، وتوارد اليها الغرباء ، وقصاد الكسب ، من

كل مكان ، وما خاب لها قاصد ، ولا اخفق فيها سعى ساع ، فأثرى في مغانيها الفقرآء ، وعزبها الاذلاء ، وصارت قبلة لآمال كثير من الغربيين ، ومحط رحال الراجين من الشرقيين ، وكل وافد اليها يجد أهلا خيراً من أهله ، وسكناً خيراً من سكنه ، وتكاثرت فيها العناصر الغريبة ، حتى كان الداخل اليها يخيل له أنه تحت برج بابل يوم تبلبلت الالسن

وساد بها الأمن وعمت الراحة ، وضارعت في كل أحوالها نوع ما عليه الممالك الاوربية العظيمة ، وكان المتأمل فى سيرها هذا يحكم حكماً ربما لم يكن بعيداً من الواقع ، ان عاصمتها لا بد أن تصير في وقت قريب أو بعيد كرسى مدنية لاعظم الممالك المشرقية ، بل كان ذلك أمراً مقرراً فى أنفس جيرانها من سكان البلدان المتاخمة لها وهو أملهم الفرد ، كلما ألم خطب أو عرض خطر ، غير أن الأيام كأنها حسدتها على ما منحته فعثر العاقل ، وفرط المالك ، واعثر المعجب ، وتهور الغبي ، وخار الافين ، فتقرب البعيد ، وبعد القريب ، ونزل بمصر ما لم يكن له أثر الا فى حواشى طوامير الاوهام ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

الحمت ادارة الحكومة بما ليس من نسيج سداها ، وانتقضت منها أصول على وجه غير مألوف ، ففتحت للدسائس أبواب وأنساب ، بين طبقات الناس ، دهاة سياسة ، وطلاب غايات ، فتفرق انصال ، وتقطعت أوصال ، فضعفت السلطة الوازعة ، ونبذت الطاعة ، والتهبت نيران الفتن

قضاء حل بتلك البلاد ، فاحتاجت في اعادة شأنها الاول إلى رأى قويم ، وعزم ثابت ، ووازع قوى ، تدين لسطوته النفوس ، وان من ذوى الحقوق فيها من يجمع هذه الاوصاف ، وله من القلوب المكانة

العليا ، وكان يسهل عليه القيام بما يعهد اليه ، لكن تحكم طمع واخطأ ظن ، فتخلفت النتيجة ، واشتدت الحاجة

أشفقت دولة الانكليز على طريق الهند كما يقال ، أو ظنت ان آن التقدم بعض خطوات قد آن ، فرأت ان اعادة الامن وتثبيت الراحة في مصر من فرائض ذمتها ، فكان من التحريق والتدمير والقتل والشنق والحبس والابعاد والتغريم وما شاكل ذلك مما لا حاجة لبيانه ، وعم بعض أنواع الهون ، حتى لم يبق ممن يعرف اسمه أحد الا مسه ضرمه ، ما خلا أشخاصاً قلائل وهذه المرهبات على ما بها من القوة لم تبلغ الغرض من تأمين طريق الهند لاشرافه على الخطر من وجه آخر ، ولم تأت بما كان يؤمل منها لنظام البلاد .

اليست المالية هي مرمى أنظار دول أوربا ، وما وضع نظام فى البلاد ولا أحدث تغيير بمشورتهم الا لوقاية الخزينة من العجز عن أداء مايتعلق بها من الحقوق الاوربية ، اليوم رزئت بالنقص في الايراد ، وحملت من تعويضات متالف الحرب أربعة ملايين من الجنيهات ؛ ورميت بنفقات جيش الحلول ، وحرب السودان ، ومصاريف اخلائه ، وما يضاف إلى كل هذا مما يظهره المستقبل ، فاختلت الموازين ، وبطل قانون الجبايات وأى مصيبة على المالية أعظم من نوازلها الحاضرة

عقد العزم على الغاء الجيش الوطنى ، وهو قوة البلاد وبه فخارها ، وكأنه لم توجد وسيلة لتنظيم عسكر مصرى ، وقصر الجهد عن محاراة محمد على باشا ، وابراهيم باشا ، اللذين دوخا كثيراً من الاقطار بجنود مصرية

ان كان كل ما تقدم من الشدائد والخطوب وزيادة النفقات والغاء العساكر الوطنية انما يتخذ سبيلا لراحة الاهالى ، وتحسين أحوالها فنعمت الوسائل اذا أدت إلى غايتها . لـكن اين السبيل من المقصد وأين هذه المعدات من تلك الغايات .

وأسفاً على حالة الاهالى بعد هذا ، حكم من لا دافع لحكمه بطرد آلاف من الوطنيين الموظفين فى دوائر الحكومة ، وما منهم أحد الا ويتبعه عائلة وأولاد ولا قوت لهم الا من مرتب عائلهم ، وما مرن على عمل للكسب سوى مانشأ فيه من خدمة الحكومة ، ألم يمس هؤلاء ضر الفقر ، ألم يعضهم ناب الجوع ، ألم يهتك مستورهم ، ألم يضق ذرعهم . ألم يصبحوا كساة بسرابيل الكآبة . عراة من أكسية المسرة . ان لم يكن كل هذا فقد كان جله . وان صدى أنينهم يتلى في صفحات الجرائد الوطنية العربية والافرنجية وسيتبع السابقين منهم اللاحقون . حتى لا يجد وطنى في البلاد من المهن الا ما لا يليق بالانكليزى تعاطيه من سفاسف الامور كما هو فى البلاد الهندية

اضطرب ميزان السلطة العامة لتعاكس قواها المختلفة فاشتبه الامر على العمال . وظنوا أن لا تبعة عليهم فيما يعملون فانطلق ما غل من أيديهم . وحكموا أهوائهم في أداء وظائفهم . فخبطوا وخلطوا . أفعمت السجون بأعيان الرعية . ورفعت أذناب الـكرابيج لتشريح أبدانهم واستعملت آلات التعذيب وامتدت مخالب الجور لتجريدهم من بقايا أموالهم . وثمرات كسبهم . وحدث نوع من الحـكم المطلق عزيز المثال بعث عليهم عذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم . ولبسوا شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

غلقت أبواب العمل من وجوهه الرسمية فى الادارات . وتعطلت أشغال المحاكم وشخصت الابصار لعاقبة هذا التنازع بين القوى الحاكمة فاتسع نطاق الفوضى وارتفع حجاب المنعة . فاذا الفلاح لا يبالى بعمدته والعمدة لا يبالى بمأمور مركزه والمأمور لا يحترم مديره . وسرى التهاون إلى الدوائر العليا . وعاد الامر لقوة الساعد . وكثرة الاعوان فعاثت اللصوص . وكثر قطع الطرق . في كل ناحية . وارتفعت الاصوات بالشكوى منهم في عموم الجرائد الوطنية . فوقفت حركة الاعمال العمومية وبدت للناس شؤون عدلت بهم عن ضرورات معاشهم . وامتنع المدينون من آداء ما عليهم لدائنيهم من التجار والربويين . فقبض المقرضون أيديهم واحتكروا نقودهم لفقد ثقتهم واشفاقهم من الضياع على رؤوس أموالهم وان أصيبوا بالحرمان من الربح وابتلوا بالخسارة في رأس المال من قبيل آخر . واشتدت الحاجة بالفلاحين إلى ما يعوض عليهم ماشية فالحراثة بعد ما اغتالها التيفوس وما يجددون أو يصلحون به آلاتهم الزراعية . ويستعينون به على نجاحها حسب العادة التى الفوها . فعميت عليهم السبل . وضاقت بهم المسالك . ولم يجدوا لسد حاجاتهم سبيلا . ففسدت الزراعة وانتقصت ثمراتها . وانحطت أسعار الحاصلات لارتباك الاحوال إلى حد ما كان يسمع الا في القصص وروايات القدماء قبل محمد على باشا . ومطالب الحكومة في ضرائبها ورسومها على حالها الاول مع الاغذاذ فى اقتضائها . فعم العسر وأحاط الضنك . وتقوضت آلاف من البيوت التجارية . وأتربت أيدى ملايين من عمال الصناعة . وأعدم المزارعون قاطبة الانزر يسير من حفظة الكنوز أو المستأثرين بأموال الكافة نهباً وسلباً . باع الفلاح أثاث بيته بل وما أبقاه التيفوس من

عاملة أرضه، بعد ماذهبت الحاجة بحلى حرمه وبناته ليؤدى ماعليه لحكومته، ولم ينل من غضاره ما يقوم بحفظ حياته وعاد إلى الفطرة الاولى يقتات باقوات البهائم ويسرح مسارح الحيوانات الاقليلا منهم الله يعلمهم .

وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية، والأخذ بالشبه وان ضعفت ، واتباع بواطل التهم وان بعدت ، واستحالت، حتى اخذ الفزع من القلوب مأخذه ، وبلغ منها مبلغه ، فلا ترى ماراً بطريق الاوهو يلتفت وراءه لينظر هل تعلق باثوابه شرطى يقوده الى السجن ، أو يقتضى منه فداءً، وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر في كل خطوة عثرة ، وفي كل نهضة سقطة ، وله من كل شاخص دهشة ومن كل طارق لبابه غشية . أى شقاء ينتظره الحى فى حياته اشنع من هذا

هذا ما تنشق له المرائر من أحوال سكان القطر المصرى . هذم بعض ما يضيق به الصدر ، وتنقبض له الانفس ، مما وزئوا به بعد ما تكفل احباؤهم الاولون بالدفاع عنهم وتخليصهم من الفوضوية السابقة . هذه طلائع الاصلاح المبشر به من زمان بعيد على السنة رسله . أصبح الاهالى حيارى في أمورهم ، تائهين عن رشادهم ، لايعلمون ماذا يحل بهم ؛ يذكرون من أحوالهم السابقة ما كانت الدول الاوربية تسميه ضيقاً وعناء وتمنيهم بالانقاذ منه فيحنون اليه ويودون لورجعوا اليه ، ويحسبونه غاية سعادتهم بعد هذه الحالة التى هم فيها .

أبعد هذا يصح لمصرى ان يظن ان تلك الرزايا التى حلت ببلاده من نحو عشرين شهراً كانت مقدمة لاصلاحها وتنظيم شؤونها نعم يمكن أن يخطر بالبال انها تمهيد لعمل صناعى في الاراضى المصرية كتقويم طرقها ، وإقامة جسورها ، وتكثير جدواها ، وتقوية مواد الخصب فيها، حتى تعودبعد مدة جنة من جنات الدنيا ، أو روضة من رياض الاخرة،

اما الاهالى فليسوا بموضع النظر فانهم ان هلكوا وورث الارض بعدهم قوم آخرون .

فان لم يكن هذا فليكن تمام الاصلاح الذى لا يمله الخاطر ، في وقتنا الحاضر ، ولا يكفى للبداة فيه سنون معدودة على قياس الاصلاح المنتظر في بلاد بنجاب (من الممالك الهندية) فان الدولة التى تولت اصلاح الشؤون المصرية في هذه الايام ، دخلت بلاد بنجاب بهذه الحجة ، واستولت عليها من مدة اربعين سنة ، ولم تزل إلى الان حكومتها عسكرية ، ولم يشرع فيها بتنظيم مدنى فلينتظر إخواننا المصريون فانا معهم من المنتظرين .

أعجوبة

ظهر لمراسل التمس بسكندرية فى هذه الايام ما كان ظاهراً عند الكافة عامتهم وخاصتهم ولم يخف على غبى ولا ذكى ولا أعمى ولا بصير بل لم يحصل فيه أدنى شبهة في زمن من الازمان الماضية ، فكتب بالتلغراف إلى جريدة التمس يثبت فيه ما يأتى : أنه يوجد بين طبقات الاهالى جمهور كثير ينفر من سلطة الانجليز (وخجل أن يقول جميع الاهالى) كذلك وإنهم لا يسرون بارسال العساكر إلى توكار بل بلغ الاسف منهم غايته عند ما سمعوا بانتصار كراهام على العربان

ويقرب من هذه الاعجوبة ما أجاب به غرانفيل موزورس باشا عند مابين له لزوم التداخل العثمانى فى حوادث السودان حيث قال ان العساكر التركية تلاقى من معارضة المصريين مثل ماتلاقى العساكر الانكليزية ، فاعتبروا ياأولى الأبصار .

غريبة

روت جريدة النان ، عن الجرائد الانكليزية أن الخديو الحالى عقد عزمه على الاستعفاء من منصبه الا أن حرمه (زوجته) عارضته فيما عزم عليه كل المعارضة وعند ماأشار اليها بما في نيته تناولت مقراضاً وجزت شعرها علامة على الحداد وأقسمت أن لاتلبس الجوارب والاحذية حتى توقن بعدوله عن مقصده هذا ، وهي من ذاك الوقت تمشى حافية وتنتظر آخر عزيمة من زوجها الخديو .

ولعل هذا من مبالغات الجرائد الانكليزية أو يكون منشأوه الحاح السير بارين عليه بطلب حماية انكلترا كما رواه كثير من الجرائد أواجباره على التنازل كما روته جرائد أخرى .

كوردون باشا

ان كوردون باشا بعد مانصب نفسه للمدافعة عن حرية السودانيين زماناً طويلا وكثر ماتوسل بذلك لعودته حاكما للسودان نال في هذه الحوادث بغيته ، وأرسل من قبل دولته لعمل سودانى فوصل الى خرطوم وافتتح أعماله بمخالفة مشربه، فأعلن اباحة بيع الرقيق والغاء معاهدة سنتى ٧٧ و ٧٩ ثم تعدى على حقوق السلطان بدعاوى مختلفة ، منها أنه جاء نائباً عنه ، وتضاربت أقواله فى مأموريته ، فادعى أنه جاء حاكم عام على الاقطار السودانية بأمر دولته والحكومة المصرية ، مع تصريحه بأن الحكومة المصرية لادخل لها من الآن فى ادارة السودان رأساً واعترافه

بامارة الشيخ محمد احمد على كوردفان ، هذه كل وسائله لامتلاك قلوب السودانيين . ولم يلبث أن ظهر ضعف سياسته عندجميعهم لعلمهم السابق باطواره فكان ما اجمعت عليه الجرائد الانكليزية والفرنساوية من عدم نجاحه في مأموريته فان الاخبار الخصوصية الوارة من خرطوم متفقة في أن ما أشيع من البهجة بقدوم كردون محى أثره وتحول إلى اضطراب وقلق وتشويش فى الافكار ، وأن القبائل فيما ورأ خرطوم تسخر بمنشوره وتهزأ بوعده ووعيده ، وهذا الضرب من السياسة ربما يستغربه من لايعرف حال كوردون ، أما المصريون جميعاً والسودانيون خصوصا فلا يعجبون منه لوقوفهم على أحواله من قبل ، وإنما العجب من كون الحكومة الانكليزية ذهلت عن أن ثورة دينية لايمكن إطفاؤها بيد من يخالف الثائرين دينا وشكلا ولغة وإن كان عاقلا سياسياً .

يثبت هذا الذى قلناه ما ورد إلى الدالى نيوز من أن الجنرال كوردون بعث تلغرافا أثبت فيه أنه عاجز عن مساعدة الحامية المصرية في السودان ما لم يكن تحت امرته جيوش على النيل الابيض والنيل الازرق ، وما جاء من مكالمته لمراسل التمس حيث صرح له أنه لم يعد في إمكانه أن يفعل أزيد مما فعل (وما فعل شيئاً) لتقرير الراحة بين السكان ، وأن العزم على إخلاء السودان فتح للشيخ محمد احمد سبيلا لاثارة القبائل بين بربر وخرطوم ، وفي أثناء المحادثة اظهر احتياجه لفرقتين من العساكر ترسل إليه من جيش الجنرال كراهام . ومما قاله أنه من الضرورى تعيين زبير باشا خلفا له فى خرطوم ويفوض إليه اعادة الراحة ومقاومة الثائرين وهذا من عجيب تدبيره فان هذا الباشا إن لم يكن معتقداً بصاحب دعوى المهدوية ، فعنده أعظم باعث للاتفاق معه فانه لم ينس ما حل بأولاده

وأقاربه من القتل صبرا ، وما سلب من أمواله نهباً وغصباً ، فكيف يميل لمساعدة الحكومة المصرية على اخضاع الثائرين عليها .

كراهام وعثمان دجمة

بعث الجنرال كراهام قائدجيش الانكليز فى جهة سواكن ، بمنشورات إلى رؤساء القبائل يعدهم ويمنيهم ويهددهم ويتوعدهم لينفصلوا عن عثمان دجمه ، والى عثمان يرعد له ويبرق ، ويرغى ويزبد ، ويطلب منه التسليم فورد الجواب من عثمان برفض الطلب والاستعداد للحرب ، ووردت الرسائل من واحد وعشرين شيخاً من مشايخ القبائل ناطقة بأنه لاواسطة بين الانكليز ومساعديهم ، وبين القبائل السودانية إلا السيف ، ثم قالوا أن كل من لايصدق بدعوى المهدى فانه سيكون لامحالة فريسة للموت وطعمة للهلاك .

فاضطر الجنرال كراهام لاعادة التهديد مرة أخرى على النحو الاول ويغلب على الظن أن الجواب . يكون الجواب

وجاء فى جرائد الانكليز أن الشيخ المرغنى « وهو شيخ طريقة من المسلمين » بعث إلى عثمان دجمه رقيماً يستدعيه للطاعة ، ويحذره من مقاومة العساكر الانكليزية ، فاجابه عثمان دجمة بأن فى عزمه شرب دماء الانكليز وكل من يساعدهم فانه يحاربه بسيف الاسلام . وفي ختام جوابه نصح للمرغنى وطلب منه أن يقوم بارشاد الانكليز إلى ترك الحرب ووضع السلاح وهو أولى له من نصح مشائخ القبائل العربية الاسلامية

المسألة المصرية

إن المسألة المصرية صبغت في انكلترا عدة صبغات من يوم نشأتها ، وكلما عرضت على العقول في لون خيل لها أنه أجود ما فى الدن ، حتى إذا مضى عليه زمان خفى وأعقبه لون جديد ، وهي في انتقالاتها هـذه لاتزداد إلا إشكالا ، ولا تزيد انكلترا فى انهائها إلا ارتباكا .

كان يود مستر غلادستون أن ينهج في سياسته منهج سلفائه من الانكليز يحبو إلى مقصده بالاناة والتؤدة ، ويلتوى فى مسيره إلى معاطف متخالفة ، ويرى أن سلوك الجادة مما لاتقتضيه الحكمة ، ولا يسوغه الحذق ، حتى يبلغ الغاية ويقطع الخلال (الطريق بين الرمال) ولا يظهر له أثر يقتفى أو كان كما يزعمون أو كما يدعى ونادى به على عهد بيكونسفيلد من أنه لايميل إلى الفتوحات ، وهمه البعد بانكلترا عن المداخلات فى الامور الاجنبية ، بالقوة الحربية ، إلا أن الحوادث المصرية اخاته إلى انعدول عن مشربه ، والتطور بغير طوره ، فتضاربت آراؤه وتردد في أعماله ، وسار سيرة المتخبط ، ونشأ من طلعه في السياسة توعر السبل على حكومته في بلوغ ما تريد ، وحدث عنه النزاع بينه وبين بقية الوزراء فيما يجب أتباعه من بعد ، وهو الآن فى حيرة بين التمسك بمذهبه السياسى ، والاستقالة من المنصب ، وبين الانفلات منه والتعرض للوم العقلاء والسقوط من منزلته فى قلوب أحزابه ، وهذه الحيرة مهدت لمعارضيه من الحزب المحافظ طريقاً للسعى في إسقاطه من مكانته السياسية واهباطه من كرسى الوزارة .

الذى أباح لمستر غلادستون أن يركب غير طريقه ، ويتداخل في مصر بقوة السلاح ما زعمه من احتياج تلك البلاد إلى اقرار الراحة ، وتخليصها من خلال الفوضى ، ومن مصلحة انكلترا أن تتولى اغاثتها مما وقعت فيه ، فمد يده لوضع قواعد العدالة ، وتخليص الحكومة من الضعف وإعادة الامن إلى البلاد ، وكان يظن أن هذا المطلوب يتم بهدم طوابى اسكندرية ، والحلول في ثكن القاهرة ، فيكون قد كسب أجراً أو نال ماسكا جديداً أو حفظ مصلحة مهمة ، بأعمال خفيفة ، ونفقات قليلة وكلمات غير طويلة ، ولكن من الأسف لم يساعده التوفيق على نوال البغية .

تتابعت الفتن وعلا لياقها حتى لذعه فنبهه لما لم يخطر له على بال ، فاضطر لسوق العساكر ، ومداومة الحروب ، ومع هذا لم تؤيد الحكومة التى انتصر لها ولم يكف محمد احمد عن دعوته ولم يهن عزم عثمان دحمه بهذه الصدمات المتتالية ، واجمعت الجرائد على أنه نادى بالحرب الدينية وهو يجمع متفرقة العرب ليزيدها إلى قبيله ، ويهاجم الانكليز مرة ثالثة ، وأكد رواة الاخبار أن محمد احمد أنبأ من قبل أنه سيهزم مرتين قبل تمام ظفره بالانكليز ، فكانت هذه الهزمات مما يقوى الاعتقاد به ويجمع الكلمة عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فهذه المصاعب شوشت افكار البرلمان ، وحركت الخوطر على الوزارة الغلادستونية ، وتخوف رئيس الوزارة من عواقب المداولات فى المسائل المصرية ، فتاخر عن حضور الجلسات من مدة ايام وقام ناظر الجهادية مقامه فى التعبير عن أفكار الوزارة ، وفهم من بعض خطاباته أن من نية الحكومة أن تحفظ الثغور المصرية بعساكرها ، وان تحل فى شرقى

السودان ، وان تتولى إدارة الحكومة المصرية كما تراه فى غير هذا المحل. فقامت الحجة بكلامه هذا الحزب المحافظين ، ووبخو الحكومة على ضعفها السابق ، والتجائها للعدول عن سياستها في هذه الاوقات ولم يكن من رأى غلادستون أن تصرح الحكومة بمقاصدها ، وتظهر مشرعها بوجه جلى ، ووقع الخلاف بينه وبين ناظر الجهادية ، وكثير من أعضاء الوزارة، على جملة مواضيع فى المسئلة المصرية ، وزاد الخلاف شدة ميل غلادستون لمراضاة الايرلنديين وتجافى بقية الوزراء عن رغبته وثبت الرئيس فى آرائه وهو يفضل الاستعفاء على التساهل في شئ منها ، ومن هذا غلب على الظن انه سيحصل انقلاب فى الوزارة أو فض البرلمان ، واكدت قرب ذلك جريدة التمس وجريدة الدالى نيوز وهي نصف رسمية وجاءت الاخبار الاخيرة متفقة على أن وزارة غلادستون في خطر .

فاذا انقلبت الوزارة الانكليزية ، وخلفها اخرى من أى حزب كان ، فما عساها تفعل لحل المسئلة المصرية والتخلص من الورطة . أقبل الصيف وصعب على عساكر الانكليز أن تأتى بحركات عسكرية فى أطراف السودان الشرقية مدة اشهر ويتعذر حفظ المواصلة بين سواكن وبربر وخرطوم فان طلبوا عساكر هنديه كما أنبأبه التلغراف انكشف للهنديين بتكرر طلب العساكر من الهند ضعف القوة البريطانية، واجترأوا على حامية الهند وهناك الهول الاكبر . فى هذه المدة وهى غير قصيرة يتيسر لمحمد احمد ودعاته أن يجمعوا قواهم وينالوا من المنعة ما يتعسر على عساكر الهند مقاوماته بل هم الان على القرب مما نقول . ففى الاخبار الصحيحة ان حالة النيل الاعلى لا ترضى الحكومة الانكليزية ، والبلاد المجاورة لخرطوم في ثوران شديد وقد انقطع الامل من فتح الطريق بين بربر وعاصمة نوبيا،

ومحمد احمد مهتم من نحو شهر بجمع قوة عظيمة يساعده على تنظيمها ضباط من أركان الحرب فيهم اثنا عشر أوربياً وستون ضابطاً مصرياً نجوا من عساكر هكس ، ذكرت جميع ذلك جريدة الدالى نيوز واعترف مستشار خارجية إنكلترا أن المواصلة بين شندى وخرطوم منقطعة ، ولم يصله خبر عن كوردون من حادى عشر هـذا الشهر فاذا ترك هذا الخطب الجلل للقوة الانكليزية فلا نظنه الا يصدع جدار الهند كما بينا في العدد الماضى ويذهب بكل ما يعبر عنه بالمصالح الاوربية فى مصر (وليكن كذلك)

ولا نظن أن دول أوربا تسمح بضياع مصالحها في الاقطار المصرية خصوصاً بعض الدول التى كانت تسابق انكلترا فى وادى النيل وانحط مقامها فيه بالتداخل الانكليزى الذى ليست له حدود معروفة ، ولا غايات معلومة ، وإلى هذا تشير جريدة التان الفرنساوية الوزارية حيث تقول : ان انكلترا لا يمكنها أن تضع مصر تحت حمايتها حتى تناقش الحساب بين أيدى أوربا ، وتنوه به جريدة سن بطرسبورج حيث تقول : إن روسيا ليس فى عزمها أن تفتتح بعمل في مصر فان انكلترا اعترفت فى جميع الاوقات بان المسائل المصرية لها هيئة دولية وبناء على هذا لا يمكن القطع في شئ منها الا باتفاق أوربا ، هذا إذا تمكنت انكلترا أن تاخذ على نفسها اطفاء الفتن واجهاد الثورات ، واستطاعت القيام بما تكتب على ذاتها فى نهايته تطلب عند أوربا بما تقتضيه مصلحة كل دولة منها فان عجزت كما هو الغالب على الظن أو طال عليها الزمان ، وهي بين ظفر وانهزام ولا تتجاوز في حركاتها العسكرية شواطئ البحر ، فلاريب أن القلق يستفز الدول لطلب وسائل أخرى سوى ماتهيئه دولة انكلترا ،

وأنا نرى وسيحكم الزمان لنا ان شاء الله أن حفظ حقوق الاوربيين ، وضبط البلاد المصرية واخماد نيران الفتنة فيها لا يتم إلا على أيدى أهلها ويفعل الله ما يشاء .

الانجليزى فى السودان

ان التلغرافات التى وردت من سواكن جميعها متفقة على أن العساكر الانكليزية هاجمت معسكر عثمان دجمة في تمانية منقسمة الى مربعين وبعد أن فارقت زفر باغارت عليها العرب بعدد وافر مع بسالة الأيس ودخلت في المربع الاول وهو المقدمة وكانت فيه مذبحة هائلة ، وتقهقرت العساكر الانكليزية وتركت مدافعها بعد ماقتل منها جم غفير باسنة العرب وحرابهم الا أن فرقة من مشاة البحرية جاءت من القلب وسدت الخلل الذى وقع فى صفوف العساكر من هجمات العرب ودفعت قوة المهاجم ، ولم تكد المربعات الانجليزية تلتئم وتعود الى الانتقام حتى هاجمتها جيوش عثمان مرة أخرى بيأس شديد وانقضت عليها من الجناحين والتحمت مقتلة عنيفة وترامى العرب على الموت واستهانوا بالحياة مفضلين الشهادة على التقهقر والتسليم

وتضافرت الاخبار على أن العرب اظهروا من البسالة والشجاعة مالا يوصف ، حتى قال الرواة ان ما شاهدوه منهم يعد من غرائب الاعمال البشرية ، الا أن الروايات اختلفت فى عدد من قتل منهم ومن عساكر الانكليز فبعضها اوصل قتلى العرب الى ثلاثة الاف وبعضها الى

أقل ثم جاءت الاخبار الرسمية (وما أدراك ما الاخبار الرسمية) وما تبالغ في قتل أعدائها مصرحة بانها الفان أما قتلى الانكليز فقد بالغوا في قلتها حتى أوصلوها الى مائتين أو ثلثماية بعد ما اعترفوا بان العرب فتكوا فيهم فتكا ذريعا .

وعلى اى حال قد انتهت الواقعة بانسحاب العرب الى جبالهم ورجعت العساكر الانكليزية بغاية السرعة الى سواكن وتركت المواقع التى استولت عليها وتوافد اليها العرب مع قائدهم عثمان واجتمعت له فى الموقع الذى هوجم فيه قوة حملته على السموخ بانفه والنداء باستعداده لمهاجمة العساكر الانكليزية وانه لا يقبل التسليم . واما التعجب كما يعجب سائر الجرائد الاوربية من هذه الرجعة العربية بعد الطنطنة بالنصر والظفر والاعلان بان العساكر الانكليزية نالت من الشرف اعلى ما يناله جيش فى قتال ، فان سرعة الرجوع شاهد بين على أن هذا الجيش المنظم يقتدر على حفظ مركزه فى ساحة الحرب وانه خشى التلف لو بقى فيه فعاد راجعا الى شواطئ البحر فكأن المقلة لم تكن الا كرة اعقبتها فوة حتى عدها بعض الجرائد هزيمة وحسبتها من الخطاء العظيم لانها تجرى العرب على البقاء فى الطريق الذى يصل سواكن ببربر وقطع الطريق على سالكيه وإنا لا نوافقهم على ذلك لكنا نعدها عجزاً ظاهراً عن مقاومة العربان في جبالهم .

وما اشبه فعلة الانكليز هذه بفعلته من نحو عشرين سنة عندما كان يحارب في حدود الهند سرايا الامير عبد الله الوهابى واخوندسوات فانه بعد ماانهوم في جبال سوات وبنير شر هزيمة وترك مدافعه وذخائره رجع ثانية ودخل قرية صغيرة من قرى تلك الجبال

وفاجأها ليلا على غفلة واحرقها ففتل أهلها جميعا وانقلب راجعا الى بلاده في الهند من ليلته ، وأعلن بانه قتل وسلب ونهب وظفر وانتصر فليعتبر المعتبرون

وكان الجنرال كراهام بعمله هذا لم يرد اطفاء الفتنة فى الاراضى المصرية ، وانما قصد رد شرف العساكر الانكليزيه والاخذ بثار بعض من قتل منها سابقا واقامة البرهان لاوربا على ان عساكر الانجليز يقدرون على محاربة العربان ويستطيعون الهجوم عليهم ، نعم انه لم يغفل التدبير بالكلية فان الجرائد اخبرت انه وضع رأس عثمان دجمة في المساومة وجعل لمن يأتى به الف ليرا الكليزية ونعم ما دبر ولكن نخاف أن عثمان عند مايبلغه الخبر يضع رأس الجنرال فى المزايدة ويجعل لمن يأتى به مائة قنطار من سن الفيل ويكون الخطر على الجنرال أعظم

ثم ان الجرائد الانجليزية على عادتها من ترويج سياسة حكومتها فى الحروب أشاعت أن الجنرال كراهام بعد رجوعه الى سواكن دعى بعض رؤساء القبائل وذكرهم في اقرار الراحة بين سكان البلاد السودانية ورغب اليهم أن يتعهدوا به فاجاب بانه غير ممكن لهم الا بمساعدة العساكر الانكليزية وانهم استصوبوا ما نشره الجنرال من تعيين الجعالة على جز راس عثمان بمبلغ الف ليرا انكليزية ، وهذا مما لا نظنه بالعرب لمخالفته طباعهم ونبو اخلاقهم عن الخضوع للاجنبى عنهم وما عهد ذلك فيهم من يوم نشأتهم العربية الى اليوم وبعد انهاء الكلام معهم اخذ في ذم عثمان على ما روته تلك الجرائد حيث لم يظفر به بانه كذاب وخائن لبلاده وابناء جلدته فانه الذى عرضهم لسفك الدم واتلاف الارواح .

وهذا منه ذكرنا بقصة أحد القواد الافغانيين حيث عرض نفسه

لخدمة الانجليز في الحرب الافغانية الاخيرة فأمدوه بمبالغ وافرة لاعانته على العمل فأخذ ما أخذ ونثره في قومه وهيأهم به للكر على الانجليز والنكاية بهم ونال منهم ما نال . وبعد ما ذاقوا منه الوبال اخذوا في نشر المنشورات وتحرير الاعلانات بان هذا الرجل قليل الوفاء خائن العهود لايثبت على قوله ولا يفى بوعده مع ان الوفاء هو أداء حق الوطن والمداقعة عنه والقيام بذمامه وكل عهد يخالفه فالذمة تنكره والصدق يأباه كائنا ما كان .

هذه أسطورة أمر الجنرال كراهام ، وأما الجنرال كردون فقد أخبرت بعض الجرائد الانكليزية أنه فى خطر وأنه يوجد قلق عظيم في مصر من جهته ، ويثبت هذا الخبر امتناع ناظر الجهادية في انكلترا من عرض المخابرات التى جرت بينه وبين الجنرال خوفا من تأثيرها في الاذهان ،

وروت جريدة الدالى نيوز بناء على تلغراف ورد إليها أن زبير باشا صرح باستعداده لان يخلف كردون باشا فى السودان وهو يظن أنه لايمكن أعادة الأمن إلى تلك البلاد إلا بطرق سلمية ولا يستطيع أن يبدى فكره في شأن المهدى قبل أن يخابره وهو فى ريب من اعتقاد السودانيين بنبوته (كذا) ومما قال أن تجارة الرقيق يمكن الغاؤها بالتدريج عند ما يشرع سكان السودان فى معرفة فوائد التمدن ومنافعه ثم كذب ما أشيع عنه من البغض للجنرال كردون

نعم أن زبير باشا لايبغض الجنرال في هذه الاوقات ما دام فى القاهرة أما اذا وصل إلى السودان فيمكن أن تعود إليه الضغينة التي مازجت قلبه سنين عديدة .

صدى دعوة السودان

ورد تلغراف من تاشكند إلى جريدة الساندر الانكليزية مفاده أنه حصل اضطراب عظيم في أفكار المسلمين سكنة بخارى عندما سمعوا بانتصار اعراب السودان وظفرهم الاول وظهر فيهم داع جديد يحث على الحرب ومقاتلة الذين ينتهبون الاراضى الاسلامية لتوسيع ممالكهم ويهدد صاحب السلطة العامة بين المسلمين بخلعه من مغرسه إذا لم ينشر اللواء الاخضر (المغالبة ومصادمة المتعدى عليهم) هذا برهان جلى على ما أنذر به سابقا من أن دعوى المهدوية في السودان لهذه الأوقات التى صدم المسلمين فيها أشباه الحوادث الماضية فى القرن الخامس والسادس من الهجرة ستدعو إلى حركة عامة يصيح فيها الشرقى بالغربى ويصعب على الانكليز وهو في مجراها أن يتنكب عنها دون أن تعروه هزة من مفزعاتها خصوصا والمظاهرة الدينية في البلاد المحكومة بسلطة أقوى وأظهر ،

ان بلاد بخارى بينها وبين السودان مسافات متطاولة وأبعاد متنائية ويظن الناظر في لوح الجغرافيا أن المواصلات بينها منقطعة ومع ذلك سرى التنافس بين القطرين فى الغيرة بغاية السرعة فما ظنك ببلاد هى أقرب الى مبعث الدعوى وأدنى منها منالا . يغلب على الظن أن الروح هبطت اليها ولكن تتحرك بحركة العقل وتنمو على القوانين الطبيعية والشرائع السياسية والاعتقادية ؛ فلا يسعر الأقوياء الا وقد بات بخلاقيهم المستضعفون والارض أرض الله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

اذا سهلت الحوادث ظهور الكوامن ومهدت بروز المغيبات ما ذا يمكن أن يؤخذ به من الوسائل لوقاية العدد القليل من غيلة الجمهور الاغلب الذى لايقاوم وما امكنت مقاومته فى الازمان الخالية

نظن أن لاوسيلة لهذا الا بتسليم الأمر لاربابه والدخول اليه من بابه ، وتركه للمسلمين يرضى بعضهم بعضا ويدافع بأسهم بأس بعض . فان كان هذا هو نهاية السير، فمن الخطاء السياسى أن لايبدأ به قبل اشتداد الكرب ، وعظم الخطب ، والله الهادى الى الطريق الرشاد .

اضطراب سياسة الانكليز

فى مصر

تساكلت أفكار السياسيين من الانكليز فى لوم الحكومة على سياستها المضربة : قال اللورد سالسبرى فى بعض الاجتماعات العظيمة أن الحكومة الانكليزية بالتواء سياستها وتذبذبها وضعت من شرف انكلترا وخفضت اسمها ، وعرضت أجل مصالح الامبراطورية (الهند) للخطر ثم تكلم في منشور كردون باشا المبيح لبيع الرقيق فقال ليس من الممكن لمسيو غلادستون أن يبيح تجارة الرقيق على حفافى النيل وهو يحظرها على سواحل البحر الاحمر (والاولى أن يبيحها فى جميع البقاع لاستحالة منعها مطلقاً) . وذكرت جريدة البال مال غازت أن مستشار جمعية منع الرق فى لوندرا أرسل الى اللورد غرانفيل خطاباً بالنيابة عن أعضاء الجمعية يلقى عليه التبعة في تسمية زبير باشا والياً على السودان

الشرقية ، وأن الجمعية اتفقت آراؤها على أن مساعدة الحكومة الانكليزية لرجل كزبير باشا تكسبها عاراً وحطة في نظر أوربا

وقالت جريدة الدالى نيوز : الصحيح أن الارتباك الواقع فى مالية مصر اقلق وزارة انجلترا وبعثها على البحث فى ايجاد وسيلة لادخال النقود الى مصر فانها فى غاية الحاجة اليها ، ويؤكد أن الحكومة الانكليزية ستعرض أفكارها على البرلمان في هذا الشأن وفي الظن أن ما تعرضه عليه يكون متعلقا بضمانة القرض المصرى (دخول مصر في حماية انكلترا رسما) الا أن عدداً عديداً من حزب الليبرال في البرلمان صرحوا بعدم قبولهم أى فكر يعرض عليهم فى هذه المسألة . ومع هذا فقد كذبت هذه الجريدة ما أشيع فى الدوائر المالية من أن فى عزم الحكومة الانكليزية أن تعد قرضاً للبلاد المصرية مبلغه ثمانية ملايين بفائدة ثلاثة ونصف فى المايه .

برلمان انكلترا

انعقدت له جلسة من أيام لم يحضرها المستر غلادستون لانه كان مريضاً (أو متمارضاً لخوفه من عاقبة المداولة فيها) فناب عنه في الكلام هرتنكتون ناظر الجهادية وابتدأ يطلب نقوداً لنفقات حلول الجيش الانكليزى في الاقطار المصرية وبين الدواعى الى ما طلب فعارضه المسيو لابوشير (وهو من الحزب الحر الذى يأبى ان تدخل انكلترا في اى حرب كان) وطلب تنقيص المبلغ الذى سأله ناظر الجهادية ثم دارت المباحثة في المسئلة المصرية وحمى وطيس الجدال فيها وتكلم الخطباء

عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها وبينوا الاغلاط التى ارتكبتها الحكومة في سياستها وماذا يجب الآن اعداده من وسائل الخلاص وقال اللورد نورثكوث « وهو رئيس حزب المعارضين لسياسة الحكومة » ان خطاب ناظر الجهادية دل على تغيير عظيم فى أفكار الوزارة فقد علمنا من كلامه إنها جارت الرأى العمومى في البلاد وأذعنت لمقتضيات الحوادث وعدلت عن السياسة المرتجة المتزعزعة واعترفت بما تعهدت به وقبلت أن تقوم بوفائه بعد أن كانت تحاول التملص منه وفهم منه أيضاً أن بلاد السودان اذا تركت لصغار السلاطين القدماء الذين يحاولون استعادة ممالكهم ليقوموا فيها امارات صغيرة فان خرطوم تكون مستثناة لأهميتها في راحة البلاد المصرية وان البحر الأحمر لما كان تابعا لقنال السويس ومرتبطاً بطريق الهند فمصالح انكلترا تقضى بأن تكون الثغور المصرية « من اسكندرية الى ماوراء عدن فتدخل رشيد وضمياط وبورسعيد وسواكن ومصوع » بيد الانكليز مادام المصريون عاجزين عن الدفاع عنها ووضح من خطابه (ناظر الجهادية) ان أفكار الوزارة فى هذه الاوقات متجهة لأن تحل عساكرها في مسافات طويلة من السودان الشرقى لعلمها بلزوم اتصال شواطئ البحر الاحمر بالمراكز التى تبقى في السودان وان توصل سواكن ببربر وبربر بخرطوم . وهذا الرأى الذى أبداه ناظر الجهادية يستدعى حلول فى مصر الى مدة أطول من المدة التى صرح بها سابقاً.

كانوا بدأوا في استدعاء قسم من العساكر وصمموا على استدعاء قسم آخر منها لكنهم الان لايريدون الا تقرير حكومة أهلية (كذا) قادرة أن تقوم بنفسها وتأتى أعمالا مفيدة لبلادها وبعد ما كانوا يستعملون

الالفاظ المبهمة فى شأنهم مع مصر صرحوا بالحالة التى يجب أن تكون عليها مصر حتى تتركها انكلترا وشأنها ويريد ناظر الجهادية بحكومة ثابتة قادرة ماتكون موضع الثقة لرعاياها والأوروبيين المستوطنين في البلاد ومحل من النقود التى تحمل اليها (ديناً وقرضاً)

قالت جريدة التان بعد ذكرها هذه المباحثةأن الوزارة الانكليزية حادت عن منهجها الأول وصرحت بقبول التبعة فى مداخلاتهاالتى كانت تؤمل التخلص منها متى أرادت الا أنها الآن حملتحملا ثقيلا على ماليتها وسياستها الخارجية . انها لم تصرح بكلمة حماية حتى اليوم ولكنها المراد من عبارتها وتزعم أنها مساقة اليها قهراً لغرض أن تمنح مصر ادارة قويمة وجهادية منظمة وقضاء عادلا وهذه الحماية تمتد من شمال الدلتا إلى خرطوم ومن خرطوم إلى البحر الاحمر ولكن يصعب على انكلترا أن تنال هذه الحماية مالم تناقش في الحساب بين يدى أوربا وإنا لنأسف على فقد اللورد بيكويسفيلد ونتمنى لو كان حيا حتى يذكر المسيو غلادستون بخطبه المشتعلة غيظا المفعمة لوما وتقريعاً على من يميل لسياسة الحروب والفتوحات .

قالت جريدة الدايلى نيوز وهي شبه رسمية ان الوزارة الحالية (الانكليزية) فى خطر وانه في يوم الخميس الماضى كان الكلام دائرا في مجلس البرلمان على تغيير وزارى وعلى حل المجلس وانه لايمنع من ذلك رفض اللائحة التى قدمها لابوشير في لوم الحكومة ثم قالت ان البلاد (الانكليزية) لابد لها أن تهيأ لابداء أفكارها فى شأن الوزارة وتصرفها داخل البلاد وخارجها .

ويقال في الدوائر السياسية أن تأخر مستر غلادستون عن الحضور

في جلسات المجلس يومى السبت والأحد لم يكن ناشئاً عن انحراف الصحة وانما كان هـذا تعللا ومراوغة ليس إلا

الباب العالى

ان كان البرهان يدفع غارة أو يهزم عسكرا أو يفتح بلادا فهذا أقوى مايكون من البرهان على أوضح حق يوجد .

كتب مراسل التان في الاستانة كتابا مفصلا عن أفكار أعاظم العثمانيين في المسألة المصرية وما للباب العالى من الحقوق فما اثبته ان العثمانيين فى ضجر من أجحاف انكلترا وجورها عن العدل فى معاملة السلطان وعدم الاكتراث بما له من الحق الثابت وتصرفها في مصر بدون مراعاة رضاه وان بعض الرجال العظام بين له حيف انكلترا وتعديها على المعاهدات الدولية والفرمانات الشاهانية وأثبته بأدلة منها ماأجابت به انكلترا عن بلاغ الباب العالى الى الدول من نحو سنتين في بداية الارتباكات المصرية حيث قالت انها ترغب حفظ الحالة المقررة فى مصر (الاستاتوكو) على مقتضى الفرمانات السلطانية والعهود الدولية وانه لايسوغ التغيير فيها بوجه ما الا باتفاق الدول

ومنها نص الفرمان الصادربتولية توفيق باشا فانه صريح في ان مصر بحدودها الطبيعية وملحقاتها تعد من الاملاك العثمانية وانه لايسمح للخديو أن يتنازل عن قطعة أرض منها صغرت أو كبرت لأجنبى كائناً من كان لاى سبب ولا بأى وجه ولايسوغ له أن يتخلى عن شىء من الامتيازات الممنوحة لمصر مهما كانت الأسباب والحوادث ولا يجوز له عقد شرط

أو عهد الا بعد عرضه على الدولة ورضاها ويحظر عليه تجديد قرض مالى الا فيما يتعلق بتسوية المسائل المالية التى كانت لذاك العهد .

ومنها أن قنال السويس لم يفتح الابعد استئذان الباب العالى فكيف ساغ لانكلترا الآن أن تتولى فصل السودان عن مصر وان تتداول فى فتح قنال اخر وأن تتدبر في قرض جديد تحمله على عواتق الحكومة المصرية وأن تتناول حماية الثغور بعساكرها بدون الاتفاق مع الباب العالى ولا مشاورة الدول العظيمة .

وانا فى حيرة مما أراد هذا العظيم من اقامة الحجج هل أراد اظهار ما كان خافياً على دول أوربا وهم يعلمونه حق العلم أو بيان أن انكلترا أخطأت في فهم هذه الفرمانات وتلك المعاهدات أو حاول اقناعها بالدليل والبرهان . ولكنا نعلم أن حكومة بريطانيا لا تفزع من الاحتجاج ولا ترهب الجدال فانها تمرنت على ذلك من أزمان طويلة مع الملوك والامراء الشرقيين وأمكنها فى أحوال كثيرة أن تجيب عما يرد عليها من الاعتراضات وان بلغت مقدماتها من الظهور حد البداهة ولولا هذا لما احتدت جريدة التمس عند ما بلغها خبر أن غرانفيل طلب من السلطان أن يرسل حامية تركية إلى سواكن وبالغت فى انكار ذلك بقولها انه مما لا يخطر بالبال ثم تعللت بما لا يذهب على فطنة أحد حيث قالت أن انكلترا لاتريد أن تحامى عن حقوق السلطان بعد ما صارت بضعفه نسياً منسياً .

ايرلندا

فى كل يوم يقيم الانكليز برهاناً منطقياً ودليلا جدليا على انه ماذهب الى مصر الا بقصد اقرار الراحة ووضع قواعد العدالة ولكنه كلما رتب مقدماته لاقناع السذج بقضاياه المشهورة عارضه الايرلنديون ببراهين عملية تنقض ترتيبه وتبطل نتيجته فانه لا يمضى وقت من الاوقات الا ولهم فيه عمل لكسر شوكة الحكومة الانكليزية في ايرلندا يضعون الديناميت لتدمير الأبنية وهدم الجسور وتعطيل السكك الحديد ويفتكون برجال الحكومة ويتضجرون من ظلمها ويطلبون كل وسيلة للتملص من سلطتها وهم في سيرهم لا يهنون ولا يفترون .

هيئت وليمة للمستر بارنل رئيس حزب الايرلانديين حضرها جم غفير منهم احتفالا بعيد سن بتريس وفيهم كثير من أعضاء البرلمان فألقى عليهم خطاباً أظهر فيه مسرته من تقدم الحركة الجنسية فى ايرلاندا وأوصى الايرلانديين أن لايعتمدوا على حزب من الاحزاب الانكليزية وانما يكون اعتمادهم على نشاطهم واجتهادهم ثم قال ان له في المستقبل أملا حسناً وختم كلامه بقوله أن اليوم الذى يجتمع فيه الايرلنديون على اختلاف أحزابهم فى بسيطة أرضهم هو قريب وسيكونون عما قليل تحت حكم برلمان ايرلندى وفي ذلك الوقت لا قبله ترسل ايرلندا إلى انكلترا رسالة سلمية . وعند رفع كؤوس الشراب أبى الحاضرون ذكر الملكة وانما رفع بارنل أول كاس ونادى باسم الأمة الايرلندية وطلب من الحاضرين ذلك .

هكذا يطلب الانكليز ضم أراض إلى أملاكهم فتنفصل عنهم أراض أخرى وإلى الله علم العاقبة .

الفرنساويون فى التونكين

مضت عدة أشهر والفرنساويون ينتظرون ما تؤدى اليه حركات عساكرهم في بلاد تونكين وكادوا يرتابون من حسن العاقبة حتى ورد التلغراف إلى ناظر الجهادية فى باريس من القائد العام بأن العساكر الفرنساوية دخلت باكنين من طريق يوصل إلى لانسون وأن الصينيين انهزموا الى نواحى نكين حيث اشتدت عليهم المهاجمات الفرنساوية من جهتى الشمال والشرق وخسروا خسائر جسيمة ولم يجر من الفرنساويين سوى سبعين رجلا وحازت العساكر الفرنساوية كميات وافرة من الذخائر وبطارية من مدافع الكروب وجدوها فى قلعة باكنين ويظن كثيرمن رجال السياسة الفرنساوية ان فرنسا قد أتمت عملها بالاستيلاء على هذا الموقع المهم .

وأكد هذا الظن ما ورد بالتلغراف من بكنين إلى جريدة الستاندر أن ملكة الصين عند ما بلغها استيلاء الفرنساويين على باكنين عقدت مجلساً حربياً للمذاكرة فى الامور الصينية الحاضرة فقرر الأعضاء وبينهم الأمير كونغ على أنه يلزم الاتفاق مع الحكومة الفرنساوية بطرق ودادية

وفى حسباننا أن مثل هذه الفتوحات لا تسلى أحزان الفرنساويين ولاتعزيهم على ماخسروه فى مصروان ذاك الضماد لايقطب هذه الجراح .

منشورات

روت جريدة التان عن جريدة سن بترسبورج أن امبراطور روسيا اظهر رغبته فى السفر إلى برلين في الصيف الآتى مع الامبراطورة ولم يعلم تاريخ توجهه بالتحديد إلى الآن ويظن أن سفره هذا يكون قبل سفر امبراطور المانيا الى أمس حسب عادته

وتعد هذه الزيارات من مؤكدات المواصلات بين دولتى الروس وألمانيا وهو مما يوسع للروسيا ميدان الجولان في آسيا كما بينا سابقاً

* * *

ورد إلى الدلى نيوز تلغراف من القاهرة يحقق أن قبيلة تراشى فى بربر انضمت إلى قبائل كوردفان المعتقدين بمحمد أحمد . وهذا مما يقنع الناظرين في الحركات السودانية بأن هذه المبالغات التى يذيعها الانكليز فى انتصارهم لم توءثر شيئاً في نفوس القبائل ولم توهن اعتقادهم بذلك المدعى السودانى ويقيم دليلا على ما قلناه من أن هذه النيران الملتهبة لا يطفئها الا رجال من عظماء المسلمين .

* * *

نشرت فى عدة مدن من ارلاندا اعلانات ثورية وجدها أعوان الشرطة ملصقة على جدران الشوارع والاماكن العمومية مكتوباً فيها هذه الكلمات : (حرب أهلية فى شهر مارت سنة ١٨٨٤) وهو الشهر الحادى فتناول الشرطيون تمزيقها بغاية السرعة . وكان الارلنديون من قبل وضعوا الديناميت فى محطات السكة الحديدية من جملة جهات

وهذا الاضطراب الداخلى الشديد ثالثة الاثافى للمسئلة المصرية ودخول مرو فى حوزة الروس . وهذه الثلاثة ان لم يكن لها رابع فهى كافية للمتبصر فى تقدير الارتباك الذى ألم بالحكومة الانكليزية في هذه الايام

* * *

انا لله وانا اليه راجعون لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ورد تلغراف من القاهرة إلى جريدة الستاندر يفيد أن السجون ضاقت بالمسجونين حتى اضطرت الحكومة (المصرية أو الانكليزية) إلى اطلاق الف ومائتى منهم من أرباب الجنايات الخفيفة وسبب هذه البلية عدم قدرة المجالس على محاكمة جميع المتهمين . لهذا تذوب المقل بكاء وتتفتت الأكباد حزناً .

* * *

ورد من سواكن الى الستندارد

ان المنشور الذى نشره هفت الاميرال الثانى بتعيين جعالة لمن يأتى براس عثمان دجمه وصل إلى مشايخ عرب ثمانية فاحرقوه علامة على رفضه وعدم قبوله .

* * *

برلين فى ١٨ مارس

ان جريدة البوست وهي جريدة لها علاقات مع السفارات فى برلين من فكرها ان استعفاء توفيق باشا وهو قريب الوقوع يفتح للدول الأوربية باباً لاعادة المراقبة المشتركة فى مصر لأن انكلترا لم تنجح كل النجاح فى مأموريتها لاقرار الراحة فى تلك البلاد .

باريس فى ٢٧ مارس

اشتدت خطوب المسائل المصرية واشتبهت مناهجها وعظمت أخطارها والتبست وجوهها على ذوى الشؤون وأرباب المصالح فيها حتى على السياسيين من رجال حكومة انكلترا . كل يتصور غاية ويطلب حظاً يناله منها وقد شد رحاله للوصول اليه ولكن ضل أعلام الجادة وتاه فى مجاهيل وليل المشكلات مظلم وديجورها مدلهم وتعاكست مذاهب السالكين هذا يشرق والآخر يغرب وكل في وحشة يطلب المعين ويخاف العادى وكلما فرح لنباة رمى بسهمه من الجزع لا يدرى أصاب خصما أو قتل منجداً .

ان دولة عظيمة كان لها من القوة ما اعترف به دول العالم أجمع ولها من الحقوق في مصر مالا ينازعها فيه أحد ، ترى رجالها اليوم يهتزون لدهدهة الرعود الانكليزية ، وان كان سحابها جهاما ، ويفزعون من هزيم تلك الاصوات فيحارون ماذا يفعلون ، وربما يأتون ما لا يريدون .

ادعت دولة واسعة المطامع انها نائبة عنهم فى اصلاح الاقطار المصرية وانقاذها من الاختلال ،فتبوأتها بقواها العسكرية وأخذت بزمام الاحكام فيها ، تعزل وتولى ، وتعطى وتمنع ،وتعاهد وتنقض، وتنقص من أطرافها ما أرادت ، وتحل بعساكرها من بقاعها ماشأت وأصحاب الملك الشرعى شاخصة أبصارهم ، مشرئبة رقابهم ، يبصرون ما لا يسر لهم خاطراً ، ولا يشرح لهم صدراً ، مع خفقان فى القلب ، واضطراب في الفوآد ، والتهاب في الاحشاء ، فزعا من سوء العاقبة ، يحسون بما تقتضيه مواقع الاقطار ، والنعب بين بلد وما يجاوره من البلدان ، وما يلزم لحمايتها من

وسائل الدفاع ، فيحكمون بأنه ان دامت الحال على ما يرون ، أصبحت الاقطار السورية والحجازية واليمنية ، على خطر عظيم في زمن قريب أو بعيد ، وان تاريخ مصر من عهد الفراعنة إلى الآن ، ينادى عليهم نداء الناصح ، بل ينفث فيهم نفثات الحق ، بل يزعجهم ازعاج الحاكم القاهر ، بأن المحافظة على مصر ، من أهم واجباتهم ان لم يكن لذاتها ، فلما يتسلط عليه موقعها من الاقطار

أما ولاة الأمر من المصريين واولو الرأى فيهم ، فقد غشيهم من هذه الدهاده ماأذهلهم ، عن علم حاضرهم ، والفكر في مستقبلهم ، طلبوا لهم عوناً قوياً ، وركنوا اليه في دفع ماظنوه غائلة ، وتوهموه نازلة ، فاستبد بالامر عليهم ، وسلبهم ماطلبوا المحافظة عليه وهم بين نوم تطيب لهم أوائله ، بما يلين لجنوبهم من الوعود الانكليزية ، وبين أحلام مدهشة وخيالات مزعجة ، تمثل لهم ماسيصب عليهم من حميم العذاب ، وما يؤخذون به من عذاب الهوان ، وان قليلا مما يشهدونه حاضر العنوان ، على كثير مما يراه بعضهم بعيداً ونراه والعاقلون منهم قريباً .

أما الانكليز فليسوا فى حل مما كسبوا ولم يهنأ لهم ما طمعوا ، بل دافعتهم الحوادث ، وطاردتهم الى مشاكل لم تكن في حسبانهم ، وهم الآن بين أمور ثلاثة لايتيسر واحدها الا بما ينفى الآخر وهم يريدونها مجتمعة ولن يقدروا عليه الا بقدر يأتيهم بما يخرق العادة ويفوق الامكان ، انهاء مسئلة محمد احمد ، والوفاء بعهودهم لأوربا ، وما يضمرونه لأنفسهم فى مصر ، ثم هم يتشبثون لكل منها بوسيلة تضارب مايتمسكون به فى الاخرى تارة يظهرون عزمهم على مبارحة مصر جنوحا الى الوفاء بالعهد لكن يتبعون مايقولون في ذلك بأن أجل الجلاء غير محدود ، وتارة تنادى

بأن ذمة انكلترا توجب عليها أن تدخل مصر تحت حمايتها وتتولى ادارتها بصفة سيد حاكم لامستشار ناصح ، ويشير بل يصرح ناظر جهاديتهم بأن الضرورة تلجئهم الى مثل هذا العمل ويعبر عنه أحياناً باسم الحماية وأخرى بما لااسم له سواها ، وطوراً يلقبون محمد احمد أمير كوردفان ويطلبون من الخديو كما روته جريدة ميموريال ديبلوماتيك أن يكتب لهم صكا بأنه يفوض الأمر لهم في شأن المدعي يتفقون معه كما يريدون وانه يسمح لهم باحلال عساكرهم في سواحل البحر الاحمر وانه لايتولى ولاية خرطوم بعد كردون الاشيخ يضمن لهم حسن الاتفاق مع محمد احمد. فلا الوفاء بالعهد يروق لهم لمناقضته للغرض ولا الحماية تسهل عليهم لأن دول أوربا بالمرصاد وبين هذا يأخذ محمد احمد مايهيئه له الامكان من القوة ويثبت دعوته الى سائر الاقطار ويجيش الجيوش ويزحف الى خرطوم وهواليوم يحاصرها وعلى شرف افتتاحها ومع حرص الحكومة الانكليزية على كتم الأخبار وتلطيف الاشاعات من جهة خرطوم اضطر ناظر جهاديتها أن يعترف فى مجلس النواب بأن المخابرات منقطعة بين خرطوم ومصر السفلى ﴿ الى الاسكندرية ﴾ وان الحكومة الانكليزية في مخابراتها مع الجنرال كوردن انما تعتمد على الصدفة فى وجود من يقطع البرارى الى عاصمة نوبيا وكورسكو حتى يوصل الخبر اليه وانه لاعلم للحكومة بشيء من أحوال النيل الا على من خامس عشر الشهر ، ولا تدرى ماذا حل بكوردن ، وأثبتت جريدة التمس أن الجنرال في خطر عظيم ، وزاد الهول عليهم أن عثمان دجمة لم يتزعزع عزمه بما أصابه في الهزيمتين بل لم يزل خصماً قوياً للحكومة الانكليزية ، ويدل على ذلك أن الجنرال كراهام يتأهب لمنازلته كما ذكرته جريدة التان وفى أهم

الجرائد الفرنساوية أن وقوع خرطوم فى قبضة محمداحمد يكون له رجة هائلة وأثر عظيم في تغيير الاحوال الحاضرة فى البلاد المشرقية .

نعم اذا حل محمد احمد في خرطوم سهل عليه جمع كلةالقبائل النازلة مابين خرطوم وأصوان وتتصل أطراف جيشه ببلاد مصر العليا ولا يعدمون من العرب في جهات الصعيد بل وفي الدلتا من يلتحق بهم وتكون الطامة الكبرى . يغلب على ظننا أن هذه النار ليست مما يطفئه رذاذ السياسة الانكليزية . ولا مما تخمده حركات عساكرها البطيئة ، خصوصا وقد وقع الخلاف بين حكومة بريطانيا وبين قواد جيشها فى سواحل البحر الاحمر ، فمن رأى الحكومة أن تداوم الحرب وتسرع فى انهائها ومن رأى الاميرال هفيت توقيف الحرب الى شهر اوكتوبر (بعد ستة أشهر) لئلا تهلك العساكر من الحر ، وان في ستة أشهر لسعة لما لايهجس الآن في خاطر أحد . فلو وكل الامر في تسكين الثورة وحسم الفتن الى القوة الانكليزيه وبروقها الخاطف لم نكد نفكر فيمايكون منها حتى تلتهب النيران في أنحاء آخر ويصعب على أرباب الشأن فيها بعد ذلك تداركها وليس لكشف هذه الخطوب الا عزائم المسلمين ، يلقى اليهم زمام العمل فيها خالصاً من المداخلات الاجنبية التى توغر الصدور وتثير الاحقاد .

وأحست الجرائد الفرنساوية بما فى نية انكلترا أن تفعله من التصرف في الأراضى المصرية ومنها جريدة الريببليك فرانسز وجريدة الديبا وغيرهما فطلبت من الحكومة الفرنساوية أن تحل بعساكرها فى جزيرة دلسى المتسلطة على سواحل البحر الاحمر مما يلى مصوع محتجة على ذلك بقولها ان صح مادعاه ناظر جهادية انكلترا من كون شطوط

البحر الاحمر تعد من طريق الهند فلنا أن نقول انها أيضاً طريق تونكين وكوشنشين ومدا غسكربل أن الحلول في تلك الجزيرة من أهم الضروريات لمراقبة منع التجارة في العبيد كما تقضى به المعاهدة بيننا وبين انكلترا .

هذا بعض ما أنتجته سياسة غلادستون فى مصر وربما يسكن روع أمته ويخفف انزعاجها من هذه المباراة الجديدة بينها وبين فرنسا على سواحل البحر الاحمر بتذكار ما أعقبته المباراة بين الامتين فى الهند من أزمان ماضية ولكن شتان بين الزمانين فتلك أوقات كانت سياسة انكلترا خافية على أهالى الهند وكانوا ينخدعون لها أما اليوم فلم يبق فيها خفاء على أحد من سكان الممالك الشرقية ولعل الغيب يوافينا عن قريب بما يكون لفرنسا مع انكلترا فى هذه المسائل والى الله المصير .

الشيخ المرغنى

ورد تلغراف من سواكن في ٢١ مارس مفاده أن الشيخ المرغنى ومعه شيخ آخر يقال أنه من مكة ذهبا فى ذلك اليوم إلى المعسكر الانكليزى ليحضر خضوع كثير من مشائخ القبائل الذين جنحوا إلى السلم مع الانكليز. وفي خبر آخر أن هذا المرغنى صاحب فرقة انكليزية تسير إلى بر هندوك ليكون على يديه طاعة بعض القبائل فى تلك النواحى ، ويقال أن احداها لم تزل مترددة فى قبول الطاعة وعدمه

هذا مما يعجب منه أن شيخاً يظهر بين المسلمين بمظهر العلم والارشاد ثم يقود جيشاً انكليزياً لاذلال أبناء ملته ، واخوان دينه وجنسه ، وهو يعلم أن شرفه شرفهم ، وسيادته بسيادتهم ، ولولاهم ما نال الاكرام

والاجلال ، وما أغدقت عليه النعمة ، وتوفرت لديه دواعي الترف والنعيم ، وتمتع بكامل لذاته وشهواته ، كيف يسوغ له أن يقدم جيوش الانكليز ، قبل الوقوف على مقاصدهم ، وماذا يريدون من تذليل العرب واخضاعهم ، هل يصح له أن يأتي أمراً مثل هذا وهو يعلم ما يحذره الشرع وما يبيحه اغتراراً ببعض الاوهام التي لا أساس لها

وكتب الينا من مصر والحجاز أن جماعة من العلماء في القطرين حكموا بمروقه وقالوا ان هذا من أعظم الزلات التي لم يرتكب نظيرها في الاسلام ، على أنه ليس من العلماء ولا من العارفين بطرق الارشاد ، وانما نال الاعتقاد عند بعض السودانيين وراثة عن أبيه ، وانه لم يتميز عن العامة الأميين في شيء ، وان كان هذا لا يدفع العجب من فعله

خرطوم

في الجرائد الفرنساوية نقلا عن الانكليزية أن أشياع محمد أحمد كانوا في مساء الثالث عشر من شهر مارس ثلاثة آلاف على القرب من خرطوم ، وفي صباح الرابع عشر وصلوا إلى ستة آلاف وهو يدل عن أن الجنرال كردون عنده شيء من قوة الدفاع حيث لم تقدم تلك القوة على مهاجمة المدينة ، لكن ماذا يجبي من طوعه أن يفعل مع هذه الآلاف المؤلفة التي تتضاعف يوماً بعد يوم وهم يحدقون بمحل اقامته من جميع الجوانب ، ومما يدل على أنه في أصعب المضايق بل على شفير الخطر اتفاق الجرائد الانكليزية على دعوة حكومتها لانقاذه بغاية السرعة. وفي أخبار الخامس عشر من الشهر أن فرقاً من الثائرين متحصنون

على شواطىء النيل بمقربة من حلفية ، على مسافة بضعة أميال من شمال خرطوم ، وانهم أطلقوا النيران على مركب كانت تسير في النيل حاملة ثلاثماية رجل استقدمهم الجنرال كوردن وقتلوا منهم نحو مائة الا أنه تيسر للجنرال استخلاص باقيهم ، واستبشرت جريدة التمس بهذا الظفر الذى تسنى للجنرال بتخليص بقية القادمين اليه وان أظهرت غاية الكدر من كونه في خطر عظيم ، وثائرة السودان تحيط بجميع أطرافه وتستحث حكومتها على انقاذه ما استطاعت (والله يعلم كم بين ذاك الاستبشار وهذا الانذار وهما في فصل واحد)

وفى تلغراف إلى الدالى نيوز أن طرق خرطوم منقطعة، وان القبائل المذعنة لمحمد أحمد محدقة بجميع جهاتها ، وان ثلاثة من تلك القبائل وافرة العدد وعلى مقدمتها جم غفير من المشائخ والدراويش يزحفون قصد الاستيلاء عليها ، ويظن عموم الناس أن لا سبيل لمدافعتهم عنها أو تخليصها منهم إلا بانجاد عساكر انكليزيه ، وقال مراسل التمس فى ٢١ من الشهر أن من الواجب على الحكومة الانجليزية اغاثة الجنرال كردون فانها قد القته في فم الاسد وسيكون فريسة المنية ان لم ترسل العساكر اليه بغاية السرعة

وجاءت الاخبار مؤكدة أن حصن كسالا تحت محاصرة الثائرين ، وأن القبائل في جنوب بربر جميعها في هيجان وثورة شديدة

وهذا كله يؤيد ما قلناه مراراً من أن هذا المدعى يخشى من قوة بأسه وسريان دعوته إلى جهات بعيدة ؛ فانه اذا استقر قدمه فى خرطوم لم نلبث أن نسمع بظهور دعواه في أصوان

تحكم اللورد دوفرين

نهجت دولة الانكليز في معاملتها للدوله العثمانية منهجاً جديداً بعد حرب الروس، تأخذها بالتهديد والتهويل فى كل ما تروم قضاءه من أغراضها في الممالك العثمانية، ولا تراعى فيما تفعل قانوناً دولياً، ولاعهداً سياسياً، وتتحكم بجبروتها في تحديد المواعيد وتعيين الاوقات، وأعظم مايكون من مرهباتها الوعيد بتغير قلبها عن وداد تلك الدولة أواشمئزاز نفسها منها ولا تفرق في نهجها هذا بين صغار المسائل وكبارها.

ومن ذلك ما رواه جميع الجرائد من اشتداد اللورد دوفرين سفير انكلترا في الاستانة على سعيد باشا الصدر الاعظم واغلاظه له فى القول عند التكلم فى شأن شركة عثمانية تحت رعاية دولتلو بهرام أغا منحها الباب العالى امتيازاً بتسيير سفن النقل على شطوط البحر الابيض، وكان هذا العمل في يد شركة انكليزية (لم تأخذ به امتيازاً) فامتعض اللورد دوفرين وطلب من الباب العالى استرداد منحته فلم يجب طلبه فذهب يوم الخميس الماضى إلى الصدر الأعظم وخشن له المقال ونسب إلى الباب العالى تعمد المراوغة، ولما تنصل له الصدر بأن هذا ليس من خصائصه بل يتعلق بناظر الخارجية: قال انه لايخابر فيه نظارة الخارجية (وان كان من خصائصها) وانه يلقى التبعة على الصدر الاعظم اذا تأخر الجواب بقبول حجته وان لابد من تعويض لمن أصابته خسارة بسبب هذا الامتياز من الانكليز، مع تحرير اعتذار رسمي وعزل والى أزمير فاذا بلغ أمرنا إلى الخضوع بكل تهديد والانقياد بأى ارهاب، وصارت

مسائلنا الداخلية تحت اختيار من يستطيع أن يلقى التبعة ، ويبالغ في الخشونة ، فانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

مقاصد انكليزية في مصر

في كل يوم تلح جريدة التمس على حكومة انكلترا بوجوب طرد العساكر المصرية الوطنية ، زاعمة أنه يحل من الاهالى محل القبول ، ويسرون منه غاية السرور ، وتشير على الحكومة أيضاً أن تجهر بحمايتها لمصر وتظهر للدول أنها تتحمل كل تبعة تحصل من مداخلتها في تلك البلاد ، وان ذلك من مقتضى الحزم فان الادارة المصرية وفروعها فى حاجة الى اصلاح حقيقى ولن يقوم به إلا رجال الانكليز .

وهذا من تلك الجريدة وغيرها سوق للحكومة إلى اظهار ما أكنه من السلطة على البلاد المصرية ، وضمها الى ممالكها الشرقية ، وما كان ذلك خافيا على أحد وان كان بعض المصريين غالطوا فيه أنفسهم عن علم أو جهل والله أعلم .

وما تطلبه الجرائد من طرد العساكر الوطنية انما هو مقدمة التملك ورسوخ القدم ، ثم هي تموه في تحسين ذلك بدعواها أن أهالى مصر يفرحون منه مع أن أول ثورة عسكرية سر بها المصريون على عهد وزارة ولسون انما كان منشاؤها العزم على تقليل عدد العساكر واقفال

المدرسة العسكرية ، فالمصريون وهم هم وهم المسلمون لا تعقل مسرتهم من طرد حاميتهم الوطنية بل ينزعجون منه غاية الانزعاج .

حجة نوبار باشا

في تلغراف من القاهرة بتاريخ ٢٢ مارس أن نوبار باشا أقام الحجة على المستر كليفورد لويد (وكيل الداخلية المصرية) ورفع حجته الى الماجور بارنج .

هذا الذى بقى لاولى الامر من الشرقيين يقيمون الحجج والبراهين ويقنعون بأن برهانهم سالم المقدمات صحيح النتيجة عند العقل إلا أن بعضهم يقيم حجته على بعض الدول عند بعض آخر منها وبعضهم يقيمها عند أوليائه من الاجانب وهو منهم وفيهم . ان هذا لشيء عجاب !

عثمان دجمه

في التلغرافات الاخيرة أن فرقة انكليزية ستفارق هندوك وتتوجه الى نواحى تمانيه (محل المعركة الماضية) لتعسكر فى تلك الجهات أيظنون أن اقامتهم بها يكفى لخضوع القبائل . غير أن عثمان وعد قومه بأنه سيأتيه أمر الهى بعد ستة أيام ليبيد بقوته عساكر الانكليز ، وأشيع أن محمد أحمد سيبعث اليه بمدد .

معاملة محمد أحمد للرسل المسيحيين

جاء إلى خرطوم ضابط مصرى كان في عبيد ، وأخبر أن رسل الكاثوليك في تلك المدينة تحت كنف محمد أحمد على حرية تامة تجرى عليهم الارزاق من طرفه للواحد منهم فى كل شهر خمس تليرات (ريالات) ونصف، وأن كنيستهم مفتحة الابواب وان كانت المدارس معطلة للضرورة

وهذا العمل منه يرشد إلى أن له دهاء وذكاء وخبرة بما يجب الاخذ به في معاملة أرباب المذاهب والاديان المخالفة لدينه ومذهبه ، وهذا يزيدنا خوفاً من استفحال أمره وانتشار دعوته .

اخبار أخيرة

كتب مراسل الدالى نيوز المرافق للجيش الانكليزى في سواحل البحر الاحمر أن الجيوش الانكليزية تقاسى مصاعب ومشاق شديدة فى قطع الطريق إلى حيث تلتقى مع جيوش عثمان دجمه لتلتحم معها في القتال مرة ثالثة، فان الحر شديد والمسالك وعرة والمياه مضرة بالصحة ، مع قلتها ولم يجوزوا الى أول مرحلة إلا وقد أجهدهم التعب ، واستولى عليهم الوهن ، فأعجزوا أربعماية منهم عن المسير .

قالت جريدة التان أن هذا الهجوم لم تتبين غايته ، ولما سئل عنه مستشار خارجية انكلترا في البرلمان لبس في الجواب وراوغ في بيان الحقيقة ، كأنه يريد التملص مما عساه أن يرد عليه من بعد واخفاء المقصد ، حتى اذا لم ينجحوا فيه ستروا ما يلحقهم من خجل الاخفاق

فى السعى . وموهوا على مايمسهم من الشين ، ويغلب على الظن أن القصد منه فتح الطريق بين بربر وسواكن لتتمكن حكومة الانكليز من مخابرة الجنرال كوردن من جهة سواكن (حيث تعسرت عليها من طريق خرطوم بعد محاصرتها بجيوش محمد احمد من أطرافها المتصلة بالنيل)

ويقول مراسل الدالى نيوز أن الشدة لو دامت بالعساكر الانكليزية على حالتها الحاضرة ، فلا بد أن تصير غنيمة باردة لعثمان دجمه وفريسة ناجزة لاشياعه

وفي جريدة التمس أن القلق في لوندرة شديد ، والاضطراب بالغ فيها حده ، وعموم الناس يتطلعون إلى الاخبار المصرية دقيقة بعد دقيقة، وأتبعت ذلك تلك الجريدة بقولها ان لم يتيسر لحكومة انكلترا فتح طريق بربر بهذا الزحف الجديد ، ضعف الامل من فتح هذا الطريق فى وقت آخر ، وعز على انكلترا أجراماً فرضته على نفسها في الاقطار المصرية ، وقل الرجا في تسوية المسئلة السودانية بطريقة محمودة

عزمت حكومة الروسيا بعد حلولها في مرو على أن تجعل وراء بحر الخزر من البلاد الداخلة تحت سلطتها حكومة خاصة بها لها مركز معين وقاعدة ترد اليها أحكام تلك النواحى . حتى تسهل المواصلة بينها وبين مرو ، وهذه حركة جديدة لدولة روسيا فى أطراف آسيا ، وهي وان كانت لا تسر المحبين لانكلترا ولكنها لا تحزن أعدائها

نصيحة

أشد ما كانت هيبة الانكليز وملكتها على قلوب الشرقيين قبل تكتيب الكتائب وعقد الالوية وسوق العساكر لمقاتلة عثمان دجمه على أميال من سواحل البحر الاحمر ، وكان يخيل للسودانيين بل يلابس اعتقادهم أن القوة الانكليزية مما فوق الطبيعة وعن مثلها تصدر خوارق العادات ، وكان من ظنون الشرقيين في أقطار أخران غرائب القدرة البريطانية بلغت مبالغ السحر ، تدهش الالباب وتحير العقول ، واذا خلج فى صدور أمة من الامم صغيرة أو كبيرة لبعدها عن مركزها ان تغالبها على حق ، أو تناويها في مرغوب ، انشقت الارض وانفطرت السماء ، عن كماة من الانكليز يصبون عليها أسواط العذاب ، ويذيقونها اليم الوبال ، ويخلبون الارواح من الاجساد ، فيغلبون ولا يغلبون ، خصوصا ان كان مغالبوهم لا يحملون من السلاح إلا نوعاً من الصنع القديم ، مما كان يستعمله أبناء نوح بعضهم في مدافعة بعض .

إلا أن هذه الدولة العظيمة الجأتها حوادث السودان أن تسوق جيشاً للايقاع ببعض العرب في نواحى سواكن ، فتحركت الجيوش المنظمة لملاقاة عثمان ورجاله وبنى القواد في الزحف قلاعاً « مربعات » من العساكر الباسلة ، مدرعة بلوأم من حراب البنادق « السنج » مسيجة بالآلات الجديدة ، من صنع رمنتون وهنرى مارتين ، على أجود طرز يكون منه ، وحصنوها بأبراج من المدافع لاتدانيها من سكان تلك القفار قوة ، ولا تسمو إليها منهم قدرة ، لكن قوة اليقين أو تحكم الجهل دفع على الصفوف الانكليزية جماعة من عراة العرب وحفاتهم ، فهدموا

قلاعها ، ونقضوا بنيانها ، وقوضوا أبراجها ، وبعد تدافع وتضام وتقدم وتأخر ، في موقعتين عظيمتين ، كر الانكليز الى سواكن « ساحل البحر » وأخلوا ساحات القتال ، وتقهقر العرب الى الجبال وعج الانكليز غلبنا وانتقمنا .

ماذا أثرت هذه الغلبة العجيبة فى نفوس السودانيين ، ثبتت أقدامهم وقوت جأشهم . وجمعت كلمتهم ، وذهبت بما كان يخامر قلوبهم من الهيبة والرعب . فجمعوا قواهم واستعدوا للقتال مرة ثالثة ؛ فخرموا لسوء البخت أو حسن الحظ من ملاقاة خصومهم ، لان شدة الحر كانت من أعدائهم أو نصرائهم ، حيث أجأت العساكر الانكليزية للجلاء عن تلك الديار ، فأسرعت الى البحر لا يستقر لها قدم الا في مصر أو انكلترا وما آثارته هذه الغلبة فى قلوب السودانيين من ثائرة التهور دعاهم لتضييق الحصر على خرطوم ، لما علموا أن ليس فى قدرتهم ان يقتفوا أثر الانكليز فى البحر ، ولا يستطيعون الايغال في طلبهم وهم على غوارب الموج ، ولما اشتد الضيق بمن في خرطوم نهض الجنرال كوردون بشجاعة الابطال لرفع الحصار فلم تكن الا كرة تبددت فيها جيوشه وأعقبتها فرة الى داخل المدينة لينتظر ما يأتى به القضاء

ولكن ليستر وجه الهزيمة رمى ضابطين عظيمين من ضباط المصريين بالخيانة ، وأمر ان يضربا بالرصاص فضربا وماتا ، وهما حسن باشا وسعيد باشا « فى اخبار التلغرافات » اما هذا الغلب في السواحل على هذه الصورة البديعة ، وما حل بكوردون فقد أسقط من شأن انكلترا وقوتها فى أقطار السودان عموماً ، وجعل كلمتها هى السفلى وبعث

السودانيين على الاعتقاد بأنه احدى كرامات محمد احمـد ، لا حول ولا قوة إلا بالله

خطب يعقب خطباً ، وكرب يحدث كرباً ، هذه الصدمات المتتالية كشفت بعض الستار ؛ وشف بها الحجاب وأحـدثت هزة في قلوب الهنديين ، فكثر النوابون والرجوات عن أنيابهم ، ومدوا سواعدهم ينظرون الى م تطول ويراجع كل واحد نفسه ويمنيها بقرب الخلاص من ضيق الاستعباد ، ويلمح الفرص من خلال هـذه الحوادث ؛ انتشرت أخبار المصائب التي حلت بالجيوش الانكليزية من مصيبة هكس الى ما بعدها في جميع ارجاء الهند ، وترى الناس زرافات وفرادى يتناجون في هذه المسئلة ويرجعون على أنفسهم باللائمة فيما فرطوا من قبل وهم على ربوة الأمل ، يستطلعون سوانح الفرص خصوصاً المسلمين فيهم ، كما أنبأتنا به الرسائل الواردة الينا من أقطار مختلفة من البلاد الهندية ، ونظن ان الدولة الانكليزية وعماد قوتها الايهام والتغرير يصعب عليها بعد الآن ان تعيـد منزلتها الاولى في نفوس الشرقيين ، خصوصاً اذا أقضت حوادث خرطوم الى قتل كوردون أواسرة وافتتاح تلك المدينة وهي عاصمة السودان

يزيد الطين بلة ان يشتد العثمانيون ويأخـذوا بالحزم وقوة العزم في صيانة حقوقهم بأي وسيلة كانت ، وربما نراه واقعاً فان العقلاء منهم لا يغفلون عن حاجـة الانكليز لمسالمتهم ، لان الانكليز يحكمون على خمسـين مليونا من المسلمين جميعهم يعترفون بحقوق السلطان ويجيبون داعيه اذا دعا ، وهم له أطوع من الترك أنفسهم ، والحذاق من العثمانيين وان كانوا يرون ان انكلترا لا تعامل الدولة إلا بالتهـديد والارهاب ،

وجعلت هذا طريقاً لنيل أغراضها منها ، الا انهم يعلمون ان من المحال على انكلترا ان تشهر على الدولة حرباً ، فان سياسي بريطانيا ، وهم أشد الناس خبرة بدقائق الامور ، فضلا عن جلائلها ، لا يخفى عليهم ما تكنه قلوب الهنديين من محبة صاحب السلطة الاسلامية ، بل هم على يقين بأنهم لو جهروا بالحرب للعثمانيين لتقوضت سلطتهم فى الهند لأول وهلة ، لا على المسلمين خاصة ولكن يتبعهم الوثنيون وهذا ظاهر عند كل انكليزى وان خفى على بعض العثمانيين ورام ستره عن باقيهم

الاعتقاد بمحمد احمد أخذ سبيلا في قلوب الهنديين حتى كتب الينا أحد أصدقائنا في لاهور ان محمد احمد لو كان دجالاً لأوجبت علينا الضرورة ان نعتقده مهدياً وأن لا نفرط في شيء مما يؤيده

بعد هذا كيف يمكن للانكليز دفع غائلة محمد احمد ، حر السودان منع وسيمنع من جولان العساكر فيه ، وطلب العساكر من كوركوسيك بعد شيوع هذه الدعوى في الهند مما لا تجوزه الحكمة ، ولا نظن ان انكلترا تثير حرباً صليبية بحكومة الحبش على مسلمى السودان ، لأنه يفسد عليها أمر الهند ويخالف أحكام المدنية الحاضرة

فما هي آخر الحيل ؟ أيكتفى بحفظ القنال مع ترك الفتنة يسرى لهيبها الى مصر العليا بل الى السفلى ، انى أخشى كما يخشى العقلاء من شيوع هذه الدعوى ، وكثرة المعتقدين بها ان يلم منها ضرر بدولة انكلترا وبكل من له حق فى مصر ، فعلى الانكليز كما نصحنا مراراً أن يصونوا بلادهم ، ويحفظوا طريق الهند بتفويض الأمر للعثمانيين ، وأولى العزم من المصريين قبل فوات الوقت ، والى الله ترجع الأمور

الدولة العثمانية

قالت جريدة الميموريال ديبلوماتيك انه لم يؤخذ عن الباب العالى خبر الى الآن عن المنشور الذى عزم على ارساله للمصريين ، الا انه محرر تام وفيه ان الدول ستدعى الى المداولة التى قطعها اطلاق المدافع على اسكندرية «المؤتمر» ولن يعدل الباب العالى عن نشره الا اذا قبلت انكلترا ان تكون مخابرتها معه فى تسوية المسائل السودانية المصرية بطريقة جدية « لا هزلية » ولم نزدد يقيناً بما ذكرته هذه الجريدة في ان الدولة العثمانية لا تتساهل في حقوقها على مصر وانها تبذل مافي وسعها للمدافعة عنها ، وكانت لنا ثقة تامة بعزائم العثمانيين وانهم لا بد أن يقدموا لصون بلادهم المصرية من استبداد غيرهم فيها

ولهذا نجزم بأنه لا يروق للدولة العثمانية ما ذكرته جريدة الدالى تلغراف من ان المستر كلادستون سيجهر عن قريب بحماية حكومته للاقطار المصرية ، وانه سيخابر الدول في تحديد أمد الحماية ولا يكون أقل من خمس سنوات ، وفى أمله ان الدول لا تمانعه فيما يريد الاتفاق معها عليه فى هذا الشان بل تعتبره حقا قانونيا أوجبه بذل الأموال الانكليزية واراقة الدماء البريطانية . وفصلت هذا الخبر بعض الجرائد الفرنساوية وبوبته وأشارت الى ما أجابت به بعض الدول

فليس مما يخطر ببالنا ان الدولة العثمانية توافق على ما تطلب انكلترا لو فرضنا ان الدول سمحت للانكليز بحمايتهم لمصر مدة محدودة أوغير محدودة ، فان الحوادث لا تؤمن وتقلبات الأيام لا ثقة بها ، فيمكن فى خمس سنوات بل في أقل منها ان تتبدل القواعد السياسية ، بل ينقلب

وجه السياسة انقلاباً لا يعرف ، والسياسيون لهم فى كل حادث علة لمحو المعاهدات وتأويل الوثاق

انكلترا فى سواحل البحر الاحمر

وقع ما أنبأت به الجرائد الانكليزية من بضعة أيام ، فان الجيوش البريطانية زحفت للملاقاة عثمان دجمه بعد ان قاست أليم العذاب من وهج الحر ولهيب الشمس ، وأصيب منها عدد وافر بالوهن والضعف ، حتى عجزوا عن مداومة السير . وصابر بقية العسكر فى زحفه وانتظموا على أشكال مربعات تشاكل ما انتظموا عليه في الموقعة الماضية الا انهم لم يتلاقوا مع خصمهم ، وأفاد التقرير الانكليزى ان السبب في عدم الالتحام وصلت العساكر إلى قرية تمانية ولم تجد عنها مدافعاً فأحرقتها ، ورجعت الى سواكن ولا يخفى أن جميع أخبارهم قبل هذا الزحف كانت متفقة على أن عثمان يبعد عن تمانية بتسعة أميال ، وان مسيرهم هذا كان للملاقاته حيث يعتصم فلم يكن هناك داع لحرق قرية تمانيه ولا الاخبار بأنه لم يوجد مدافع عنها إلا ما نعود عليه الانكليز فى حروبهم اذا لم يصادفوا ظفراً يحرقون ويخربون وان لم يكن من يصيبونه بأعمالهم محارباً لهم حتى يقولوا ظفرنا واحرقنا واتلفنا ، وورد الى الجرائد الفرنساوية أن تقهقر عثمان انما كان ليحشرهم بين شعاب الجبال ثم يغير عليهم ويفتك بهم كما فعل رئيسه (محمد أحمد) بعساكر الجنرال هكس ويظهر أنهم لما أحسوا بهذه المكيدة ووجدوا من أنفسهم ضعفاً عن مقاومة العرب فى جبالهم كروا راجعين الى سواكن ، ومحتجين بشدة الحر ستراً للعجز وتقديما لبارد

العذر، والجرائد الانكليزية في قلق واضطراب شديد ولهج أغلبها يحث حكومتها على استدعاء العساكر من سواحل البحر الاحمر ، متعللة بأنها وان كانت من حامية الهند ولها جلد على احتمال الحرارة . الا أن أثر الحر السودانى ظهر فيها بسرعة شديدة ويخشى عليها من التلف الكلى ، وأحرى أن يخاف على سواها ممن لم يفارقوا انكلترا الا لحرب السودان. ويغلب على الظن أنهم شعروا بقوة محمد أحمد وثبات عثمان والتهاب الحمية فى قلوب المسلمين بتلك الاطراف ، فاستفزهم ذلك الى اخلاء وجوههم وخوفاً من أن يحل بجيوش السودان الشرقى ما حل بعساكر الجنرال هكس وتستروا بالشكوى من شدة الحر واحتدام نار القيظ ، مع أن وهج الحرارة في جنوب الهند حيث كانت تحل هذه العساكر كما ذكرته جرائدهم أشد منه في سواحل البحر الاحمر

وما قاله الجنرال كراهام والاميرال هفيت أن الحركات العسكرية قد انتهت على شطوط البحر الاحمر ، يثبت اعتراف هذين القائدين بعجزهما عن فتح الطريق ما بين البحر الاحمر وبربر ، ومساعدة كوردن من هذه الطريق، وبناء على ماأبدياه من اليأس صدرت الاوامر إلى الجنرال كراهام باخلاء المواقع الحربية واجلاء العساكر عنها والخروج من سواكن بما يمكنه من السرعة ، وأعقب الامر اجتماع العساكر بأسرها في تلك المدينة ويقال ان فرقة منها تسافر فى التاسع والعشرين من مارس الى مصر وانكلترا . وهذا الامر لاريب يعده أشياع محمد أحمد والمذعنون لدعوته فتحاً الهياً وتأييداً ربانياً . فيقوى اعتقاد المخلصين له ويقطع شكوك المترددين في قبول دعواه ولربما يذهب الوهم بالسذج منهم الى أن الله أيدهم بالملائكة المسومين ، فكشفوا عنهم عدوهم وبعد

هذا تجتمع كلمة القبائل وتثبت أقدامهم فى مواقف القتال ويزداد حرصهم على تعميم دعوى محمد احمد ، ومغالبة من لم يذعن لها ويكون هذا الظفر الغريب أقوى برهان لهم على صدق دعواهم

هذا ماأدت اليه سياسة الدولة الانكليزية التى وطئت بأقدامها أرض مصر ، لاخماد الفتن لم تجلب مداخلتها إلا تعالى اللهب وقوة الضرام ، وبعد ما سقط فى يديها وخابت في سياستها تجافت عن تسليم الامر لاربابه القادرين على تلافيه من المسلمين ، حتى يحصل الأمن للاجانب والوطنيين ، وتحقن الدماء وتحفظ الاموال ، وعمدت الى الاستنجاد بحكومة الحبش لحرب السودان ، ولم يأخذها خجل فى ذلك وهى تدعى أنها حاملة لواء التمدن والقائمة بنصرة الانسانية وتتلو آيات الانجيل أناء الليل وأطراف النهار ، ثم تستدعى حكومة خشنة غير مهذبة كحكومة الحبش لمقاتلة قوم آخرين وان كانوا ليسوا بأقل منهم خشونة لتشتبك حرب بربرية تحرق فيها المدن والقرى وتسفك فيها الدماء الغزيرة ويفتك فيها بالاولاد والنساء والشيوخ ومن لا جريمة لهم حتى يفنى بعضهم بعضاً ، ولم تبال في التماس هذه المساعدة ان تصرح للحكومة الحبشية أن الغرض منها كبح المسلمين في السودان واضعاف قوتهم لتثير بذلك حربا دينية تذكر العالم بالحروب الصليبية . فقد جاءت الاخبار الى الجرائد انفرنساوية بأن دولة انكلترا تلتمس من يوحنا ملك الحبشة أن يمدها بجيوش للدفاع عن سواحل البحر الاحمر لعجزها عن حمايتها بنفسها واطفاء ثورة المسلمين واخضاعهم وبعثت اليه قائد أسطولها ليتفق معه على شروط هذه المساعدة وما يغنمه بعد القيام بها ، وفى جريدة الميموريال ديبلوماتيك أن من جملة ما تطلبه انكلترا من الحبش فضلا

عن الانجاد الحربى أن يتخلى لها عن جزيرتين في البحر الاحمر لتحل فيها بعضا من عساكرها وله من العوض ما يكافي الامرين جميعاً .

يريد محبنا الصادق أن يقدم للحبش جزءا من أراضينا مكافأة له على ما يريد منه ولم يغفل عن مراعاة المرابحة التجارية حسب عادته ترغب الى الحبش أن يتنازل له عن أملاك فى البحر الاحمر ، فليعتبر المعتبرون .

خرطوم

نوهنا مراراً بما للمسلمين عموماً ، والمصريين خصوصاً ، من الانقباض عن حرب اخوانهم واراقة دماء ملتهم بمجرد أوامر تصدر اليهم من مخالفهم في الجنس والاعتقاد لا يعلمون لها عاقبة ، ولا يدرون من يجتنى ثمرتها ، بل يوقنون انهم انما يقتلون اخوانهم ليورثوا أرضهم لقوم آخرين ، ربما كانوا أعدائهم أو يكونون أعدائهم ، ولهذا لم يأخذنا عجب من خذلانهم لهكس في السودان الغربى ولالباكر في السودان الشرقى ولا مما بلغنا في هذه الأيام من خذلان كوردون في خرطوم ، ولم يختلج في صدرنا ولا في خطرات أنفسنا ان انهزامهم في هذه المواقع منشأه الجبن والخور أو الاختلال والنقص في الآداب العسكرية ، ولكن نعلم انهم يفضلون الموت بيد اخوانهم على الظفر بهم لتكون أموالهم وديارهم غنيمة لصاحب أمرهم من الاجانب . أما الجرائد الانكليزية وقواد الانكليز فهم يبالغون فى جبن العساكر المصرية واختلالها ليتطرقوا بذلك الى مافى عزم حكومتهم من طرد الجيش المصرى الوطنى

واقامة جيش انكليزى مقامه . حتى يتمكنوا بجيشهم ان ينالوا ما تطمح اليه أنظارهم فى المستقبل

ومن هنا لا يستغرب عارف بحقيقة الامر ما ذكره مراسل التمس فى خرطوم من ان كوردون باشا عند ما اشتد عليه الحصر من اشياع محمد احمد خرج بألفى جندى من الجنود المصرية وبعض العساكر الغير المنظمة (الباشبوزق) ليفرق المحاصرين ويبعدهم عن أبواب المدينة فلم تثبت الجنود لأول الملاقاة وانحاز منهم خمسة ضباط الى قبائل العرب وعمد اثنان من أمرائهم (بشوات) الى قتل من كان على المدافع منهم ليطلقها على اخوانهم التابعين لمحمد احمد ، ويقال ان كوردون قبض على الأميرين ووضعهما تحت المحاكمة العسكرية وآخر الامر اضطر كوردون الى الدخول وراء الحصون بعد ان تبدد جيشه وقتل منه مائتان على ما رووا ، ولم يقتل من الثائرين الا أربعة وغنم العرب من ذخائر جيش كوردون مقداراً وافراً ، مع ان المهاجمين منهم كانوا فئة قليلة لا سلاح لهم الا الرماح والحراب ، وجيش كوردون كان ألفى رجل شاكى السلاح من الطرز الاوروبى الجديد

هذا يكون من المصريين لانهم تحت قيادة أجنبى يأمرهم بأوامر دولة أجنبية ، ولو كانوا فى أمرة أمير مسلم مصرى ولهم ثقة بعاقبة ظفرهم ان تكون لبلادهم وملتهم ، لرأينا منهم ما رأى العالم وشهد به الكون لهم من الشجاعة والاقدام أيام محمد على وابراهيم باشا

وبالجملة فقد أرجع كوردون بعد تغلب الثائرين حاميته الى مأمنه في خرطوم يوم السادس عشر من شهر مارس (الماضى) ويقول مراسل

التمس انه يمكنه التمنع فى الحصون بعض أيام الا انه لم يجرأ على الخروج مرة ثانية

الجرائد الانكليزية تحكى ماهال أهل بريطانيا من مصيبة كوردون وتنذر بخطر عظيم يحل به وفي جريدة الدلى تلغراف ان هلاك كوردون أو وقوعه في أسر محمد احمد يذهب بالاعمال الحربية التى قامت بها العساكر الانكليزية فى السودان ، ويجعلها هباء كأن لم تكن ويزيل أثر تلك المواقع الدموية فتكون نسياً منسياً ، وقالت جريدة الستاندرليس من الممكن لنا ان نتأخر دقيقة واحدة عن العمل الا اذا أردنا ان نلقى بكوردون الى هاوية الهلاك ، وبالسودان الى الفوضى (نعم لابد أن يخافوا على السودان من الفوضى كما خافوا على مصر منها) وفي التمس لابد لانكلترا ان تظهر عزيمتها في الاحوال الحاضرة وتأخذ في عملها بالشدة حتى يعلم ذلك منها عند الكافة من الانكليز ، ومن آمالها ان الامة الانكليزية تؤيد الحكومة فيما تعزم عليه وانه لا سبيل لانفاذ كوردون إلا تصميم الحكومة الانكليزية على ماتريد (ولم تفصح التمس عن تلك العزيمة ماهي ولا ما تصمم عليه الحكومة ما هو لعل كل ذلك هو هذا : لابد ان نفعل ولا بد ان نترك ولابد ان نكون ولا بد ان لا نكون)

قالت جريدة التان الفرنساوية أن هذا الخطب الجديد أحدث من القلق فى انكلترا ما لا مزيد عليه وعموم الناس فيها يعتقدون أنه ان لم ترسل الحكومة جنوداً لانجاد كوردون فهو هالك لا محالة.وجميعهم يعلمون مقدار التبعة التى تحملها الوزارة (الانكليزية) اذا مات أواسر كوردون فانها هى التي القت به في هذه التهلكة ، والجرائد عموماً على

اختلاف مشاربهم متفقة على القول بأن موت كوردون باشا يكون وصمة في شرف انكلترا لا تمحوها الايام .

ان ناظر الجهادية الانكليزية يحاول سائليه من الحزب المضاد فى مجلس النواب ويراوغهم فى الجواب ويتعلل بأن الحكومة لم تعد المجلس وعداً صريحاً بأن تبين مقاصدها في السياسة المصرية ويزعم أنه لا يمكن ان يفيده بتفاصيل عن أحوال خرطوم لانقطاع الاخبار . لكنه يعترف بهزيمة الجنرال كوردون وبما هو فيه من الشدة والضيق ، الا ان اللورد نور ثبورك لم يزل مصراً على طلبه من الحكومة بيان سياستها فى المسائل المصرية والسودانية بالتفصيل ، وقال اللورد غرانفيل فى مجلس اللوردات انه لا يرى من السهل فى هذه الاوقات ان تفتح الطريق بين سواكن وبربر وخطأ القائلين بسهولته وأفاد المجلس بالفشل الذى حل بالجنرال كوردون

أماني انكلترا فى حركات محمد أحمد

صرح اللورد غرانفيل فى مجلس اللوردات بأن المقاومة الشديدة التى لاقوها من قبائل العرب ورئيسهم عثمان في سواحل البحر الاحمر لم يكن القصد منها الا الرغبة فى تمكين سلطة محمد احمد في البلاد السودانية ، يريد من هذا انه لم يحملهم على الثبات والترامى على الموت عدوانهم للانكليز ولا طمعهم في توسيع الفتح وانما كان الحامل هو الدفاع عن شوكة محمد احمد فى السودان خاصة . وهذا من اللورد إما

غفلة او تغافل عن لواحق دعوى المهدوية بل لوزامها التى لا تنفك عنها فان القائم بهذه الدعوى لا يقف في سيره عند غاية ، ولا يقنع بملك وانما يريد بسط دعوته فى أقطار العالم واحياء الأوامر الالهية التى جاء بها صاحب شريعته الذى يدعى النيابة عنه في تبليغها وصيانتها فى نفوس الناس كافة ، وسواء كان صادقا في دعواه أو كاذباً ، فان يتم له أمر ولن تتمكن له سلطة في بقعة من بقاع الارض سوداناً كان أو مصراً أوغيرها من البلدان الا بتقدمه الى ما ورائها حتى يعلى كلمة دينه ، ويرد الى الحق من انحرف عنه ، ويكون له التصرف التام فى قلوب المسلمين ، ويأخذ منها مكاناً عليا يشرف منه على مطامح دعواه فى غيرهم من الأمم ، وسواء يسر الله له النجاح فى ذلك أو باء بضده ، هذا لا كلام لنا فيه الآن . ولكنا نتكلم في الخصائص الطبيعية لهذه الدعوى العظيمة ، وبعد الوقوف على ما بينا يسقط من النظر قول اللورد غرانفيل فى مجلس اللوردات ان حكومته لم يرد لها خبر يحملها على الظن باستعداد محمد احمد لقبول أمارة كوردفان والاكتفاء بها ، ولا يعلم هل قبول محمد احمد لملك الولاية يكون حجاباً بينه وبين التقدم الى سواها ، فقد علمت ان محمد احمد لم يقم بدعوى الملك . ولا طلب حق له في الأمارة كان يرثه عن آبائه ، وانما قام بدعوى لا نهاية لاطرافها الا عند حدود السطوة الاسلامية ، فليس يكافئ قوة دعوة اسلامية الا عزم اسلامى ، ولن يكافح هذا المدعى ويرده الى قدره إلا رجال مسلمون ، يدافعون الدعوى بما يقوى على اضعافها أو محوها ، فان لم يرد لحكومة اللورد خبر الى الآن عما ذكره فليطمئن قلبه لعدم وروده فى المستقبل ، ولا

نظن خبراً يأتيه إلا بنقيض ما توهمه ، نسأل الله حسن العاقبة

بعد تحرير هـذه الأحرف جاءت الاخبار مصدقة لما قلنا ففي تلغراف من مكاتب التمس في خرطوم ان ثلاثة دراويش جاؤا مرسلين من قبل محمد احمد الى الجنرال كوردون وأرجعوا اليه علامات الشرف التي كان بعث بها الى مرسلهم ، وبلغوه ان محمد احمد يرفض لقب أمير كوردفان وينصح الجنرال ان يدخل في دين الاسلام فهو خير له

الحزم والعزم

ان أبناء الأمم الغربية اذا عمدوا الى قصد لايفترون في طلبه ، وعلو الهمم فيهم تجعل لديهم كل صعب سهلا ، وكل بعيد قريباً ، يقتحمون المخاطر لاكتساب الشرف ، ويتجشمون المصاعب للوصول اليه وبلغوا من محبة المجد حداً لا يرونه غذاء لارواحهم فقط بل عدوه من مادة النماء لأبدانهم فهم يفرقون خوفا إذا عرض وهم لفواته ، خشية من هلاكهم وذهاب حياتهم ، لهذا ترى الرجل منهم يجوب فيافي افريقيا ، ويتسنم جبال سيبريا ، ويخالط قبائل وشعوباً لايعرف لهم لغة ، ولا يألف لهم عادة ولا اخلاقاً ، ويتكبد مشاق الحر والبرد والجوع والعطش ، وينازل الموت مع من يخالطه من تلك القبائل البعيدة عنه في جميع أوصافهم ، وهوفي كل وقت يقع بين أنياب المنية منهم ، ثم يخلص بما يقتدر عليه من الوسائل . كل هذا يحتمله طلباً لشرف يكسبه لذاته ، أو ابتغاء مجد يحصله لامته

ومن هؤلاء الرجال بل من أحزمهم وأجلهم صديقنا الهمام البطل الشهير المستر اوكلى أحد نواب البرلمان الايرلنديين ، جاء إلينا من أشهر على عزيمة السفر الى عبيد وسألنا ان نقدم له ما يسهل له الوصول مع الأمن على حياته ، فأجبناه بتحرير رقائم الى من لهم اليد الطولى فى مساعدته ، ووردت منه المكاتيب تبشرنا بنوال مبتغاه ؛ وفى هذه الأيام جاءتنا تلغرافات بوصوله ومنهم رجال من عظماء الفرنساويين الاحرار ذهبوا الى مثل مقصده وتوسلوا بمثل وسائله وهم اليوم يتوسطون الطريق . ونرجو لهم سلامة الوصول

ورجاؤنا أن يكون فى هؤلاء أسوة للشرقيين ؛ لا تقعدهم الاوهام الباطلة ؛ ولا تنيمهم الأحلام الكاذبة ، ولقد كان لهم فى أسلافهم أسوة حسنة ؛ ولكن من الاسف نحتاج في تذكيرهم بما لهم من سابق المجدالى ذكر أحوال الحاضرين من غيرهم . ولله الأمر من قبل ومن بعد

اسطورة

ذكروا في أساطير الأولين ان هيكلا عظيما كان خارج مدينة اصطخر وربما أوى اليه بعض سراة الليل اذا اشتدت بهم وحشة الظلام وما أوى اليه أحد إلا غالته المنية فيأتى طلاب أثره لقص خبره فيدخلون الهيكل في ضوء النهار فيجدوا بهميتاً ثم لايهتدون لسبب موته لسلامة بدنه من كل ما يعهد سبباً للموت , واشتهر أمر الهيكل بين السابلة والقطان وأخذ كل قاصد حذره من المبيت به حتى ضاقت الدنيا برجل ؛ فاختار

الموت على الحياة وصعب عليه انتحار نفسه بيده فذهب الى الهيكل لعله يصادف منيته فدنا بالقرب منه رجال نصحوه وحذروه عاقبة الهلاك فلم يصغ اليهم وقال انما أتيت لنلتمس العاقبة وانفلت من نصحائه الى حيث يظن مهلكه ؛ فلما توسط الهيكل فاجأته أصوات مزعجة هائلة كأن جمعاً عظيما يخاطبه : هانحن قد أتينا لانتلافك . هانحن قد أتينا لانزهاق روحك هانحن وصلنا لتمزيق بدنك وسحق عظامك . فصاح البائس الا فاقدموا فقد سئمت الحياة ، ولم يتم كلامه إلا وقد حدثت فرقعة شديدة وانحل الطلسم وانشق الجدار وتناثرت منه الدراهم والدنانير وتفتحت أبواب الكنوز ، فاطمأن الخائف ونام حتى أصبح ولما أضحى النهار ، وجاء الواقفون على خبره ليحملوا جنازته وجدوه فرحاً مستبشراً يسألهم بعض الاوعية لحمل ماوجده من الذهب والفضة . فاستخبروه قصته فبعد البيان علموا ان هلاك من هلك انما كان بالفزع من تلك المزعجات التي لا حقيقة لها

بريطانيا العظمى هيكل عظيم يأوى اليه المغرورون اذا أوحشت مظالمات السياسة فتدركهم المنية بمزعجات الاوهام ، وكم هلك بين جدراته من لامربرة لهم ، ولا ثبات لجأشهم ؛ وأخشى أن يسوق اليأس اليه قوى المريرة ، ماقت الحياة . فما يكون إلا هنيهة يصعد فيها صوت اليأس ، فينقض الجدار ، وينحل هذا الطلسم الاعظم

القوة للحق

أخذت دولة بريطانيا في معاملة الشرقيين لهذه الايام طريقاً غير طريقها المعروف ، وهي تعلم أن نجاحها في أعمالها لديهم . وبسطة ملكها فيهم ، واقتطاف ثمرات جنانهم ، انما كان بذلك الطريق المعهود ، كما أراها اليوم اكتنهت حقائقهم . وسبرت خلائقهم . ووصلت الى مكنونات صدورهم ، تجاوزت من ظواهرهم الى ضمائرهم ، وأدلت بخراطيمها الى قلوبهم ، فأحست سكونا ، فحسبته يبساً ، من شدة الحين وسرت بدقتها في أوعية دمائهم . فنفرت منها بفتور ظنته وقوفاً من شدة الضعف فكان من حسبانها أنهم في نهاية العجز عن أعمالهم . والقيام بشؤنهم ، أوأنست منهم الركون الى المراتب التي نقلت عن معانيها الاصلية . وجردت عن مدلولاتها : كناظر . ووزير . ووال . وأمير . وهي أشبه بقباب عالية . الا أنها خاوية خالية . فكان من زعمها أن أمراء الشرق شغلتهم بهرجة هذه الصور الظاهرية . حتى أنستهم منافعهم الحقيقية . وضرورات حياتهم الجنسية أو الملية . وقنعوا بما يشيده الوهم . ويزينه الخيال . هكذا ظنت كما تدل عليه أعمالها . ولم يكن ذلك معهوداً منها

دخلت دولة الانكليز بلاد الهنديين ومدت عينها الى ما متعهم الله به من أراضيهم . وطمحت الى اختطافها من أيدى المسلمين . إلا أنها ذهبت مذهب اللين واللطف . وخفض جناح الذل . والظهور في البسة الخضوع والخشية . وصابرت على هذا السير أزماناً نقطع مسافات كثيرة في مدة طويلة

نعم كانت تتدرج في نقض أساس السلطنة التيمورية حجراً حجر

وتتملك أراضيها قطعة بعد قطعة . لكن بدون تعرض للسلطنة الظاهرية ولامس لنفوذها . كانت تغرى الولاة من النوابين والرجوات بالخروج على السلطان التيمورى . ثم تنوب عنه بالعساكر الانكليزية والصينية . للتغلب على الخارجين تحت اسم الملك . ولا تمس رسومه الملوكية بل تلقب نفسها خادمة مأمورة . هكذا كان سيرها . وهو المألوف من عوائدها .

أما فى مصر فقد أظهرت مقاصدها لأول خطوة ، باكورة أعمالها بعد دخول تلك البلاد غل أيدى الحكومة ، ومعارضتها فى جميع أعمالها وصدها عن تعاطى شؤونها ، وربما كان يخيل للناظر فى حركات تلك الدولة أيام كانت تهيئ أسباب الفتنة السابقة ومساعيها لتقوية ثورة السودان . انها تسلك سبيلها فى الهند ، ولكن يرى في منعها السلطان العثمانى عن المداخلة في اصلاح بلاده المصرية والسودانية . مع ماله فيها من الحقوق الشرعية والقانونية ، منعاً صريحاً وفى معارضة ولاة مصر وحكامها في كليات الأمور وجزئياتها انها انحرفت عن مشربها وأخذت مذهباً غير مذهبها

كليفور لويد مستشار الداخلية في مصر وهو بحكم وظيفته من الطبقة الوسطى فى مأمورى الحكومة يتحكم على جميع الوزراء المصريين ؛ ويعارضهم في تصرفهم ويضع للبلاد شرائع وقوانين من تلقاء نفسه ؛ ويخالف توفيق باشا فى أوامره (الا انه لا يحسب عاصياً حتى ألجأوا نوبار باشا رئيس النظار الى تقديم استعفائه بعد العجز عن مقاومته ، وضاق صدر توفيق باشا من صلابته فى آرائه ؛ ولم تر الحكومة الانكليزية عزله وابداله بغيره ، وزعمت انها لو عزلته لأهانت تاج بريطانيا العظمى

ثم عالجت هذا الارتباك بتوجيه أوامرها الى كليفور لويد بأن يقف عند حدود وظيفته ، ولا يتجاوز دائرة أعماله ، التى تسمح له بها طبيعة الوظيفة وخصائصها المحدودة ؛ وكان للظنون مجال لحسن الظن بدولة بريطانيا . غير ان جريدة التيمس كشفت القناع ؛ ولم تبال بما يخدش خواطر الأمراء الشرقيين ازدراء وامتهانا ؛ ومزقت الستار الذى أقامته حكومتها حجابا لمقصدها في الزام كليفور لويد بما الزمته فقالت : ان وزارة نوبار باشا مؤلفة من دمى (صور وتماثيل) نظمت فى أسلاك أطرافها بيد الحكومة الانكليزية تحركها كيفما شاءت . فعلى كليفور لويد ان يدير الشئون المصرية بواسطة هذه الألاعيب . تريد ان الحل والعقد في جميع الاحوال انما هو للوزارة الانكليزية لكن من وراء الحجاب . ثم اعترضت هذه الجريدة على اقامةهذا الحجاب فقالت : انه وان كان مفيداً إلا انه يضر بمصالح انكلترا ومصر معا (وكان على الحكومة الانكليزية ان تجهر بولاية الاحكام فى مصر كما صرحت بذلك مرارا)

أسرعت دولة انكلترا في سيرها الى ما تروم فى الاقطار المصرية بل تهورت على خلاف عادتها وقد يكون مع المستعجل الزلل . لا نظن من الحكمة ما أتته من الاعمال فى مصر وربما وجب عليها تدارك مافرط منها . ان محمد احمد شمخ أمره وعظم خطره وهو من ورائها لا عائق له فى سيره . والقوى تجتمع اليه يوما بعد يوم . وبعد ما تراه فى غير هذا المحل من اخباره جاءت أواخر الاخبار بأن المواصلات انقطعت بين القاهرة وبين بربر بالمرة . وان جماهير الثائرين يزيدعددهم حول مدينة بربر وقتا بعد وقت لقصد محاصرتها . ويغلب على ظن الكافة انهم لابد

ان يغيروا على المدينة بعد قليل ويلتحمون مع حاميتها بموقعة يكون فيها الفصل . وان مدير بربر أعياه الالحاح على الحكومة لتنجده بعساكر انكليزية ليفرجوا عن المدينة وينقذوا حاميتها وإلا هلكوا

فما ركبته انكلترا من طريق التصرف فى الادارات المصرية يخلف ظن المصريين فيها . ويقطع أملهم من وفاء مواعيدها . ويوجد عليها نفوس الأمراء منهم . ويوغر صدورهم . ويحقق لدى العلماء ان من قصدها التصرف في ولاية بلادهم كما يتصرف الملاك فيلتجئون بحكم الضرورة الى تلبية محمد احمد في دعوته أو مساعدته على بعض أعماله . او تخاذلهم بين يديه وفتح الابواب له ولا نظن ان انكلترا تخفى عليها ان علماء مصرهم أساتذة لعلماء المسلمين شرقا وغربا وان الجامع الازهر معهد العلوم الشرعية تسير اليه الركاب من جميع الاقطار . ويقصده المسلمون من كل ناحية لدراسة الدين وروايته . فلو حزبهم الامر وأعوزهم الصبر وراو ولاية الدين فى قبضة من ليس منهم فمجرد اشارة خفيفة وايماء الى موافقة محمد احمد سراكان أوجهراً كاف لايقاد نارالفتنة فى جميع أرجاء البلاد الاسلامية ، وتسابق القلوب الى الاعتقاد بالمدعى والتفانى تحت رايته. وليس في استطاعة دولة انكلترا أن تتصرف في أهواء القلوب ولاحركات الافكار . وان أسلحتها الجديدة لا تبدد جحافل الخواطر . وشتان بين هذه الفتنة وبين التى يسمونها فتنة عرابية . نسأل الله العافية وحسن العاقبة .

الجرائد الانكليزية والعروة الوثقى

لو نادينا الغافلين أن انتبهوا . والنائمين ان استيقظوا . واللاهين بحظوظهم أو أمانيهم أو أوهامهم . ان التفتوا . ولو أنذرنا أهل مصر بأن الانكليز لو ثبتت أقدامهم في ديارهم . لحاسبوا الناس على هواجس أنفسهم . وخطرات قلوبهم . بل على استعداد عقولهم . لما عساه يخطر ببالهم . لقال الناس اننا نبالغ في الانذار . ونغرق فى التحذير . ولو بينا لهم أن الانكليز يوأخذون الابناء . بذنوب الآباء . والاحفاد بجرائم الاجداد ، ويطالبون الذرارى بدفائن اسلافهم . وان لم يكن للخلف . علم بما ترك السلف . لعدوا هذا البيان مناشطاً فى المقال . وميلا عن الاعتدال . ولو روينا لهم أن في قلوب الانكليز حقداً وضغينة على كل أيرانى سواء كان من الافراد أو الوجوه . ويسيئون معاملتهم حيثما وجدوا من بلاد الهند . ويمقتونهم مقتاً شديداً . لأن نادر شاه من ملوك العجم جاء الى الهند فاتحاً على عهد السلطنة التيمورية . واستولى على خزائن الأموال في دهلى . وأخذها الى بلاده قبل استيلاء الانكليز على تلك المملكة بما ينيف عن قرن . ويعضون الانامل من الغيظ . ويحرقون الارم من الاسف . على ما أخذه نادر من أموال دهلى . وحرمانهم من تلك الاموال . ويحملون هذا الوزر على عاتق كل ايرانى . لحسبوا ذلك منا تعالياً ولو قصصنا عليهم ما يعامل به الانكليز رعاياهم في الهند عموماً والمسلمين خصوصاً . وأنه يكفى لنفى عالم من علماء المسلمين الى جزائر اندومان أن يعرف بأنه معتقد ببعض آيات من القرآن .

لانكروا علينا ما نقول لبعدهم عن تلك الأقطار . وعدم وقوفهم على أحوالها . ولسنا الآن بصدد اقناع المصريين بما نعلم من أحوال الانكليز ولا نريد اقامة الدليل على ما نعرفه من أحكام سلطتهم . فلا نذكر ولا نبين ولا نحكي ولا نقص ، ولكن نعرض عليهم نموذجاً من المعاملة لعله يكون للمتبصرين مرآة تحكي ما غيب عنهم من لوازم السلطة الانكليزية

عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محرري الجرائد الفرنساوية . فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها . ولا كاشفين عن حقيقة سيرها . فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانكليزية المهمة أخذتهم الحدة . واحتدمت فيهم نار الحمية . وانذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة في سياسة الانكليز . ونفوذها في البلاد المشرقية . ولجوا في اغرائها بها . والحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة عن الدخول في البلاد الهندية والبلاد المصرية . بل تطرفوا فنصحوها ان تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها . كل هذا كان منهم قبل صدور أول عدد من جريدتنا وقبل أن يقف ولا واحد منهم على مذهبها السياسي . مع أن هذه الجريدة لم تنشأ لاثارة الخواطر . ولا لايقاد الفتن . وانما أنشئت للمدافعة عن حقوق الشرقيين عموماً . والمسلمين خصوصاً . وتنبيه أفكار بعض الغافلين منهم . لما فيه خير لهم . ولقد صدرت سالكة جادة الاعتدال . ذاهبة مذهب الاستقامة والعدل . كما يظهر لكل من اطلع عليها . فليعتبر المعتبرون بهذا الاجحاف . والاعتداء والقصاص . قبل الجناية ومن كان سمندرى الطبع فليهنأ له العيش في ظل ذى ثلات شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب ولكن فلتعلم الحكومة الانكليزية أننا لايعجزنا بث أفكارنا في البلاد المشرقية . سواء كان بهذه الجريدة أوبوسيلة أخرى . اذا دعا الحال . فان أنصار الحق كثيرون

عجز ومراوغة

طنطنت الجرائد الانكليزية ورجال السياسة في بريطانيا بنجاح الجنرال كوردون فى مأموريته بعد ما وصل خرطوم بأيام ثم انعكس الامر عليها وأظهرت الجزع مما حل به من الخيبة فى أعماله والاشفاق والارتجاف مما يتوقع نزوله من الخطر وأجمعت على ان مايصيب كوردون من قتل أو أسر يكون وصمة في شرف انكلترا الى الابد وعاراً عليها لا يمحى ولا مداركة لهذا الخطب العظيم الا بارسال العساكر الانكليزية الى خرطوم ، الا انه فى هذه الايام بعد العجز عن ارسال العساكر لم يعدم وزراء إنكلترا أو رجال حكومتها عذرا للتملص من هذا العار الذى يلحق بهم فقال الموسيو غلادستون وناظر الجهادية الانكليزية ان الجنرال كوردون لم يؤمر بالاقامة فى خرطوم الى أجل غير محدود حتى يحتاج الى نجدة عسكرية تخلصه مما عساه يقع فيه بل كان فيما أمر به ان يخرج من المدينة عند ما يرى لزوما لذلك . على ان الجنرال لم يطلب اعانة عسكرية فالوزارة الانكليزية لا تتحمل تبعة ما نزل بكوردون الا بعد أن تقف على أفكاره ومطامح انظاره . ولا وقوف لها الى الآن على شيء منها . والاوامر التى أصدرتها اليه فى الايام الاخيرة لم يرد لها خبر عن وصولها

ومن كلام ناظر الجهادية ان الحكومة الانكليزية تدبرت بمن أيام فى ارسال فرقة عسكرية الى بربر وبعد امعان النظر فى لزوم ذلك رأت عدم الارسال أولى . وأنهى كلامه بقوله أن حكومته لم تأخذ على نفسها

اعادة السلطة المصرية في السودان ، ولا تقرير أى حكومة فيها وانها تلقى اليوم عن نفسها كل تبعة توجه اليها في شئون السودان ، وأما سواكن فسيقام فيها حامية قليلة العدد الى أن يبرم اتفاق (بينهم وبين مصر) وكلام هؤلاء الوزراء قد لايخلو من غرابة فان منشورات كوردون التى نشرها بعد دخوله خرطوم على قبائل العربان ورسالته الى المهدى لم تنكرها الحكومة الانكليزية بل دافعت عنها ودفعت الاعتراضات التى وجهت عليها ، وكان فيها انه وال على السودان (بل سلطان) من قبل دولته والحكومة المصرية وانه بما له من حق الولاية يمنح محمد احمد لقب أمير كوردفار ، ويبيح بيع الرقيق ، ويدعو العرب الى الطاعة ، فتلك المنشورات صريحة في ان بعثته كانت لاقرار حكومة فى السودان ، والمدافعة عن بعض الولايات فيه ، وانه فيما يعمل مؤتمر لحكومته ، والا كان كاذباً والحكومة دافعت عن كذبه رجاء أن ينجح فيه ، فلما أخفق لم تجد بداً من البراءة منه

وقالت جريدة التان الفرنساوية ان ناظر الجهادية الانكليزية يدعى فى مجلس العموم ان الجنرال كوردون لم يطلب نجدة عسكرية الى خرطوم مع ان الاخبار التى وردت الى جريدة التمس من مصدر يكاد يكون رسمياً ونشرناها من قبل تكذب ما قاله الناظر . وتؤكدان والى خرطوم (الجنرال) كان منتظراً ورود العساكر الانكليزية اليه وقتاً بعد وقت وتحققت حاجته لذلك عند الكافة من أهالى لوندرا ، حتى كان تدبر الحكومة في ارسال فرقة الى بربر ، مبنياً على هذا لتفتح طريق مصر العليا ، لكن أقعدها تصور ما تكابده الجنود من المشاق والمتاعب بل ما يحل بها من التلف ، وقد عرضت جريدة البال

مل كازيت بالطعن على حكومة انكلترا ولوحت بلومها على ما أظهرته من العجز والمراوغة حيث قالت : فليعلم الجنرال كوردون أن الحكومة الانكليزية بعد اضرابها عن ارسال العساكر الى بربر يستحيل عليها أن ترسل عساكر الى خرطوم وقالت ان المسيو بوير قنصل الانكليز في خرطوم كان ينتظر المدد العسكرى يوماً بعد يوم وفي ظنه أن حكومته تسعفه بذلك لكنه يجب عليه الآن أن يعلم أنها تركته وأصحابه ووكلتهم الى أنفسهم فعليه أن يتدبر في أمره بنفسه موقناً أن الحكومة الانكليزية تفضل اخلاء السودان وتعريض حامية المدن ومن فيها من رجالها لمدى أشياع محمد أحمد تفتك بهم على اعداد أى وسيلة لانقاذهم ، واتبعت قولها هذا بتهكم على الوزارة فقالت: من زعم أن ارسال كوردون الى السودان لم يأت بفائدة فقد أخطأ خطأ عظيما ، فان أعظم فائدة ترتبت عليه بقاء الوزارة الانكليزية وصيانتها من السقوط فان حياتها كانت موقوفة على سفره من لوندرا ولولاه ما خلصت من الخطر الذى كان محدقا بها ولما بقيت فى قيد الحياة الى الآن . وانعم بها من فائدة جليلة لمصر وانكلترا فكفى الامتين سعادة أن تهدر شقاشق الوزراء فوق المنابر

هكذا تعتع المستر كلادستون وزملاؤه في الكلام على المسئلة السودانية وسلكوا طريق المواربة وتبرأوا من تبعتها بعد ما ساقوا اليها الجيوش والقواد بقصد اخماد الثورة وتقرير الراحة وهو قرار سياسى تبع الانهزام العسكرى يكشف لنا عن قوة محمد احمد ومنعته ويأس الدولة البريطانية عن ملافاة أمره وان فى نيتها الاقتصار على التحصن فيما دون حدود مصر الطبيعية بل على الجلول في مصر السفلى حتى تحفظ القنال ،

وتتصرف في أراضيها الخصبة ، وتقف على أبواب التجارة ، ترقب حركات المارة ، وتشيع الذاهبين والآيبين مابين الشرق والغرب، وتقنع بالتحكم فى بعض الضعفاء من المصريين ، وانا لا نعلم ماذا تكون العاقبة اذا أصبح السودان بأسره في حوزة محمد احمد واعتصم فى قاعدة تلك الاقطار الشاسعة ، ولا عاصم له الا بالايغال في سيره ، وبث دعوته بين جميع القبائل العربية ، بما يستطيع من الحيل أو القوة . أفلا ينتهى بعدهذا الى سوق جيوشه الكثيفة الى حدود مصر العليا ربما ، بل يغلب على الظن أنه يفعل ذلك فان لم يفعل فهى شعلة الثورة تسرى بطبعها وتضطره الى اقتفاء أثرها .

جاءت الاخبار من أيام بأن الثائرين قطعوا خطوط التلغراف بين أصوان وكورسكو وأين كورسكو من أصوان . هي على مقربة منها المسافة بينهما كما بين قنا وأصوان . وفى أخبار أخرى أن للهيجان والتحرش للخروج أثراً ظاهراً في أطراف مصر العليا فاذا قدر الله وصارت حدود مصر العليا معاراً للحركات الحربية وهو مما لا تبعده الحوادث فهل يبقى المصريون وقبائل العربان في الفيوم والبحيرة والشرقية وجميع أنحاء القطر المصرى على سكونهم بعد ما راؤا من ضعف الانكليز وعجزهم ما راؤا وبعد ما يشهدون سيلا قوياً ماؤه من مائهم ينصب اليهم وبعد ماحرجت صدورهم وضاقوا ذرعا من تصرف الانكليز في حكومتهم ، يغلب على الظن أن مالهم من سرعة الاعتقاد بالظافر خصوصاً ان كان قائما بدعوة دينية وماضاقت به صدورهم من الاستبداد الانكليزى وما ذاقوه من آلام الفقر والفاقة والذل والهوان من نحو سنتين وما يتوقعونه من رزايا دينهم ودنياهم في المستقبل اذا رسخت

قدم الانكليز في مصر كل هذا يبعثهم على تقبل دعوة الداعي بقبول حسن وانحيازهم اليه .

اذا جاء هذا الوقت وهو ليس ببعيد فربما تجد انكلترا في مصر أفغانا أخرى وتخشى من ظهور عجزها فتوارى خلف بعض من الحيل والتعللات وتستدعي من المسلمين من يكون قوى الشكيمة شديد البأس، لتقرير السلم وتمكين الراحة ، وتعود الى جزائرها راضية من السلامة بالاياب ، ولعل ذلك غير بعيد على العقل ، والى الله المآب .

انكلترا والحبش

وردت الاخبار بأن الاميرال هفيت وصل الى مصوع حاملا هدايا ثمينة الى ملك الحبشة وكنا فى العدد السابق بينا ماذا يريد الاميرال من مواصلة الملك يوحنا ، وان الدولة الانكليزية بعد ما فشلت عساكرها في سواحل البحر الأحمر وعجزت عن تجهيز جنود جديدة تسوقها الى أواسط السودان التجأت للاستنجاد بملك الحبشة واستمداد مساعدته على مسلمى السودان ، وكان حسن ظننا بدولة متمدنة كدولة بريطانيا يمنعنا من التصديق بعزمها على اثارة حرب خشنة ، لكن من الاسف ان الافادات التى وردت فى هذا الأسبوع تؤكد ان انكلترا عازمة على النكابة بالمسلمين في السودان ، من حيث هم مسلمون لا لأطفاء ثورة ، ولا لترويج مدنية ، وفي الظن ان هذا هو الذى بسط يدها بالهدايا الثمينة تتحف بها ملك الحبش ، والا فخلائقها من حيث هي دولة تجارية لا تسمح لها بهذا السخاء ، وتنهنهها عن البذل الا ان ينقد لها الربح

أضعافا مضاعفة ، أى ربح لها أعظم من توددها الى دولة خشنة ترمى بها طائفة من المسلمين بغيـــة الفتك والنكاية حتى تخيف بذلك بعض من تخشى بأسهم من أبناء ملتهم ، على انا لا نزال فى ريب من نجاح مسعاها ولو انها نجحت فى اقناع ملك الحبشة بالتهور في حرب مع السودانيين فمـا عساها تسمى هذه الحرب ، لا نرتاب في انها ليست لكسر شوكة التوحش ووضع قواعد المدنية ، فان أحد المتحاربين لا يمتاز عن الآخر فى أخلاقه وعوائده وافكاره . بل ربما كان السودانيون بما استفادوه من الحكومة المصرية مدة سنين أقرب إلى المدنية من الحبشيين . ولا يمكن ان تكون حربا للافتتاح وتوسيع الملك فان الحبشة لا مطمع لهـا فى توسيع ممالكها الى الجهات الغربية من السودان ولم يعهد لهـا ذلك فى التاريخ . وغاية ما كانت تبتغيه ان تكون حـدودها الطبيعية محفوظة من تعدى جيرانها عليها . فلا اسم لهذه الحرب الا الحرب الدينية تذكر الملل بما كاد يمحى أثره من المحاربات الصليبية . وتوقد فى الافئدة نار التعصب الدينى . فلو فتحت دولة انكلترا باب هذه الفتنة أفلا تحترق قلوب المصريين بهذه النار . وهل ترجو هذه الدولة من بعد ذلك ان يستقر لها قدم بينهم . وهل تأمن ان يثور سكان جزيرة العرب تحت هذا العلم الذى يظل ملايين كثيرة تعلم انكلترا عـددها وتحس بحاجتها الى مسالمتها . نظن ان حكومة بريطانيا تسعى باختباطها هذا إلى مالا محيد لها عنه . وتجتهد فى تقريب البعيد وما كان أغناها عن هذا كله

رأى المستر بلونت فى المسئلة المصرية

ان مستر بلونت الذى اشتهر بمحبة المسلمين والمدافعة عن المصريين ، لما رأى ما وصلت اليه المسئلة المصرية من الارتباك واشتداد الخطب فيها على حكومة انكلترا وصعوبة تدارك الخلل الذى عرض لها تدبر في حل للمسئلة ونشره فى التمس فأحببنا نشره فى جريدتنا مجملا وهو :

على الحكومة الانكليزية أن تتفق مع سائر الدول على جعل البلاد المصرية مستقلة في ادارتها (يريد بذلك أن يكون حكامها منها لا من أمة أجنبية) ويكون الكافل لهذا الاستقلال جميع الدول بدون امتياز قوانين التصفية ، واختصاصات الاجانب يجب تعديلها . كل مسئلة يقع فيها اختلاف فلا يكون انهاؤها الا باتفاق الدول الاوربية ، تحكم فيها بما تشاء لا ينبغى أن يكون في الجندية ضباط من الاجانب ، وقنال السويس يلزم أن يعتبر طريقاً عاماً يشترك فيه جميع الامم ويكون تحت رعاية الدول جميعاً . يجب أن تكون ادارة البلاد بيد حكومة يقيمها الاهالى بانتخابهم

اسطورة

قالوا ان زنجياً أسود هائل المنظر غليظ الشفتين مقلوب المنفرين جاحظ العينين أحمر الحدقتين بشع الوجه أفطس الانف منكر الصورة وكان يحمل ولداً فى ليلة مظلمة يسير به في زقاق من أزقة بغداد ، والولد كلما نظر اليه يفزع ويبكى وينتحب ويصيحْ ويعول وكلما اشتد به الفزع

مسح الزنجي ظهره وقال له لاتخف ياولدى فانى معك وأنيسك وحافظك من كل شر ، وبعد تكرير هذه الملاطفات من الزنجى للصبى قال الصبى يا سيدى أنما خوفي وفزعى منك لا من وحشة الظلام

هذا شأن حكومة انكلترا مع المصريين . كلما اشتدت الخطوب وعظمت المصائب وزاد الخال فى البلاد المصرية،مسحت حكومة بريطانيا على ظهر توفيق باشا ووزرائه بيدها الناعمة (وانما هي نعومة الثعبان) واقبلت على الاهالى تمنيهم بوعودها المرونقة ، وتقول لهم لا تحزنوا فانى معكم وجميع المصريين من توفيق باشا الى وزرائه الى عامة الاهالى يجأرون وينادون أنما خوفنا وجزعنا منك ، وراحتنا واطمئناننا بتنحيك عنا وتركنا وشأننا

أضحوكة

قال مستشار خارجية انكلترا لبعض سائليه فى مجلس البرلمان أن الجنرال كوردون عند ما أجاب محمد احمد على بلاغه الاخير لم يخاطبه بلقب سلطان كوردفان بل عنون الجواب بلفظ شيخ ، وبناء على هذا فقد صار لقب سلطان كوردفان الذى منحه له الجنرال كردون لاغيا ، يعنى أن محمد احمد خلع من سلطنة كوردفان عند ما طمح نظره إلى خرطوم وطاب من الجنرال ان يدخل في دين الاسلام ، لكن محمد احمد لم يتمتع بتلك السلطنة اللفظية لانه لم يقبلها عند عرضها عليه فلا يحزن من هذا الخلع الجديد ، ألبس بعجيب أن يسمع من أفواه رجال سياسة بريطانيا مثل هذه المهملات ، بعد ما قيل فيهم إنهم من أدهى رجال العالم ، ولعل الاضاحيك من أساليب السياسة عندهم

المسأله المصرية والانجليزيه

ان للحكومة الانكليزية شأناً في المسئلة المصرية يخال للناظر فيه أنها فى تردد بين احجام واقدام وان مقارعة الآراء واختلاف الاهواء ، يزداد بين سكان بريطانيا ، كلما ازدادت الخطوب شدة فى مصر ، نعم أن ارباب الراى فى الامة الانكليزية فريقان فريق منهم يدفع حكومته إلى الاعلان بسيادتها على الديار المصرية واستلام إدارتها ، وبعبارة أخرى إلى ضمها لاملاكها ويحملها بذلك على غمط حقوق الدولة العثمانية وأهالى القطر المصرى والاستهانة بحقوق الدول جميعاً ، وهـذا فريق الجمعيات والشركات المالية ويذهب بعضهم بعض الوزراء وينصر أرائهم عدة من الجرائد أشهرها جريدة التمس واشتدادهم في صخبهم ونعيرهم نبه الافـكار وأقلق الخواطر فى الامة الفرنساوية فانطق لسان جرائدها بالوعيد والتهديد وصرحت الجرائد الوزارية منها وجرائد الاحزاب الجمهورية وهى ذات السلطة في البلاد الفرنساوية بأن حكومة فرنسا وإن كانت غضت طرفها عن أعمال انكلترا في القطر المصرى من يوم حملتها عليه إلى الآن ولكنها لاتهمل شيئاً من مصالحها وحقوقها وجميع الدول الاوربية تعززها وليس لانكلترا فى مصر ما تمتاز به عن بقية الدول ، ومن الجهل أن يظن سياسى في المسئلة المصرية أنها مصرية أو انكليزية أو فرنساوية فانما هى مسئلة أوربية وقد اقتربت الساعة التى تجهر فيها الدول بالمدافعة عن حقوقها في الاقطار المصرية ، أن للدول حقا فى التداخل لحل هذه المشاكل بعد ماعجزت انكلترا عن

القيام بما تعهدت به من اقرار الراحة فى مصر فان الفوضى فى هذه الايام أشد منها فى زمن الحركة المعروفة بالعسكرية وفتنة السودان تلاطمت أمواجها على حدود مصر والهواء الاصفر يوشك أن تكون له رجعة إلى تلك البلاد السيئة الحظ وما هذا كله إلا من آثار الحلول الانكليزى في وادى النيل أما إن أرادت دولة انكلترا أن ترسم بسيادتها أوترفع أعلام حمايتها على القطر المصرى فما للدول من حق التداخل يصير فرضاً لازماً وضربة لازب لامحيص عنها . إلا أن كل هذه التهويلات لم تعدل بذلك الفريق الانكليزى عن مقصده ولم تتحول به عن مشربه فلا تزال جرائدهم تنعق بطلب الحماية على مصر وهم في عمى عن العوائق والموانع التى تصد حكومتهم عن الانصياع إليهم

أما الفريق الآخر من الامة الانكليزية ومنهم ناظر داخلية انكلترا ومستر غلادستون فيما يقال فيظهرون التعفف والنزاهة بل يصرحون في خطبهم بأن حكومة بريطانيا لاتستطيع احتمال إدارة البلاد المصرية وليس في امكانها ضمها إلى أملاكها ولو همت بذلك لرأت من الدول أشد الممانعة وربما رجعت بالخيبة ، على أنها تكون قد سنت سنة سيئة في نقض العهود ، وإخلاف الوعود . وفتحت للدول هذا الباب ، باب الشر والعدوان . هذا ما ينطقون به على منابرهم ويزعمونه نبأ عما في خواطرهم ، ولكن هؤلاء المتعففون لهم في كل وقت عمل لتمكين اقدامهم فى مصر ، ولا يخالفون الفريق الاول إلا فى شقاشق الالسن ، هؤلاء هم الذين حولوا الادارات المصرية ودوائر حكومتها العليا إلى السيرية ، واستلما زمام العسكرية والمالية وادارة الداخلية والمحاكم القضائية وتصرفوا في أعمالهم تصرف الملاك ، فاستبدوا على المتوظفين من المصريين ، وغلوا

أيديهم عن تعاطى أشغال وظائفهم . حتى آل بهم الامر إلى ماصرحت به الجرائد الانكليزية من أنهم أشباح ورسوم تلوح بين جدران الدواوين غدوة وعشيا ، هؤلاء هم الذين يحاول نوابهم ومأمورهم في القطر المصرى أن يلزموا أهاليه بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية انكلترا وسيادتها عليهم وان لم تنجح الحيلة ، هؤلاء هم الذين هموا الآن بتغيير نظام المالية المصرية ورغبوا إلى الدول في عقد مؤتمر بلوندره لتغيير قانون التصفية ويريدون أن يجعلوا ذلك ذريعة للاتفاق مع الدول على أن تكون الديون المصرية بأسرها تحت ضمانتهم لتقوم لهم الحجة فى الاستيلاء على مصر بعد زمن قصير أو طويل أو ليمهدوا به طريقا لمن يخالفهم في الوزارات الانكليزية ينتهى بالسير فيه إلى تلك الغاية بعينها وماطلبوا الماجور باربن وكيلهم السياسى فى القطر المصرى إلا ليحضر هذا المؤتمر

هذا ما يهيئه الانكليز لأنفسهم ولكن ماذا تعده الحوادث لهم ، كتبوا على أنفسهم تخفيف مصائب الحكومة المصرية فى السودان ، وعقدوا لقوادهم الالوية ، وأعدوا لهم العدد ، وكتبوا الكتائب ، فسفكت دماؤهم ، بعد ما ضل سعيهم ، ظنوا أن بعض رزاياهم فى سواحل البحر الاحمر فرصة للاستيلاء على السودان الشرقية ، فبعد الجهد ومعاناة الكفاح من عراة العرب تمكنوا من الرجوع بالخيبة . قنعوا بالاعتصام فى حصون القاهرة وما يليها فازعجهم دوى السيل المندفع عليهم من الجهة الجنوبية ، وإغارة ثائرة السودان على شندى وافتتاحها ، واشتداد الحملة منهم على بربر وخرطوم ، وزادهم خوفا ورهبة انتقاض كثير من القبائل على مقربة من وادي حلفا وأبي حمد وأوشكت طائشة الفتنة أن تأخذ بقلوب الاهالى فما تحت أصوان ، وأفزعهم ما أحسوه من أهالى

القاهرة ومصر السفلى من تحول القلوب وضيق الانفس ، حتى أضطروا لزيادة الحرس فيها ، مع أن زيادة المعهود في المصريين أنهم أهل السلم والراحة . قصدوا بكل هذا حماية طريق الهند خوفا على الهند فبعد ما ورد الينا من أصدقائنا فى لاهور أن لدعوة محمد احمد في قلوب الهنديين منزلة وانه لو لم يكن مهديا فالضرورة قاضية عليهم باعتقاده كذلك عسى أن يكون في هذا الاعتقاد جمع لكلمتهم على التخلص من رق الانكليز ، جاءت التلغرافات شاهدة على صدق ما كتب الينا ، ففى الاخبار التلغرافية أن رجال الشرطة فى سملا وجدوا اعلانات ملصقة على جدران المدينة مما كتب فيها أغراء المسلمين باجابة دعوة محمد احمد والقيام بنصرته ، وسملا هي في آخر الممالك الهندية الانكليزية من جهة الشمال الشرقى على القرب من لاهور . وهذا ما كنا نخشاه وننبهنا عنه مراراً . وربما تكون هذه الصدمات الشديدة التى صدعت انكلترا بعد استفحال أمر محمد احمد كافية في أذعانها بان عاقبة الثورة السودانية أشد خطراً عليها من عاقبة الحركة التى سموها عرابية

رام الانكليز بكل هذه الاحتياطات المفيدة أن يقرروا الراحة في مصر فاذا الاموال تنهب ، والحقوق تضيع ، والادارات في فساد والتجارة في كساد ، والزراعة في بوار والظلم في اشتداد والامن مسلوب حتى على الارواح والاعراض كل هذا باعتراف جرائدهم ووزرائهم وشهادة الجرائد المصرية الوطنية واجماع السياسيون فى أوربا وجرائد العالم بعد اجماع الامة المصرية بأسرها على أن الشقاء الذى ألم بأهل مصر بعد تداخل الانكليز ناشئاً عن هذا التداخل لم يرزأوا به في زمن من الازمان

من عهد محمد على إلى الآن . فانعم بهذه الوسائل التى أعدها الانكليز لتقرير الراحة في مصر وأجمل بالوسائط التى استعملوها لحماية الهند

هذه بدايات القلاقل وبوادر المخاطر التى نشأت من شدة احتراس الانكليز وحرصهم على وقاية أملاكهم أو توسيعها يظهر من جعجعتهم إذا صاح بهم داعى الحرب وحيرتهم من أين يجندون الجنود هل من الهند أو انكلترا ومن موازينهم العسكرية أن ليس لهم قوة برية لحفظ الممالك الواسعة فكيف يستطيعون التصرف فى مصر لو سادوا عليها وهي كما قال ناظر داخليتهم تحسب مملكة أوربية لانسود فيها الاوهام ولا تدوم فيها سلطة الحيل إن لم يكن من المصريين فمن الاوربيين وأى قوة تصون لهم الهند من فتنة اذا امتد زمن الاضطراب فى مصر وقد جاءنا من إخبار الهند أن عموم المسلمين في هياج ويخشى أن تثور فيهم ثائرة عند ما يتقدم محمد احمد خطوة أخرى

هذه العواقب السيئة وما يتوقع من مثلها أو أسوأ منها لدولة انكلترا انما هي حلقات فى سلسلة أغلاطها من استيلائها على قبرص فانها اختلست تلك الجزيرة لمراقبة طريق الهند فنافستها فرنسا واستولت على تونس فتخوفت على قنال السويس أن يساق إليه جيش برى من أفريقيا الغربية فسعت في الايقاع بين الجند والحاكم فى مصر وتذرعت بذلك للغارة عليها فنزل بها في تلك ما نزل

وبعث ذلك دولة فرنسا على ما بلغنا من مصدر يوثق به إلى السعى في طريق يوصلها إلى مناكبة الانكليز فى مصر على الحدود الغربيةوربما جرت هذه المنافسات إلى فتح المسئلة الشرقية وليس بقليل ما يصيب انكلترا من مضار هذه المسئلة فأى ثمرة جنتها انكلترا مما غرسته فيهذه

السنين الاخيرة لاهى صانت باب الهند من الخطر كما تروم ولاهي سكنت قلوب الهنديين ، وإنما طرقت أبوابا كانت مغلقة ويوشك أن تفتح ، ولئن فتحت فانها تحدث زلزالا فى أركان العالم باسره هذا شأن الانكليز وما يفعلون

ويوجد أناس لهم مداخل فى تقلب الأحوال المصرية ولهم مذاهب مختلفة في ترويج مقاصدهم لدى المصريين يمنونهم بالخلاص من أيدى الانكليز إذا آل إليهم السلطان فى مصر ، بل يؤكدون لهم أنه لو ثبتت أقدامهم في الديار المصرية لاحبطوا مساعى انكلترا فى عموم البلاد الشرقية ، وسعوا فى تقليص ظلها من المشرق بأسره ، أخذاً بثارهم منها فهؤلاء سنأتى على أحوالهم ، ونبين طرق سيرهم في أعمالهم ، حتى يكون ذوو الآمال فيهم على بصيرة من أمرهم

هول الامر على كوردون

أخبر مراسل التمس فى خرطوم أن تلك المدينة أصبحت معسكراً لاعوان الثورة ومضاربهم محيطة بها من جميع الجوانب والمقذوفات من نيران أسلحتهم تنقض على دار الحكومة بلا انقطاع والمؤنة فى نقصان والخطر يشتد يوماً بعد يوم وبعد افراغ الوسع في اختراق صفوف الثائرين بالمراكب تسير إلى بربر لفتح طريق المخابرة مع حاميتها حبط العمل وخاب المسعى فان قوة الربان على شواطىء النيل تصول على المراكب بأسلحتها القاتلة وتفتك بمن فيها ، واتبع هذا الكلام بقوله أن

الجنرال كوردون عقد العزيمة على أن ينجو بنفسه من طريق أفريقيا الوسطى حيث تحقق أن حكومته غير مهتمة بانقاذه ، ويرى أنه لاسبيل إلى الاتفاق مع القبائل التى أخذت عليه طريق بربر إلا بمساعدة زبير باشا (اليوم يضطر لمساعدة زبير باشا) وهو من أعدائه ولا نرى الزبير إلا مسلما لو سمحت ذمته بانقاذ حياة كوردون فلا تسمح بأن يكون السودان ولاية انكليزية وفي جريدة الاكستر ابلات ان الحكومة الانكليزية ورد إليها كتاب من كوردون

مفاده : ليس في طاقة أحد من البشر أن ينجينا من الخطر لاننا محاطون من جميع الاطراف بالقبائل الثائرة فلم يبق لنا سوى التضرع إلى الله بتبديد شملهم فان لم تسعفنا العناية الالهية باجابة دعوتنا فلا ريب أن تلك القبائل تنهب وتفتك بجميع سكان خرطوم قبل وصول نجدة انكليزية الينا . (وليته سأل الله تعالى حل المسئلة السودانية وفوض إليه الامر فيها وأراح نفسه من السفر إلى خرطوم) وجاءت الاخبار الاخيرة بأن مدينة شندى وهى على النيل فى منتصف الطريق بين بربر وخرطوم وقعت في أيدى رجال محمد أحمد ، هذا بعد أن طلب الجنرال كوردون من حكومته أن ترسل فريقاً من الجيوش لتخليص حامية تلك المدينة وموظفى أدارتها ؟ ورأت الحكومة من الصواب أن لاترسل فلما ضاق الامر على الحامية ويئسوا من القدرة على الدفاع ركن فريق منهم يبلغ ثلاثماية شخص إلى الفرار ، واندفعوا على صفوف محاصريهم لعلهم يجدون من بينها سبيلا فلم يستطيعوا ونزل بهم من أمر الله مالامحيد عنه . بعث الجنرال كوردون بتلغراف إلى القاهرة يشكو فيه عدم وصول الاخبار إليه من السير بارين (وكيل انكلترا السياسى فى مصر) قال

التمس ولعل التلغرافات التى بعث بها بارين إليه تناولها الناثرون ومن كلام هذه الجريدة أن الحكومة الانكليزية أرسلت الجنرال إلى السودان وفوضت إليه الامر فيما يفعله ليصيب بتدبيره غاية حسنة ونرى أن هذه الحكومة غلت يديها بترك الجنرال وشأنه مما يلحق بها عاراً عظيما

اشتدت حملة القبائل على بربر وخارت عزائم حاميتها وسكانها وأخذ اليأس بقلوبهم . وورد تلغراف من مدير بربر إلى الوزارة المصرية يسكو به تلك الحالة ويقول أنه لايمضى بضعة أيام حتى يفتحها الثائرون ويحل بها من أيديهم ما حل بمدينة شندى . وبعد هذا جاء تلغراف من القاهرة مفاده أن نوبار باشا يخشى أن يمتد لسان الفتنة إلى أصوان في وقت قريب وإنا نشاركه فى هذا الخوف ونزيد عليه الاشفاق من التهاب النيران في عرصات القاهرة ، وأطراف القطر المصرى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

محاولة فى مصر

كل يوم يظهر من انكلترا شأن جديد في معاملة الشرقيين والطرق التى تأخذهم بها لقضاء أوطارها من بلادهم ، وتلاعبهم وتداعبهم وتجاملهم وتلاطفهم ، وتعدهم وتمنيهم وتخيفهم وتؤمنهم ، حتى تشتبه عليهم مسالك الفكر . وتلتبس مسارح النظر ، ثم تحملهم بعد الدهشة على قبول سلطتها والرضا بولايتها ، بل على طلب ذلك منها ، والتماسه من كرمها ؛ وهي فى كل أعمالها تهزأ بهم وتحسبهم في عدد الصبيان القاصرين ، أو من قبيل البهم التى لا تعقل . سلكت مسلكها مذا على بعض من أوربا

وانفردت به في الاقطار الهندية النائية ، وليس لدولة من الدول إحاطة بما تجريه في حكومتها لتلك البلاد ، ثم تطرفت في هذا المشرب فعمدت إلى استعماله في مصر تحت أنظار أوربا وقصدت أن تدعو المصريين للاقرار بحمايتها . ورفع التماسهم اليها لعل كرمها يسمح بمنحهم شرف سيادتها عليهم ، لكن الحيلة لم تذهب على المصريين ولم تختلس عقولهم تلك الشعوذات ، فقد جاء فى خبر مؤكد أن مأمورى الحكومة الانكليزية في مصر حاولوا تكليف الاهالى بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية دولة انكلترا ليكون التماس الاهالى حجة لديها عند الدول تقيم بها عذراً فى اخلاف وعودها ، حتى إذا حاسبوها على تصرفها في أرض مصر وضمها إلى أملاكها تدعى أنها مضطرة فيما تصنع والاهالى هم الذين رغبوا إليها ذلك وهى لاتأبى قبول رغبتهم رحمتهم ورأفة ، هكذا تحاول أن تفعل فى مصر وهى متاخمة لأوروبا وفيها من الأوربيين المختلفى الاجناس مايزيد على مائة ألف . ولا تخشى لائمة ولا تخاف عاقبة ، وان ظننا بالمصريين على اختلاف طبقاتهم إنهم لن يفعلوا ذلك ما دامت أرواحهم في أبدانهم

رأى الجرائد الفرنساوية

فى الانكليز

ارتفع الستار وانهتك الحجاب عن ضعف الحكومة الانكليزية ووهن عزيمتها فى المسئلة المصرية ، ولم تبق فيه ريبة لمرتاب بين الدول الأوربية وانطلقت عليها الألسن وسلت عليها سيوف الملام ، من ذلك ما هزأت به جريدة الريبوبليك فرنسز وسخرت فيه بدولة انكلترا عند كلامها على فصل نشر فى جريدة البال مال غازيت ، قالت : إن ما تهددنا به الجرائد الانجليزية لاتأخذنا منه رهبة ولا ترعدنا منه خيفة ، بعد أن رأى الفرنساويون عجز حكومة بريطانيا عن حماية كوردون وعلموا أن عدداً من عرب السودان اخترق صفوف الجيوش الانكليزية المنظمة وما كان لهم سلاح إلا العصى والخناجر ، وأن فرنسا لاتزال تطلب من انكلترا أن تعيد اليها ما فقدته من حظ السلطة فى شواطىء النيل ، وما ظهر من عجز انكلترا وضعفها القاضى بالحيرة والعجب لا يخفف سوء تأثيره إلا بمساعدة فرنسا . فعد كليفور لويد من المصريين مصاعد الانفاس وخنقهم بخناق من الجور وصار فيهم خلفا لعرابى (كذا) ونعم الخلف وإلى القوة الفرنساوية فك هذا الخناق الضيق الذى كاد يقطع أنفاس المصريين ، أما أوربا فتستريح خواطرها ويسكن اضطرابها بعد ما أقلقها ضعف الانكليز الذى لا دواء له ومن لامعهم التى لاحد لها اهـ . فهل انكشف للشرقيين ماوضح لدى الاوربيين أولا يزالون عنه غافلين

خديعة جديدة

أقبل الانكليز أيام الحركة السابقة على بعض المصريين وزخرفوا لهم الامانى وزينوا لهم المواعيد ، حتى استعملوهم لتذليل المصاعب بين أيديهم ، لدخول مصر والاستقرار فيها بعساكرهم ، وتم لهم ما أرادوا ثم قلبوا لهم ظهر المجن تحت أستار الحجج والتعللات ، وقبضوا على زمام الحكومة المصرية يصرفونها كيف يشاؤن ، ولما أرادت الدولة العثمانية بما لها من الحق القانونى على تلك البلاد أن تتولى حل المسئلة التى كان يعبر عنها بالعسكرية ، وأن ترسل بعض جيوشها لاقرار الراحة في بلادها طبقاً لرغبة رعاياها ، مانعها الانكليز وكفوا يدها عن العمل وسبقوها إليه بدون حق شرعى ولا أصل ساسى ولا رغبة عامة من أهالى القطر المصرى ، واليوم عند اشتداد الخطب على الجنرال كوردون الانكليزى وعجز حكومته عن انقاذه وتوقيف حركة محمد احمد الجأتهم الضرورة إلى الرجوع لما نبهنا عليه مراراً من أن هذه الفتن لايطفئ شعلتها رذاذ السياسة الانكليزية ، وتمنوا لو تتداخل الدولة العثمانية ببعض عساكرها فى السودان لتنقذ الجنرال كوردون وتأخذ بناصية محمد احمد وتبدد شمل أحزابه ، هكذا رأى الجنرال فى هذه الأيام أن أنجع الوسائل لحل المشكل تحسين جيش عثمانى وسوقه إلى تلك الاقطار فكتب إلى صديقه ساموبل باكر يرغب إليه أن يتقدم لارباب الثروة فى انكلترا وأميركا ويحملهم على بذل مائتى ألف جنيه ليعرضوها على السلطان العثمانى حتى ينفقها على الفين أو ثلاثة آلاف من العساكر التركية ، ويسيرها إلى نواحى بربر وشندى ، ويكون بهذا أنهاء المسئلة السودانية وهدم سلطة

محمد احمد ، وقال انه مما يعود نفعه على السلطان أيضا

يريد الجنرال أن يخدع العثمانيين بتمثيل منافعهم ، كما خدع أمثاله بعض المصريين وحاشاهم أن ينخدعوا لمثل هذه التخيلات الوهمية ، ومن العار عليهم أن يقبلوا ما يتكففه الجنرال كوردون من صدقات أهل الثروة فى بلاده للنفقة على عساكرهم ، وأشد العار أن يذهبوا بجيوشهم لتدويخ بلادهم واخضاعها لسلطة الانكليز والعساكر الانكليزية حالة بحصون مصر ، نعم لو اذعن الانكليز بما للدولة العثمانية من الحق وتركوا لها بلادها وفوضوا اليها إعادة الراحة فيها وإهماد فتنة السودان ، فلا نخال الدولة تتأخر عن القيام بما يفوض إليها بل هو ما تتمناه وتسعى إليه ؛ ولعل الحوادث تاجئ دولة بريطانيا إلى مثل ما لجأ إليه كوردون فتسلم الامر لمالكه ، وما ذلك على الله بعزيز

دسيسة أخرى

هيأ الانكليز فتنة فكانت واغاروا على مصر بحجة اهمادها وأوثقوا الدول على أن تكون اقامتهم في الديار المصرية إلى أن تستقر الراحة فيها ثم يخرجون ولكنهم بعد ما حلوها لايزالون يسعون من يوم وطئوها إلى اليوم في ايقاظ الفتن ويجهدون لاقلاق الخواطر ، ليقدموا ما يكون من هذا عذراً لدى الدول في تطويل مدة اقامتهم بالقطر المصرى لعلهم يجدون من تقلبات السياسة الاوربية فرصة للحلول الابدى . ومن ذلك ما سولوا للاروام أن يحتفلوا بعيد استقلالهم على نمط لم يسبق له نظير فى الاقطار المصرية من قبل ، وزينوا لهم ما فعلوا بما يقدرون

عليه من طرق الخفية حتى انخدع الاروام لوساوسهم مع أنهم أحق الناس برعاية الادب وما كان مثل ذلك من مأمورى الانكليز فى مصر إلا ليقلبوا أفكار المصريين ويحركوا الضغائن في نفوسهم ويذكروهم بما كان بينهم وبين اليونانيين أيام إبراهيم باشا فيوقظوا بذلك الفتنة بين سكان القاهرة وبعض المدن المصرية وبين من يسا كنهم من الملل الاجنبية ، ويعيدوا تاريخ بعض الحوادث المشؤومة التى كادت تمحى دواعيها بعد ما حدث من نحو سنتين ثم يجعلوا ما يحدث من اختلال علة لدوام الاحتلال أو التسويف في الجلاء

الورطه الجديدة

التوى سير السياسة الانكليزية في المسألة المصرية ، وقزلت الوزارة الغلادستونية فى المضى إلى نهايتها فسقطت مراراً ونهضت مراراً ، وآل بها الامر بعد هذا إلى عجز عن أداء ما تعهدت به للدول وللدولة العثمانية من إصلاح الاحوال المصرية ، وفزع شديد من عقبى هذه الفتن التى تداعت لها أركان النظام المصرى . فلجأت إلى الدول الاوربية تستعين بها على تخفيف الوزر ، والتمست منها عقد مؤتمر في لوندرا وتعللت في دعوتها إلى الاشتراك معها في الامر بفراغ الخزينة المصرية لكثرة النفقات والنقص فى الايراد فلا يمكن بقانون التصفية الذى وضع بانفاق من الدول العظام إلا أنها شرطت على الدول أن تكون المداولة في المؤتمر منحصرة في المسائل المالية ولا يجوز لهم أن يتعدوها إلى ذكر شيء اخر فى الاحوال المصرية الحاضرة أو الماضية ، أما الدول فقد قبلت الدخول

فى المؤتمر على شرط مبهم وهو أن نوابهم يبحثون فيما يبحث فيه المؤتمر إلا دولة ألمانيا فانها لم تجب إلى الآن جواباً رسمياً ويغلب على الظن في الدوائر السياسية إنها تتبع في جوابها دولة فرنسا واتفقت على ذلك أغلب الجرائد الالمانية وزادت دولة فرنسا في جوابها إن طبيعة المسائل التى يجرى فيها البحث ربما لاتقف بالباحثين عند حد النظر في المالية بل تنجر بهم إلى ذكر كثير من المشاكل المصرية الحاضرة

أما هذا فلم يكن خافيا على انكلترا فان النظر فى المالية مع الاضطراب الواقع في الديار المصرية وتزعزع أركان السلم فيها لا تخلو نتيجته من أحد أمرين اما تقدير الايراد والمصرف بمبالغ محددة وتخصيص شيء معين من الايراد لوفاء فايدة الدين مع تخفيض الفايدة مثلا ثم يوضع قانون تمضى عليه الدول كما فعل فى قانون التصفية وهذا مما لايتصوره العقل فان عساكر الحلول الانكليزية لم تزل فى أرض مصر ومصاريفها على الخزينة المصرية ولم يعلم أجل أقامتها ولامبلغ عددها والفتن قائمة فى الجهات السودانية والحكومة المصرية مكلفة بتوقيفها عند حد لايخل براحة البلاد ولهذا العمل مصاريف ونفقات لايمكن تحديدها ولا تقديرها ، فكيف يمكن الوصول إلى تعيين النفقات وإحصائها على وجه منضبط والاضطراب الداخلى والاختلال الفاشى في الادرات ودوائر الحكومة العليا والدنيا الذى حدث بتخلل الانكليز فيها وقف حركة الاعمال النافعة من زراعة وتجارة وصناعة فكيف يمكن ضبط الايراد على نمط يعرف ويؤلف فلم يكن غرض انكلترا من الدعوة إلى المؤتمر أن تصل إلى مثل هذه الغاية التى لا أهمية لها مع بعدها

الامر الثانى أن ينساق البحث في المسائل المالية والنظر فى الايراد

والمصرف إلى ما يلزم لاستقرار الراحة في مصر من العساكر وماتطلبه من النفقات وما يستدعيه اطفاء فتنة السودان وما تحتاج إليه المحاكم الجديدة وغير ذلك مما تعرضه انكلترا وتبين للدول أن مالية مصر ليس في طاقتها أن تفى بجميع هذه النفقات الواسعة ولو كلفت بأداء بعضها فضلا عن كلها لحق الضرر بأرباب الديون فأحسن وسيلة للتخفيف عن المالية المصرية مع حفظ الحقوق لأربابها أن تكون الديون المصرية تحت ضمانة انكلترا وهى تؤدى فوائدها في أزمانها . تطلب من الدول بعد هذا أن تفوض إليها التصرف فى الاقطار المصرية ، وتأخذ التبعة على نفسها في بذل الأموال وقتل الأرواح وهذا الذى يمكن أن تفعله انكلترا بعد عجزها وربما مست حقوق الدولة العثمانية فى مطاليبها هذه إلا أن التلغرافات نقلت الينا مايتحدث به فى الدوائر السياسية بالاستانة وهو أن الدولة العثمانية ستشترط لقبول انتظامها في المؤتمر شروطاً صعبة يعز على انكلترا قبولها لينكشف الستار عن مقاصدها فى مصر ، ومن جملة تلك الشروط ان تستبدل العساكر الانكليزية الحالة فى مصر بعساكر عثمانية لأن نفقات الجيوش العثمانية أقل من نفقات الانكليزية وهذا هو مايؤمل فى الدولة العثمانية فى هذه الأوقات وأنها فرصة لو فاتت فقل أن يأتى مثلها وللدولة العثمانية بسلطتها على قلوب المسلمين شرقاً وغرباً قوة ترتعد منها فرائص الانكليز فأمل أوليائها اليوم

أن تستعمل تلك القوة الفائقة وتجعل لها أثراً فى استرداد حقوقها ، وعندنا أن رجال الدولة العثمانية لايغفلون عن هـذا . أما الحكومة الفرنساوية فقدعقدت عزيمتها على مطالبة انكلترا باعادة نفوذالفرنساويين في مصر كما كان قبل المراقبة والجرائد الفرنساوية على اتفاق فى تبيين خلل السياسة الانكليزية وبيان سوء مقاصد الانكليز والالحاح على حكومتهـم ألا تعترف لانكلترا بأدنى امتياز بسبب ما فعلته فى واقعة التل الكبير وهذا ما ترتجف منه الجرائد الانكليزية عموماً وتخشى عاقبته ونظنها أسوأ عاقبة عليهم

هذا ما يتعلق بورطتهم الجديدة التى يظنون فيها خلاصهم وبقى عليهم مالا نظن ولا يظنون لهم منه نجاة . دخل الثائرون مدينة بربر كما أنبأت به أواخر الاخبار ولعبت عواصف الفتنة بأطراف مصر العليا وأكدت أخبار التلغرافات انها لم تقف عند حدها بل حركت السواكن فى مصر السفلى ووراء ذلك من الويل ما ورآءه فأين الخلاص لدولة انكلترا . نعم لمعت بارقة حق فى عقول بعض ذوى الرأى من رجالها فطلبوا أن تكون العساكر التى تبعث إلى مصر مؤلفة من عثمانية وانكليزية وهو نوع تقرب لمـا قلناه مراراً من أن هذه الفتن لايدفع غائلتها إلا المسلمون ولكن عليهم أن يخلصوا آرائهم من الشائبة الانكليزية وإلا فلا نجاح ، والله يفعل ما يشاء

العروة الوثقى

تأتى في فصولها على أهم ماله أثر في أحوال الشرقيين عموما والمسلمين خصوصاً فلا تلام إذا أطنبت فى مسئلة شرقية عامة ولا اذا أغفلت ذكر بعض أخبار من أميركا وجابونيا

نبهنا فى أول عدد صدر منهـا على أن القائم بها رجال من أهل الغيرة فى الشرق هموا بأعمال تفيد أوطانهم وملتهم مع رعاية جانب العدل والسير على وفق الحكمة ؛ ومن ظن أن توزيعها مجاناً يقتضى أن تكون منسوبة لدولة من الدول أو شخص من ذوى المطامع في امارة أو ملك فانما نشاء ظنه هـذا من اليأس المستحكم في نفسه والقنوط من نهوض همم بعض المسلمين بعمل صغير كهذا ، ولا يقنط من روح الله إلا القوم الـكافرون

هذه جريدة لاسعة فيها للتنابذ والتقاذف ، ولا يذكر فيها اسم شخص أولقبه إلا اذا كان له قول أو عمل يفيد البحث فيه فائده عامة

رياض باشا والسياسة الانكليزية

نقل الينا وذكرت الجرائد خبر مجلس انعقد في سراى توفيق باشا بالقاهرة حضره نظار الحـكومة المصرية ودعى اليه شريف باشا ورياض باشا وسلطان باشا وعمر باشا ولطفى باشا وخيرى باشا وثابت باشا وأغلب الجرائد الفرنساوية المهمة اتبعت رواية الخبر بالثناء على رياض

باشا وأنت من وصفه بأفضل ما يوصف به رجل في أمته . ومما ذكرت من صفاته أنه أقوم أمير في الديار المصرية وأشدهم حرصاً على الاستقامة وأنه أبصر أهل بلاده بعواقب الحوادث التي ألمت بمصر وما تؤول اليه . وكان يرى من بداية تلك الحوادث أن سيكون مصيرها إلى ما لا خير فيه للبلاد وسكتت تلك الجرائد عما يتعلق ببقية أعضاء المجلس وأننا نذكر الخبر أولا ثم نعقبه بما تدعو خدمة الحق لذكره

بعد انعقاد المجلس قام نوبار باشا وافتتح الكلام بخطاب وجهه إلى الحاضرين فقال : ما ذا ترون من التدبير إذا فرضنا أن مدينة خرطوم وبربر ودنكولا دخلت في حوزة محمد احمد وأشياعه ، وأى طريقة يمكن الاخذ بها لحفظ الامنية وتقرير الراحة فى مصر العليا (الصعيد) فاعجب الحاضرون بالسؤال وظهرت على وجوههم علائم الاستغراب لمفاجأته لهم بما لم يكونوا يتوقعونه ثم أجابوه بصوت واحد أن لا سبيل إلى تأمين البلاد من خطر الفتنة إلا باستعمال القوة ، فقال نوبار باشا إنا نروم منكم التصريح بنوع القوة التي يجب استخدامها (أى قوة انكليزية أو مصرية) فأجابه رياض باشا أن تعيين القوة من خصائصكم وليس من شأننا أن نتكلم فيه . فابدع في الجواب بعض الحاضرين (لانعرفه وربما يكون من محبي اوطانهم) وأحسن فى التنبيه حيث قال الذى نعرفه أن العجة لاتكون بدون بيض (العجة طعام يصنع من البيض مع بعض النبات يعرف إسمه عند المصريين وأغلب العرب فمادة هـذا الطعام إنما هي البيض) فاراد هذا العضو المحترم أنه لو أريد استحدام قوة فلا بد أن يكون جوهرها عساكر انكليزية ولا بأس باضافة بعض من الجنود المصرية لتكون ترسا يدفع به فى وجوه المحاربين وتنصب إليه قوتهم فان

حصل العجز ودعت الضرورة لانفراد أمكن للجيوش الانكليزية أن تعود سالمة أو إذا أضيف مصريون فلا بد أن يكونوا حمالين وخدمة أو حرسا وحفظة لمن يكون معهم من سادتهم (هذا ما أراد جناب العضو من تشبيهه البليغ) بعد هذا قال رياض باشا أنكم تسألوننا تعيين القوة ولكني أسألكم ما هي القوة الموجودة عندكم وباي حق يؤدي لكم ٤٨٠٠٠ جنيه في كل شهر أأنتم حكومة أم لا . أما شريف باشا فقال أنه بذل جهده مدة طويلة في أرضاء الحكومة الانكليزية بان ترسل جيشا انكليزياً إلى السودان (وهذا مما يقضي بالعجب) ولكنه علم أن نوبار باشا أراد أن ينهي المسئلة باخلاء الاقطار السودانية فقال نوبار باشا أن المباحثة خرجت عن موضوعها وتحولت عن وجهها ولكني أذكر الاعضاء المجتمعين بانهم ما طلبوا إلا لابداء آرائهم فيما يجب العمل به . فاجابه رياض باشا أن لكم مجلس شورى فكان أحق أن تذاكروه وأنا للان لانعرف سبباً لاستدعائنا مع وجود ذلك المجلس . فحاول نوبار باشا دفع ذلك بقوله أن مجلس الشورى ليس من خصائصه النظر في مثل هذه المهمات فقال رياض باشا أنه لا يرجى إصلاح ما دام العمل جاريا على ما وضعه اللورد دوفرين مما سماه نظاما وأنه لا ثقة له بأصل من أصول ذلك النظام وليس في الامكان اجراء ولا واحد منها وأن الاغلاط التي كانت منشأ للضعف والاختلال لم يرتكبها إلا دولة الانكليز وإن ما نراه من الفوضوية وارتكاب المنكرات وكثرة التعدي والسرقات لم تكن له علة إلا السياسة الانكليزية فعلى انكلترا أن تعالج هذا الداء وليس ذلك علينا ولقد قلت هذا مرارا وبلغته للورد دوفرين وشريف باشا وكنت أود أن أرى اللورد دوفرين مرة أخرى لاذكره بما جرى من الحديث بيننا

واعرض عليه مصره المنتظمة ، إلا أن شريف باشا أتى بما لم يكن يرجى منه حيث دافع عن نظام دوفرين بقوله أن الاصلاح يحصل تدريجاً كانه يريد بما يقول أن ما حوته شريعة اللورد دوفرين يصلح أن يكون شريعة يعود من العمل بها على أهالى القطر المصرى شيء من الفائدة وما كنا نظن أن مثل شريف باشا يرى مثل هذا الرأى بعد وصول الامر إلى ما وصل إليه . بعد هذا قال رياض باشا انى لا أفهم لفظ برتكتورا (حماية) ولا أعلم ماذا يراد منه ولكنى لا أرى وسطا بين أمرين أما ضم البلاد إلى الحكومة الانكليزية فتستلم انكلترا ادارة أمورها وتتولى شئونها كلية كانت أو جزئية وهذا هو الذى أفهمه من تلك العبارات وأما ترك البلاد لاهلها فيأخذ بزمام السلطة فيها رجال من أهاليها واليهم الحل والعقد فى إدارتها فانتحلوا مذهبا من المذهبين فان القول بوسط بينهما ضرب من الجنون اه

وليس بعجيب أن يصدر مثل هذا الكلام من رياض باشا فعهدنا به رجل ذو حياة وطنية واحساس بما يلزم لحفظ حياته هذه ، وهي اشرف أنواع الحياة ، فان تكلم فانما ينثر الكلام منه ارادة ناشئة عن فكر تثيره قوة حيوية وكان أملنا أن يوجد من طرازه كثير في الاقطار المصرية يصدعون بما يصدع به خصوصاً بعد ما نازلتهم هذه الحوادث المريعة ومثلت لهم مستقبل بلادهم في مرآة حاضرها ولقد أدى الرجل حقاً واجباً عليه والقائم بادآء الفريضة قد يشكر اذا أهملها المكلفون بها حتى صارت عندهم من نوافل الإعمال أو في منابذ المكاره ، ولكن يأخذنا العجب من بقية أعضاء هذا المجلس الموقر كيف مجمجوا أو تلكأوا أو سكتوا وكيف وسعتهم القدرة على امساك السنتهم عن التعبير بما فى

ضمائرهم . انا لانعلم أحداً منهم تجنس بالجنسية الانكليزية وحاشا جميعهم من ذلك ولا يحتاج فى صدورنا أن مصرياً أو تركياً أو شرقياً أياً كان يميل ميلا صادقاً الى تسلط الامم الاجنبية على بلاده أو يخلص في خدمة الانكليز ومجاراة رغائبهم اخلاصاً صحيحاً خصوصاً أولئك الامراء المصرح بأسمائهم بل لو كشف الحجاب عن قلب كل واحد منهم لرأيناه ذائباً من الاسف في ما حل ببلاده وفانياً من الحزن على ما نزل بوطنه من تردد جيوش الاجانب بين أطرافه ومضمحلا من الكدر على ما عقبه حلول القوة الاجنبية من انقباض الانفس وانقطاع الآمال وعموم الاختلال وشمول الفقر والفاقة وبطلان حركة الاعمال بل لو شاء القلم أن يعبر عن حالة الامير منهم عند ما يطرق أذانه أخبار التصرف الانكليزى في ادارات حكومته وكف أيدى الموظفين من أبناء ملته عن أداء مايجب عليهم لبلادهم وبسطة أيدى أولئك الاجانب فى الانفاق من ماله ومال عياله وأقاربه وأحبائه وجميع مواطنيه بدون حق شرعى ولا مصلحة وطنية أو عند ما يرى غنياً أعدم وعزيزاً ذل وكاسياً عرى وحباً أشرف على الهلاك من ضغط المظالم ولو نهضت قوة البيان اشرح ما يظهر على وجهه من الوان الكمودة وفى أعضائه من أنواع الرعدة وما ينبض به قلبه وما يحدثه فكره من هواجس الهموم وخواطر الغموم لما استطاع القلم تعبيراً ولوقفت قوة البيان دون الاتيان على قليل من كثير . هذا هو الذى لا يبراء منه أحد منهم ولو أقام على البراءة الف برهان كيف لا وهم يعلمون أن عزتهم وسيادتهم وما بلغوا من مراتب الشرف والرفعة انما كان بوصف قيامهم على أعمال البلاد وأهليتهم لاستلام مهامها واستعدادهم لادارة شؤون الرعية وهم على يقين بأنه لو ساد في ديارهم

أجنبي فلا داعي ببعثه الى حفظ ما لهم من الشرف والسيادة بل له من البواعث القوية مايحمله على تذليلهم واهباطهم الى أحط المنازل ليخلفهم على مثل ما كانوا عليه . فما الذى أمسك بألسنتهم عن الكلام هل الخوف فمن أى شيء يخافون وما الذى يخشونه على أرواحهم أو على بلادهم اذا قالوا حقاً وثبتوا عليه . ماذا يصنع بهم الانكليز اذا علموا صدقهم في محبة أوطانهم واتفاق كلمتهم على الرغبة فى انقاذها ، هل علموا من عدل الانكليز أنهم يؤاخذون الناس على ابداء آرائهم اذا دعوا إلى المشورة . ان كان هذا فما يبتغون من الحياة . هل ظنوا أن الانكليز اذا أحسوا باتفاق فى الآراء على مصلحة من مصالح البلاد وان كانت فى خروجهم من مصر يستطيعون تحت أعين أوربا أن يوصلوا ضرراً الى المتفقين وهم أمراء البلاد وأعيانها . ان رياض باشا وحده لم يخش من اظهار فكره فماذا كان يضر الامراء الوطنيين لوعززوه أو كاتفوه على مثل رأيه . قد علم العقلاء من كل أمة أن أشباه هذه الحوادث تكون سبباً فى اجتماع الكلمة واتحاد الرأى على مصادمتها وما نراه اليوم من سعادة الامم العظيمة انما كان منشاؤه ملمات الشقاء التى أنستهم الضغائن والاحقاد وحملتهم على ترك المنافرات الخصوصية وأخذ كل بيد أخيه لدفع ما يخشى منه على بناء الامة ان ينصدع واساس الملة ان ينقلع وما سمعنا من أمة اتفقت فخابت ولا ملة افترقت فنجحت .

الا يعلم أمراؤنا أن أوربا واقفة بالمرصاد لانكاترا تترقب لها الزلل وتتمنى لها الغلط وان جمع الاسماع في الممالك الاوربية مصغية لكلمة يتفق عليها وجهاء المصريين وهي انا قادرون على اصلاح شؤوننا ولا نريد قوة اجنبية تحل فى ديارنا . امتدت اعناق السياسيين في اوربا

واتخنت الى المصريين ليسمعوا منهم كلمة حتى كلت رقابهم وانثنت اعصابها والمصريون يشحون بها عليهم . ماذا ينتظر الامراء المصريون في قول الحق ان الامم لا تطلب منهم اشهار السلاح ولا بذل الارواح ولكن تطلب منهم قولا صريحاً لا يجاب اليهم ضرراً ولا يقرب منهم خطراً لا حول ولا قوة الا بالله

السودان

قدمنا فى العدد الماضى أن مدينة بربر فى حالة يخشى عليها من السقوط في أيدى الثائرين وجاءت أخبار هذا الاسبوع بأن حاكم المدينة بعد الحاح طويل على الحكومة المصرية فى إرسال نجدة عسكرية اليه لم يحز طلبه قبولا فان الوزارة الانكليزية لم تر ذلك صواباً وبناء على ما رأته الحكومة الانكليزية صدرت الاوامر الى الحاكم (حسن باشا خليفة) أن يخلى المدينة بما يمكنه من السرعة فشرع فى إخلائها متقهقراً بالحامية جهة الشمال الى كوروسكو وبعث بفرقة من عساكره عددها مائة وخمسون رجلا لتسبقه الى حيث ينتهى في رجعته وبعد أيام يرسل مابقى منها طبق الاوامر التى وردت اليه وفي الظن أن اخلاء المدينة لايتم بدون كفاح وقتال وسفك دماء ومع هذا كله فمن أمل الحاكم أن يتم له انقاذ الحامية جميعها وارسالها الى كوروسكو قبل وصول رمل محمد احمد تحقق أن أربع فرق من العساكر الغير المنتظمة (باشبزوق) مع خمسماية عسكرى مصرى (كلهم من حامية بربر) انحازوا الى أشياع محمد أحمد ويخشى

أن الثائرين بعد استيلائهم على بربر يحاصرون جملة مدن كبيرة فى وقت قريب .

قالت جريدة التمس الانكليزية ثارت جميع القبائل وأهالى البلاد فيما وراء بربر ولا يمكن أن يوجد رسل يجرأون على المسير الى خرطوم لتوصيل المراسلات وان عرض عليهم من النقود أعلى مايمكن من المبالغ وقالت تلك الجريدة أن الاخبار الاخيرة الواردة من مصر تؤكد لنا أن قلوب الاهالى (المصريين) طافحة من الغيظ والحنق على الانكليز وأنه لايوجد في مصر من يحب أن يرى انكليزياً يخطر فى بلاده (هذا الذى قلناه مراراً فالحمد لله أقر الخصم وارتفع النزاع) ثم اتبعت كلامها هذا بأنه لايوجد فى مصر الآن شىء يصح أن يخبر عنه سوى اختلال واضطراب فما عليه مصر اليوم يمكن أن يعبر عنه بهاتين اللفظتين وأن المخابرات مع خرطوم أصبحت من قبيل المستحيلات ، ثم قالت نعم ان الحكومة الانكليزية صرحت بأنه لايمكنها ارسال عساكر الى السودان قبل مضى أربعة أشهر ، ولكن عليها أن تنظر فى واسطة أخرى لازالة ماجلبته على مصر من الفوضى

أنجح الوسائط ترك البلاد لأهلها وتفويض الامر فيها لصاحب الحق القانونى على تلك البلاد ومن له المنزلة العليا فى قلوب جميع الاهالى ، فتسكن له القلوب وتخمد نيران الفتن ، ولعل التمس بعد أيام قلائل ترجع الى موافقتنا على هذا الرأى كما وافقنا على تأكيد بغض المصريين للانكليز وقد تنكره علينا من خمسة وعشرين يوماً وتبالغ فى ميل الاهالى لسيادة انكلترا عليهم

ذكرت الجرائد أن جاسوساً وقف على عزيمة عثمان دجمة في جهة

سواكن فجاء وأخبر بأنه مستعد أن يزحف بألفى رجل الى هندوب لقطع الطريق وأنه بعد ذلك لايقف دون الهجوم على حدود سواكن بشدة عنيفة

ذكر فى جريدة التان أن دخول الثائرين في مدينة بربر وإن لم يتحقق الآن بطريقة رسمية إلا أن ما أخبر به وكيل انكلترا السياسى فى تلك المدينة يقطع كل ريب ويزيل كل شك فى ان الخطر نازل بها لامحالة فان قسما من حاميتها فر لطلب النجاة والباقى انضموا إلى صفوف الثائرين جهرة وأنا نرى حلول أشياع محمد احمد بمدينة بربر يهيء لهم أن يطئوا قلب مصر العليا وليتهم يكتفون بهذا ولكن ستطمح أنظارهم إلى مصر السفلى . وان ضباط الحامية المصرية في أصوان وردت اليهم مكاتيب من أحد زعماء الثورة بناء على أمر محمد أحمد ينذرهم فيها بسوء العاقبة ويتوعدهم بالقتل والذبح ان لم يتركوا المدينة قبل عشرة أيام ثم قالت تلك الجريدة اذا اجتمعت قوة محمد أحمد عند الشلالة الاولى فلا بد حينئذ أن ينظر في كيفية الدفاع عن القاهرة .

هذا الذى كنا نتوقعه ونخشاه من قبل وأشرنا اليه مراراً حلته الحوادث ونطقت به الجرائد الفرنساوية والانكليزية ولم يبق الا التفات تلك الجرائد الى دواء هذه العلة وعلاج هذا الداء الذى كاد يكون عضالا وتنبه حكوماتها للنظر في ذلك بعين الدقة والتبصر وترشدها الى أن العلاج الذى ليس وراءه علاج انما هو تسليم الامر لذوى الحق فيه والعارفين بطرق تصريفه من المسلمين ؛ وسنراها بعد ايام تتبع هذا السبيل المستقيم

فرصة سانحه

دخل الانكليز مصر فزعموا أن ما كان موجوداً من الجند الاهلى نفخت فيه روح العصيان فلا يصلح للاعمال العسكرية فطردوه ثم اختاروا من الاهالى جنداً جديدا فى عدد قليل واستلم الرئاسة عليه ضباطهم البارعون وبعد أشهر أثنوا عليه بحسن النظام وسرعة النجاح وتنطنت بالاطراء عليه جرائدهم ولم نلبث بعد هذا أن رأيناهم يسارعون إلى طرد الجند الجديد فهموا بذلك مراراً مع العزم على عدم استبداله باخر من أبناء الوطن وكلما صدتهم بعض الموانع السياسية عن همهم كتموا أمرهم زمناً ثم عادوا للاشارة اليه تعللا بما ينسبونه إلى بعض العساكر وهو من دسائسهم وآخر الأمر خفتت أصواتهم وأحسوا بعجزهم عن الاستبداد بطرد الحامية الوطنية وعلموا أن لابد فيه من مشورة الدول

في هذه الايام رغبوا إلى الدول فى عقد مؤتمر للنظر فى قانون التصفية وتحويره ووضع نظام للمالية المصرية يخفف عنها بعض أثقالها فصرحوا في لائحتهم المرسلة إلى حكومات اوربا بضرورة طرد الجند الوطنى رعاية للاقتصاد وبلزوم تخفيض فائدة الديون المصرية

إن الانكليز من ست سنوات جعلوا بعض الضيق فى المالية المصرية ذريعة للانقلاب العظيم الذى حصل فى مصر والزموا الدولة العثمانية بمجاراتهم في ذاك الانقلاب ودافعوا عن الدائنين وزعموا من المحال تنقيص شيء من الفوائد وطلبوا من الحكومة المصرية إذ ذاك تقليل عدد حاميتها ليتوفر من النقود ما يصرف لحقوق الدائنين واليوم عطفوا على

المصريين (عطفة الأب الرحيم) وبسطوا أيديهم إلى الدول يلتمسون مساعدتها لتخفيف الفائدة مع محو حاميتهم الوطنية. اليست البلاد المصرية كسائر بلاد العالم تحتاج إلى حامية تحفظ حدودها من الخارج وتصون داخلها من الغوائل التى لايأمن طروقها حكومة من الحكومات. إن في تلك القسوة الاولى والمرحمة الثانية لسرا عظيما

للانكليز في مصر مطامع من زمن قديم يعدون سلطتهم عليها من ضروريات شوكتهم في الهند وفى خلدهم ان المصريين لو كانت لهم ثروة مالية وقوة عسكرية عظيمة فانهم يمانعونهم فيما يريدون ببلادهم فضيقوا على المالية فى تلك الأوقات والجأوا الحكومة لتمزيق قوتها العسكرية ليحصل الضعف فى القوتين المالية والجندية فتمهد لهم طريق ما طمحوا اليه وكان هذا التدبير سببا فى الانقلاب الذى تبعته هذه الحوادث الهائلة وبعد ما فتح لهم بضعف الحكومة سبيل المداخلة فى مصر طفقوا يسعون بما جبلوا عليه من الهوينا في المضى إلى مقاصدهم لايجاد عنوان غير التملك يعنون به اقامت عساكرهم ومأموريهم في تلك البلاد زمناً طويلا ويكون وضع ذلك العنوان برأى الدول تملصاً من الوعد الذى وعدوها به مع ترقب حوادث السياسة في أوربا لعل حادثة منها تساعدهم على ابدال العنوان بما هو المطلوب لهم ورأوا من أحسن الوسائل لدعوة الدول اليهم عرض المسئلة المالية

ولما كان من المحتوم فى أرائهم بقاء عساكرهم في الديار المصرية فلا بد من طلب وسيلة لطرد الجند المصرى حتى تكون الحاجة الى عساكرهم قائمة ،هذه طريقة ربما خفيت على المصريين وغفل عنها كثير من الاوربيين إلا أنها من الطرق المتعارفة عند الانكليز وهي التى

سلكوها فى البلاد الهندية ونالوا بسلوكها السلطة المطلقة على تلك الاقطار الواسعة بدون سفك دماء غزيرة ولا مقاومة فتن شديدة . دمر الانكليز (دخلوا بلا استئذان) على الهنديين فى أراضيهم وانبثوا بينهم فتمكنوا من تفريق كلمة الامراء واغراء كل نواب أوراجا بالاستقلال والانفصال عن السلطنة التيمورية فتمزقت المملكة الى ممالك صغيرة ثم أغروا كل أمير بآخر يطلب قهره والتغلب على ملكه فصارت الاراضى الهندية الواسعة ميادين للقتال واضطر كل نواب أوراجا الى النقود والجنود ليدافع بها عن حقه أو يتغلب بها على عدوه فعند ذلك تقدم الانكليز بسعة الصدر وانبساط النفس ومدوا أيديهم لمساعدة كل من المتنازعين وبسطوا لهم احدى الراحتين ببدر الذهب وقبضوا بالاخرى على سيف الغلب . بداؤا قبل كل عمل بتنفير أولئك الملوك الصغار من عساكرهم الاهلية ورموها بالضعف والجبن والخيانة والاختلال ثم أخذوا في تعظيم شأن جيوشهم الانكليزية وقوادها وما هم عليه من القوة والبسالة والنظام حتى اقتنع كل نواب أوراجا بأن لاناصر له على مغالبه إلا بالجنود الانكليزية فأقبل الانكليز على أولئك السذج يضمنون لكل صيانة ملكه وفوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الانكليز ويكون بعض الجنود من الهنديين وبعضها من البريطانيين وما على الحاكم إلا أن يؤدى نفقتها ثم خلبوا عقول أولئك الامراء بدهائهم وبهرجة وعودهم ولين مقالهم حتى أرضوهم بأن يكون على القرب من عاصمة كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شر بعضهم عن بعض وصار الانكليز بذلك أولياء المتباغضين وسموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التى أعدوها للحماية عنها ففرقة سموها (عمرية) وأخرى سموها جعفرية وغيرها سموها (كشتية) ارضاء

لاهل السنة والشيعة والوثنيين

ولما فرغت خزائن الحكام وقصرت بهم الثروة عن أداء النفقات العسكرية فتح الانكليز خزائنهم وتساهلوا مع أولئك الحكام في القرض وأظهروا غاية السماحة فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة وبعضهم بدون فائدة وينتظرون به الميسرة حتى ظن كل أمير أن الله قد أمده باعوان من السماء وبعد مضى زمان كانوا يومئون الى طلب ديونهم بغاية الرفق ويشيرون الى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف فاذا عجز الامير عن الاداء قالوا انا نعلم أن وفاء الديون والقيام بنفقات الجنود يصعب عليكم ونحن ننصحكم أن تفوضوا الينا العمل في قطعة كذا من الارض نستغلها ونستوفي منها ديوننا وننفق من غلاتها على الجيوش التى أقمناها لكم ثم الارض أرضكم نردها اليكم عند الاستيفاء والاستغناء وانما نحن خادمون لكم فيضعون أيديهم على غضروات الاراضى وفيحائها وفى اثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعا حصينة وحصوناً منيعة كما يفعلون ذلك في ثكن (أماكن اقامة العساكر) عساكرهم على أبواب العواصم الهندية وفى خلال هذا يفتحون للامراء أبواباً من الاسراف والتبذير ويقرضونهم ويقتضون قرضهم بالقيام على أراض أخرى يضمونها إلى الاولى ثم يحضون نار العداوة بين الحكام لتنتشب بينهم حروب فيتداخلون فى أمر الصلح فيجبرون أحد المتحاربين على التنازل للاخر عن جزء من أملاكه ليتنازل لهم الثانى عن قطعة من اراضيه وهم فى جميع اعمالهم موسومون بالخادم الصادق والناصح الامين لكل من المتغالبين

وبعد هذا فلهم شئون لا يهملونها في ايقاع الشقاق بين سائر الاهالى لتضعف قوة الوحدة الداخلية ويخرب بعضهم بيوت بعض حتى اذا

بلغ السيل زبايته واضمحلت جميع القوى من الحاكم والمحكوم وغلت الأيدى فلا يستطيع أحداً حراكا ساقوا الحاكم الى المجزرة بسيوف تلك العساكر التى كانت حامية له واقية لبلاده وكانت تشحذ لجز عنقه من سنين طويلة وينفق على صقالها من ماله ثم خافوه على ملكه وكانوا يميلون بقوتهم الى أحد أعضاء العائلة المالكة ليطالب الملك فيخلعون المالك ويولون الطالب على شريطة ان يقطعهم ارضا او يمنحهم امتيازاً فيحولون الملك من الاب للابن ومن الاخ لاخيه ومن العم لابن اخيه وفي الكل هم الرابحون . هذا سيرهم فى الهند وهو على بعد من مراقبة أوربا . ما فاجأوا أحداً بحرب وما اختطفوا ملكا بقوة مغالبة بل ما أعلنوا سيادتهم على مملكة صغيرة ولا كبيرة إلا بعدما أيقنوا ان لاقوة لحاكمها ولا اهليها ولا بما تطرف به اجفانهم

أولئك الانكليز باقمة العالم واحبال الحيل يريدون اليوم طرد العساكر المصرية وأرض مصر لاتحرسها الملائكة فلا تستغنى عن حامية فان تم ما أرادوا زينوا لبعض ذوى السلطة في مصر أن يطلب منهم جنداً انكليزيا يكون خادماً له وحافظا لملكه فان لم يقبل داروا بحيلتهم تحت أستار التمويه على كل من له حق في الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه حتى يعثروا بمن يقبل نصحهم أو غشهم ذهولا عن حقيقة القصد فيقيمونه حاكما خلفا لمن لم تسمح ذمته بالقبول وتكون رغبة المغرور حجة لهم عند أوربا . هذا سر انقلاب الانكليز على الجند الوطنى وقدحهم فى سيرته بعد الثناء على حسن استعداده وسعيهم الى طرده بالأدلة الواهية والعلل الواهنة

اما المؤتمر فالداعى إليه دان العدوان في هذه الازمان لا يأتيه المعتدون كما كان فى الاحقاب الخالية مشوه الوجه منكر الصورة يعرفه

الذكى والغبى بل من أراد عدواناً فلا بد أن يحفه بمواكب من الادلة وحفال (جمع) من البراهين وهو ما يعبرون عنه بالحقوق والمصالح وما أصعب الوقوف على كنه العدوان وهو فى هذه الحيلة وتلك الهيئة الجميلة

يريد الانكليز عقد المؤتمر ويرغبون قصر المداولة فيه على المسألة المالية ليضمنوا ديون القطر المصرى ويكفلوا للدائنين أداء حقوقهم ويأخذوا على أنفسهم عهدة الانفاق على الادارات المصرية مدة من الزمان لترخص لهم الدول الاقامة في وادى النيل إلى امد فيكون تفويض الدول حجة لهم في التصرف وإدارة شئون الحكومة المصرية ما دام السلم مظلا بلاد أوربا فاذا حدث حادث حرب فى الدول الاوربية وما هو ببعيد الوقوع تربعوا في تلك البلاد وأناخوا بكلاكلهم وضربوا بجرانهم على أراضيها وألقوا عصاهم . هذا سر شفقة الانكليز على المصريين وهو سر رغبتهم في وقوف المؤتمر عند شئون المالية

هذه المصيبة العظمى والداهية الدهماء التى تتحفز لتنقض على المصريين هل تمس بحفيفها جانب ألمانيا ، كلا . فان منافع المانيا الحقيقية لاتعلق لها بالمسائل المصرية وهي في الشغل بما هو أهم منها وليست دولة اوستراليا باقرب إلى المصائب المصرية من ألمانيا على أن كلا من الدولتين ليس فى استطاعتها تأييد فكرها بالعمل لو مست الحوادث المصرية شيئاً من مصالحها فان مواقع الدولتين لاتساعدهما على الاضرار بدولة الانكليز . أما إيطاليا فهى ساكنة الجأش بما تؤمل نواله في أفريقيا بمساعدة انكلترا نعم لهذا السيل الجارف تدفق على بيت محمد على باشا فيخشى على أركان ذلك البيت لو لم يتدارك أمر

أما الدولة العثمانية فلو حولنا النظر عن حقوقها الثابتة في الاراضى المصرية من وجوه كثيرة فليس يخفى علينا أن الولاية على تلك الاراضى هى الركن الاعظم للسلطة العثمانية في سوريا وقسم عظيم مما يتصل بها من أسيا الصغرى وفي الحجاز واليمن فمن الفروض على العثمانيين أن يبذلوا وسعهم لصيانة مصر دفاعا عن حقوقهم المقررة وحفظا لشوكتهم فى معظم ممالكهم ولا يسوغ لهم شرائع الملك أن يفرطوا في المسئلة المصرية لافي جزئى منها ولا كلى فان مصر عقدة تتصل بها أطراف السلطنة العثمانية فاذا انحلت فقد انحلت « والعياذ بالله » سائر العقد

ليس لعثمانى أن يتوسد وسادة السياسة البسماركية الناعمة فان الحاجات الطبيعية والدواعى الجوهرية هى الحاكمة على الامم ولا اعتبار في السياسة بالاطوار العارضة ربما يهم بسمارك أن يشترى بمصلحة العثمانيين وداد الانكليز لتأييد سياسته وترك فرنسا منفردة بلا حليف وله أن يلقى بمصلحة العثمانيين في أيدى الروس إذا مست الحاجة ليدفع عن نفسه شراً يتوقعه وليس لبسمارك أدنى غاية في الاتصال بالعثمانيين إلا بهذا المقدار يفدى بهم منفعة من منافعه ومن نظر إلى أحوال الامم بما تقتضيه طبائعها حكم بذلك حكما قاطعاً

نعم من الدول دولة فرنسا كانت لها مزايا في أرض مصر أشرفت على الزوال وليس بالسهل علينا ضياعها ولها أملاك واسعة فيما وراء البحر الاحمر ولا تصان سلطتها على تلك الاملاك اذا نشبت أظافر الانكليز فى احشاء مصر بأى اسم كان وتحت أى عنوان فأصول السياسة الفرنساوية لا تسمح للفرنساويين بالتساهل فى المسائل المصرية . ودولة الروس تسابق دولة انكلترا فى النصر والغيب بشرقى آسيا وتنافس الالمان فى

القوة بأوربا ولها مع المانيا مزاحمات خفية ثابتة في عناصر الامتين لا يزيلها هذا التألف الظاهرى فقد يكون من أحكام سياستها الانضمام الى دولة فرنسا لمضايقة انكلترا فى البلاد المصرية بل النظر في طبيعة حال الامتين يقضى بلزوم اتحادهما في المشاكل الاوربية أيضاً وربما تكون هذه المسئلة بداية الارتباط بين هاتين الدولتين .

ولعل هذه الفرصة لا تفوت العثمانيين ولا تحجبهم الحوادث الماضية عن ادراك هاته النكتة وهي أن الروسيين هم أشد الناس حاجة الى الاتحاد مع الدولة العثمانية فى هذه الاوقات لما فتح لهم من أبواب المغنم في آسيا ويرون الالفة مع العثمانيين أعظم عضد لهم في نيل مطامحهم بتلك الاقطار بما للسلطان من المنزلة العليا في قلوب مسلميها ولا تأخذ العثمانيين رجفة من أرعاد الانكليز وأبراقهم فليس لهم سلاح يشهرونه على الدولة العثمانية سوى الترهيب ومن المحال أن يفاتحوها بحرب والا تقلصت سلطتهم عن البلاد المشرقية بأسرها فاذا ثبتت الدولة في مطالبها واشتدت في ارجاع حقوقها لجأ الانكليز للخضوع والاستكانة اليها وهذا من البديهيات الجلية عند كل من وقف على أحوال الانكليز في الهند وعلى مكانة السلطان العثمانى فى قلوب الهنديين عموماً والحكم لله يفعل ما يشاء

العروة الوثقى

لا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحياناً ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركهم فى المنافع من أجيال طويلة فليس هذا من شأننا ولا مما نميل اليه ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الاجانب عليهم والافساد فى بلادهم وقد نخص المسلمين بالخطاب لانهم العنصر الغالب فى الاقطار التى غدر بها الاجنبيون وأذلوا أهلها أجمعين واستأثروا بجميع خيراتها وسنكتب مقالة مفردة في هذا الباب ان شاء الله .

اسماعيل باشا

لهج كثير من الجرائد الاوربية فى هذه الايام بذكر اسماعيل باشا خديوى مصر السابق ومنها جريدة البال مال كازيت قالت اما أن تستولى انكلترا على مصر أوتسلم الادارة فيها لاسماعيل باشا ، ونقل أحد محررى هذه الجريدة عن مادم توفيكوف وهي صديقة شهيرة لمستر غلادستون انها قالت له ان أحسن وسيلة لتقرير الراحة في مصر وجعل مصر للمصريين هو إعادة اسماعيل باشا إليها وذكرت إحدى جرائد المانيا أن كلامها يشبه أن يكون رسمياً

أما نحن فسنبين رأينا فى هذه المسألة ونبدى فكرنا فيما يتعلق منها بالسلطان العثمانى والطريقة التى ينبغى أن يسلك فيها وما يرتبط منها بمصلحة المصريين وما يجب على انكلترا أن تأخذ به لو كانت كما تزعم تريد التخلص من ورطة المصرية ولا نظنها صادقة .

نجد

كتب إلينا أحد أهالى نجد رسالة طويلة يحكى بها ما فعله قنصل الانكليز مستر (كرنل بيلى) الذى كان قنصلا لدولته في خليج فارس ومقره ببندرابو شهر وما توسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠ أيام كان أمير نجد الامير فيصل ، وقصد برواية هذه الحادثة تنبيه إخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التى تشبث بها القنصل للتداخل فى سواحل البلاد النجدية وبين ما اتخذه الانكليز وسيلة للهجوم على أرض مصر إلا أننا لانذكرها الآن لقدم عهدها وسنفرد لها ولامثالها كتاباً مخصوصاً نفصل فيه ما فعل الانكليز فى البلاد التى ملكوها من الممالك الشرقية ، والبلاد التى حاولوا الاستيلاء عليها ولم يستطيعوا مع استمرارهم فى طلب ما يمكنهم من مقاصدهم ونطبع هذا الكتاب ونوزعه مجانا

الجرائد الهندية

جاءت إلينا الجرائد الهندية فسرنا اعتدال سيرها فى خدمة أوطانها وزادنا سروراً عنايتها بترجمة مقالاتنا المتعلقة بأحوال الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا ونقلها من اللسان العربى إلى اللسان الهندى فلله شكرها على ما صنعت ونخص من بينها جريدة (أخبار دار السلطنة) التى تطبع فى كلكته وجريدة (مشير قيصر) التى تطبع في لكهنو وهذا كان أملنا في أرباب تلك الجرائد وليس بغريب على غيرتهم الدينية والوطنية .

هذا ما كان من مسلمى الهند وهم في قبضة الانكليز من مدة تزيد على قرن وإننا نأسف غاية الاسف مما بلغنا عن بعض المصريين من أنهم يمتنعون عن استلام ما يرسل بأسمائهم من أعداد هذه الجريدة خوفا ورهبة مع أنهم أحق الناس بالاقدام على أمور عظام في هذه الاوقات فان الآمال فى خلاصهم قوية والوسائل إليه قريبة فكيف يصل ببعضهم الخوف إلى الامتناع عن استلام جريدة هم أولى بها من غيرهم إذ أهم مافيها الدفاع عنهم

صفقة خاسرة

كتب الينا صديق فاضل من مخلص المؤمنين بالقطر المصرى قال :
ان مأمورى الانكليز الآخذين بزمام بعض الوظائف المصرية

لا يزالون يسعون فى تغرير الاهالى والتحيل عليهم ودس الدسائس بينهم بطرق مختلفة من الترغيب والترهيب كل ذلك ليرضوهم بطلب الحماية الانكليزية إلا أن أولئك الابالسة لا يلاقون فى سعيهم الا خيبة لان العلماء وأعيان البلاد قد أحاطوا بغايات الانكليز ومقاصدهم وعلموا أنهم لايقصدون بالبلاد الا الشر كما لم ينلها من حلولهم إلا الضر خصوصاً وان روح الحمية والغيرة الدينية والوطنية صار لها السلطان الاعظم على نفوس أهالى القطر المصرى فاشتدت أنفتهم من تسلط الانكليز في ديارهم وقاوموا مطالبهم بعزائم ثابتة وقلوب غير واجفة وهذا هو ظننا بل يقيننا في أبناء القطر المصرى علمائهم وأمرائهم وحكامهم وأعيانهم وأوساطهم بل وسائر طبقاتهم ان لا تسمح نفس واحد منهم بمجاراة الانكليز فى رغبتهم وان لا يطمئن قلبه بالدخول تحت سيادتهم بل ببقاء شخص منهم فى بلاده وعلى مرمى نظره فان وجد بينهم شخص يتخذ الهه هواه ويميل مع الباطل فهو ممن يعرف المصريون سيرته في افناد ليله وأطراف نهاره فلا يثقون به ، ومما أخبر به الصادق أن كليفور لويد يجتهد لتسليم رئاسات البلاد إلى أناس من طبقة يتوهم فيها سقوط الهمة وسخافة الرأى ليتمكن بهم من اجراء بعض مقاصده لكن لم يتسن له نجاح ولئن نجح فى تحويل الرئاسات من نصابها فلا يلاقى ممن يستلمونها إلا مثل ما لاقى من غيرهم فان الجميع مصريون يفضلون ظلم أبناء وطنهم على عدل الأجنبى فكيف لوكان الاجنبى لايقاس بظالمه ظلم ، ثم قال صديقنا الفاضل زاد الويل اضعافاً على الاهالى بالمجالس المحلية فان الانكليز لم يراعوا في تشكيلها مصلحة الرعية وانما وضعوا في جوهرها ما يضيق عليها سبل المعاملة اخماداً لنفوسها لينالوا حظهم من السيادة عليها ولم

يعلموا أن بخس الحقوق من أشد موجبات العقوق وفى الأمثال العربية « زر كلبك للطاق يأكلك » أى ضيق عليه . أما الفلاحون فأحوالهم سيئة ضيق وضنق وفقر واعدام مما يفتت الاكباد ويذيب القلوب ويفطر الجماد ، الحكومة مضطرة لطلب الاموال وملجأة الى تكليف الفلاحين بدفع ما عليهم ، والاجانب قائمون على اقتضاء ديونهم منهم والكساد ورخص أسعار الحبوب وثمرات الزراعة لم يجعل في المحصولات وفاء بضرورات المعيشة فضلا عن أداء المطلوبات فكيلة القمح بستة قروش والذرة بأربعة وعلى هذا يقاس . ومن ثم تسمع كل يوم تنعاب أغربة الدلالين في فناء ديوان الحقانية على خراب بيوت الفلاحين ، هذا ينادى على بيع أراضيه بأسرها ، وهذا ينعق عليه بمبيع بعضها ، والآخر بالحجر على أملاكه والحكومة لا تنى فى طلب ضرائبها قبل أوان المحصولات ، أما أحوال المدن فليست بأسعد من أحوال الارياف خصوصاً من تعديات الاجانب على سكانها ، فالمنازعات والمخاصمات بين الاجانب والوطنيين يقضى فيها على الوطنى بالتغريم والجزاء ولا يؤخذ على الاجنبى في شيء وإن كان هو المعتدى ، وإن سأل الوطنى أين خصمى فيقال له أنه يحاكم فى محل آخر مع أنه لم يذهب إلى مقام المحاكمة رأسا واكتفى في فصل الدعوى بأحد الخصمين وهو طرز من الحكم جديد هذا بعض آثار العدالة الانكليزية ، وجاء في خبر صديقنا هذا رواية كثير من المظالم التى أصيب بها أهل القرى من جراء التداخل الانكليزى في ادارات الحكومة ضربنا عن ذكرها رعاية لجانب الاختصار بعد وضوحها عند أولى الامر من المصريين أما الامن فلم يبق له أثراً وأما النظام فقد نقض بناؤه واقتلع أساسه واختزن الانكليز نقاضه في خزائن

الآثار القديمة فقويت عصابات اللصوص وجاهروا بالنهب والسلب وهذا خبر تؤكده روايات الجرائد الوطنية المصرية عربية وأفرنكية فان جميعها يشتكي الملل والسآمة من رواية أخبار السوء كل يوم . إلا أن من غريب الوقائع هجوم لفيف من السارقين على قرية نشرت ونواحيها من مديرية الغربية وقتلهم واحداً وأربعين رجلا فان خبر هذه الواقعة ان صح كان دليلا على بلوغ الاختلال الى درجة فوق ما كنا نتصور نسأل الله السلامة كما نسأله ابدال عسر المصريين باليسر وهو على كل شيء قدير

أخبار سياسية

قبلت الحكومة الفرنساوية أن تدخل في المؤتمر لكن على شرط أن لا تذهب اليه مغلولة اليدين غضيضة الطرفين وان لابد قبل ذهابها اليه من مخابرة بينها وبين انكلترا فيما يلزم أن يكون موضوع البحث في ذلك المؤتمر وقد أجمع السياسيون فى فرنسا على ضرورة امتداد البحث الى ما وراء المالية من ادارة البلاد المصرية واقرار الراحة فيها

الجرائد الانكليزية تظهر خوفها من تشديد فرنسا وتستنجد أوربا وترى أن مداخلة الدول جميعها فى مصر واقامة مراقبة دولية لحكومتها لا تمتاز فيها دولة عن دولة خير من مداخلة فرنسا وحدها مع انكلترا وان عارضت ذلك جريدة التمس وحدها . وفي بعض الجرائد الروسيه أن انكلترا لا يمكنها أن تضع حمايتها على مصر لظهور عجزها عن ادارة البلاد بعد الحلول بها سنتين وهي مطلقة التصرف لا مزاحم لها وبعد العجز لجأت الى دول أوربا أما دولة فرنسا فلا يهمها اعادة المراقبة

المشتركة بين الدولتين ولسكن يهمها أن لاتختص انكلترا بالامتياز فى مصر

ذكرت كثيرمن الجرائد الالمانية نقلا عن مصدر يوثق به أن الباب العالى لم يقبل الاشتراك في المؤتمر إلا على شرط أن تكون المداولة فيه غير واقفة عند حد المالية بل من اللازم أن يكون موضوع نظره لائحة غرانفيل المرسلة الى الدول في يناير سنة ١٨٨٣ (عند ما كان دوفرين في القاهرة) وعلى هذا فالدولة العثمانية تطلب النظر فى المسئلة المصرية بجميع فروعها لاتصال بعض أجزائها ببعض ، وفي جريدة التان أن الباب العالى بعد مخابرة الدول والاتفاق معهاخصوصاً دولة فرنسا أرسل تلغرافاً الى موزوروس باشا السفير العثمانى فى لوندرة بأنه مستعد لقبول المؤتمر على شرط أن يكون بحثه فى الشؤون المالية والسياسية والادارية

في جريدة كازيت ناسيونال الالمانية أن سيرفرنسا فيالمسئلة المصرية موافق لسير جميع الدول لاسيما المانيا وقالت ان انكلترا أصبحت منفردة وهذا مما يسر المانيا

استفيد من خطاب المستر غلادستون في مجلس البرلمان أن لنواب الدول عند اجتماعهم أن يبحثوا فيماسوى المسئلة المالية ان أرادت الدول ذلك وان كان هذا يناقض ما صرح به غرانفيل فى جلسة أخرى ولما سئل غرانفيل عن هذا التناقض أعرض عن الجواب وقال ان الحكومة مستعدة لانفاذ كوردون (هذا مما يضحك)

أخبارالسودان تشعربالشدة فقد أخبر الحاكم فى دنكولا أن رسلا بعثوا الى الخرطوم فعادوا ولم يتمكنوا من الوصول وقالوا ان الثائرين محدقون بكردون من جميع الجهات . فيتلغراف من القاهرة أن الثائرين مجتمعون في عيون أبى سعيد على القرب من أصوان وان زعماء جيش

محمد احمد طلبوا من حامية دنكولا أن تسلم بعد ثلاثة أيام وإلافتكوا بهم

جرث مشاجرة بين بعض العساكر الانكليزية وبين العربان النازلين على شواطىء بحيرة مريوط وقتل فيها عدة أشخاص

الاخبار متواترة بأن عثمان دجمه يحاول الهجوم على سواكن وينازل بعض القبائل التى لم تذعن لدعوة محمد احمد على القرب من طمانيب

المستر غلادستون وعد بأن يرسل جيشاً الى السودان لكن لابد من مراعاة الفصول والاهوية ثم أظهر تجافيه عن حرب السودانيين الذين يدافعون عن حريتهم وبلادهم

المسألة المصرية دولية

انا أنذرنا الانكليز خطراً قريباً على الهند ونبهنا في أول عدد صدر من جريدتنا على أن تفيوء التركمان فى مرو لظل الحكومة الروسية باختيارهم ربما يحمل تركمان سرخس على الاقتداء بهم وأشرنا الى مايتبع ذلك مما عاقبته نكال على الانكليز ، واليوم وقع ما توقعناه فاستولت الروسية على سرخس وتأخمت بحدودها حكومة الافغان وارتعدت فرائص الانكليز وغشيهم الفزع والقلق واعولت جرائدهم نحيباً ورددت نشيجاً وأحست بقرب الاجل ولم يسكن روعهم ما ذكرته جريدة بطرسبرج الشبيهة بالرسمية من أن سرخس اسم يشترك بين مدينتين قديمة وحديثة وانما دخل فى حوزة الروس أولاهما فان الانكليز يعلمون أن المدينتين متصلتان لايفصلهما إلا ترعة صغيرة « نهر تجند » عرضها عشرة أذرع بالتقريب على أن سرخس التى حكم مهندسو حربها الانكليز

أنها باب الهند من طرف الشمال وأنه ممر فاتحيه من زمان قديم ومن طريقها طرق الهند اسكندر الأكبر ونادر شاه الايرانى وان وصول الروسية اليها مما يخرق سياج الهند انما هي سرخس القديمة . ومما زاد الانكليز فزعاً واضطراباً أن التركمان النازلين بتلك المدينة وما يليها هم الذين عرضوا أنفسهم على حكومة الروس طوعا واختياراً وبعثوا وفداً منهم لينوب عنهم في عرض خضوعهم على البرنس دوندوكوف حاكم ما وراء بحر الخزر من الولايات الروسية ووصل الوفد الى عشقا باد وأقام بها ينتظر قدوم البرنس اليها

وقع الانكليز الآن بين شرين عظيمين خطر عاجل وحتف آجل أما الثانى فهو أن الروسية اما أن تتحد مع الافغانيين وتحالفهم على مطاردة الانكليز وهو الاقرب المتوقع فتصير معهم يداً واحدة على هدم أركان الحكومة الهندية الانكليزية وليس يخاف ما يضمره كل أفغانى لكل انكليزى من الحقد والضغينة والافغانيون قوم حرب يناطحون الموت بنواصيهم فكيف ان وجدوا مساعداً قوياً . واما أن تميل حكومة الافغان الى الانكليز وهو من فرض المحال فما أسرع أن تنتشب مقاتلات بين القبائل المختلفة ممن تحت حكومة الافغان مثل حمشيدى وفيروزكوهي وبين قبائل التركمان المتاخمين لهم ويعقبها حرب بين الروسية والانكليز لان كلا من الدولتين مضطر للمدافعة عن حليفه بل للروسية حق المناضلة عن رعاياها التركمان فاذا زحف الروس الى الاراضى الافغانية تقطعت حبال حيل الانكليز وامتنعت عليهم وسائل الدفاع وهذا آخر حياتهم فى الهند

وأما الخطر العاجل فهو ان سماع الهنديين بخبر استيلاء الروسية على

سرخس يوقد فيهم نار ثورة عامة يلتمسون فى أضوائها طريقا للخلاص من الضيق والضنك الذى شملهم وسبيلا للنجاة من الويل الذى جلبته عليهم مظالم الانكليز . هذا يكون كما اشتعل لهيب الفتنة سنة ١٨٦٠ عند ما وصل الهنديين خبر استيلاء ناصر الدين شاه الايرانى على هراة بل انتقاض الهند على الانكليز في هذه الأيام أقرب فان خواطر المسلمين من سكانه في هياج شديد بما شاع بينهم من دعوة محمد احمد السودانى بل بما يمكن فى أهوائهم من الميل إلى تصديقه وإن لهذه الدعوة حملة على الهند لايقاومها تدابير دولة بريطانيا

تريد دولة انكلترا أن تصد المسلمين عن حج بيت الله الحرام في هذا العام وربما فيما بعده حتى لاتصل أخبار محمد احمد وتورط الانكليز في مقاومته إلى مسامع الهنديين ولكن سيحمل هذه الاخبار إلى تلك الاقطار حجاج الافغانيين والبلوجيين الذين يسلكون إلى الحج طريق البصرة والكويت بل يبلغونها إلى اخوانهم على وجه أبلغ مما لو سمعوها با ذانهم .

هذا تأييد الهى للدولة العثمانية فعليها أن تنهض بعزيمة صادقة وجأش ثابت وهمة تليق بمكانتها فى القلوب وعلى السلطان العثمانى أن يتذكر أنه خلف لاولئك الاسلاف العظام الذين ما أضاعوا حقاً ولا أهملوا فرضا ويقتضى من الانكليز حقه ويسترد مصر من أيديهم ويطهرها من جراثيم الفساد ولا يقنع بما دون الحق ولا يدع لهم فيها شأنا إلا بما يساوون فيه غيرهم من الدول ولا تفوتن العثمانيين فرصة هذا الارتباك الذى سقط فيه الانكليز كما فات الايرانيين الانتفاع بثورة الهند فى الأيام الماضية لتأخر خبر الثورة عنهم وإلا لكانوا أوقعوا بالانكليز ونالوا للغاية من

ضرهم . على العثمانيين أن يتلافوا الأمر قبل ان يشب الانكليز حربا صليبية بين الحبش والمسلمين على نفقة الحكومة المصرية . ليس للدولة العثمانية أن تتهاون فى مطالبها أو تتحاشى الدفاع عن حقوقها الثابتة ولا أن تخشى فى ذلك تهويل الانكليز وجلبتهم فان كثيراً من الدول على اختلاف مقاصدها السياسية يوافقونها على تخليص مصر من مخالب الانكليز كما دلت عليه منشورات الجرائد وروايا تها عن مقاصد السياسيين من كل دولة . بل الذى يفهم من جملة مقالا تهم انه لاتوجد دولة من الدول ترضى بأن يكون المؤتمر وسيلة لاستيلاء الانكليز على مصر أو وضعها تحت حمايتهم خصوصاً دولة فرنسا ودولة الروس . وإليك طرفا من آراء الجرائد وما تنقله عن السياسيين قال مراسل التمس في باريس ان فرنسا لم تقبل ولن تقبل ان يكون بحث المؤتمر منحصراً فى المسائل المالية ولقد اصابت فرنسا فى عدولها عن طلب المراقبة المشتركة بينها وبين انكلترا ورغبتها في مراقبة يشترك فيها جميع الدول فان في ذلك فوائد عظيمة لها ولغيرها ولا اظن ان حكومة انكلترا وافقت على ما ترغب فرنسا كما لا اظن ان فرنسا تتساهل فيما تريد وعلى هذا فاما ان ينعقد المؤتمر ولا تكون مداولاته مقصورة على مشاكل المالية واما لا يلتئم اصلا . ولا امل لانكلترا إلا في التستر تحت حيلتها وهي ان ترغب إلى الدول عقد مؤتمرين متعاقبين اولهما للمالية وبعده ينعقد الثانى للنظر فيما لم ينظر فيه الاول ، وقال مراسل الدلى تلغراف فى ويانا ان خطاب المستر غلادستون الذى القاه فى مجلس النواب حرك دول المانيا والنمسا وايطاليا للاتفاق في المسئلة المصرية فصرحت جميعها بأن مصالحها في مصر تقضى عليها بالعمل في حل هذه المسئلة وليس من سياسة واحدة

منها أن تنتظر زمناً طويلا بعد ما مضى من الحوادث مع ما يتوقع نزوله بمصر من النكبات واستقر رأى الدول الثلاث على المداخلة في وقتها المناسب وقد انحاث ثقتها في مسلك الوزارة الانكليزية

وورد من فينا الى جريدة التان الفرنساوية الشبيهة بالرسمية من مكاتبها تلغراف قال فيه انه اجتمع على رجال عظام فى تلك المدينة واستطلع أفكارهم فى المسئلة المصرية فاذا هم متباينون في الرأى فمن ظن بعضهم أن الواجب على دولة النمسا أن تأخذ جانباً عن هذه المسئلة وتوسع المجال لدولة ايطاليا فانها ان فعلت ذلك أرضت ايطاليا بدون أن يلحق ضرر بمصلحتها ووافقت رغائب المانيا ومن رأى بعضهم أن حكومتهم لايسوغ لها التخلى عن رعاية مصالحها فى مصر مرضاة لايطاليا بل لا يمكنها هذا وقد أخطأ من يظن أن ليس للنمسا منافع فى البلاد المصرية . ثم قال المكاتب تلاقيت مع رجل سياسى له شهرة بحرية الفكر واصابة الرأى فمن كلامه أن دولة المانيا ربما تجعل المسئلة المصرية وسيلة لمراضاة الايطاليين بأن تعد لهم فيها مقاماً رفيعاً لان المانيا ليس لها قوة بحرية ولا يهمها ما يجرى فى البحر الابيض الا بطريق العرض أما النمسا فان لها فى ذلك البحر مركزاً مهماً فحالها من هذه الجهة يخالف حال المانيا على أن حركات السياسة البرية لابد أن تقذف بها الى ذاك البحر وهو مما يزيدها حرصاً على تعزيز جانبها فيه وليست المسئلة المصرية الامسئلة البحر الابيض فمن له فيه شأن يراعيه فله الشأن فى المسئلة المصرية وعلى حسب درجة الاول تكون درجة الثانى ثم أطال الكلام في بيان المنافسة السياسية بين دولة النمسا وايطاليا وما يطمح اليه نظر كل منهما . غير أن هذا ليس مما يمنع الدولتين عن الاتفاق في

معارضة الانكليز وخفض منزلتهم فى مصر والبحر الابيض أما جرائد فرنسا ورجال سياستها فعلى رأى واحد في وجوب تحويل المسئلة المصرية عن وجه كونها انكليزية الى وجه كونها دولية أوربية وارتاحت لهذا نفوس الدول ومالت اليه أفكارهم نسأل الله حسن العاقبة واليه المصير

العروة الوثقى

انعقد مجلس النظار المصرى في القاهرة واهتم بالبحث فى شأن (العروة الوثقى) ثم أصدر قراره الى نظارة الداخلية المصرية قاضياً عليها بأن تشتد في منع هذه الجريدة عن دخول الاقطار المصرية وتراقب جولانها في تلك الديار فصدر أمر الداخلية الى ادارة عموم البوسطة يلزمها بالدقة في ذلك وبلغنا أن الجريدة الرسمية بعد نشرها صورة الاوامر أعلنت أن كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم مبلغاً من خمسة جنيهات مصرية الى خمسة وعشرين جنيها (وهي غرامة جسيمة ربما دعا اليها عسر المالية المصرية ببركة تصرف الانكليز في مصر) أما نحن فلا نظن أحداً من النظار المصريين له رأى اختيارى في هذا القرار بل لا نتوهم فى المستوى على كرسى الخديوية ميلا الى مثل هذا الحكم ولا يختلج في صدورنا أن مصرياً من أى مشرب كان سواء المسلم أو غير المسلم منهم بل ولا شرقياً ممن يسكن تلك البلاد يرى فيه جانباً من العدل . هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجاد لهم ولها سعى بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح في عمرو فلئن المقصد أعلى وأرفع من هذا وانما عملها سكب مياه النصح

على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد . تلتمس من أبناء الامم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى الى فغرت أفواهها لالتهامهم . ومن رأيها أن الاشغال بداخل البيت انمايكون بعد الامن من طروق التاهب. هذا منهاج العروة الوثقى علمه كل مطلع على ما نشر فيها من يوم نشأتها الى الآن فكيف يخطر ببال عاقل أن شرقياً مسلماً أو غير مسلم يميل لحجبها عن دياره . ولكنا نعلم أن حركات الآمرين في القطر المصرى هذه الايام قهرية لا يخالطها شيء من الاختيار، والمدبر لرحى القهر عليهم هم عمال الانكليز

ولانريد أن نقول للانكليز أنهم ظلموا في هذا الحكم فان الجريدة لم يوجد فيها الى الآن ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية والاجنبية من كشف مساتيرهم وبيان الرزايا التى أصيبت بها الديار المصرية من حلولهم ، لانهم الانكليز الذين اذا أحسوا بشهرة عالم من علماء المسلمين فى الهند واقبال الناس عليه بالاعتبار أسرعوا بجلبه الى ديوان الشرطة (الضبطية) فعند وصوله اليها يفتح له الضابط مصحف قرآن أو كتاب حديث من الكتب المشهورة ثم يشير إلى آية من آيات الجهاد أو حديث مما يدعو اليه ويسأله هل أنت معتقد بهذه الآية أو الحديث فاذا قال نعم قال له فبناء على ذلك يكون من رأيك وجوب الجهاد فينا فاذا أجابه بأنى درويش ملازم العزلة عن الناس وليس اعتقادى بهذا إلا لانه كتاب دينى ضرب له الضابط أجل أربعة أيام أو أقل يبين فيها رأيه في الآية أو الحديث فان مضى الاجل ولم يحرف العالم دينه ولم يبدل

عقيدته ولم يبادر بارسال تحريفه وتبديله وخروجه عن دينه إلى مطبعة من المطابع ليطبع وينشر بعثت به الحكومة الى جزيرة أندومان نفيا مؤبداً ولو رأيت تلك الجزيرة لرأيتها غاصة بأمثال هؤلاء المظلومين فدولة الانجليز التى تحاسب رعاياها المسلمين على خطرات قلوبهم وما يمكن أن يهجس في حديث نفوسهم لاريب أنها تعد وجود لفظ الاسلام فى جريدة كافياً لمنعها عن الدخول الى بلاد لها فيها قدم ثابت أو تسعى في تثبيته بل تحسب أن من الد أعدائها شخصاً علق عليه هذا الاسم من أى جنس كان فلا غرابة فى صدور مثل هذا الجور منها غير أننا نعلن لها أن هم الرجال لا تقعدها أمثال هذه المظالم وليس يعجزنا ادخال هذه الجريدة فى كل بقعة تحوطها السلطة الانجليزية الظالمة ذلك بعزائم أولى العزم الذين قاموا بانشاء العروة الوثقى

بلغنا أن بعضاً من الناس يسل سيفه ويشحذ سنانه لمناضلة الولى الحميم ويقابل ثناءه بالذم ومدحه بالقدح واحسانه بالاساءة ويواجه نصيحته بالظنة ولا نظن أن هذا منه عن عمد ولا اغراء عدو وانما هو لشبهة حجبت نظره عن درك الحقيقة فاذا كشفت له الايام عن الواقع رجع الى الندم على ماصدر منه وكانت له مثابة الى الحق وركون الى الصواب.

لا يحزن أهل الحق القائمون بأمر هذه الجريدة على ما صدر عن الحكومة المصرية من منع العروة الوثقى عن دخول القطر المصرى وليعلموا أن الحكومة المصرية لا دخل لها فى هذا المنع فان حكومة شرقية لا تسمح لها غيرتها بمنع جريدة لا شيء فيها سوى الدفاع عن الشرقيين وانما منشاؤه حكومة انجلترا وشأنها معلوم عند كل عارف بأحوالها

تصرف الانكليز فى الهند

لا أريد بما أكتب فى هذا المقال القصير تنفير قلوب المصريين من سلطة الانكليز فان لى يقيناً بأن المصريين الذين أنبتتهم أرض مصر لا يذعنون لولاية الانكليز عليهم بل يعارضونها بأرواحهم وأموالهم ولهم من الغيرة الدينية والوطنية ما يحملهم على ذلك وان رأوا من عدلها ما لا يصل اليه انصاف أنوشروان ويفضلون ولاية مواطنيهم وان مسهم منها انكى ما يكون من الحيف اللهم الا قليل ممن فسدت أخلاقهم وانتكست طباعهم وقليل ما هم وانما القصد كشف ما تدعيه هذه الدولة العظيمة من العدالة وما تختص به نفسها من الوصاية على نوع الانسان

اذا أشرف السائر على أى بقعة من البقاع الهندية الواسعة شخص بصره ودهش لبه بما يراه من آثار عناية الله بتلك البقاع وما منحتها من الخصب الطبيعى حتى أن الاحجار الصلدة لتنشق عن الاشجار الضخمة العالية الاغصان المورقة الافنان تظل الواحدة منها امتداداً واسعاً من الارض وكان أديم الارض بما استوى عليه من أنواع النباتات قد بسط عليه بساط من السندس الاخضر فيخيل للناظر أن سكنة هذه الاراضى في خفض من العيش وسعة من الرزق بل يظنهم أسعد من عمر الغبراء ولكنه اذا تجاوز السهول والاودية الى المدن والقرى ضاق صدره وتفطر قلبه من مناظر سكانها يرى آلافا مؤلفة يعبرون فى الشوارع والازقة جيئة وذهاباً حفاة عراة بادية سوءآتهم كاسفة أحوالهم لايجدون رمقة من العيش . يلتمس الواحد منهم عملا من الاعمال الشاقة يقضى فيه نهاره وبعض ليله ليصيب من الاجر عليه ثلاث فونكات فى الشهر

بل فرنكين ونصفاً ولا يتيسر له ويرى هذه الحال عامة حتى في المدن الى بسواحل البحر على كثرة الاشغال التجارية فيها . ويستند به المحب عند المقابلة بين خصب التربة وجودة المنابت وبين سوء حالة القائمين عليها ويحكم حكما لا ريبة فيه بأن ادارة الحكومة الانكليزية (حامية النوع الانسانى) هى التى حرمت أولئك المساكين من التمتع بما آتاهم الله من فضله . اذا سأل سائل عن حال كثير من أولئك المعدمين الذين لا يملكون نقيراً ولا قطميراً فربما يقف على أنهم كانوا من أرباب الثروة الواسعة والمقدرة السامية وكانوا يسكنون القصور العالية ثم أصبحوا يأوون الى خصاص بل اقفاص . اذا انتقل الفكر للبحث عن السبب أوصله النظر الى أسباب كثيرة يرجع جميعها لتصرف الحكومة الانكليزية وأشدها ظهوراً وفرة الاتاوات (خراج الاراضى) وثقل الضرائب على كواهل الاهالى فان الحكومة قد فرضت على العاملين في الزراعة أن يؤدوا لها خمسا وخمسين فى المائة من ثمرات زراعاتهم ولم تجعل الاداء على حسب ماتجود به الارض كل عام بقدره ولكنها خرصت (حزرت) ما تأتى به كل أرض على درجتها من الخصب وقدرت مبلغاً معيناً تجبيه من العامل في الارض سواء سلم زرعه من الآفات أو اجتاحته الجوائح وقد يستغرق مطلوب الحكومة جميع المحصول بل يزيد عنه واداؤه حتم لا تردد فيه على أى حال هذا فضلا عن الرسوم المختلفة التى لاحد لها ولا نهاية وتعرف عندهم (بالتكس) أى الرسوم الغير الثابتة أو الغير المحدودة وربما أتينا على بيانها مع بيان سائر الاعمال بالتفصيل فيما بعد

فى هذا المقام تذكرت شيئا قد يخطر بالبال . رب غنى فى مصر يملك مزارع واسعة واقطاعات كثيرة (أبعاديات وجفالك) فيركن إلى

ما تفيض عليه من الرزق ويطمئن قلبه من جهة معيشته ومعيشة أبنائه من بعده فيستوى عنده اجناس الحاكمين ولا يبالى بولاية الانكليز على بلاده حيث سلم له قوته فلنشير ههنا إلى طرف مما يعامل به الانكليز أمثاله فى الهند لتكون له عبرة

أراد الانكليز أن لايكون لغيرهم يد على ملك واسع فيما تحت سلطتهم فضربوا على أرباب الاقطاعات رسوماً رائدة يؤدونها عن أراضيهم في أوقات محدودة ثم وضعوا فى قانون الزراعة أنه لايجوز للمالك أن يقيم الدعوى على مزارعيه إذا تأخروا عن تأدية ما شرط عليهم إلا بعد مضى ثلاث سنوات من وقوع موضوع الدعوى وإذا خان المزارعون أو أهملوا فى أعمالهم أو استأنروا بمحصولات الزراعة فلا يمكن لصاحب الملك أن يخاصمهم في مجالس القضاء إلا بعد مضى تلك المدة إلا أنه يؤدى ما عليه للحكومة في أوقاته بالرغم عنه وإن لم يؤد إليه العاملون له شيئا . وفي قانون المرافعات عندهم أنه اذا مضى على موضوع الدعوى ثلاث سنوات لم تحصل في أثنائها اقامة الدعوى فلا تسمع . فهذا يحمل العاملين في الزراعة على الاضرار بأرباب الاملاك ولا سبيل لهؤلاء إلى استخلاص حقوقهم من أولئك والحكومة لاتترك من فريضتها شيئا ولا تتساهل في طلب أدائها بوجه فيضطر الملاك للتنازل عن أراضيهم للحكومة الانكليزية (العادلة) هذه أعمال من نأخذه ريبة في خبرها فليسأل الهنديين عنها . وان الجرائد الانكليزية فى الهند تنادى على حكومتها الهندية دائما بوجوب التخفيف فى الوطأة والرفق في السطوة وتنذرها بأن الاعمال الإدارية والمالية لو دامت على نمطها هذا لايمضى قليل من السنين حتى يشتد الضيق والضنك فيسئموم الاقطار

الهندية ويضطر الاهالى لاصلاء فتنة عمومية لا طاقة لدولة بريطانيا باطفائها ولكن لايسمع الصم الدعاء

نصيحة فى الادب

وردت إلينا من حضرة الفاضل مولوى عبد الغفور شهباز بمدينة كلكته وهذا نصها

ليس الادب كما يظن بعض الناس مجموع قصص تتلى للفكاهة أو أساطير تنقل فى المسامرات أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية من التورية والجناسات ونحوها من فنون البديع أو منشآت ورسائل تتضمن اطرآء في المدح أو مغالاة في القدح فان جميع هذا بمجرده لايتصل بمعنى من معانى الادب وإنما الادب في كل أمة هو الفن الذى يقصد به تهذيب عاداتها وتلطيف أحساسها وتنبيهها الى خيرها لتجتلبه والى ما يخشى من الشر فتجتنبه، فالأدباء فى الحقيقة هم ساسة أخلاق الامم بل هم أجنحتها تطير بهم الى ذروة فلاحها فانهم يا يعلمون من طرق التفهيم يكنهم أن يقربوا الى العقول ما يبعد عن أدراكها ويسهلوا على الاذهان ما يعسر عليها النظر فيه ويعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة فيأخذون على الظالم ظلمه ويعظونه بسوء عواقب الظلم وينكرون على الفاجر فجوره ويحذرونه مغبة الفجور حتى يردوا كلا عن غيه يا يروضون من طبعه بدون أن يقولوا له انك ظالم أو فاجر واذا أوا في امتهم عوائد يأباها سليم الذوق أو وجدوا منها أخلاقا واعمالا

لاتنطبق على شريعة الفضل وقوانين الشرع عمدوا الى تغيير العوائد وتطهير الاعراق وأخذوا فى ذلك سبلا متنوعة فى انشائهم تارة بالقصص والحكايات التى تمثل شناعة الرذيلة وبهاء الفضيلة وما آل اليه أمر المتدنسين بالاولى وما ارتقى اليه حال المتحلين بالثانية وتارة بقريض الشعر يخيلون فيه ما يحرك الهمم ويبعث الافكار وينبه خواطر الكمال واحساسات الشرف الصحيح لا ما يوقظ الشهوة ويقوى الغرور ويخرج الانفس عن أطوارها . والاخذ به من وجهه والدخول اليه من بابه هو الذى صعدت به الهندِ الاولى إلى أوج المجد وبلغ به العرب أقصى غايات الرفعة وهو الذى وصل بالامم الاوربية إلى ما وصلوا اليه مما لايخفى على ذى بصيرة وأنا نتأسف على ما نراه من أدباء المسلمين وشعرائهم فانهم يقصرون منشآتهم وأشعارهم على ما يكون عد الصفات اما مذمومة أو محمودة ونسبتها إلى شخص يريد ذمه أو مدحه ويحصرون رواياتهم في حكايات مضحكة وقصص هزلية وبعض تواريخ ماضية بدون أن يلاحظوا تأثير ما يكتبون وما ينقلون فى أفكار الأمة وأطوارها ورجاؤنا فيهم أن يسلكوا مسالك أدباء الأمم المتقدمة أو المعاصرة لهم حتى يكون للامة الاسلامية نصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة بيانهم وطلاقة ألسنتهم وأن يأخذوا فى منشآتهم وأشعارهم طريقا ينهضون فيه الهمم الخوامد ويحركون القلوب الجوامد ويحيون مكارم الشيم ويوردون الامة مورد سابقيها من الامم وإنا نرى بداية هذا المنهج الجديد فى بلادنا ونسأل الله حسن ختامه

اخبار سياسية

صرح اللورد غرانفيل فى مجلس اللوردات بأنه ورد للحكومة الانكليزية أخبار عن الجنرال كوردون إلا أنه كتمها عن المجلس ولم يطلعه عليها ومع هذا فانها مهملة من التاريخ ولم يعهد أن مأموراً سياسيا لدولة عظيمة يخابر وزراء دولته بلا تاريخ ولعل ما ألفه الوزراء البريطانيون من التمويه على الشرقيين أصبح فيهم عادة تجرى بينهم حتى على أبناء جنسهم وفي مجالسهم العالية

وردت أخبار إلى الدلى نيوز مفادها أن جميع القرى في شمال بربر إلى مراوى جاهرت بالثورة وانقطع الطريق الى بربر وفى خبر آخر أن من الظنون ميل مدير دنكولا الى منابذة الحكومة فانه كان من أيام يطلب مدداً يستغين به على اخلاء المدينة وانقاذ حاميتها واليوم يأبى الخروج منها بل يطلب أن تبعث اليه نجدة يفتح بها البلاد السودانية فتحا جديدا ثم استبد بما لم يكن من حدود وظيفته فارسل بعض ضباط الباشبزوق الى وادى حلفا ليأتيه ببعض الذخائر والآلات الحربية ونال رسله الف بندقية واربعماية الف فشك ونهبوا مخازن الحكومة وأحضروا معهم عددا من المدافع الى دنكولا . وربما يعاب على المدير اتيان مثل هذا العمل ويعد من باب الخيانة لحكومته المصرية ولكن ماذا يصنع بعد ما علم أن الحكومة المصرية خرجت عن كونها حكومة وطنية بتصرف الانكليز فيها وان حكامها أصبحوا لا يملكون من الأمر شيئاً فان صدق هذا المأمور فى خدمته فلا تكون فائدة الصدق الا تثبيت قدم الانكليز

في بلاده وتأييد ملكتهم عليها فيكون في الحقيقة خيانة لوطنه وبخساً لحقوقه فله العذر اذا انحاز الى الفئة الثائرة ما دام الانكليز حكاما في مصر

يقال أن محمد احمد سار من العبيد لفتح دكاشيا أو خرطوم ويغلب على الظن أن مسيره لفتح خرطوم فان حل بها ما حل ببربر وشندى مع هيجان القبائل في الجهات الشمالية ترقبنا عاقبة هائلة أنذرنا بها وحذرنا منها مراراً عديدة

من رأى أحد المراسلين لجريدة الدلى تلغراف أن الجنرال كوردون يقيم في خرطوم الى فيضان النيل فان لم تأته نجدة يقوى بها على الفوز بنجاح مأموريته لزمه أن يصعد على النيل الابيض الى خط الاستواء وانه يمكنه بعد ذلك ان يعمل أعمالا عظيمة في الامم الافريقية القاطنة فيما وراء خط الاستواء ثم عقب كلامه بأمانى وأوهام لاتنقص عن أمانى لوردون عند ما سار من القاهرة الى خرطوم

في تلغراف من اصوان الى الدلى نيوزان ابن أخى حسن باشا خليفة ومعه شخص آخر فرا من بربر وكانا منطلقين الى جهة الشمال فاعتقلهما عرب روباتاب بالقرب من ابى حمد

يقال ان الحكومة المصرية (او الانكليزية) تجتهد بوسعها للمحالفة مع قبائل العرب فى جنوب مصر ليكونوا لها عوناً على مدافعة سيل الفتنة اذا ارتفعت غواربه على حدود مصر الطبيعية ولا نظن ان سعيها ينجح لدى العرب فان ذمتهم ودينهم لاتسمح لهم بمساعدة الانكليز فى تملك بلاد المسلمين .

ابى اللورد غرانفيل ان يرخص لنوبار باشا بالسفر الى اوربا مدة غيبة السير بارين فأمر اعمر نوبار باشا على طلب الرخصة فان اللورد

غرانفيل يطلب من الخديو ان يستبدله برياض باشا او شريف باشا .

هذا كله والانكليز لايريدون ان تكون مصر تحت سيادتهم ولا يحبون ان يرفع عليها علم حمايتهم وليس يدرى ما الغرض من السيادة والحماية سوى التصرف فى الادارات والتحكم فى اولياء الامور . هذا وزير مصر الا كبر لاينال رخصة سفر الا باذن من غرانفيل ولايأذن له ويرى ان له امراً على الخديوى باستيزار فلان وعزل فلان فان لم تكن هذه سيادة فما هي السيادة

فى خبر الاميرال أن هفيت وصل إلى أدوفا (من البلاد الحبشية) واسلفنا أنه كان من نيته اغراء ملك الحبشة بايقاد حرب صليبية يهلك بها أمم العالم فداء لشهوات الانكليز إلا أنه جاءت الاخبار بعد هسذا بان الاميرال لم يصادف سعة من صدور الحبشيين وأن الملك يوحنا وقف على خديعة دولة انكلترا ولم يظهر عناية بما أتى اليه الاميرال ولم يبعث لملاقاته أحداً بل أظهرا الحبشيون غاية الخشونة في معاملة الوفد الانكليزى حتى أنهم امتنعوا من بيع المأكولات لهم وقد ذكرت بعض الجرائد صورة المعاهدة التى يراد عقدها مع ملك الحبشة ولا يهمنا الآن ذكرها

هجم جماعة من الثائرين على سواكن في التاسع عشر من هذا الشهر وزحفوا الى المدينة حتى صاروا على خمسين متراً من أسوارها ثم أطلقوا عليها النيران مدة ساعتين حتى أثر الرصاص فى كثير من البيوت ولم يتحرك جيش الحامية أدنى حركة لمدافعة هذا الهجوم العنيف . يظهر من هذا أن انتصار الجنرال كرهام في سواحل البحر الاحمر لم يكن له

اثر وانما هو قول يذكر ورواية تؤثر وان غزواته لم تزد الثائرين إلا اقداماً

كتب مراسل التان في القاهرة أن لا صحة لما أشاعته الجرائد من القبض على موسيو أوكلى النائب الارلندى الذى حملته همته على السفر الى العبيد

في التوانى الهلكة

هذا ما ساقت اليه الحوادث المصرية وهى مفتاح الكوارث الشرقية وفيها مغلاقها . العظام من الدول في يقظة لا سنة معها ، وحركة لا فتور فيها ، مفاوضات متواصلة بينها قبل انعقاد المؤتمر ، ومجادلات متلاحقة يدأب فيها السياسيون من كل أمة بعضها بالمراسلة . وشيء منها بالمشافهة ، كثرت خلوات السفرآء من كل دولة مع نظار الخارجية من سواها ، يتهامسون ويتغامزون ، ويسرون خلاف ما يعلنون ، ويذهبون الى ما لا يقصدون ، وقد حملق كل بصره للآخر لعله يلمح من كان وجهه ما ينبيء عن مضمرات سره ، ويصوب كل فكره الى ما يريد الآخر من قوله ، عسى أن لا يفوته شيء مما ربما يعتل به ، وجل ما انصرفت اليه قواهم تمثيل الرغائب ، وتخييل المطامع ، في صور أبعدها عن الحقيقة ، أقربها الى الخيال . يعظمون الحقير ، ويحقرون العظيم ، ويجسمون الموهوم ، ويضلون محن المعلوم ، ويقربون البعيد ، ويبعدون القريب

يذهب كل بصاحبه إلى رياض من الامانى باهرة الانوار بزهور الآمال، وما نبت بهارها الا على حبائل من المكر ، وفخاخ من الخديعة ، حتى اذا راقه المنظر وخطا خطوة سقط من حيث لايشعر. هذا يسهل صعباً ، والآخر يوعر سهلا ، وكل يتبع لحاظ رصيفه اذا أحس منه لمحا لمقصده أبرز له الواناً من الفوائد الموهومة ليستلفته عن مرامه ، واذا شعر منه بفكر يوصله الى ما يمسه ، فتح عليه أبواباً من الفزع ليزعجه عما يطلبه ، ويشوش عليه سيره ويقطع سبيل فكره ، منهم من يكسب الاصدقاء بمال غيره ، ومنهم من يستفيد الرفقاء بكف شره ، ومن الناس أقوام آخرون على غوارب أمواج الحوادث نائمون ، تقذفهم كريبة وتتلقفهم أخرى ، وهم عنها غافلون زلزلت بهم الارض زلزالها ، ودهمتهم الخطوب بارزائها ، وتوالت عليهم المزعجات ، وتناولتهم عواصف المفزعات ، وهم في سكنة تخيل لناظرها أنهم على بساط الراحة مطمئنون ، والمقبل على الفوز من هؤلاء وأولئك انما هو أحزمهم رأياً وأثبتهم عزيمة وأشدهم بشؤونه بصيرة .

يقول الانكليز انا عدونا على الهند من زمان طويل فاغتصبناه وحقت لنا الملكية عليه بما هو مقرر في شرائع القوة وقوانين التغلب . وأين ديارنا فى بريطانيا من هذا الملك العظيم فى شرقى آسيا . المسافات طويلة والشقة بعيدة فلا بد أن يكون لنا فى كل مكان موطئ لاقدامنا لنحتفظ بأملاكنا فلنا حق فى اغتصاب جل العالم لاجل الهند خصوصاً القطر المصرى فان به السبيل التى لا يماثلها سبيل . وليس لنا عنها غنى وكنا فى تطلع اليها من زمن قديم وكثيراً ما تمسكنا بحبال من الوسائل اليها فرثت فى أيادينا بقوة حكام تلك البلاد حتى هيأت لنا حوادث

السنين الأخيرة ما أحلنا دارهم وأقرنا فى قرارهم . انا ذهبنا لتقرير توفيق باشا وتثبيته على كرسى الخديوية المصرية الا أنه بقتال ونزال فلا تختلف صورته عن صورة الفتح فلنا حق التملك في تلك الاقطار وقد فهم الناس أن مسيرنا الى مصر كان لغاية اقرار الراحة وازالة الاختلال وكأننا صرحنا بذلك عند عزمنا عليه لكن الغرض الحقيقى انما هو تأمين طريق الهند فتسنى لنا ما قصدنا بحلول عساكرنا فى وادى النيل فثبتنا فيما أصبنا وليس لنا أن نتركه بعد الوصول . وحيث أننا فقدنا العزم على البقاء في مصر وأضربنا عن اخلائها لزمنا ضمانة الديون المصرية وحملها ثقيل على كواهلنا فعلى جميع الدول أن تمدنا بالمساعدة وتكون لنا عوناً على تنقيص الفوائد ولا نحب أن تكون مذاكراتها معنا الا فى المالية خاصة فانا لا نرجو من مفاوضاتها فائدة الا فيها أما سائر الشؤن فعلينا تدبيرها والينا مصيرها هذه أقوال تصدر عن آمال يمدون أسبابها الى برلين ويرجون أن تكون مواصلها ومعاقدها فى تلك المدينة عاصمة الالمان

أما البرنس بسمارك وهو مدير السياسة في أوربا وبيده زمامها فيرى أن هذه فرصة ينتهزها ليستفيد. صديقاً وينكى عدواً وليست له علائق سياسية تحمله على المدافعة عن مصر ولا منافسة له مع الانكليز تبعثه على معاكستهم بل له اليهم حاجة فى ضمهم اليه وابعادهم عن فرنسا لتكون منفردة بين الدول لاحليف لها وقد تكون له من صلة الانكليز مآرب أخرى سوى قطع فرانسا عن الحلفاء ينالها يوم الحاجة اليها وما هو عنه ببعيد فاذا يضره إذا ادخر عوناً وأبهاء عدواً والنفقة على خزينة غيره . نعم ربما يظن ان بسمارك يمنعه عن مثل هذه المعاملة رعاية جانب

حلفائه من النمسا وايطاليا لما لهم من المصالح في البحر الابيض ويصعب عليه أن يصيب بسياسته الجمع بين مراضاة انكلترا لنيل مصافاتها وبين التمسك بعهوده مع ذوى حلفه الا أنه قد يسهل عليه التخلص من هذا المضيق بالاشارة الى طرابلس الغرب وبلاد الارنؤط والايماء الى الاراضى البلكانية وسلانيك ويجلوها لانظار معاهديه فيسكن جأشهم ويطمئن خاطرهم فيستثبت بذلك موالاة الدولتين ، ويقلم أظفار الروسية من أوربا الشرقية ويضيع مصالح فرانسا فى بلاد المشرق عموماً ومصر خصوصا وفى كل ذلك الربح له والخسارة على غيره وليست هذه أول فعلة فعلها بسمارك أو يفعلها فهى شرعته التى يرد اليها ويصدر عنها من يوم معاهدة برلين الى هذا الوقت .

وفرنسا واقعة بين مراوغات الانكليز ومكائد بسمارك . لها حقوق سابقة فى البلاد المصرية كاد يمحى أثرها بمداخلة الانكليز وبها حاجة شديدة لعلو الكلمة في طريق منشأتها ببلاد الصين والبحر الهندى ومداغسكر . لهذا تبذل الجهد لاجلاء العساكر الانكليزية عن مصر وتخفيض سلطة الانكليز فيها ويوجد لها عون من دولة الروسية ولها من المنعة مالو أيدته أفكار المصريين وأراء ذوى العزيمة من رجالهم وميل اقتدتهم لمكنها من تخليص مصر وانتزاعها من أيدى الانكليز سعياً في حفظ مصالحها ووقاية حقوقها وهذا مما يؤيد سياسة الدولة العثمانية ويشد عضدها فى مدافعة الانكليز ومطاردتهم من بلادها فللدولة العثمانية أن أن تظهر عزمها في هذه الاوقات لتستنفذ ممالكها من طمع الطامعين وتعيد ولايتها على الاقطار المصرية خالصة لها من سلطة المعتدين ، وان جميع المسلمين ينتظرون منها الحذق فى هذه المسئلة ولهم فيها الامل

القوى والثقة الكاملة ، ورجاؤهم أن لاتفوتهم هذه الفرصة بدون أن ينالوا بها حظهم من الغنيمة ، وليس على الدولة من بأس اذا طالبت الانكليز برد حقوقها كافة ، فانهم بالنسبة اليها أضعف من أن يجاهروها بالعدوان ، وانا نكرر ما قلناه سابقا من ان الانكليز يستحيل عليهم أن يعلنوا على الدولة العثمانية حرباً خصوصاً فى هذه الاوقات التى أصبحت فيها دوله الروسية متاخمة لمملكة الافغان فان أول أشاعة لهذه الحرب توقد لهيب الثورة في عموم الممالك الهندية وهذا جلى عند كل انكليزى ان التغافل والوهن ربما يوسعان مجال الطمع فيفتح باب المسئلة الشرقية أو يكون لها استعداد قريب وليس للمصريين فى طورهم هذا أن يركنوا الى من ليس من أبناء جلدتهم فان النغرة التى تحسل على الحمية تكاد أن تكون منحصرة بحكم الطبيعة في أبناء الوطن فلا ترجى من غيرهم فعلى العقلاء من أهالى مصر أن يسارعوا الى معاضدة الدولة العثمانية والاتحاد معها على تخليص بلادهم مستعينين بافكار الدول التى تقضى عليها مصالحها بالسعى في انقاذها واعادة شأنها الاول وتحقيق مايقال من أن مصر للمصريين

وبالجملة فالاطماع فغرت أفواهها ، والافكار في اضطراب شديد ، وظنون الناس شتى ، فمن قائل أن المؤتمر لاينعقد لتعسر الاتفاق بين فرنسا وانكلترا على القواعد الاساسية للمداولة فيه ؛ ومن قائل أنه ينعقد على أن يضع مصر تحت حماية عموم الدول ويقرر انشاء مراقبة عمومية مع بقاء العساكر الانكليزية مدة سنتين ، وعلى أى حال فالرزية انما تصيب الغافل ، والسوء انما يسوق بالمتساهل ، والجبان محروم من حقوقه والعامل

بيد غيره خاسر . فعلى المصريين والدولة العثمانية أن يظهروا النهامة والاقدام . ويرفعوا علم الهمة ابقاء لحياتهم ، وصونا لشرفهم ، والامر لله يفعل ما يشاء .

منشور انكليزى قديم

نشرت حكومة الانكلترا في الهند منشوراً من مدة مائةوثمانين سنة وهذه ترجمته :

اذا وجدت في دوائر الحكومة وظيفة لايقوم بها انكليزى (أى لاتليق لحسنها أن تكون بيد أحد من الجنس الشريف) وجب أن يقام فيها أحد الفارسيين الباقين على دين زردشت (المجوس) فان لم يكن منهم مقتدر على القيام بها أقيم فيها وثنى (عابد صنم) فان لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء من يؤدى عملها كلف بها مسلم فليس للمسلمين في الهند حظ من وظائف الحكومة الا ما يعافه المجوسى والوثنى وهذا هوعنوان محبة الانكليز وهو برهان دعواهم انهم أولياء المسلمين وأنصارهم ، لا أكثر الله من أمثال هؤلاء الاولياء والانصار

ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار

كيف يمكن لقوة أجنبية تصول على أمة من الامم أن تسود عليها وتستعبدها وتذللها للعمل فى منافعها مع التخالف فى الطباع والعوائد والافكار، ووجود المقاومة الطبيعية، فضلا عن الارادية . ان الوحشة المتمكنة في نفس كل واحد من الامة، وظن كل فرد أنه فى خطر على روحه وماله اذا غلبه الغالبون، تحمله على المدافعة كما يدافع عن بيته وحريمه، فلا يتسنى للقوة المغيرة أن تذل الامة إلا بافنائها عن آخرها، أو افناء الاغلب حتى لا يبقى إلا العجزة والزمنى . هذا أمر طبيعى وحكم بديهى متى كانت الغارة على الامة : نعم يسهل للقوة الاجنبية أن تتغلب على أمة عظيمة بدون تناحر ان كان لهذه الامة حاكم أو رئيس روحانى تجتمع عليه قلوبها، وتدين له رقابها، لمنزلة له فى أفئدة أبنائها، ولمكان ابائه من الكرامة في نفوسهم، فلا تحتاج القوة الغالبة إلا لايقاع الرعب في قلبه، فيجبن ويقبل ما تحكم به، أو نصب حبالة الحيل له فتخدعه بالأمانى والآمال، فيذعن لما تقضى به فاذا خضع للقوة الغريبة خضعت الامة تبعاً له . ولهذا ترى طلاب الفتح وبغاة الغلب ينصبون قبل سوق الجيوش وقود الجنود على قلوب الامراء وأرباب السيادة فى الامة التى يريدون التغلب عليها فيخلعونها بالتهديد والتخويف، أو يملكونها بالخدعة وتزيين الامانى، فينالون بغيتهم ويأخذون أراضى الامم وهذا الطريق هو الذى سلكه الانكليز مع السلطان التيمورى في الهند،

ولولا ما كان للهنديين من عقدة الارتباط بسلطانهم التيموري ، وقبض الانكليز أول الامر على تلك العقدة ، لما تيسر للبريطانيين أن يخضعوا الامم الهندية فى احقاب طويلة .

هذه قبائل الافغان عند ما انحلت ثقتها بأميرها ، وصار الامر الى الامة ، قامت كل عشيرة بل كل فرد للدفاع عن نفسه ، بعد ما تمكنت عساكر الانكليز فى قلاعهم وحصونهم ، واستولت على قاعدة ملكهم ، وفتكوا بالعساكر الانكليزية وهزموا قوتها وأجلوها عن بلادهم ، وهي ستون الفاً من الجيوش المنتظمة ، مسلحة بالاسلحة الجديدة ، واضطر الانكليز أن يتركوا تلك البلادلأهلها .

لا ريب أنه يسهل على الانسان أن يأخذ شخصاً واحداً وأشخاصاً محصورين بالترغيب والتهديد ، ويتيسر له أن يقف على طباعهم،ويدخل عليهم من مواقع أهوائهم ، ويأتيهم من أبواب رغائبهم ، لكن يتعسر بل يتعذر عليه أن يأخذ أمة بتمامها ، وعقولها مختلفة عليه نفوسها في وحشة منهم اللهم إلا بالابادة والتدمير . من هذا تجد الملوك العظام لا يرهبون الاشتباك فى حرب مع اقتالهم بل ومن هو أشد منهم قوة ، ولكنهم يفرقون بل تذهب أفئدتهم هوآء اذا أحسوا بميل الامة عنهم ، وما هذا إلا لأن قوة المغالبين داخلة تحت الضبط ، وأما آحاد الامم وقواها فلا تضبط ولا تستطاع مقاومتها اذا تعاضت وشحت بنفسها عن الذل لسواها

ان الامراء كما يكونون فى دور من أدوار الامة قوى فعالة لنموها وعلوها وعظمها واشتداد عضدها ،كذلك يكونون فى بعض أطوارهاعلة فاعلة في سقوطها وهبوطها وانحلالها ، وانا نخاف ولا حول ولا قوة

الا بالله أن يكون أمراؤنا والأعلون منا آلة فى اضمحلالنا وفنائنا ، لما غلب عليهم من الترف والانهماك في اللذائذ ، والانكباب على الشهوات ، مع سقوط الهمة ، وتغلب الجبن ، والحرص والطمع على طباعهم ، فانا لله وانا اليه راجعون

امانى الانكليز فى الحوادث المصرية

جاء من لوندرا الى أجانس هافاس ما ملخصه : لا يظن أحد من الناس ههنا (فى لوندرا) ان الجيوش التى عزمت حكومة انكلترا على سوقها الى السودان يقصد منها انقاذ كوردون فان كوردون معزز برجال من الوطنيين (المصريين أو السودانيين) أولى عزم وقوة ، ولهم سطوة تدفع بأس الذين يبغون به البشر . واذا مست الحاجة الى تخليه عن عمله وتركه لمركزه فلا يعدمون وسيلة لخلاصه ☆ أما القصد الحقيقى من بعث الجنود الى السودان فانما هو افتتاحه تحت العلم الانكليزى وهو وان كان يحتاج الى زمن طويل الا أنه قليل الخطر ولا توجد في سبيله عقبات سياسية حيث تنازلت الحكومة المصرية عن سياستها في تلك الاقطار .

يسهل على العساكر الانكليزية أن تسير الى خرطوم على طريق النيل وان سلكت سبيلا من الارض اليابسة فلا تبعد عن شواطىء النهر (لتكون تحت حماية المراكب) وترافقها فى السيل مراكب تعد لقطع النيل والصعود الى الشلالات فاذا وصلت العساكر والاساطيل النيلية الى خرطوم واستولت عليها اعتصمت فيها حكومة عسكرية تمهد نفوذها الى

قلب السودان ويكون في هذا عوض للانكليز عما يخسرونه في مصر لو الزمهم المؤتمر بالتنازل عن شيء مما يطمحون اليه فيها .

قالت جريدة الريبو بليك فرانسز انا نذكر هذه الرسالة على أنها شبه حجة على مقاصد الانكليز والا فانا نعد ما تحويه من قبيل الاوهام والخيالات اه .

أما نحن فنقول من أمعن النظر في أعمال الانكليز وتتبع سيرهم في افتتاح الممالك الشرقية علم صحة ما رواه اجانس هافاس فانه منطبق على قواعد السياسة الانكليزية وآت على أساسها الذى بنوا عليه فتوحهم لمن أزمان طويلة وهو أصل تعارفه الانكليز حتى صار كخاصة لازمة طباعهم ترد اليه جميع أعمالهم من حيث يشعرون ولا يشعرون وعليه كان بناء ملكهم في الهند .

ان الانكليز أول ما خطوا خطوة في الهند وجدوا مملكة (أود) من الممالك الواسعة وأغلب أهاليها على مذهب الشيعة ولها نواب (حاكم) عظيم من أهل ذلك المذهب فرأوا أن يحملوه على الاستقلال وزينوا له الطمع فى لقب شاه لينفصل عن الملك التيمورى . وفي التنازع لنيل هذا المطمع يصيب كلا من الطامع وصاحب الملك سهم من الضعف والوهن فيتهيأ كل منهما للوقوع في مخالب الانكليز وقد حصل .

وأول ماحلوا مصر ولمحوا شرارة في السودان أدنوا منها وقودها لتكون ناراً مهلكة فبعد ماطردوا الجيوش المصرية ايذاناً بالغضب عليهم جمعوهم ليسوقوهم الى السودان تحت قيادة أعداء لهم من الانكليز فذهبوا وهم موقنون انهم يساقون الى الموت ليذوقوا وبال الانتقام فقلوبهم منكسرة وعزائمهم واهنة وعقائدهم لاتسمح لهم بالانقياد لرؤسائهم الاجانب،

وأحس السودانيون وهم مسلمون أن قواد الغارة عليهم ليسوا على شاكلتهم فزادهم حمية واقداماً فكان هذا وذاك سبباً فى استفحال أمر السودان بعد ماهلكت رجال وأنفقت أموال وساءت أحوال من السودانيين والمصريين ، كل هذا ليتوسل به الانكليز لفصل السودان عن مصر بعد خراب الدارين وكانهم عند ماأرسلوا كوردون باشا وأذنوه أن يمنح محمد احمد لقب أمير كوردفان قصدوا أن يتمموا عملهم ولكن لم ينجحوا.

وعند ما كانت الحرب قائمة بين دوست محمد خان أمير أفغانستان وبين (رانجيب سنك) البنجابي تخوف الانكليز من تسلط الافغانيين على بنجاب فتداخلوا في الصلح وسحروا قلوب الافغانيين بلين القول ولطف الوعد حتى أرضوهم بترك مدينة بيشاور وما يليها لرانجت سنك وانعقد الصلح على هذا واجلى الافغانيون عن مملكة بنجاب ورجعوا الى بلادهم . وبعد عشر سنين من تاريخ الصلح زحف الانكليز الى بنجاب وافتتحوها لانفسهم واستولوا على مدينة بيشاور فقال بعض أمراء الافغان ان ذاك الصلح كان مقدمة لهذا الفتح وان الانكليز في تعيينهم للحدود انما كانوا يحددون بلادهم ولكن كنا عنه غافلين .

ومن نحو سنة ونصف أوما اللورد دوفرين في تقريره المصنوع بالقاهرة الى أنه لاحاجة بالحكومة المصرية الى السودان بل لافائدة لها فيه وفهم الغرض في ذلك الوقت من أصابه وغفل عنه قوم آخرون اغتراراً بظواهر العبارات ، ثم لم يلبث الايماء ان صار تصريحاً رسمياً والزاماً للحكومة المصرية أن تتخلى عن السودان فلم يكن التلميح والتصريح ثم الالحاح والالزام الا ليهيئوا البلاد لسودانية للدخول تحت سلطتهم فى وقت من الاوقات لعبث من الاسباب التى لايعجزون في اختراعها متى

شاءوا . هذا سير يعرفه من قرأ صفحة من تاريخ الانكليز فى الممالك الشرقية ☆ تريد حكومة انكلترا اذا عارضتها الدول في السيادة على مصر أن ننشئ لها سلطة في خرطوم يمتد حكمها إلى جميع أراضى السودان وعساكرها الآن حالة في سواكن وما أسرع أن تصل بين المدينتين بسكة الحديد فتكون القوى الانكليزية بعد هذا محيطة بمصر من جميع الجوانب . وقفت على بابها من طرف الشمال فى قبرص وطوقت حدودها من الغرب الى الشرق في السودان وتحكمت في منابع النيل وتصرفت فى أعلاه وأخذت كل طريق يمكن منه استيلاؤه على الديار المصرية وهنالك يرصد الانكليز حركات الدول في أوربا . فكلما أضاءت لهم بارقة فرصة مشوا فيها واذا أظلمت عليهم قاموا فيتقدمون إلى مصر خطوة بعد خطوة ولا يبالون طال الزمان أو قصر فانهم يعرفونها لهم على أى حال ولكنهم يتقون معارضة الدول في هذه الاوقات . هذه غايات سير الانكليز في الحوادث المصرية وهي كما قالت الروبيبليك فرنسز خيالات وأوهام اذا اشتدت الدولة العثمانية ورجال مصر فى المطالبة بحقوقهم الشرعية والمحافظة على شؤونهم وأخذوا بالحزم وعقدوا العزم على مقاومة سعى الانكليز فى أوطانهم وديارهم بعد ما ظهر لهم ماذا يقصدون بهم فان تهاونت الدولة العثمانية أو تغافل المصريون حسبما الانكليز طريقاً مطروقة وسبيلا مسلوكة وعدوا مطامحهم حقائق ثابتة ومطالب مقررة لانجح سعيهم ولا صدق ظنهم .

السودان ومصر

نشرت جريدة البوسفور اجبسيان التى تطبع فى القاهرة خبراً ذكره توفيق باشا نفسه وهو أن الجنرال كوردون توعد حكومته الانكليزية بأنها ان لم تمده بجيش ينقذه من الضيق الملم به فانه يرفض الدين المسيحى ويدخل في دين الاسلام وضمنت جريدة البوسفور صحة هـذا الخبر العجيب (كذا وصفته الجريدة بالعجب) وغرابة الخبر ان كانت من جهة أنه تهديد بما لايهم الحكومة فنحن نعلم أن الانكليز يفزعهم خروج أحد منهم عن دينهم وان كانوا يرشدون الناس الى ترك الدين ويعيبون على المستمسكين به لكنهم أشد الناس تعصباً فيه فلا محل للغرابة ، وان كانت من جهة أن كوردون وهو من أشد قومه تمسكا بدينه كيف يجنح للاسلام فهو انكليزى الطبيعة كما هو انكليزى الجنس يتلون ظاهره بأى لون ويبرز فى أى ثوب لاصابة غرضه مع المحافظة على ماطبع الله على قلبه فلا عجب ان قال وفعل

في خبر ان محمد احمد طلب الى أعوانه المحاصرين لخرطوم أن يوجهوا اليه بكوردون حياً ولا يمسوه بسوء اذا وقع في أيديهم ،

وفي تلغراف من أسيوط الى جريدة التيمس أن مركباً من مراكب البريد وصلت اليها تحمل ثلاثة أشخاص مرسلين من طرف زبير باشا لاستكشاف حالة كوردون وتوجهت فى الحال بمن فيها إلى أصوان . هكذا الدهر أبو العجب . من سنين قليلة فتك كوردون بأولاد الزبير وذوى قرابته وأفسد عليه شؤونه وأخرجه عن جميع امواله واليوم رأينا كدر الضغينة فى صفا المحبة يبعث الزبير على الرأفة بكوردون

وتوجيه الرسل للسؤال عن صحته والاستخبار عن سلامة حاله .

جاء الخبر أن أهالى جرجا (مدينة من مدن الصعيد مركز مديرية في جنوب أسوط) في هياج شديد يشبه أن يكون ثورة وورد الى تلك المدينة رجل من أشياع محمد احمد قادماً من القاهرة ودعا الاهالى للاخذ بطريقته فاذا بينهم جم غفير يجيب داعيه ويذهب مذهبه وهو مما يدل على أن القائم السودانى مهتم بنشر دعوته محتاط لنفسه حاذق فى عمله وله دعاة في أرجاء الديار المصرية حتى في عاصمتها (القاهرة) فان ثبت فى هذا السير حل بالحكومة المصرية منه ما كنا نخشى أن يقع بها ويشتد الخطب ولربما صار له بقوة ميل الاهالى اليه منعة يصعب على حكومة غير اسلامية أن تقارعها . أما ماذيل به خبر الهياج فى جرجا من وجود عداوة بين المسلمين من أهاليها وبين المسيحيين فهو ما لا نصدقه ولا ينطبق على الواقع لان الايام السابقة شاهدة على حفظ كل من الفريقين زمام الآخر في جميع الاحوال التى عرضت على بلاد مصر المسلمون والمسيحيون فيها على وفاق تام فى جميع نواحيها والمقاتل التى وقعت أيام الحرب المنقضية انما كان منشاؤها افساد المفسدين على أنه لم يمس فيها قبطى بسوء ، والاخبار الصحيحة تؤيد ما نقول .

أرسلت الحكومة المصرية الطابور السابع من المشاة الى أصوان مع جملة من المدافع الجبلية وعدد وافر من الجمال .

في تلغراف من سواكن الى جريدة الد التلغراف ان مناوشات وقعت من تباع محمد احمد بالقرب من سواكن ، وفى جريدة التمس أن الثائرين أطلقوا مدافعهم على تلك المدينة في الساعة الثانية صباحاً من الثامن والعشرين من شهر مايّ الا أنه لم يُصب أحد من الحرس وتأخر

الهاجمون بسرعة . عثمان دجمه مع الف من رجاله نازلون على القرب من طمانيب ومعظم قوته حالة بتلك البلدة ويقال ان بنفوس عساكره كدراً من قلة الازواد وهو من أخبار العدو يسمع وقد لا يصدق .

ان الاميرال هفيت المرسل من طرف انكلترا لخديعة الملك يوحنا ملك الحبشة لم يحظ عند الملك بقبول

أراد رجال الانكليز أن يخففوا على القلوب المنخلعة من أبناء أمتهم أهوال السودان وما يتوقعونه من مصائبه فأشاعوا ظهور شخص يدعى المهدوية في درفور ويخبران محمد أحمد ليس الا تلميذاً له من قدماء تلامذته وكان الانكليز يستبشرون بتفريق كلمة السودانيين كما يسرهم تخالف المسلمين أجمعين .

زبير باشا

فى تلغراف ورد لجريدة داليتلغراف من القاهرة فى ٢٧ مايو

ان زبيرباشا طلب الى سراى توفيق باشا بناء على اشارة الحكومة الانكليزية والتمس منه المستراجرتون أن يجد وسيلة لايصال رقيم الى كوردون باشا يأمره بالعود حالا واتباعاً لامر توفيق باشا بعث الزبير بأحد خدمه لاداء هذا العمل وكانت فرصة انتهزتها حكومة فرانسا لاستدعاء قنصلها في خرطوم وقد ضمن الزبير وصول الرقيم وعود الرسول بالجواب فى خمسين يوما اه . ان صح هذا دلنا على أن كوردون ليس معززاً برجال أولى بأس وشدة كما جاء في رواية لجانس هافاس ،

وان الانكليز عجزوا عن انقاذه بقوة حربية وان كانوا ربما يقصدون الحرب لغاية أخرى .

ونقلت الجرائد الاوربية ما يعجب من نسبته لزبير باشا . ذلك أنه أشخص ثلاثة من أولاده الى رؤساء الثائرين ومع كل واحد منهم كتاب اليهم وهذا مفاده نذكره ترجمة من تلك الجرائد بلا تصرف في عباراته:

شكراً للخديو ولدولة بريطانيا العظمى وللجنرال كوردون . كل أملاكي التي كانت نزعت من يدي سترد الينا . يا أحبائي وياأهل وطني اني أبعث اليكم أولادي الثلاثة مصحوبين برقيم الى الجنرال كوردون فدعوهم يصلوا اليه وسهلوا سبلهم واقسم عليكم باسم النبي واسماء اجدادي الذين اكرموا الاسراء ان ترافقوا كوردون الى كورسكو وان تعاونوه حتى يعلو متن النيل . كل معاملة تسيء الجنرال فهي تكسر خاطري الى الابد . وانا وعيالي ههنا رهن الى ان يعود الجنرال كوردون فان عاد صحيحاً سالماً فمحمد يحفظكم ابد الآبدين اه

وانا أتبرأ من صحة ما في هذا الرقيم ونسبته لزبير باشا فانا نعرف الرجل مسلماً فقيهاً في دينه عالما بفروضه وهو من سلالة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفسه حزازات يمانكاه به الجنرال كوردون عند ما كان حكمدار السودان وليس من احد يحفظ تاريخ كوردون ويحصي سيئاته كزبير باشا علمنا ذلك منه وهو يتنفس الصعداء من ذكرى مصائبه ايام كنا في مصر فكيف يمتدح الانكليز ويشكرهم وكيف يقوم بعمل يعود بالمنفعة عليهم اغترارا بما وعدوه من رد أملاكه اليه وهو يعلم ان كل ما يفيدهم لا يزيد تدمهم الا رسوخا في اوطانه ومن لاحظ اسلوب الرقيم تبين له انه ليس بأسلوب عربي خصوصاً ما جاء في خاتمته

من الدعاء فانه لم يعرف في عبارات المسلمين ما يشابهه فمحمد لا يحفظ أحداً بل الله على كل شيء حفيظ . فلا يبعدان عدو الزبير اراد ان يشوه سيرته فرماه بهذه النسبة او ان يكون الرقيم من مخترعات بعض الجرائد الاوروبية للتمليح .

أخبار سياسية

جاء فى تلغراف من برلين الى جريدة كازيت دوكولونى ثبت ان من عزم دولتى فرانسا وانكلترا ان تتفقا قبل انعقاد المؤتمر على موضوع البحث فيه كما اتفقت دولتا الروسية وانكلترا على مدار النظر في مؤتمر برلين قبل انعقاده بواسطة اللورد سالسبرى والكونت شوفالوف . كل من الدولتين المتفاوضتين تمد نظرها الى ما عسى أن تؤول اليه مداولات المؤتمر وتحدده وتقدره (ثم تدخل فيه على أن تكون الغاية ماقدرت)

ربما حلت الدعوة الى المؤتمر محل القبول عند بعض الدول الا أن رضاء الباب العالى شرط في قبول حكمه والتسليم لقضائه ولو أن دولتى النمسا والمانيا أو الدول جميعها قضت بأن يكون من قواعده الاساسية اجابة جميع الدول التى دعيت اليه موقتاً لم يكن ذلك قاضياً بوجوب الاذعان لما يبرمه وهذا هو شأن المؤتمر بالنسبة الى الباب العالى على أى حال .

قالت جريدة التمس تيسر لوزارة انكلترا أن تتغلب على مجلس النواب لكن ليس لها أن تعتمد على هذا الظفر الهين وعليها أن تستفيد فى مدة البطالة لعيد العنصرة فتنجو بما تستفيده من الخطر العظيم الذى

ربما يحيق بها من المفاوضات الجارية بينها وبين وزارة فرنسا ☆ تساهلت الوزارة في عقد عهدة تخالف مصالحنا مع شركة قنال السويس ثم نجحت في التملص من قيودها ومزقت المعاهدة وتركت موسيو دلسيس على أرض قفراء وليس بالسهل عليها أن تسلك اليوم ما سلكت في تلك الاوقات فلو رفض البرلمان ما انتهت اليه المفاوضات فى المسئلة المصرية لما أمكن للوزارة أن تبقى فى مساندها • اذا تعذر الوصول من هذه المفاوضات إلى غاية صالحة أمكن الوزارة أن تتنحى عن العمل . أما فرنسا وسائر الدول فليس لها أن تطالب مجلس العموم فى انكلترا بمنحة شحت بها نفوس أهالى بريطانيا كافة ورفض السماح بها عموم الآراء في بلاد الانكليز (يريد بالمنحة ما تفضل به وزراء انكلترا على الدول من دعوتها للمذاكرة في أحوال مصر)

الثبات الثبات

حملت قوة الثائرين على مدينة بربر فافتتحتها بعد ما فتكت بجميع حاميتها ولم يبق موضع للريب فى استيلاء أعوان محمد احمد على تلك المدينة وبعد تمكنهم فيها زحف منهم ثلاثون ألفاً لمهاجمة دنقلا ، وفي تلغراف من كروسكو الى التيمس بتاريخ ١٣ يونيو أن محمد احمد يزحف بنفسه مع خمسة وثلاثين ألفاً لفتح دنقلا وله أمل في الفوز قبل أن يهل رمضان، وقد بعث برقيم الى مديرها وسماه أميراً عليها ومد سنة السلطنة فيها مع ما يليها .

انقطع الطريق بين دنقلا ووادى حلفا وامتنع سلوكها وأيست

الحكومة المصرية من صيانة تلك المدينة فأصدرت أوامرها بتمهيد سبيل لرجوع حاميتها إلى مصر وشعرت حكومة انكلترا بتعاصى الفتنة فعدلت عن إرسال نجدة لامداد حامية خرطوم كما أكدته جريدة المورنن بوسط الانكليزية قنوطاً من نجاحها ، وعثمان دجمه يشتد عضده يوماً بعد يوم وله في كل ليلة هجمات على مدينة سواكن بل وعلى بعض المراكب في البحر .

أخبار مانزل ببربر وما يتوقع نزوله بدنقلا وغارة الثائرين على معسكرات الحكومة في وادى حلفا كل ذلك أحدث اضطراباً شديداً في أصوان وهيجاناً فى خواطر الكافة من أهل الصعيد وربما يخشى من وقوع مالا تحمد عاقبته على الناكثين

هذه مرابك الانكليز في مصر وهم فى أوحالها لايفترون عن السعى الى مايثبت قدمهم فيها . جاء في تلغراف الى اجانس هافاس ان الجند المصرى دخل بأسره تحت امرة الجنرال استفانوس (قائد جيش الحلول الانكليزى) فصار الجنرال كأنه ناظر الجهادية وتحول الجند الوطنى الى انكليزى وجيش الحلول إلى حامية مصرية ثم هم يسعون لالزام توفيق باشا بنصب ثلاثة مفتشين من الانكليز أحدهم في القاهرة والثانى فى مصر السفلى (مفتش وجه بحرى) والثالث في مصر العليا (مفتش وجه قبلى) على أنهم لايعزلون الا بأمر من انكلترا فتنقلب الادارة انكليزية محضة لايبقى فيها لحكام مصر الا نهاية حال الذليل . الامتثال والطاعة . صرفوا فى الاراضى المصرية العثمانية تصرف المالك فنحوا منها بقاعا وفرضا على البحر لملك الحبشة ، وحالفوه على أن يسوق جيشاً ينازل المسلمين في أراضيهم ، رجاء تذليلهم واخماد أنفسهم ، وفي أثناء هرولتهم

الى مطامعهم يثيرون في أعين الدول غباراً ، ويرفعون جلبة ، ويصيحون بأن لاغرض لنا الا اقرار الراحة واعادة النظام ، ويقيمون الحجة على اخلاصهم برغبتهم الى الدول فى مساعدتهم على حل بعض المشاكل المالية ، مع أنهم لايرغبون عقد المؤتمر إلا لينالوا منه مايزيد قدمهم رسوخاً في مصر . علموا ان لفرنسا مصلحة فى مناوأتهم فطفقوا يهددونها بالتحالف مع المانيا أو التقرب اليها ان لم تتساهل معهم ليحملوها بالتهديد على الرضاء بابقاء عساكرهم في مصر الى سنة ١٨٨٨ تحت اسم اقرار الراحة على شرط أن لا يكون بعد مدة الا باجماع جميع الدول التى يكون لها نواب في المؤتمر بحيث لو وافقهم احداهن على اطالة المدة فيما بعد لكفى في تمديد الاجل أو اطلاقه وليس بخاف مايقصدون من هذا الشرط فانهم يعلمون في اختلاف مصالح الدول وتضارب السياسات مالا يعدمون معه وسيلة لارضاء دولة واحدة في زمن من الازمان بالموافقة على مدالامد ، ولا نخال دولة فرنسا يقف نظرها دون هذا الحجاب الرقيق وهو يشف عن ملم عظيم لاتسلم منه مملكة من ممالكها في المشرق ، ولا نظنها تذعن لقبول هذا الشرط وان قبلته دولة لامصلحة لها فى مصر ولا يهمها إلا معاكسة فرنسا .

فكأنما سلك تصرف الانكليز من خمس سنوات في سلسلة من الألاعيب نهايتها للتسلط على مصر فى هذا المؤتمر بدعوى ثروة المالية المصرية وان عجزها من الخيانة فيها وتوسلوا بذلك لانقلاب فى هيئة الحكومة ثم الجاء واعرابى للدخول في العصيان ليعتلوا به في الزحف لتأييد الحاكم ثم وسعوا دائرة الخلل ليكون وسيلة الى سلطة لاتحد يؤملون نيلها في هذا المؤتمر . زينوا للدولة العثمانية. أن تصول على السودان مع

وجود عساكرهم فى مصر ثم تخرج وقد مهدت لهم مصر والسودان معاً فلما لم تنخدع لهم وحق لها ان لاترضى شدوا عليها بالتهديد قائلين انهم لايسمحون لعسكرى تركى ان يذهب إلى السودان من بعد ولو لم تقبل الدولة العثمانية حضور نائب لها فى المؤتمر على أنه منحصر فى المالية فانه سينعقد بدون رضاها . ولئن كان الانكليز صادقين في طلبهم اقرار الراحة فى مصر لوكلوه الى عساكر العثمانيين وفوضوا الامر لحازم حاذق من أمراء المصريين فان فى ذلك اطفاء للفتن وتثبيتاً للسلم ولا خوف من الدولة على الاستقلال المصرى فليس من شأنها أن تنقض عهد دولة واحدة فى هذا الوقت فضلا عن عهود الدول ولكن لايهولن الدولة هذا التهديد فدعوة محمد احمد بلغت فى الهنديين وتغلغلت ، وخبر قرب الروس منهم ملأ اذانهم ، والانكليز يتوقعون الفتنة فيهم ساعة بعد ساعة ، والقوة الانكليزية قاصرة عن مدافعة محمد احمد ، فلو ثبتت الدولة العثمانية لخضع الانكليز لقوة الحوادث رغماً عنهم ، فانهم يفرقون من أن يشاع عنهم أنهم مضادون للدولة العثمانية فالثبات الثبات والله المستعان .

برهمن لاهور

قد انكشفت (لفندت اللاهورى صاحب جريدة أخبار عام) انما أنذرنا به عند دخول الروسية فى مرو من وشك دخولها في سرخس ليس من قبيل كان ويكون وسيكون فقد دخلت الروسية مدينة سرخس سكانها برضاء من التركمان كما قدمنا فى العدد الماضى فليس له أن يستطى

سير الهول الشمالى ليدكدك أسوار الحكومة التى يظهر المدافعة عنها (وهى الحكومة الانكليزية) فعما قريب تظله هبوة الزحف في أرض بنجاب تحت جدران داره وله بعد ان رأى مارأى من صدق نبئا الاول أن يطمئن الى ماننبئ به فيما بعد فاننا نحكى عن طبائع الامم وحقائق السياسة ومقتضياتها وليس يغنى ظنه من الحق شيئاً .

هذا

سررنا بملاقاة أفاضل من أرباب الجرائد في مصر أتوا الى أوربا ليحضروا عقد المؤتمر فى لوندرا ويقفوا على دقائق المفاوضات التى تجرى فيه متعلقة بالمسئلة المصرية وينشروها مع ما تجود به قرائحهم من الرأى الصحيح في جرائدهم تنويراً للافهام ، وتنبيهاً للأفكار، فحمدنا سعيهم ، وشكرنا صنيعهم ، وأعظمنا همتهم ، فى خدمة البلاد المصرية ، قياماً بما فرضته عليهم الجامعة المشرقية ، وما أوجبته ذمة الجوار ، وان لم يكونوا ممن نبت في تراب مصر ، ولا جبل من طينتها ، ولكننا أسفنا غاية الاسف على احتمالهم لهذا العمل العظيم افذاذاً بلا معززين لهم من أبناء الديار المصرية ، لامن المسلمين ، ولامن المسيحيين ، أولئك الذين حفت بهم المكاره ، وداهمتهم مغيرات الرزايا من كل جانب ، ولهم في البلاد نسب صريح ، وورثوا ما أقاموا فيه عن آبائهم وأجدادهم ، من أجيال طويلة ، وفيهم عارفون باللغات الاجنبية على اختلافها ، ومنهم من نال شرف المعرفة على نفقة بلاده ، وانما كانت تعده البلاد لمثل هذه المهمات

الا يوجد بينهم شاب يغلى دمه وتجيش أحشاؤه لما نزل بديارة ، وبنى وطنه ، مما يتألم له العالم أجمع ، أو ان لم يكن هذا ففتى يعظم همه ، ويسمو عزمه ، فيطلب ذكرا رفيعاً ، وثناء باقيا ، فتنهض همته للشكاية من مصابه ومصاب اخوانه ، او لارشادهم إلى ما به النجاة ، وما يتوسلون به الى الخلاص ؟ الا يوجد شيخ قضى وطره من الدنيا وقاضت عليه البلاد بخيرها يتذكر نعم الاوطان عليه ، فينبعث لاداء شكرها بما يستطيع من خدمتها ، الايوجد من هؤلاء وهؤلاء أغنياء لايخافون اعداماً فيتسامحون فى بذل شيء من فضل مالهم ينفقونه على أنفسهم فى طلب الانصاف لدى الدول التى يهمها النظر في شؤنهم ، الا يوجد فيهم من ورث عن آبائه ثروة واسعة وهو يبددها فيما لايعود عليه بمجد ثابت ، ولا شرف دائم ، فيجعل الانفاق على نفسه في السفر لهذه الغاية المحمودة داخلا في دائرة اسرافه ،

يا عجباً ما هذا الخمول ، ولم هذا الانزواء للذهول ، عما رزئت به أوطانهم ، كيف وأسنة الحوادث مصوبة الى أفئدتهم ، والسنتها تلغ فى دماء قلوبهم ، اللعوز والحاجة ، كيف وانا نعرف فيهم الاغنياء والموسرين ، ومن لاتنفذ ثروتهم الا بأيدى أعدائهم المتغلبين ، اذا استمروا في تماديهم هذا ، اللشح والحرص ؟ كيف وفيهم الاسخياء ومن أسرفوا فى البذل على الاسراف والتبذير ، فيما لا ينالون منه الا مدحة في الوجه ، ورفعة لاوجود لها الافى الوهم ، اللخوف والجبن ؟ كيف وقد بدا لهم أن الخطر في سكوتهم أشد من الخطر في عويلهم وصياحهم ، الراحة مفقودة ، والنظام مختل ، والحقوق ضائعة ، والفتق محدقة بهم . والاجانب ضربوا

خناجرهم على حناجرهم ، فلو لم يتداركوا أنفسهم بالسعى في كشف هذه البلايا لاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ، بل الخطر كل الخطر انما هو في اهمال مصلحة الوطن ، وليس على ساع في خير وطنه وملته من خطر . اذا أتى البيوت من أبوابها ، وطلب الغاية بأسبابها ، فمن أى شيء يخافون، وأى سلطة يرهبون ، ان لم يكن لجراح الوطن أثر فى أفئدتهم ، فأين الاحساس الطبيعى المودع في نفوس البشر، الباعث على المباراة والمنافسة إنا لله وانا اليه راجعون .

العدالة الانكليزية

الركون الى العدالة والسكون الى الامن والراحة من الامور الطبيعية فى الانسان وهذه حقيقة أدركها الجنس الانكليزى الشريف لهذا تراه يجوب الاقطار ويتقلب في الامصار حاملا على أحد عاتقيه علم العدالة وعلى العاتق الآخر لواء الامن والراحة رجاء أن يملك أهواء العالم أجمعين وينال الكرامة في جميع أنحاء المسكونة ☆ الا انا نعجب غاية العجب لجفلة الناس من الوان هذه الاعلام وفزعهم من الاستظلال بظلها ومن تفيأه يوماً فزع للانتباذ عنه في آخر ولو لفحه لهيب جهنم ، هؤلاء الارلنديون من جنس الانكليز وعلى دينهم وينطقون بلغتهم ولا يوجد بينهم وبين سكان بريطانيا العظمى فرق الا فيما لا يعد الاختلاف فيه خلافاً حقيقياً من عقائد المذهب الكاثوليكى والبروتستنتى ويصح أن يقال انه خلاف فى فروع الدين لا في أصوله ، وجزيرة ارلاندا تعد جزءا أصلياً من مملكة بريطانيا وسكانها يعدون عنصرا داخلا في قوام

الامة وعليهم بسط جناح المرحمة الانكليزية من أجيال طويلة حتى حسب الجميع أمة واحدة ، ومع ذلك ترى آلافا مؤلفة من الارلنديين يهجرون أوطانهم ويهاجرون الى أميريكا ويتخذونها سكناً لهم فراراً من عدالة الانكليز، وكل يوم ترى المحترقين بنيران الحمية منهم يخاطرون بأنفسهم في أعمال يقصدون بها هدم السلطة الانكليزية واهلاك القائمين بها ، وفي كل يوم يخدون الاخاديد ويدفنون المواد الملتهبة (الديناميت) في أماكن مختلفة من مراكز الحكومة وطرق مسير الكافة من الانكليز تارة تحت قصر الملكة وأخرى في مقاعد الوزراء وطوراً تحت دار الندوة وآخر فى جسور السكة الحديدية ليدمروا كل مكان بمن يقله ، وزاد ذلك حتى أفزع الحكومة فى هذه الايام وما مر مدة تمضى الاوتسمع بمواقع بين عساكر المحافظة الانكليزية فى أرلندا وبين الاهالى ، ومنها ما حدث فى ثامن هذا الشهر (يونيو) من معركة بين العساكر والعامة جرح فيها كثير ☆

هل جلاء الارلنديين وتهافتهم على الموت وسآمتهم من الحياة في معاندة السلطة الانكليزية ناشئ عن نفرتهم من العدل وكراهتهم للراحة والميل اليهما طبيعي في فطرة البشر ، أظن لو كان عدلا حقيقيا يعرفه بنو الانسان لما نبت عنه الطباع ، ولا أثرت الانفس الموت على التمتع به ، ولا طلب الخلاص منه اقوام يتحدون مع أرباب السلطة في الجنس واللغة والدين ، ولا فضلوا عليه مهاجرة الاوطان ، واحتمال آلام الغربة، ومشاق التطوح في أراضى لا يجدون فيها من العيش الا لماجا (أدنى ما يؤكل) ولكنه عدل تفرد به الانكليز من بين الحيوانات الناطقة من أحكامه أن توضع الجزية على كنائس الكاثوليك تؤديها الى كنائس

البروتستانت عن يد وهي صاغرة ، واستمر ذلك الى عهد قريب ، ومن مقتضياته أن يكون الارلندى خادماً بل عبداً رقاً لامراء البريطانيين لا يتركون له من لوازم الحياة الا ما يشتغل به لتنمية ثروتهم وتوفير لذتهم * ان كان هذا العدل لا يوافق أذواق المتفقين معهم فى الجامعات السابقة فكيف ترجى ملائمته لأذواق الذين لا نسبة بينهم وبينهم ولا صلة تجمعهم معهم لا في لغة ولا جنس ولا دين * هذا النوع البهيج من العدل ظهرت له آثار في البلاد الهندية * دخلها الانكليز وهي أغنى أرض في العالم ، وأخصب تربة فى المسكونة ، وسكانها أنعم الناس عيشا ، وأوسعهم ثروة ، فاذا هي اليوم بسر العدالة كأنها صفاصف وأمرات (أراضى لا نبات بها) أهاليها حفاة عراة اذلاء ، رضوا من المعيشة بالشظف ، ومن القوت بالعلف ، وما يجدون ما به يقنعون ، تراهم بعد ما سلبوا أملاكهم ، وابتزوا ثروتهم ، واستأثر الانكليز بجميع ما كان لهم يطلبون التعيش في المهن الدنيئة ، ولايصلون الى ما يطلبون ، يكون منهم الكاتب المنشىء البليغ الحاسب يقطع الارض سعياً من بلد الى بلد ومن ولاية الى ولاية ليحصل خدمة ينال من أجرها ثلاثين فرنكا في الشهر ولا يسعده البخت بنوالها * ومن سنتين دخلوا مصر وهى أرض الراحة والسلام وأهلوها فى رغد من العيش ، وآمن من الغوائل ، فاذا هى اليوم ببركة العدل الانكليزى ، وحسن الادارة البريطانية ، أرض الفتن ، ومجالات الحروب ، ومضارب الخلل والفساد ، قضت العدالة بحرمان آلاف من الوطنيين وطردهم من وظائفهم فى الحكومة ، وهم ذوو أهل وعيال لاعيش لهم الا من رواتب الخدم الوطنية ، وحل محلهم فى الوظائف أخلاط من الانكليز وكسدت أسواق التجارة وغلت أيدى

الزارعين عن العمل في الفلاحة بفقد الامن وعموم الاضطراب وامتنعت الارض عن الانبات باهمال الاعمال العامة واستولى الفقر على الفلاحين حتى عجزوا عن وفاء ديونهم وقصرت أيديهم عن أداء ما عليهم من الضرائب لحكومتهم .

ومع كل هذا ترى الانكليز لاتأخذهم ريبة فى أنهم عادلون فوامون بالقسط وإن حلولهم فى أى قطر وسلطهم على أى شعب مقرونة بالسعادة والرفاهة والامن والراحة ويعجبون كل العجب من انحراف المصريين عنهم ونفرة قلوبهم منهم ويقولون يا سبحان الله كيف يوجد بين جمعيات سرية أو جهرية تتخالف على بعضهم وتجتمع على الانفة من العبودية لهم وكيف يختلج فى خاطر مصرى أن ينقم على الانكليز

ولما أحسوا بحركة الخواطر واشتعال الحمية فى نفوس بعض المصريين وتوجسوا الخيفة من أقدامهم على كلمة الحق وهي بلادنا لنا ونحن أعلم بمصلحتنا من غيرنا ولا نريد أن نكون طعمة للانكليز أرادوا أن يقيموا برهاناً على عدلهم ويوطنوا النفوس على الرضاء بحكمهم ويمحوا كل ضغينة من قلوب المصريين بالقوة العسكرية كأنهم باطلاق النيران وسل السيوف يودعون فى القلوب محبة وفى النفوس رضاية وهي طريقة جديدة فى إزالة التنافر وايجاد التآلف وربما كانت سنة قديمة عند الانكليز .

جاء في رسالة تلغرافية من مكاتب التمس فى القاهرة أن العساكر الانكليزية انتشرت في شوارع القاهرة شاكية السلاح لتعزيز قوة المحافظين ، والحامل على ذلك ما تأكد عند حفاظ العدل من الانكليز إن فى تلك المدينة جمعيات جهرية أو سرية او أن فيها أشخاصاً مصريين

يحبون بلادهم ولا يودون ان يكون السلطان فى حكومتها لاجنبى عنهم خصوصاً إن كان ظالما فيهم ، أو أن في تلك المدينة من يخطر بباله أن يقول كما يقول أدنى رجل من الانكليز أن مصلحة وطننا مقدمة على كل مصلحة ، أو أن فيها من يحدث نفسه بأن الانكليز لاخير في ولايتهم ويرى شقاء بلاده فى سوء ادارتهم ، فهاج غيظ مأمورى الانكليز وبعثم على الشدة في طلب الوقوف على مكامن أولئك الذين لايميلون إليهم ليؤاخذوا كل ذى سريرة بما اختلج فى صدرة من الانتقاد على أعمالهم ، ومن عزمهم أن يستعملوا من الآلات الضيائية ما يشرق به النور ليلا فى كل شوارع المدينة وأزقتها من القلعة إلى أضيق حارة فيها ليحققوا ما ظنوه ويكشفوا ما توقعوه (وهم في عملهم هـذا يراعون مصلحة المصريين ويأسفون على حالهم حيث كفروا نعمة النظام ولم يعترفوا للانكليز بهذا الاحسان الذى تفضلوا به عليهم من مدة سنين ويأسفون) ويرون من العدل أن تشرب قلوب المصريين موتهم بقوة السلاح حتى تكون سيئاتهم حسنات ، وربما لايتم لهم من ذلك ما يقصدون .

انكلترا وفرنسا

أصغت آذان الراغبين فى الوقوف على نهاية الحوادث المصرية لاستماع ما يتحدث به بين الحكومات الاوربية من يوم دعت انكلترا جميع الدول العظام للاجتماع فى مؤتمر ينظر في بعض المسائل المصرية . إلا أنها منعت دون حجاب الكتمان وإنما كانت تصل إليها دندنة أو

جلبة او غمغمة او جمجمة وكل حس يصلها يثير رواكد الاوهام فتهيج فيها غرائب الصور والاشكال والمذاعون من أرباب الجرائد في أوربا وهم أشبه بالداعين إلى الالاعيب والكموديات كانوا يذهبون من الكلام وجوهاً مختلفة ويتنافسون فى التمثيل والتصوير للتغرير والتهويل حتى أبرزوا الارض فى صورة السماء والسماء في صورة الارض خصوصاً فيما يتعلق بالمفاوضات التى كانت جارية بين وزارتى فرانسا وانكلترا، فكان يخيل لمتصفح جرائدهم أن البحار غاصة بالمراكب والمدرعات يصادم بعضها بعضاً وأن فضاء البر أعضل بالجيوش المتلاحمة لايجد السالك من بينها سبيلا وتجسم الخيال لارباب الاذهان الحادة فكان منهم مهندسو حرب يعينون مواقع العساكر وطرق المصاولة وجموع المتلاحمين تجول في أذهانهم يميناً وشمالا ويموج بعضها في بعض وكأنما كانت مخيلاتهم معرضا لجيوش العالمين وكان فى كل فوج داعياً وفى كل قبيل منادياً يقول حتى هذا حتى فهيعات تتعالى وزفرات تتصاعد وأرغاء وأزباد وتقطب في الوجوه وشزر في المناظر وفى كل ذلك هول يأخذ بالالباب.

والعارفون بقوة فرانسا البرية والبحرية والذين يقدرون حقوقها حق قدرها كانوا يعتقدون أن تمثال العظمة البريطانية أصبح منكس الرأس منحنى الظهر قد هوى بهامته إلى ركبته يتوارى من الناس خجلا بما ظهر من ضعفه وعجزه وأن حكومة انكلترا ستعود بالخيبة (وإن أعدت فيالق من التهديد وجحافل من الارعاد) وتقوت هذه الاوهام بما يطنطن أرباب الجرائد وولعت النفوس بالوقوف على الحقيقة وانبعثت رسل الافكار تجوس خلال الشؤون والاطوار، لتصل إلى شيء من هذه الاسرار، واجتمعت الارواح في الآذان لعلها تستوقع سمعاً عن

تلك المداونات ، وكنت كل نفس في مشكاة باصرتها لعلها تستشف من وراء الحجاب ما ينبيء عن الحقيقة أو يقربها من الفهم . والجميع واقفون وراء حجاب هذا الملعب الشائق وبعد طول الانتظار كشف الستار .

فاذا عائدة الانكليز جالسة فى هيكل آمون وبيدها تاج يحكى رأس النور (تاج الفراعنه) متهيئة أن تضعه على رأسها والملوك العظام وقوف بين يديها مستعدون لتهنئتها كأنما كانت هذه المفاوضات والمخابرات اعداداً وتجهيزاً لاجلاسها على كرسى ميناس الاول ورمسيس الأول لا حول ولا قوة إلا بالله .

قام رئيس النظار الفرنساوى في مجلس النواب خطيباً لبيان الاتفاق الذى عقده مع وزارة انكلترا ليرى النواب فيه رايهم وقبل ذكره انفق مالديه من البلاغة والفصاحة وحسن البيان لاقناعهم بقبول مااجراه تلطف فى الكلام وابدع وصوب وصعد واتى على ترغيب يشوبه ترهيب ويأس يحوطه امل وادرج في طى خطابه ان فرنسا قبل هـذا العهد الجديدلم تكن على شيء وبه نالت اشياء واومأ الى ان وزارته لوطلبت ازيد مما حصلت لادى الامر الى ممانعة الوزارة الانكليزية وافضى الخلاف الى انقلابها وربما يخلفها وزارة تطمح الى الاستيلاء على مصر . وجاء فى نطقه بما حرك الطباع ومال بالاسماع حيث قال يلزم للسياسى قبل ابرام حكم ان يلاحظ جميع اطرافه ولواحقه فهذه الكلمة الرفيعة جددت في السامعين آمالا وظنوا ان المراقبة الثنائية قد اعيدت او تقرر اشتراك فرانسا مع انكلترا في الحلول العسكرى اوابرام الحكم بخروج الانكليز من مصر وبالجملة انهم فازوا فوزاً عظيما وبعد مقدمات طويلات بين الاتفاق فاذا هو بعد امعان النظر على هذا النحو . ان الانكليز سادات

مصر يفعلون فيها مايشأون وليس لنا ان نعارضهم فلا المراقبة الثنائية عادت ولا الاشتراك في التداخل العسكرى او النظر الادارى حصل ولا قررت حرية القتال على اصل ثابت ولاتحقق جلاء الانكليز على صورة قطعية ولا تأصلت مراقبة دولية كما كان يتوهم بعض السياسيين بل كما كان يلجأ اليه الانكليز عند نهاية العجز على مااشار اليه كثير من سياسيهم . فانقبضت صدور النواب فلما راى شدة تأثرهم دفعة واحدة واحس منهم القنوط حاول احياء آمالهم بقبوله انا سلكنا فى اتفاقنا هذا مسلك سائر الدول ومن السنن المتبعة فيها تنازل كل من طلاب الاتفاق عن شيء مما عليه الاختلاف حتى يتقاربوا ويتعادلوا فيسهل اتفاقهم ☆ يوهم بهذا انه وان ترك كل حق لفرنسا فى مصر الا ان الانكليز ايضاً تساهلوا معه فى امور . . . هـذه المسامحة التى لم تـكن منتظرة من حكومة فرنسا ذهبت بالظنون الى ماوراء الظاهر المعروف ومنه مابعث مكاتب جريدة التاج بلات البرلينية فى فينا على قوله يظن ههنا (في فينا) ان الاتفاق بين فرنسا وانكلترا يحتوى على شروط سرية كثير منها يسهل على الـكافة ان يقف عليه ولـكن لاخوف عندنا (في فينا) فان الدول ستعارض هذا الاتفاق رغماً عن كل وهم اه وليس ببعيدان يكون نعير الانكليز وهديدهم وارهابهم للوزارة الفرنساوية بالميل للالمان هو الذى دعاها لهذا التساهل الغريب بل حملها على ترك الحق بالكلية أو ربما ظن رئيس الوزارة ان اشتداده في اقتضاء حقه أو حق من له بهم علاقة صحيحة يوجب تغيراً فى وزارة غلادستون فيقوم خلفها على الاغتصاب بالقوة وانتهاك كل حق فتضيع الحقوق الفرنساوية بلا منة من فرانسا في ضياعها فسارع الى موافقتها على ما تشاء وطرح مصلحة فرانسا في

مصر بين يديها لتكون المنة في استيلاء الانكليز على مصر للفرنساويين ولكنا نظن ان هذا النوع من المعاملة لايفيد فرنسا اكبر مما يجلب عليها من الضرر فان التساهل وسوء السياسة الذى كان من الحكومة الفرنساوية مع بريطانيا في الهند عندما كان للامتين منافسة فيه آلت الى تغلب الانكليز على جميع الممالك الهندية ورجع الفرنساويون بخفى حنين (بوندى جرى) و « شندر نيكر » ولم يمح اثر ذلك الخسران من خواطر الامة الفرنساوية الى الان والمستقبل اشبه بالماضى من الماء بالماء. وقد يقال ان الحكومة الفرنساوية حولت نظرها عن مصر الى جهة أخرى . وبقى رجاؤنا في نواب الامة الفرنساوية فانهم وان اظهروا ثقتهم بالوزارة بعد مجادلات طويلة الا انهم شرطوا عليها ان لاتبرم حكماً فى المؤتمر الا بمشورتهم « اللهم حقق الرجاء » وانا في عجب من حرص مجلس البرلمان الانكليزى حيث يعارض غلادستون فى هذا الاتفاق مع ان اقرب نتائجه الاستيلاء على مصر وكان الباعث على المعارضة خلوه من لفظ الاستيلاء وقد طلب البرلمان من غلادستون مثل ماطلب نواب فرانسا من وزيرها . اما حقوق العثمانيين والمصريين فلم نر لها بين المتفقين ذكراً اللهم الا ان يقوم اربابها على المطالبة بها . عند ذلك نرى لها فصلا بين هذه الابواب

الاتفاق

عهد بين وزارتى فرانسا وانكلترا تواطأتا عليه ليكون موضوع البحث في المؤتمر واشرنا الى ان غايته تنازل فرانسا عن جميع حقوقها فى مصر ونفض يديها من كل مصلحة لها فيها والاعتراف لانكلترا بالسيادة عليها وان لم تذكر حروف السيادة وهذا مايحتوى عليه من المواد .

الاولى ان يستمر حلول الجيش الانكليزى في الاراضى المصرية الى أول يناير سنة ١٨٨٨ (ثلاث سنوات ونصف) ثم لايخليها الا بعد انعقاد مؤتمر جديد من نواب الدول العظام يتفقون فيه على ان الاخلاء لايضر بالنظام الداخلى لمصر ولا بالعلاقات السياسية بين الدول فان حصل اختلاف ولو من دولة واحدة ترى ضرورة اطالة المدة كان الخيار لدولة انكلترا فى الجلاء اوالبقاء

دولة انكلترا هي الدولة التى اطلقت مدافعها على مدينة اسكندرية والمؤتمر منعقد في الاستانة من رجال الممالك العظيمة وفيهم نائب لفرانسا ولم توفر المؤتمر ولم تراع حرمة الدول ولم تتفق مع واحدة منها على العمل الذى باشرته فهل يعجزها في خلال هذه المدة الطويلة ان تستميل دولة من الدول اليها حتى اذا انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات ونصف ذهبت الى ان اخلاء القطر المصرى من العساكر الانكليزية يخشى منه على نظام البلاد او سلم اوروبا فيكون حجة لانكلترا في اطالة المدة وان خالفها بقية الدول ومنطوق الشرط يؤيد حجتها ☆ وكيف يمكن لبقية الدول اذا خالفت احداها أن تلزم دولة بريطانيا بالخروج من ديار

مصر بعد ماغلت ايديها بتقرير هذا الشرط وكتبت على نفسها ان الجلاء لايكون حتما الا اذا اتفق جميعها . السياسات في اوربا سريعة الانقلاب والمنافسات لاتقف عند حد يحيط به النظر ومطامع كل من الدول لاتنتهى عند غاية فليس ببعيد بل هو اقرب من كل قريب ان توجد دولة من دول اوربا تشد عضد انكلترا على دعوى ان اخلاها لمصر يحدث هزة في سلام اوربا وربما تكون تلك الدولة هي الدولة القوية التى يصعب على سائر الدول مخالفتها ولا تجد فرانسا عند ذلك موئلا تلجأ اليه سوى الرضاء والتسليم . اذا فرضنا عجز انكلترا عن استهواء دولة اوربية توافقها على المكابرة في احوال مصر وان سياسة اوربا وقفت على حالتها فى وقتنا الحاضر وان جميع الدول تحالفت على قول الحق فهل تعجز دولة بريطانيا وهى هى عن ان تثير شغبا فى بعض الارجاء المصرية بان تغرى مالطيا بقبطى او روميا بفلاح او حمار فتسيل قطرات من الدماء تخيل كل قطرة منها بحرا وتنادى ان للفتن مثارات وللعصيان امارات والنظام فى خطر ولها حق المحافظة عليه الى ان تنقلب ارض مصر جنة يكون فيها امم العالم اخوانا على سرر متقابلين ولو اعتبر المسيو جول فرى بالمعاهدات التى عقدتها انكلترا مع السلطنة التيمورية وغيرها من ممالك الهند وكيف اقدمت تلك الدولة على نقضها ولم تبال فيه بعهد ولا ذمة لظهر له ان نقض روسيا لعهدها مع بولونيا ليس شيئا يذكر بالنسبة الى خفر انكلترا لذمها مع تلك الممالك العظيمة . لو تامل هـذا الوزير فى الاعمال الانكليزية للام نفسه فى الاحتجاج بشرف انكلترا على خلو غرضها واخلاصها فيما واثقته عليه . ان لم يكن في خاتمة الشرط سر فلم اهتمت بها الوزارة الانكليزية والحت على تثبيتها . ان لم يكن لها غرض فى استعمالها وقتها فلم

اصدرت اوامرها بمدسكة الحديد من سواكن الى بربر على نفقة الحكومة البريطانية . ان كان لمسيو جول فرى ثقة بموسيو غلادستون واعتماد على عفته وطهارة ذيله فمن يضمن له بقاءه فى رئاسة الوزارة إلى نهاية المدة حتى يوفى بعهده . ان استعفت وزارة غلادستون لعلة داخلية أو حادثة خارجية وخلفتها وزارة تحت رئاسة الاورد شورشيل أو اللورد سالسبورى وهما من الطالبين للاستيلاء على مصر أو اعلان السيادة الانكليزية عليها فاى مانع يمنعهما عن الاستفادة من هذه الخاتمة السوأى فى مقصدهما المعروف

المادة الثانية الغيت المراقبة الثنائية وسيعوض عنها بتوسيع السلطة لقموسيون الدين العمومى فيمنح حق الاطلاع على مصاريف الحكومة والاعتراض على ما يزيد منها عن المقرر فى الميزانية ويكون له ذلك من ابتداء سنة ١٨٨٥ وميزانية تلك السنة تحصرها حكومة انكلترا وتعرضها على المؤتمر الدولى ليقرر ما تحويه على أن يكون قانوناً للنفقات لايخالف الا لضرورة تخرق النظام وفيما بعد سنة ٨٥ يخول لصندوق الدين حق مساعدة الحكومة المصرية على تحضير ميزانيتها السنوية بمعنى أنه تعرض عليه قبل تقريرها ليبدى فيها رأيه إلا أن ما يكون له من الرأى في جميع الاحوال ليس إلا استشارياً محضاً لاينقض ولا يبرم فاذا انجلت العساكر عن مصر يكون له حق المراقبة على تحصيل الايرادات جميعاً وضبطه على قواعد صحيحة وطرق منتظمة وبهذا يحوز حقوق المراقبة الثنائيه ما عدا الحضور فى مجلس النظار ورئيس القموسيون فى جميع الاحوال يكون انكليزياً * إن كانت مراقبة قسيون الدين على تحصيل الايرادات لاتكون إلا بعد انجلاء الجيش الانكليزى أفلا يكون هذا مأملا من

الآمال ربما لاينال وهل يكون فيه عوض حقيقي عن المراقبة وهو من رسوم الخيال وبينه وبين الثبوت أمد غير قصير . إن رضيت الامة الفرنساوية بتنقص فائدة الدين لهذا الامل الموهوم فقد خسرت كما قالت جريدة لاجوستيس خسارة محققة لوعد لا كافل لها بوفائه

المادة الثالثة احماء مصر والمكافلة لها « ما يعبر عنه بالحيادة » بأن تجعل حكمه في أفريقيا على أصول حكومة بلجيكا في أوربا وتحرير القنال اى اباحته ممراً لجميع مراكب الدول من أى نوع كانت فان كانت الدولتين متحاربتين ضرب لبقائها فيه مدة لايسوغ فيها انزال عساكر أو ذخائر على حافتيه ولا تباح المناوشة فيه ولا على القرب منه ولافوق شيء من المياه المصرية وإن كانت الدولة العثمانية إحدى المتحاربتين إلا أن شيئاً من هذه القيود لايحذر أخذ الاحتياط للدفاع عن مصر نفسها إذا دعت إليه أحوال وإذا الحقت مراكب دولة من الدول ضرراً بالقنال الزمت بتعويضه وعلى حكومة مصر أن تهيء ما يمكنها من تنفيذ الشروط على المراكب الحربية مدة الحرب ولا يجوز أن يبنى على حافات القنال ولا على مقربة منه معاقل وحصون وهذه الشروط جميعها تقرر ويجرى حكمها بعد جلاء العساكر الانكليزية عن وادى النيل ☆ وفاتحة هذا الفصل تنطق بأن الانكليز إن قصر بهم السعى عن التملك فى الاراضى المصرية فقد هيأوا كلاليب لاختطافها من أيدى المسلمين والانقلاب بها الى قوم آخرين كما أشرنا اليه في موضع آخر . هذا الذى صرح به من تشكيل الحكومة في مصر على مثال حكومة بلجيكا هو الامر العظيم الذى نوهه مسيو جول فرى وقال انه من أجل أحكام السياسة وأبهاها . وصحيح العقل يرتاب في كونه حكما سياسيا فضلا عن

كونه ساميا لما يلاحظ فيه من عواقب المكالبة والشحناء بين الامم الاوروبية الى أجيال بعد مانقرر لديهم أن الشرقى لا يليق به أن يستقل بحكم نفسه . فان خدعه الظاهر فربما يرى فيه خيراً لفرانسا أو لاوروبا بمعنى أنه أفضل لها من التملك الانكليزى أما المسلم فيراه نكاية لملته والشرقى يجده خرابا لبلاده . هذا الاود الذى ظهر فى سياسة مسيو جول فرى لا يقومه الا حمية الدولة العثمانية واشتدادها فى حفظ مكانتها السياسية وحرص مجلس النواب الفرنساوى على حماية المصالح الفرنساوية التى يسهل صونها بشئ من العزيمة وبصيص من البصيرة ولله الامر يفعل ما يشاء

الباب العالى

روت حريدة الدالى نيوز خبراً يسر كل مسلم يهمه نجاح الدولة العثمانية ويرى عزته في عزتها وذلك أن الباب العالى يأبى أن يرى جيشاً انكليزيا حالا فى مصر ويرغب اذا اشتد العصيان أن يفوض الامر الى الخديوى الذى يتبع نصائح الدولة العلية صاحبة السلطة الشرعية عليه . وكل شرط يومى الى جعل مصر تحت حماية أجنبية فليس عند الباب العالى في موضع القبول لانه يكون تمهيداً لاضعاف سلطة السلطان على تلك البلاد ويمكن أن يقبل الاتفاق الفرنساوى الانكليزى في غير هذين الامرين (الحلول الانكليزى والحماية الاجنبية)

وورد في رسالة من مكاتب جريدة نوفل بريس ليبر الباريسى

محادثة جرت بينه وبين أحد السياسيين من الروس نقلتها جريدة التان فيها أن دولة الروس ستقاوم دولة بريطانيا في مطامعها وتؤيد الدولة العثمانية في مطالبها رعاية لمصالحها المرتبطة بمصالح العثمانيين في المسئلة المصرية وفي الاتفاق المنعقد بين دولتي فرانسا وانكلترا .

الانكليز والاسلام

للحكومة الانكليزية (عدو المسلمين) عداء شديد لالتهام الممالك . الاسلامية . نفذ المسير الى آرابها منها سالكة جادتها المعهودة من اللين والمواربة والخديعة والمخاتلة فان بلغ بها السعي حدا من الغرض فذلك وان عجزت اخذت طريقا اخر لانتزاع قطعةارض من ايدى المسلمين باية وسيلة وتسليمها لقوم من سواهم ايا كانوا كأن لها لذة في نكاية أهل الدين وكانها تبتغي السعادة في تذليلهم ومحو مايكون من ملكهم وكمال بهجتها في ان تراهم اذلاء عبدانا لايملكون من امرهم شيئا وفى تصانيف غلادستون وخطبه الضافية أيام الحرب العثمانية مع الروس ومقالات أشباهه نبأ بل اصدق الانباء عما تكنه صدور الانكليز من العداوة للمسلمين .

لهذه الحكومة طمع التمكن فى ارض مصر ولها من كل حبل قبضة وفي كل سبيل خطوة لتنال مطمعها . وهمتها اليوم في ارضاء بعض الدول عن استبدادها بالامر في مصر بما تسول لسياسييها من اوهام المنافع وخيالات الفوائد وفي تثبيط بعضها بالمراوغات والتهديدات . فان بلغت

همتها مبلغ القصد فهو خير ما تطلب والا عقدت عزمها على نقل الولاية في مصر من أيدى المصريين والعثمانيين الى أيدى أقوام آخرين . هذا ما تشير اليه جريدة الدالينيوز الوزارية « الانكليزية » عند كلامها على قنال السويس حيث تقول يمكن القطع بحياد القنال على الاساس الموضوع في تلغراف اللورد غرانفيل المرسل الى الدول في ٣ جنفيه سنة ١٨٨٣ وليست تلك الحيادة الا حكما من أحكام النظام الذى وضعته الوزارة الانكليزية ليكون قاعدة تقوم عليها هيئة الحكومة المصرية بعد جلاء العساكر عنها . ولكن لا يرى الانكليز في حيادة القنال وحدها ضمانة صحيحة لوقاية مصر من غارة دولة أجنبية عليها ولا كفالة كافية لاستقلالها بل يمكن أن يذهب الرأى الى ضرورة حيادة مصر نفسها بأن تحول حكومتها الى حكومة سويسية أو بلجيكية فى افريقيا وتوضع تحت حماية الدول عموماً فتؤمن الاغارة عليها من احداها اذا آل الامر الى هذه الحالة « والعياذ بالله » فهل يسمح أرباب الحماية أو السيادة بتفويض أعمال الادارة والقضاء والمالية للمصريين العارفين بشؤن بلادهم : كيف نظن هذا وقد سجل عليهم الانكليز أنهم أضعف من أن يقوموا بعمل جزئى أو كلى في خدمة أوطانهم وان من الضرورى لحياتهم أن يكونوا آلة صماء في أيدى غيرهم من الاوربيين . قد يعقب ذلك لو حصل تشكيل مئين من المجالس في القطر المصرى كلها تشبه المجالس المختلطة أما مجالس الفصل والقضاء ابتدائية واستئنافية فالامر فيها بين وأما ادارة الداخلية والمالية وفروعهما فلا تستقل بها دولة من الدول فان طبيعة الامر تأباه فلا يتولى أعمالها الا مجالس مؤلفة من أقوام مختلفة الاشكال

واللغات متباينة الحكومات . ولو تفضل السائدون على المصريين عند بداية العمل لسمحوا بأن يكون فى كل مجلس واحد منهم الى زمان محدود.

أولئك الاعضاء الاجانب وهم نواب دولهم لايكون سيرهم الا كما سار اخوانهم من قبل . كل منهم يستدعى من أبناء جلدته من يستخدمه في وجه من وجوه الاعمال التى يولى النظر فيها وتقع بينهم المنافسات ثم تكون المحاباة كل يتغاضى عما يأتيه الآخر ليتغاضى الآخر عنه فلا تكون مدة حتى تضيق أرض مصر بالاجانب ولا يعود فيها مقر لوطنى هذا الى ما يتبعه من اقامة عسكر مختلط للمحافظة فى المدن والاقاليم . فلا يبقى للمصريين الا خسائس الاعمال يفلحون الارض ويعانون الاعمال الشاقة ولكنهم اجراء عسفاء لغيرهم يودون ثمرات ما يكسبون الى من لا يعرفون ويخرجون عن جميع ما كانوا نالوه في الازمان الاخيرة من عهد محمد على الى الآن . ولا يمر زمن طويل الا ويؤلون الى ما آل وحشي أميريكا ينحسرون الى بعض الاطراف القاصية عن العمران أو يدافون فى غمر الاجانب فلا يوقف لهم على أثر صحيح وتصير الاراضى المصرية مأهولة بأخلاط من أجناس مختلفة كما فى أراضى أمريكا الجنوبية والشمالية ويقوم لفيف أولئك الاغراب مقام أبناء الارض الصادقين وهذا مما لا يسر عاقلا « وان راق في نظر بعض المباركين » وأملنا في الدولة العثمانية أن تقوم على قدم ثبت عليها الاسلاف الاولون وتقدم بعزيمة ثابتة على المطالبة بحقوقها فى مصر واعادتها الى حالتها الاولى قبل التداخل الانكليزى ثم تلقى بزمام الحكومة فيها الى ذوى عزم من المصريين صيانة لحوزة الاسلام . وفي الظن أن دولة الروسيا لا تفوتها هذه الفرصة لمساعدة العثمانيين لتستميل اليها قلوبهم ولا تختلف عنها دولة فرانسا

فان مصالح الدولتين في فتوعاتهما بالبلاد المشرقية تقضى على السياسيين فيهما « ان كانوا كما يقال سياسيين » بالاتحاد مع العثمانيين

الباب العالى والانكليز

يهم المسلمين فى كل أرض أمر ما يجرى فى مصر بل تذهب نفوسهم حسرات كلما رأوا اوسمعوا أن جندياً أجنبياً يجول فى نواحيها مقاتلا أو حامياً وليس شأن مصر عندهم كغيرها من البلاد فانها بهرة الاسلام وباب الحرمين الشريفين فكل نازلة بها ترزأ الدين وتصدع من أركانه والمسلمون في قلقهم هذا ينظرون الى الدولة العثمانية ويقلبون وجوههم فيسماء سلطتها الحسية والمعنوية يرجون منها عزمة ثابتة تنقذ بها الاراضى المصرية من تبوئ الاعداء ويحفظ بها شرف المسلمين ومكانتهم بين الامم وتصان بها ولاية الاسلام من السقوط فى حبائل هذه الدولة الداهية « دولة الانكليز » التى أخذت على نفسها أن تبيد ولاية هذا الدين وتحول حابله على نابله ☆ هذا فضلا عما يراه كل مسلم من أن عزة الدولة العثمانية وشوكتها ليس الا بسلامة ملكتها على مصر فان قضى فيها الامر لغيرها « والعياذ بالله » أصبحت حقوق العثمانيين في جميع ممالكهم معرضة للخطر ☆ فهذه دولة الانكليز كمرض الاكلة يظهر أثره ضعيفاً لا يحس به عند بدئه ثم يذهب في البدن فيفسده ويبليه بدون أن يشعر المصاب بالألم هكذا شأن الانكليز في لينهم وتلطفهم وحلاوة وعودهم وتملقهم وخضوعهم يسلبون الممالك ملكه بل الحى حياته وهو مأخوذ بما يشعذون له ولا يبب فى أن الاهانة التى تمس الدولة العثمانية تنال

جميع المسلمين في الشرق والعرب فان كل مسلم وله الحق بعد هذه الدولة دونه ولو تباعدت الاقطار . ان الهنديين الى اليوم وما بعد اليوم يباهون بها ويحسبون أنفسهم في عداد الامم التى لم تذهب سلطتها ويعتقدون أن لهم سلطاناً قوياً في الدولة العثمانية بل يرون أن خلاصهم من قيد الرق الانكليزى لابد أن يكون يوماما بسعيها وقد اظهرت أيام الحرب الاخيرة آثار لحمتهم معها بالنجدة المالية بما لم يبق ريبة لمرتاب فى شدة صلتهم بها .

لهذا كنا نعجب لسكوت الدولة العثمانية فى هذه الازمان الاخيرة عند مااشتدت مقارعات السياسيين من كل دولة وتصارعوا فى المفاوضات والمجادلات محاماة عما لهم من المصالح فى مصر مع أن الدولة كانت أحق وأولى من جميع الدول بالاهتمام وبذل الجهد للمناضلة عن حقوقها الثابتة ارضاء لخواطر المسلمين عموماً واستبقاء لحسن عقيدتهم فيها وحماية عن ممالكها وأهم مملكة منها الى أن اطلعنا على اعلان بعث به الباب العالى الى الدول بطريق التلغراف فيما يتعلق بالاتفاق المنعقد بين فرانسا وانكلترا فى المسئلة المصرية أتى فيه على بيان العواقب السيئة التى تنشأ من طول مدة الحلول الانكليزى في مصر وأظهر أن مجرد تحديد المدة لا يكف الانكليز عن حرصهم وغاية ما فيه أنه يستتبع مداعاة الدول والدولة العثمانية مع الانكليز وبرهن على أن بقاء العساكر الانكليزية في مصر ليس بضرورى في حل المسئلة فان كانت الدول لا ترى في العساكر الاهلية كفاية لصيانة البلاد من الخلل فالباب العالى مستعد لارسال العساكر اليها على ما تقتضيه حقوقه فيها كما عرضه على الدولة البريطانية وجرى البحث فيه ولكن حال دون الاجراء موانع سياسية . فان لم تقبل الدول أن يستقل الجيش العثمانى بحل هذا المشكل فانه يعرض عليها

أن يحل مصر جيش مختلط يؤلف من عثمانيين وفرانساويين وانكليز وايطاليان واسبانيين والى الدول تعيين الاجل في الوجهين وزاد الباب العالى في اعلانه هذا خدشاً لخواطر الانكليز حيث قال ان الانكليز قد أنهوا أعمالهم في محو العصيان وتثبيت سلطة الخديو الا أنهم لم يأنوا في تحسين حال مصر وتقويم نظامها الا بما فيه اجراء بعض مقاصدهم السابقة

وانا نقول كما يعترف به كل مسلم أن من فروض الدولة العثمانية أن لاتدع وسيلة للذود عن مصر وكف يد الانكليز عنها وأن تكون همتها فى ذلك كهمتها فى الذود عن نفس الاستانة وليس لها أن ترهب هذه الرعود وتلك البروق التى لا تعقب مطراً . ومن الحق أن نقول أن فى مكنة العثمانيين أن يقوضوا هذا البيت البلورى « بيت العظمة الانكليزية » بحجر واحد فاذا اشتدت الازمة تيسر لهم السعى في الوئام بين الايرانيين والافغانيين والبلوجيين ولا يكلفهم هذا الا كلمتين يستندان الى أصل دينى قويم وعندها يعرف الانكليز مقام أنفسهم في الاقطار الهندية . والممالك المشرقية . هل تسلط الانكليز فى الاراضى الهندية الواسعه الا بسبب المخاصمات المذهبية التى كانت بين الافغانيين والايرانيين ولو نظرنا اليها نظر التحقيق لما رأيناها مما يوجب شق العصا وتفريق الكلمة ولا ريبة عندنا أن رفع الشقاق وتجديد الوفاق بين تلك الامم أبسر شيء على الدولة العثمانية لما لها من المكانة العليا فى نفوس المسلمين قاطبة . ولا يظن أن اعتصام الانكليز فى جزائر بريطانيا والهند يقصر بالعثمانيين عن التكاية بهم لانقطاع السبل بين هؤلاء وأولئك وانسداد المسالك بين الممالك العثمانية والانكليزية فان الظن يختلف عند وجود الاتفاق بين الافغان والايرانيين واتحادهم مع العثمانيين فهذه طريق مخترة وبندر

عباس الى بلوجستان مفتوحة للسالك مطروقة للسابل وهي الطريق التى سلكها أول جيش اسلامى بعث به الحجاج بن يوسف لفتح السند . ان هذه لجولة لو كانت لاثارت في وجوه الانكليز غبرة يضلون فيها عن رشادهم . ومعلوم أن الحى لا يسلم نفسه للموت بلا مدافعة مادام قادراً عليها . يكفى لقيام مليون من المقاتلة الافغانيين والبلوجيين تحرك خمسة آلاف عثمانى الى أحيائهم . لست أبالى أن أقول الحق اذا حصل التساهل فى أمر مصر انفتح باب المطامع لكل دولة صغيرة أو كبيرة وعزت بعد هذا وسائل التلاقى فلتأت الدولة العثمانية على ما في الوسع ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم

جريدة اوده أخبار وجريدة

— أميرتا بازار برتركا الهنديتين —

أسف يصهر الجسم ويذيب الفؤاد وحسرة تفلذ الأكباد على قبيل من أمة أو شخص منها ذى همة يستعين الله في عمل ينقذ أمته من ضعة أو يرجع اليها بمنفعة ثم يوجد له فى وجهة عمله من تلك الامة من ينجم كقرن المعز ليفقأ عين العامل الفاضل فيقطع عليه أسباب العمل ويعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطلة أو منفعة عاجلة وانما مثل من يكون على هذه الصفة فى الامة كمرض السكتة في البدن أو الصرع في الرأس أو الخبل في العقل أو انشجى في الحلق أو القذى فى العين . هؤلاء هم الذين يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله والحق ويبغونها عوجا .

لو كان فى هؤلاء العصال الطباع « الاعصل المعوج فى صلابة » بقية من الانسانية أو أثر من العقل يدركون به ما ينشأ من أعمالهم الجزئية من المضار الكلية ويشعرون بهذا الجرم العظيم الذى يدك الرواسى ويهد الشامخات لذابوا خجلا واستتروا عن الناس بحجاب العدم وتمنوا لو محيت أسماؤهم من لوح الوجود . ولكن يظهر من جرأتهم على خطيئتهم انهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعلمون ماذا يعملون . هذا العمل الصغير الذى يجلب على الامة شراً كبيراً أو يحرمها من خير عام ليس فى وسع حكيم من البشر ان يحدد درجته من الخسة والسفالة ولا في طوعه أن يحيط بكنه الفساد الذى ضرب في طبع شخص يقدم على مثله ولا توجد كلمة ولا جملة ولا كتاب يفى ببيان حاله سوى أن يقال خائن ملته ووطنه

أولئك أشخاص كثيراً ما يوجدون في الأمم المعتلة يشبه أن يكون منهم صاحب جريدة « أوده أخبار » التى تطبع فى « لكنهو » من بلاد الهند انغض رأسه ورفع عقيرته على جريدة « أميرتا بازار برتركا » التى تنشر في بلاد ــ بنجاله ــ كتبت هذه الجريدة « البنجالية » فصلا بينت فيه سوء معاملة الحكومة الانكليزية الهندية وخشونتها على الهنديين واهانتها لهم واجحافها بحقوقهم وحرمانها لهم من خدمة أوطانهم وانقالها عليهم بالضرائب الباهظة واستئثارها بجميع ما يكسبون من كدهم وتعبهم مع احتكارها جميع ينابيع الثروة مما أوجب شدة الضيق والضنك في عامة الأقطار الهندية وكان سبباً في انحراف قلوب الهنديين عن الحكومة ونفرتهم منها . ثم انبعث هذا بقولها فليس لحكومة الهند بعد ذلك كله أن ترجو مساعدة رعاياها لها عند وقوع محرب بينها وبين الروسية ولا أن تؤمل فى العساكر الهنديه بذل أرواحهم في الدفاع

عنها فان الجند يشركون الاهالى فيما أم بهم ويألمون كما يألمون . وليس من الحق لحكومة بريطانيا مع سلوكها هذا أن تلوم الهنديين إذا آثروا عليها دولة الروس واختاروها حاكمة لهم . هذا مجمل ماقالت وأقل ما كان يترتب على هذا الكلام وأمثاله من الفوائد هو تنبه الحكومة الانكليزية لما جرحت به قلوب الاهالى وأحرجت صدورهم فتعدل مشربها وتقوم منهجها مع الهنديين وترفع عن كواهلهم بعض الضرائب الثقيلة وتمنح الوطنيين بعض الخدم في الدوائر الملكية أو العسكرية وتكف عن اهانتهم وتذليلهم ليكون لها عدة إذا دهمتها أم صبور « الداهية أو الحرب الشديدة » من جهة الشمال .

وكان على الهنديين خصوصاً أرباب المعارف منهم أن يؤيدوا القائل فى قوله أو يحمدوا له سعيه أو يتركونه وشأنه لعلما يستتبع ذلك خيراً كبيراً أو قليلا لأوطانهم وأبناء أمتهم ولكن وآسفا بدل هذا يلتوى صاحب جريدة « أوده أخبار » ويجور عن جادة الصواب في تقريع الجريدة البنجالية وتعنيفها ثم يطلب من الحكومة الانكليزية أن تمحو حرية الجرائد من بلاد بنجالة . وهذه الجريدة وان وصفها مقوم الجرائد فى الهند « مدير المطبوعات » بأنها متملقة معممة للحكومة إلا أنه ما كان يخطر ببالنا أن تنحط وتسفل إلى هذا الدرك ولا أن ترتكب في تملقها هذه الجريمة العظمى وهي طلب محو الحرية في البنجالة وصد أبناء وطنها عن التنبيه على بعض حقوقهم وشكاية شيء من أرزائهم لاحول ولا قوة إلا بالله .

تركيا

ليس في التعلات أعجب مما يتعلل به الانكليز ولا فى المحاورات أغرب مما يستدلون به لامقدمات بينة ولا حجج قيمة وأقوى مايكون من أدلتهم أولى به أن يكون في معرض الهزل من ان يكون فى جانب الجد ولكن أغرب من جرأتهم على الجهر بمداعبة الامم بما هو أشبه بالترهات أصغاء الاذان لما يقولون وانصراف الاذهان عن بيان الهجو فيما يوردون واظهار الوهن فيما به يتعللون لينهتك الستار عن أغراضهم وتظهر خفيات مقاصدهم وترتفع الريبة عمن يخدعون بملاعباتهم

ان الانكليز ساقوا جيشاً إلى مصر ويوأوه أرضها مدة لاتزيد على سنتين فكان حلول جيشهم سببا في انحلال النظام واختلال الاحكام وعموم الفساد في أرجاء البلاد حتى صار الناهبون وقطاع الطرق على نحو الجيوش المنظمة سرايا وكتائب تزحف للغارة دلى القرى والبلدان ضاحية بلا استتار وسرى الاختلال في عموم الاعمال الادارية والقضائية ففقدت الامنية على الحقوق كافة وسقطت البلاد بسبب ذلك الى درك من الضيق والعسر لم يكن يخطر على بال قط وما كان شيء من تلك الفظائع ولا واحد من هذه المفاسد ولا قليل من هانه الشدائد موجوداً أيام الحركة التى سموها فتنة عسكرية واخترعوا منها دليلا على الفوضى وزعموا فيها وسيلة للتداخل بعساكرهم

حالة مصر شاهدة على انه لم يكن للاختلال فيها اسم ولا للفوضوية أثر إلا بعد ما وطىء الانكليز ارضها ومع ذلك يزعمون أنهم ما اتوها

إلا لتقرير الراحة واصلاح النظام وازالة الفوضى ويريدون ان تمتد إقامتهم فيها إلى أجل بعيد ليتمموا القصد الذى أتوا اليه وشرطوا جلاءهم عنها برسوخ الامن وانقطاع شافة الاعتداء واجتماع خواطر الاهالى على الرضى بما يرسم عليهم من السائدين فى ديارهم والتسليم لما يقضى به فيهم ☆ الا يعجب من هذه التعلة ☆ هل يوجد ابله في أى أمة يظن في المصريين الركون الى السكينة مادام الجيش الاجنبى متبوئاً ديارهم أليس وجود عسكر أجنبى تحت أنظارهم كافياً في نفرة قلوبهم وازدياد شغبهم ☆ الطبيعة تحكم باستحالة مايطلب الانكليز منهم والتجربة من مدة سنين طبقت بين الحكم العقلى وبين الواقع الحقيقى ☆ هل يمكن سلامة خواطر المصريين من القلق بعد ما علموا أن الانجليز لم يفتفحوا بلداً من بلاد الشرق إلا تحت راية هذه الحجج وعلى هذه الطريقة التى يملكونها فى مصر وهل كان لهم سلطان فى جهة من جهات الشرق إلا بدعوى انهم يريدون فيها الاصلاح ثم ينجلون عنها انقياء الراحات اعفاء الذيول .

ماذا يريد الانكليز من تقرير الراحة بعساكرهم في مصر هل يريدون مكافحة اللصوص حتى يقهروهم على طرح السلاح ويقوا الاهالى شرهم ان كان هذا قصدهم فياخيبة الامل فان شيئاً من هذه الفظائع لم يكن إلا وجيوشهم نازلة بالبلاد فكانما كانت تلك الجيوش مثاراً لهذا الفساد مضى عليها سنتان وهى في معاقل مصر وهبت أعصار السوء بقدومها وكلما طال الزمن زاد الخطر وقويت عصابات الشر فماذا قيل يكون منها في ثلاث سنين ونصف إلا مثل ما كان من أثرها في سنتين أو أشد فتنة . فكيف يعقل أن يكون بقاؤها في مصر مفيداً لرد الامن اليها ، وهل تكون علل المفاسد مجلبة للمصالح . نعم يكون هذا

اذا قيل ان حضو الرمضاء يطفئها أو أن وقود النار يخمدها ، هل يقصدون من تقرير الراحة اخماد فتنة السودان . ان صح هذا القصد منهم فتى سعوا اليه وأى جيش ساقوه وأى قوة وجهوا بها لتكسر سورة الثورة وتمحو أثرها تهافتوا بجيش عظيم على منازلة رجل من رجال محمد احمد (عثمان دجمه) فى سواحل البحر الاحمر فما كانت إلا مهارشة هرت فيها العساكر وبلغ صوت وقوقة القواد الى أقاصى المسكونة وارتد بهم الذعر الى البحر وقفلوا الى ديارهم يتلفتون الى ماوراءهم خوفاً ورهبة كان الواجب أن يتبعوا عثمان دجمة الى بربر والخرطوم حتى يبددوا جنده ويلحقوا به صاحب الدعوة فان عجزوا عن الكل فلا أقل أن يأتوا على البعض فما الذى صدهم عن سبيل القصد لو كانوا فيه من الصادقين رجعوا وتركوا كوردون باشا فى فم التنين ثم التجأوا إلى ملك الحبشة ليثيروا به حربا صليبية تسود بها وجوه الكاذبين الذين يزعمون انهم دعاة الانسانية ورعاة التمدن . فماذا يكون من عساكرهم لو أقامت في مصر أضعاف ما أقامت اظن لا يختلف المستقبل عن الماضى إلا بعظم خطوبه واشتداد نوبه .

هل يبتغون المحافظة على حدود مصر الاولى وحمايتها من هجمات السودانيين ويقفون عند حد المدافعة ولا يذهبون الى ما وراء ذلك ان كانت هذه بغيتهم فهى بغية البقاء فى مصر مادامت مصر أو السودان سودانا لان صيال الثائرين يتوقع فى جميع الاطراف من حدود مصر ماداموا قائمين بنشر هذه الدعوة . بل كلما طال الزمن اشتد خطرهم وقويت أعضادهم وكل كرة لهم أو فرة تقوم بها للانكليز حجه في ملازمة الحدود المصرية للدفاع عنها فلا يكون لحلول الجيش الانكليزى بارض

مصر أمد ينتهى ولا أجل ينقضى . فما لهم يتبـون على الدول والدولة العثمانية والمصريين بتحديد مدة الحلول الى ثلاث سنوات ونصف مع سرد الالفاظ المبهمة تقرير الراحة حفظ النظام اعادة الامنية الخ مما يسمع ولا يفهم .

وليس من المبالغة أن نقول أن حـلول الجيش الانكليزى كان وسيكون من أعظم الاسباب لقوة محمد احمد ولولا وجود العساكر الانجليزية في مصر ما تمكن الرجل من الجهر بهذه الدعوة العظيمة ولقد كان يتبرأ من نسبتها اليه ايام كانت الحـكومة المصرية خالصـة للمصريين بل ما كان يجد أحداً يلبي دعوته أو يدخل تحت رايته . هذه تواريخ الامم وهذا سير طبيعة الكائنات نرشد المستبصرين الى أن مثل هذه الدعوة لايقوم قائمها فى أمة الا عند اشتداد الخطوب عليها وزحف الاغراب اليها . أى حجة لمحمد احمد فى دعوة الناس اليه وأى فتنة تجمع القلوب عليه أقوى من أن يقول ان الانكليز من نيتهم الاستيلاء على أرض مصر وهي في عداد الاراضى المقدسة وباب الحرمين الشريفين ومهد العلوم الدينية ودعامة القوة الاسلامية فمن كان يؤمن بالله ورسوله فليجب داعى الله فى مدافعتهم وانقاذ البلاد من رجسهم . وهذا الكلام مما يزعج قلب كل مسلم ويبعثه على الاتفاق مع صاحب النداء . هل يتوهم بعد سقوط خرطوم وجيش الانكليز حال بأرض مصر ان تقف دعوة محمد احمد عند تخوم محدودة وهو الزاعم أنه منقذ المسلمين . هل يبعد عند العقل أن يمتد لياق شعاته إلى أقطار اسلامية يخشى الانكليز منها نائلة الفتنة كما يخشونها فى الهند . قد نرى الحالة ما قرب الى المخافة منها الى

الامن وسيعلم الانكليز أنهم كانوا أحوج الناس الى السلم وأفقرهم الى القناعة .

أى قوة تقف هذه الدعوة وتحجبها عن الانتشار بل ترد‌ها على قائلها وتذهب بها كأن لم ينطق بها لسان أو يذعن لها جنان . ليس لقوة أن تأتى بهذا الاثر على أحسن وجوهه الا قوة العثمانيين وأولى العزم من المصريين ☆ هل تظن دولة بريطانيا ان عقد مؤتمر لتصفية الدين المصرى يبطئ سير محمد احمد أو يخفف من وطأته أو يرده على عقبه فتنال مقصودها وتصبح آمنة مطمئنة فى ديار مصر . انها الى الآن فى عجز عن ارضاء الدول بقبول الاصول الابتدائية التى تحب أن تكون موضوعا لبحث المؤتمر ☆ ان تصفية الدين المصرى يهم انكلترا وحدها ولا نظنه يهم الدول ولا يهم محمد احمد انا نرى الدول خصوصاً دولة الروسيا والنمسا والامة الفرنساوية مهتمة كل الاهتمام بكشف مقاصد الانكليز والتنقير عن غاياتهم فيما كانوا شرطوه من تخصيص البحث بالمسائل المالية حتى أن شدة المعارضات وكثرة المفاوضات والاشتداد من الدول فى طلب تعميم البحث فى المؤتمر ليحيط بجميع فروع المسئلة المصرية أحدث شكا عند صاحب جريدة التمس فى انعقاد المؤتمر ودفع بالموسيو كلادستون الى ربكة شديدة فهو من أمره في حيرة لايهتدى الى ما يسكن به خواطر الدول بل ولا ما يقنع به أودآءه المخلصين بل ولا ما يوفق به بين زملائه فى الوزارة لتفرق كلمتهم وتباين آرائهم . أما قائم السودان فهو فى اعراض عن كل هذه المجادلات واغضاء عما يكون في عرضها من المحاولات . سواء عنده انعقد المؤتمر على رغبة الانكليز أو على وفق الاراء العمومية . وهو مغذ في سيره ذاهب وراء فكر

ولا يمر يوم من أيامه الا ونسمع فيه بخبر فتح أو حديث زحف حتى جاءت الاخبار الاخيرة بدخوله عاصمة السودان (الخرطوم) .

ورد في تلغراف من القاهرة الى الدالى تلغراف بتاريخ ٣ يوليه أنه وصلت رسائل من بعض عساكر السودانيين وهم فى مدينة خرطوم الى أناس يوثق بهم في القاهرة ذكر فيها أن حامية المدينة ضعفت عن دوام المدافعة واعلن محمد احمد بتأمين جميع السكان على أرواحهم وأموالهم وأخذ على نفسه وقايتهم من كل ضرر يتوقعونه فبضعف الحامية وثقة الاهالى بوعد الفاتح فتحت المدينة بغاية السهولة فى نهاية شهر مايو بدون سفك دم وان كثيراً من الافرنج أسلموا وأن كوردون مع كونه مستمسكا بدينه ولم يبدل دخل فى أمان الفاتحين وسيق الى محمد احمد محفوظاً لم يمسسه سوء

وفى خبر آخر بالتاريخ عينه ان القسيس (سوقارو) وكهنة الرسالة الكاثوليكيه في السودان وردت منهم أخبار من أهالى خرطوم تفيد أن المدينة فتحت ووقع كوردون أسيراً ولم يزل الى الآن فى قيد الحياة . ونقلت جريدة الدالى تلغراف أن تاجراً فى القاهرة اتاه كتاب من جنوب بربر يخبره ان الخرطوم مفتحة الابواب لمن يقصدها بالتجارة وان كانت في قبضة جيوش السودان ، وفى رسالة من مكاتب التان بسواكن ان جماعة من الوجوه في مدينة خرطوم دفعتهم الحمية للانتقام من كوردون آخذاً بثأر الضابطين الذين قتلهما بتهمة الخيانة (حسين باشا وسعيد باشا) فهجموا عليه وقتلوه ثم اتفقوا مع المحاصرين على تسليم المدينة فدخلوها آمنين ، ويزعم المراسل ان للحكومة البريطانية علماً بهذه الحادثة من زمان طويل الا انها كتمته خيفة هيجان الافكار

عليها . نحن لا يهمنا موت كوردون ولا حياته ولا راحته ولا عناؤه وانما يظهر من كل هذه الاخبار ان خرطوم اصبحت سودانية لا انكليزية ولا مصرية فان تمكنت وزارة موسيو غلادستون من تفنيد المستفيض من هذه الروايات فربما يصعب عليها المكابرة فيما يعقبها . ان شوكة الداعي تقوى بعد فتح خرطوم وتمهد له سبل عديدة للوصول الى مصر العليا او السفلى وان تأثير دعائه يقطع مسافات بعيدة في هنيهات قصيرة .

ماجت خواطر المصريين واهتزت قلوبهم جميعاً لسماع هذه الاخبار وربما نسمع بعد اليوم ان ريح الجنوب حملت قسطلا تثيره سنابك خيل الفتنة وجاوزت به حدود مصر فان كان هذا شأن الحركات في بلاد السودان فتعليق الانكليز جلاءهم على انقطاعها يشهد برغبتهم في الحلول الدائم ما بقي محمد احمد وما بقيت له خلفاء ، على اننا نرتاب في قدرة عساكرهم على صيانة التخوم المصرية فقد ظهرت نهاية قوتها على سواحل البحر الاحمر . نعم ربما يختلج بخواطر الوزراء البريطانيين ان يخدعوا الدولة العثمانية ويحملوها على الحكم بعصيان محمد احمد وتضليله ليحولوا القلوب عنه ثم يجنوا الثمرة كما جنوها من الحكم بعصيان احمد عرابي ولكن قد تبين الرشد من الغي وظهر للدولة العثمانية سوء طوية الانكليز وعدوانهم على حقوقها فليس من المحتمل ان تنخدع لهم مرة ثانية ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، كما انه يشبه المحال ان عثمانياً يجوز سوق الجيوش العثمانية الى السودان لتذليله وعساكر الانكليز في القاهرة ثم ينتظر العثمانيون بعد انقضاء الفتنة نهاية المراوغات الانكليزية حتى تؤول مسئلة مصر الى مثل ما آلت اليه مسئلة بوسنه وهرسك مع

دولة النمسا ، فعلى العثمانيين وأصحاب العزيمة من المصريين أن يجمعوا أمرهم على كشف هذه النازلة صوناً لاوطانهم وتقية من شر ربما يحدث في جهات أخر فان قضى حرص دولة الانكليز بصد ارباب الحقوق الشرعية عن أداء المفروض عليهم جهلا منها بمصلحة نفسها وبمصالح تلك البلاد فعلى العثمانيين أن يقيموا الحجة بسيوفهم وجيوشهم لا بالرقائم والاوراق فان هذا فساد لو اهمل لعم وعمت زواياه ولا نظن ان دولة بريطانيا تثبت على نفختها هذه فانها ستشتغل بداخل البيت عن خارجه بعد قليل .

لسنا نقول ما نقول جزافا ولكن دعوة القائم السودانى اشربت قلوب الاكثرين في الهند وبلوجستان وافغانستان وقدعلق شرر الثورة باهداب الخواطر فلا تلبث ان تلتهب فللدولة العثمانية ان تمد نظرها الى اعماق المسئلة وتقدر قوة الانكليز واهبتهم العسكرية مع ملاحظة ارتباكاتهم في ممالكهم وظهور عجزهم وضعفهم في الحوادث الاخيرة ومراعاة آراء الغالب من الدول العظيمة وبعد الاحاطة بهذا كله وهى اسهل من كل سهل تظهر عزماً ثابتاً وبأساً قوياً يليق بدولة عظيمة كدولة آل عثمان طالما ظهرت على يديها خوارق العادات ولله الامر من قبل ومن بعد .

الباب العالى

ذكرت جريدة استندارد ان معارضة الباب العالى لمطامح انكلترا ليست قاصرة على الممانعة فى جعل مصر حكومة بلجيكية في افريقيا تحت حماية الدول كما في عزم غلادستون ان يعرضه على المؤتمر . بل صرحت الدولة العثمانية لسفيرها في لوندرا مرزروس باشا بأنه متى وضعت لائحة غلادستون موضع البحث فى المؤتمر بعثت اليه بتعليمات للمعارضة الشديدة في هذه المادة وكل ما يكون من قبيلها (ما يمس حقوق الدولة والمصريين) ولا نرتاب في ان الدولة العثمانيه بعزمها هذا قد قامت بفريضة شرعية ومثلها من يقوم بها فى مصر وفي سائر الممالك العثمانية فان كل ذى بصيرة يدرك ان صيانة جزء من ممالكها موقوف على صيانة الاخر والتفريط فى شيء منها يحدث الخلل في الباقى . وكفانا عبرة ان مجرد طلب غلادستون لحرية قناة السويس حمل دولة الروسيا على طلب حرية بوغاز البوسفور كما ذكرته الجرائد الروسية ودعا بعض سياسيي الروس ان يقول ان المسئلة المصرية قد صارت الآن مسعراً للمسألة الشرقية ولانظن شيئاً من هذا يخفى على عقلاء العثمانيين

اسماعيل باشا

عظم على الخديوى السابق أمر ما نزل بمصر ، وعز عليه اشتداد الازمة في داخليتها ، وعسر ماليتها ، واكتنافها بالفتن الخارجية، وارتباكها

في المشاكل السياسية ، فحن اليها (وله أن يحن) ، وأراد أن لا يدع الانكليز موضعاً للتعلل (في تأمين الدين واطفاء الثورة) فأظهر من سريرته ما ذكرته جريدة الروببليك فرانسز وهو أنه يتبرع بالتزام أداء ما يطلبه حاملو الاوراق المصرية مع استعداده لان يقود جيشاً لمغالبة محمد احمد .

يقظة من سنه

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا) ربنا اشرح صدورنا لما فيه خيرنا وخير أهل ملتنا أجمعين . اللهم انك تعلم خيرنا وفلاحنا فى اجتماعنا وائتلافنا ، وارتباطنا بعلائق ديننا ، واعتصامنا بحبلك المتين . اللهم كفر عنا سيئآت التفريط فيما أوجبت علينا من ذلك بالهداية الى الانابة والاعانة على تلافي ما فرط والقيام بالمستطاع مما فرضت .

مضى زمان فرط فيه الهنديون عند تداخل الانكليز فى شؤونهم فتدابروا ، وحول كل وجهه عن الآخر ، ولم يصغوا لدعوة الله فى طلب الاعتصام بحبله ، فذاقو وبال أمرهم ، وسقطوا جميعاً تحت سلطة الدولة الانكليزية ، وسادت عليهم واتخذت السادات منهم خدما لرجالها وخولا بعد أن كانت تدعى أنها خادمة لهم أمينة في الخدمة ، ولم يهن لها أن تكون سيدة عادلة ، بل تجاوزت فيهم حد العدل ، واستبدت عليهم ظالمة جائرة ، فلما لفحتهم نيران القسوة ، أقبل بعضهم على بعض ونهضوا جميعاً للتملص من اغلال ظالميهم ، من نحو أربع وعشرين سنة الا أن اخوانهم الافغانيين

والبلوجيين والايراتيين كانوا في غفوة عما نهضوا اليه ولم يمدوا لهم يد المساعدة ، بل كان الايرانيون فى حرب مع الانكليز ولكن لم يواصلهم الهنديون ولم يرتبطوا بهم في المعاون على شأنهم كما أنهم لم يرتبطوا فى ذلك مع العثمانيين ، فاهمال جيرانهم ، ورسوخ أقدام العدو بينهم ، كان سبباً في تغلب الظلمة الاغراب عليهم ، ولو عقل المهملون لعاموا أن العدو اذا تمكن فى الهند قويت شوكته ثم كر عليهم ، وأوقع بهم ماوقع باخوانهم .

بعد هذا زحف العدو الغريب على بلوجستان واشتغل معها بالمنازلة ، وفرط الافغانيون والايرانيون في تعضيدهم ، فتم له بذلك أن يسود في جزء عظيم من اراضيهم ، ثم انقلب على الافغانيين وكانت بينه وبينهم حرب هائلة ، امتد زمنها نحو سنتين وما نبض فى الهنديين عرق ، ولا امتد من الايرانيين ساعد ، ولا كانت بينهم وبين العثمانيين وصلة ، ولو كان لجميعهم بصر بالعاقبة لأدركوا ان حياة كل منهم معقودة بحياة الآخرين ، بالغ الخصم في تطاوله حتى اعتدى على الممالك العثمانية بسوق جيوشه الى الاقطار المصرية التى هي أعظم ايالة من ايالات العثمانيين ، بل أهم أقطار المسلمين ، وهو الآن فى محاولة الاستيلاء على تلك البلاد ، والاستبداد بالحكم فيها ، غير مبال بحقوق الدولة العثمانية ، ولا محترم ولايتها الشرعية ، وكان المسلمون لبداية الامر على مثل تفريطهم السابق غير ملتفتين الى ما حل بهذا القطر الاسلامى العثمانى ، ظناً منهم أن العدو يصدق مرة فى وعده أو يخشى عاقبة السوء من طمعه ، فلما رأوه غريقاً فى غيه ، متغلغلا في سيره ، مغروراً بقوته ، ناصباً لحبالته ، اهتزت رواسيهم ، وتحركت ثوابتهم ، وتنبهوا من سناتهم ، وندموا على ما سلف من سابق التفريط ، وأحسوا أن ما أصاب اليوم بعضهم فلا بد أن يعم

يوماً جميعهم ، فصارت المسئلة المصرية سبباً فى احياء الاخوة الدينية ، كما بشرتنا به الرسائل الواردة الينا من فارس والهند وافغانستان ، فلو تمادى الانكليز فى حرصهم ، وحملهم الشره على غمط حقوق العثمانيين ، وثبتت الدولة العثمانية فى المدافعة والمطالبة ، لوجد لها من المسلمين القادرين على نكاية الانكليز من يقوم بنصرها أداء لما أوجب الله عليه

وانا بعد اداء الشكر لاولئك المؤمنين الصادقين ، على ما أظهروا من حميتهم الدينية ، التى أشارت اليها رسائلهم ، نرغب اليهم أن يحافظوا على وحدة العقيدة العامة ، وجامعة الشريعة الحقة ، وان لا يصغوا الى أصوات الغيلان التى تناديهم فى الليالى المظلمة ، بما يحاكى أصوات الانس وانما هي أصوت مردة الشياطين ، يبتغون تفريق الكلمة ، وتشتيت الشمل واخماد الغيرة ، ونسأل الله تعالى ثباتاً للمسلمين على أصول الاتحاد ، وقواعد الالفة ، وأن لا يميل بهم الهوى الى جعل الاختلاف في المسائل الثانوية ، سبباً فى حل الجامعة الاسلامية ، التى قوامها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن لا يجعلوا هذا الخلاف ذريعة العدو الى محق ملتهم ، وافساد ولايتهم ، والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل .

أسف

غالت نائبة الدهر طراز العرب ، وزهرة الأدب ، صفينا أديب أفندى اسحق . قضى نحبه في شرخ الشبوبية ، وعنفوان الفتوة ، وترك لنا قلوباً آسفة ، وشؤوناً فائضة ، انا لله وانا اليه راجعون .

حيله انكليزيه

ذكر كثير من الجرائد الهندية ، وفيها جريدة (أخبار عام) أن عدداً وافراً من الانكليز يدخلون في دين الاسلام ، لهذه الايام ، وكثرت الظنون في هذا العارض الجديد ، مع الاجماع على أن ليس الباعث عليه حسن العقيدة فى هذا الدين ، والاذعان لاحكامه القدسية . وانما القصد منه أن يخدعوا المسلمين بمشاكلتهم ، ليركنوا اليهم ، ويحسنوا الظن بهم ، فيبيحوا لهم بما تكنه صدورهم ، من خواطر الميل الى دعوة محمد احمد السودانى ، وهذا يدل على أن هذه الدعوة أخذت من قلوب الهنديين ، وعظمت منزلتها فيهم ، وتوقع الانكليز شراً من فشوها . وامتداد شهرتها ، بين مسلمى الهند ، وطلبوا للاحتياط هذه الوسائل ، وقال بعض الجرائد أن الخشية من الاذعان لدعوة السودانى قد انضم اليها الرهبة من قرب الروسية لتخوم الهند ، فكان من مجموعهما فزع شديد حمل الانكليز على التودد للمسلمين ، والظهور في مظاهر العدول المنصفين ، بل الاصفياء المخلصين ، حتى أن الاخلاص والعدالة تحمل الكثير منهم على التدين بالدين الاسلامى ليملكوا بذلك قلوب السذج ، ويمحصوا بعض الصدور من الحقد عليهم ، ويتقوا به شراً عاجلا أو آجلا ، ولكن الصيف ضيعت اللبن

كان يمكن لهم ذلك بالاعتدال فى السلطة ، والاخذ بشيء من النصفة ، قبل اقتراب النكبة ، أما الآن وقد أوغرت الصدور غلا ، ووقرت القلوب أحقاداً ، وتحقق عند الكافة من المسلمين ، بل وغيرهم من الهنديين ، أن الانكليز لهم في كل مصلحة مفسدة ، وفي كل حسنة

سيئات ، وفي كل اخلاص دغل ، وفي كل صفاء دخل ، فهم الخادعون الخائنون ، بل هم الكاذبون المنافقون ، هذه صفاتهم لم يبق فيها ريبة عند مسلم فلا تفيدهم الحيلة أدنى فايدة ، ولاتعود عليهم الا بأسوأ عايدة ، ولا ينالون منها الاوقوف المسلمين على غاية سيرهم عند عجزهم ، وازديادهم بصيرة فى أمرهم ، ويقينا بضعفهم ، حيث لم يبق لديهم من الوسائل الا خلع دينهم ، والدخول فى دين المسلمين ارضاء لخواطرهم ، ولسنا في حاجة لتحذير المسلمين منهم . فان لنا يقينا بأنه لا يوجد مسلم في أقطار الهند جميعا الا وهو على علم تام بما يريد به حاكموه من الانكليز . فما هو بمؤمن لهم حتى ولو كانوا صادقين .

وداد الانكليز للمسلمين

يظهر من الرسائل والتلغرافات الواردة من القاهرة أن الانكليز وفقوا لالهاب حرب صليبية بين الحبشة ومسلمى السودان ، والله يعلم ماذا تكون العاقبة اذا طار شررها . وربما لا يوجد مسلم يعتقد بدين محمد الا ويسعى ببذل روحه وماله لاحباط أعمال الانكليز ورد كيدهم خصوصاً مسلمى الهند المغرورين بخديعة حكامهم ، ودعواهم أن دولتهم نصيرة الاسلام ، وحليفة الدولة العثمانية ، فما نقلته الاخبار بتاريخ ١٩ يونيو أن من أحكام الاتفاق الذى عقده الاميرال دنيت مع ملك الحبشة أن تكون مصوع مباحة لارساء المراكب الحبشية من ابتداء شهر سبتمبر فلما أن يكون هذا بنزعها من أيدى المصريين بل العثمانيين بل المسلمين وجعلها بتداً انكليزية يبيحها الانكليز لمن شاءوا ويمنعونها من أرادوا ،

واما ان يكون بتقديمها اقطاعا لملك الحبشة . ومن أحكامه أن يأذن الملك للحامية المصرية أن يقيم حصوناً على حدود مملكته حتى اذا هجم السودانيون عليها باعتبار أنها حصون مصرية تذرع الملك لمواثبتهم بدعوى أنها فى حدود بلاده ، فتشب الحرب ويحمى وطيسها بين مسيحي الحبش ومسلمى السودان ، ولما كان غرض الحكومة البريطانية أن تضم مصر وملحقاتها اليها كما يدل عليه اهتمامها بمد سكة الحديد بين سواكن وبربر ، أخذت على الملك عهداً بقبول ما تحكم به ملكة انكلترا عند عروض مشاكل بينه وبين الحكومة المصرية وان جرى الحكم على العرف ولم تلاحظ فيه الاصول السياسية ، هذه هى الدولة التى بلغ الخافقين صوت دعواها أنها حامية الاسلام والمسلمين ، وظهيرة للعثمانيين ، فليعلم كل مسلم أن من بيتها انقراض هذا الدين وأهله من وجه الارض وان لم يكن ذلك عليها بيسير

التهتك فى الحيله

اشتهرت دولة الانجليز بخلابة الشرقيين ، وأخذهم بالرويغة حتى وضحت سبلها من كثرة ما طرقت ، وانقلب وجه الحيلة فظهر مستورها ، وعادت تشبه الهيات الصبيان ، والاعيب الاطفال ، يدرك سرها الذكى والغبى ، من يوم كان اللورد فرين في القاهرة لكشف حالة مصر وتقرير نظام لحكومتها (كما يزعمون) لوح للحكومة بترك السودان ثم جاء بعده الماجور بارنج والزم الحكومة بالتنازل عن حقها فيه ، لأنه يكلفها نفقات وافرة ليس لها عوض من الفائدة ، فامتثلت الحكومة أمر غالبها وهمت

باخلائه ولم تلابس عملها حتى صدرت أوامر الدولة البريطانية بتعيين الجنرال كوردون للقيام بتخلية السودان ، فتكون المنة على السودانيين في استقلالهم (الموهوم) لدولة بريطانيا ، وتكون الصلة بينهم وبينها خاصة، وما وصل خرطوم الا وأقام محمد احمد أميراً على كوردفان ، وأخذ في ارجاع الولايات السودانية لملوكها الاقدمين أو أبنائهم ، ولم يكن القصد من هذه الزغزغة الا أن يكون السودان بعد تنازل المصريين فراطة لا حق لاحد فيه فيأخذه السابق اليه بدون أن تعترض فيه المشاكل السياسية ليتيسر للانجليز عاجلا أو آجلا أن يستولوا عليه وينزعوه من أيدى أمرائه الصغار ، ويكون فيه بعض العوض عن مصر لو صدتهم مقاومات الدول عنها كما أشرنا الى ذلك في أحد الاعداد . وفى هذه الازمان الاخيرة أخرجت حكومة انكلترا من جرابها العوبة أخرى ، ومثلت من ضيق كوردون في خرطوم سبباً عظيماً لتمهيد طريق يوصل الجيوش لتخليصه ، فأصدرت أوامرها الى أحد المصانع الكبيرة باعداد الآلات ، وتعيين المهندسين والصناع ، ليسيروا الى سواحل البحر الاحمر ويباشروا مد سكة حديد من سواكن الى بربر كما ذكرت ذلك جريدة البال مال كازيت . وتزعم أن لاباعث لها على ذلك الا الرغبة في تخليص كردون . ان كان كردون فى خطر ويحتاج في انقاذه الى ارسال الجيوش فهل يبقى حيا الى أن تمد سكة الحديد وتخرق الجبال والاودية وتسير عليها العربات حاملة للجيوش ، مع أن الاخبار قد أشارت الى وقوعه أسيراً أو هلاكه قتيلا ، اذا فرضنا هلاك كردون (كما هو الغالب) أو خلاصه فهل تهدم دولة انجلترا سكة الحديد ، وتنقض بناءها بعد انفاق النفقات الواسعة عليها ، أو تتبرع بهبتها للحكومة المصرية سخاء

وجوداً ، كلا والله لاهذا ولا ذاك ولكن أخذت أقرب الطريقين للاستيلاء على السودان ، فان مد الطريق الحديدية في تلك الجهة يسهل لها الولاية على السودان الشرقى ، فاذا استقر لها الامر فيه وصلته بالغربى ولم تلاق في ذلك صعوبة ، على أنها في خلال المدة بعد مد السكة تستفيد أعظم فائدة جوهرية من مواصلة البلاد السودانية ، فانها تفتح للتجارة الانكليزية باباً وتغلق بصفته باب المنفعة عن مصر فتاتى بضائع البز ونحوها مما يحتاج اليه السودانيون من انكلترا الى سواكن ، ومن سواكن تذهب الى السودان ، بدون أن تصل الى أيدى المصريين ، وتنقل الاصناف التجارية السودانية من داخل السودان الى بربر ثم تحمل الى سواكن وتصدر الى أوربا ولا يراها مصرى . فاذا تولى الانكليز مصر (لاقدر الله) حرموا الوطنيين من الاشتراك معهم فى تجارة السودان « وهى من أغزر ينابيع ثروتهم التجارية » واذا ألجأتهم الحوادث للجلاء عنها فقد اختصوا بمادة المنفعة التى يمكن أن تأتى من أقطار السودان وبذلك يتقوض كثير من بيوت التجارة في الاقطار المصرية ، ويعدم بخرابها آلاف مؤلفة من النفوس فليس حقيقة الغرض من مد سكة الحديد من سواكن الى بربر الا التوصل الى ينبوع متدفق من ينابيع الثروة المصرية ، وتحويل مجراه عن مصر الى جزائر بريطانيا . وسنأتى على تفاصيل الخسائر التى تلم بأهالى مصر من مد هذه السكة في عدد آخر

هذه احدى خطيئات الانكليز الذين بعد استيلائهم على الهند حظروا على الاهالى في جميع ممالكهم أن يعالجوا زراعة الاصناف التجارية كالنيلة ونحوها واختصت الحكومة الانكليزية بزراعتها وزادوا في المظلمة فحكموا على جميع الحكومات المستقلة التى يتولاها النوابون والرجواب ان

لاتزرع الافيون بحجة أن الحكومة الهندية الانكليزية تزرعه فلا يجوز لغيرها العمل فى زراعته كيلا تقل الفائدة أو لئلا يستفيد شيئاً مما تستفيد . هذه آثار جورها يثبتها خراب البيوت القديمة . وفاقة العائلات الشريفة . فى كل بلد لها فيه أمر ونهى . ولا تزال ترد شرعتها هذه في كل قطر تطاؤه أرجل رجالها قريباً كان أو بعيداً . فعلى البصير أن ينظر وعلى اللبيب أن يحذر .

فرصة يجب أن لاتضيع

نشرت الدعوات وطلبت الدول العظام لعقد مؤتمر فى لوندرا بعد مفاوضات طويلة بين حكومتى فرانسا وانكلترا . ماذا كان المؤتمر وماذا نوت الحكومة الانكليزية بالدعوة اليه . وماذا كانت تقصد الدول من وجود نوابها فيه . وأية غاية كان يطلبها خريت السياسة البرنس بسمارك. انعقد المؤتمر ثم صار عقيما . وبقيت تلك المقاصد مكونة فى صدور أربابها كانت حكومة انكلترا تطمح للاستيلاء على مصر باسم أمير مصرى . وحالت دون مطمحها المصاعب أزماناً حتى سنحت لها الفرصة المشئومة بتشويه وجه الحركة العرابية فتيسر لها بتلك الحركة ارضاء الدول . واستئذان الدولة العثمانية بالتداخل فى توقيفها . فسهل لها دخول مصر على نية أن لاتخرج . وهل يمج الظمآن بارد الزلال من فيه . ظنت أنها ملكت أرض مصر ووجدت عليها ديناً ثقيلا فرغبت تخفيفه لانها ترى ماينفق من خزانة مصر انما ينقص من خزائن انكلترا . ولم تقصد

بتخفيفه رحمة الفلاحين . ولم يبعثها عليه الشفقة على المصريين . وعميت بصيرة من ظن بحكومة انكلترا قصد المرحمة فى هـذا أو فى غيره من الاعمال .

قصدت تعمية الامر على الدول لتنال منهم تصديقاً على أعمالها فيتسع لها المجال فيما بعد . وبدأت باستمالة فرنسا وعقدت معها اتفاقاً يوطن نفوس السياسيين على الرضاء بما تريد ثم أنشأ السير بارنج لائحة للعالية أثبت فيها عجز مصر عن أداء ديونها . الا أن رجال الدول كانوا أحذق من أن ينخدعوا لعلمهم أن وادى النيل أحوج الى العدالة وحسن الادارة من تخفيف الدين . لم يخف على السياسيين أن مصر لو سلمت ادارتها لحاكم نافذ الكلمة قوى العزيمة واسع الخبرة بأحوال البلاد لوسعت قدرتها أداء ما عليها بل وما يزيد عليه . وان كان ينقل على دولة تجارية . قررت في الاتفاق الفرنساوى اطالة مدة حلولها العسكرى الى ثلاث سنوات ونصف ثم تخرج على شرط اتفاق جميع الدول على خروجها فعلقته بما يشبه المحال لتسهل عليها المراوبة ولكن لم يذهب على رجال السياسة في سائر الدول أن بقاء انكلترا في مصر لا يزيدها الا خراباً .

لما انعقد المؤتمر كنف موسيو دبلنيير الفرنساوى ما في لائحة بارنج من الاغلاط فشرعت انكلترا فى تهديد فرنسا بالميل الى المانيا . الا أن السفير الالمانى وهو تلميذ البرنس بسمارك ولا يعمل الا باشارته كان أميل الى فرنسا فان سياسة البرنس مبنية على التفريق بين فرنسا وانكلترا (وقد حصل) فحصل اليأس لحكومة انكلترا من تخفيف النفقة عن الملك التى زعمت أنها ملكته ، فحلت المؤتمر أو لنحل بطبعه . وصطرت

الدول الاوربية في جهة ، وانكلترا وحدها فى جهة أخرى . ولم يكن من رأى الدول أن يقعوا آلة بيد انكلترا تستعملهم فى قضاء أوطارها فطاشت جرائد الانكليز غضباً على المانيا وأخذت تذكرها بأن استيلاءها على الالزاس واللورين انما كان بمساعدة انكلترا المعنوية ؛ وهاجت الجرائد النمساوية والالمانية ؛ وصالت بالطعن والتجريح في السياسة الانكليزية ، واتفقت حكومة المانيا والنمسا على الزام انكلترا بتحديد أجل لدفع الخسائر التى نشأت عن ضرب اسكندرية .

الحكومة الانكليزية في رجفة شديدة ، وخيفة من سوء العاقبة ، الا أنها على عادتها تظهر الاقدام وتنطق بالحماس وتوهم أنها غنية عن العالمين . عمدت الى الاستقلال بتدويخ مصر ؛ وتقرير سلطتها فيها ، واخماد فتنة السودان ؛ وظنت أنها قادرة على كل ذلك ، فجهزت القواد وعينت اللورد نورثبروك أعدى أعداء المسلمين ؛ ومخرب بيوت الشرقيين ليتولى العمل لدولته فى القطر المصرى . ولكن هيهات هيهات ، نترك الآن بيان ما يترتب على انفراد الانكليز عن سائر الدول فى أمر مصر الى عدد آخر ونقدم كشفاً لجوهر حالهم العامة .

أولا أن الانكليز على عادتهم المألوفة اذا قصدوا الاستيلاء على قطر لايصرحون بقصدهم حتى يتمكنوا فيه ، ولايبقى لهم منازع لا فى الداخل ولا فى الخارج ، فلو فرضنا أن المصريين والدول أجمعين اتفقوا الآن وطلبوا من انكلترا أن تعلن بتملكها لمصر لا تنعت الحكومة الانكليزية وأظهرت العفة والقناعة . ولظهر المستر غلادستون في دلوق الزهاد ولصاح رجال الانكليز مع جميع الاحزاب ، نستغفر الله لا نريد سوى اصلاح البلاد وتوفير خيراتها . وتحت هذا الحجاب يتصرفون تصرف

الملاك ، يختصون بالوظائف العالية ، ويديرون حكومة البلاد على رغبتهم، وينقلون ثروتها الى جزيرتهم ، ويمزقونها قطعاً يهبون منها ما لا يهمهم لاعداء البلاد ، ليعينوهم على تذليلها واستعبادها .

وثانياً أن حكومة الانكليز من أضعف الحكومات فى القوة العسكرية البرية ؛ وأحد سلاحها التهديد ، وأكبر قوتها التهويل ، ووضع الامور الصغيرة ، تحت النظارات المعظمة ، لترهب بذلك كل جاهل ، وتخيف كل غبي ، لهذا لا تتمكن بدسائسها فى قطر الا عند سكون أهاليه ، فاذا نبذ الاهالى طاعتها ، وعارضوها في أعمالها ، سترت ضعفها بترك البلاد لاهلها ، فان مقاومة الاهالى أشد بأضعاف مضاعفة من القوى العسكرية المجتمعة فى أماكن مخصوصة تحت قيادة رؤساء معينين ، تنهزم بانهزامهم ؛ وما جرى لحكومة انكلترا مع الافغانيين أعظم شاهد على ما نقول ، دخلت الحكومة الانكليزية أرض الافغان بستين الف عسكرى واستولت على المدن وكاد قدمها يرسخ في البلاد ، فلما قام الاهالى من كل صقع . والتحمت المقاتل في جميع أنحاء أفغانستان؛ عجز الستون الفاً عن الوقوف موقف الدفاع ، واضطرت حكومة انكلترا بعد تسلطها سنتين ، وبعد صرف ثلاثين مليون جنيه استرليني أن تطلب الامير عبد الرحمن خان من مضيف الروسية بعد ما أقام عند الروسيين اثنتى عشرة سنة معززاً مكرماً وان تقدم له أربعة ملايين من الجنيهات لينفقها في ادارة بلاده وتركت له البلاد وولت .

حكومة الانكليز انما تخضع للضرورة وللضرورة أحكام ☆ فعلى قبائل العرب فى مصر ومشائخها أن يتذكروا شهامتهم العربية ، وحميتهم الدينية ، ويقتدوا بالافغانيين ، لينقذوا بلادهم من أيدي أعدائهم الاجانب

الذين لو تمكنوا في البلاد لمحقوهم وأذلوهم ، وليس من الفتنة ان ندعوهم الى طلب الحقوق والدفاع عن الدين والوطن . كما يظن بعض المتطفلين على موائد السياسة ، فانما ننادى على صاحب البيت أن يدافع عن حريمه وماله وشرفه ، وأن يخرج مخالب عدوه من احشائه ، وهى سنة جرى عليها دعاة الحق ، في كل أمة ، وتاريخ أوربا القديم والحديث ، وتواريخ الامم الشرقية أولها وآخرها ، تنطق بصدق ما نقول ، وعلى المصريين عموماً والفلاحين خصوصاً أن يجمعوا أمرهم على أن يمنعوا الحكومة كل ما تطلب منهم وأن يرفعوا أصواتهم بنداء واحد قائلين لا نطيع الا حاكما وطنيا مسلما نافذ الكلمة حازم الرأى قادراً على ادارة البلاد بقوة وطنية ، وليستصرخوا فى ذلك جميع الدول ويبرهنوا على قدرتهم ، ويقيموا الأدلة على أن مصلحة الدائنين ، لا يمكن حفظها الا باجابة طلبهم ، فان فعلوا هذا وجدوا لهم من الدول أنصاراً ؛ بل ومن الجنس الانكليزى نفسه .

على الدولة العثمانية أن تتذكر أنه لولا فرمانها بعصيان عرابى لما سهل للانكليز أن يدخلوا أرض مصر . ولا أصابوا هذه الغنيمة باردة فلتنظر الى قوتها ونفوذها . وتلاحظ أن الحل على من عقد . والعقد على من حل . ولا تنس أن مصر حبكة الممالك العثمانية كما بيناه مراراً . ولا تغفل عن النمسا وشرهها . والروسيا وطمعها . وفرانسا وآمالها . فمن الامور الطبيعية أن المنافسة أو الموازنة تدعو الاقران الى التسابق فى الاطماع . واذا فرط متساهل في أهل ملته فان يجد منهم فيما بعد عوناً . لو تحرك العثمانيون لرأوا عوناً من جميع المسلمين خصوصاً وقد حصلت كدورة بين امارة الافغان وحكومة الانكليز . بل نكرر ماقلنا مزاراً

من أن نفوذ العثمانيين في الهند يمنع الانكليز من الجهر بعداوتهم البتة . فهذه فرصة الاقدام فان ولت الفرصة فربما يصعب التلافي . ولا يبقى الا الندم . حيث لا ينفع الندم . وفق الله الدولة العثمانية الى مافيه خيرها وخير المسلمين . وبصرها بالرشد وكفاها شرور المفسدين .

تنبيه

طلب الينا أحد الاعاظم من ذوي الحل والعقد في المسلمين أن ننشر الجملة الآتية بنصها فهاهي :

﴿ وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين ﴾

﴿ كفروا بعذاب أليم ﴾

ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه ، ملعون من يبيع أهل ملته بحطام يلتذ به . ملعون من يمكن الاجانب من دياره . محروم من شرف الملة الحنيفية من يعظم الصغير . ويصغر العظيم . ويمهد الطرق لخفض كلمته . واعلاء كلمة الاغراب . ملعون من يختلج في صدره أن يلحق عاراً بأمته . ليتمم ناقصاً من لذته . عجباً عجباً . لاحول ولا قوة الا بالله . هل يصحيح أن خمسة ملايين سابقة وخمسة ملايين لاحقة تمكن الاجانب من مصر . وهي مفتاح الحجاز وباب الاقطار الشامية . هيهات هيهات . أيظن مريض القلب أن يترك حتى يأتي هذا المنكر ؟ أيظن أنه يعيش حتى يتمتع بما تكسب يداه . أيتوهم أنه يبقى حياً على وجه الارض وفيها مسلم . لا أظن أن يكون له حظ من العقل . ولو كان في أبراج من الفولاذ

توفيق باشا

يتوكأ الانكليز عن توفيق باشا في حركتهم بمصر. ويتخذونه آلة لتخريب بلاده . وهدم ملكه . وما يكون من شر ينسبونه اليه . وما عساه يوجد من خير يصلون نسبته بهم . ويردونه الى أنفسهم . وفيما بين ذلك يبغضون اليه الولاية الاسلامية . ويحببون اليه اغفال الاصول الدينية . وهو يميل معهم . ويمدهم في مقاصدهم . ويطوع البلاد لهم . بما بقى له من السلطة الصورية كما يتظاهر بالتدين والمحافظة على الصلوات . فان كان باطنه يطابق ظاهره . وكان معتقدا بدين الاسلام . فعليه أن يتنحى عن الامر ويترك الملك لمن يستطيع انقاذه مما هو فيه فتبرأ ذمته من العار الذى يلحقه ويلحق بيت محمد على من تصرفه . فان لم يكن هذا فعليه أن يجهر بعقيدته . ويقاوم الانكليز بما في جهده . ويموت شهيداً في سبيل دينه ووطنه . والا فليس يعفى عنه من الله شيئاً ان يظهر عند أهل خاصته وحاشيته انه ناقم على الانكليز كاره لوجودهم في بلاد مصر ويود لو يخرجون كما أنبأتنا به الاخبار الخصوصية من القطر المصرى

اذا تمادى توفيق باشا في سيره الملتوى فعلى المصريين أن لا يقعوا صيداً في يد الانكليز بهذه الحبالة البالية وهذا الفخ الواهن ، ولينظروا في شؤونهم وما توجبه عليهم فروض دينهم والا فما الله بغافل عنهم

هؤلاء رجال الانكليز وهذه أفكارهم

تأخر صدور الجريدة أياما لضرورة ما مسنا من ضعف فى المزاج مع مصادفة رداءة الهواء فى البلاد الفرنساوية هذه الايام . والحمد لله

على زوال المانع . الا أننا مع ذلك لم نقصر فى أداء الواجب من العمل الذى قمنا به فى المدافعة عن حقوق المسلمين . فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه ونرجو ديان السموات والارض أن نموت فى هذه السبيل وان نبعث في زمرة السالكين فيها .

رأينا أن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة) الى لوندرا اجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لملتنا ، ومن يؤمل فيهم صدق النية ، في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية . وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التى مامرت قدم شرقى الاسقطت منها فيما يعسر الخلاص منه ، وليسبر اغوار المطامع الانكليزية التى لا يدرك منتهاها. تلك المطامع التى بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح والاستملاك لم تزل فى مد لا جزر معه . ولا يزال رجال حكومة بريطانيا في قرم شديد لابتلاع ممالك العالم وكلما أساغوا قطراً طلبوا اليه آخر. وليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الافكار وعضون الاقوال . وليقف على الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين فى التلوين ويتبين كيف يتمكنون من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار السيئات في الوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف . من النضار الخالص . كيلا يغتر الجاهل . ولا يزل العالم .

لاقى (محرر الجريدة) كثيراً من رجال السياسة الانكليزية وانفذ الناس رأياً فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية ، ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية

كجريدة البال مال كازيت ، وجريدة التروث ، التى يحررها النائب الشهير مستر لابوشير وجريدة التيمس وسيذكر شيء مما جرى بينه وبين بعض الأكابر من رجال الحكومة مما يستفيد منه الشرقيون عموماً ، والمصريون خصوصاً ، وستأتى جريدتنا على بعض ما استنبطه من فحوى أقوالهم . وأدركه من مرامى أفكارهم . أما الآن فنأتى على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت بينه وبين اللورد (هرتنكتون) وزير الحربية الانكليزية . ليأخذ كل مصرى منها حظه . ويصيب كل شرقى سهمه . ويقف جميعهم على مواقع الشرقيين من أنظار الحكومة الانكليزية

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية . الا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية وألا يرون حكومتنا خيراً لهم من حكومة الاتراك . وفلان باشا وفلان باشا . فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا أن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون الا قليلا . وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما فى الشعب الانكليزى . فلا يخطر ببال أحد منهم الميل الى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس . ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الامم أن يتصور هذا الميل في المصريين . فقال الوزير هل تنكران الجهالة عامة في أقطار مصر . وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبى والحاكم الوطنى . وان ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون في الامم المهذبة . فاحتد الشيخ حدة تليق بمسلم لايتهاون في أداء مافرضه الدين . وأوجبته حقوق الملية . وقال: أولا أن النفرة من ولاية الاجنبى . ونبذ الطبع لسلطته . مما أودع في فطرة البشر وليس بمحتاج للدرس

والمطالعة . وهو شعور انسانى ظهرت قوته في أشد الامم توحشا كالزولوس الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم فى الدفاع عن أوطانهم ☆ وثانيا أن المسلمين مهما كانوا وعلى أى درجة وجدوا لا يصلون من الجهل الى الدرجة التى يتصورها الوزير فان الاميين منهم. ومن لا يقرأون ولا يكتبون ، لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ، ومن أجلاها وأظهرها عندهم أن لا يدينوا لمخالفيهم فيه وان لهم في الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ فى مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم ويحدث فيهم من الاحساسات الشريفة الانسانية ما لا ينحطون معه عن سائر الامم خصوصا المصريين الذين ينطقون باللسان العربى ويفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم ، وثالثا أن أرض مصر من زمن محمد على قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ما هو موجود فى بلاد أوربا . وأخذ كل مصرى نصيبا منها على قدره . ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون . والاخبار العمومية توصلها اليهم الجرائد العربية . ومن لم يقرأ يستبىء الاخبار من القارئين . فبهذا أضافوا الى الشعور الطبيعى والتقليد الدينى محبة وطنية منشاؤها التهذيب العمومى قوى بها الميلان الاولان . ولا أظنهم يخالفون فى ذلك سائر الامم . اه

أين العلماء الاذكياء أين الجهلة الاغبياء ، أين الاباة الاعلياء . أين السفلة الادنياء. ليرى كل واحد منهم منزلته الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية . كل ذى شكل انسانى وصورة بشرية . يدرك ما وراء هذه الاسئلة . وما تشف عنه هذه الظنون العجيبة هذا المورد هرتكون

وزير الحربية الانكليزية يظن أن الجهل بلغ من المسلمين عموماً ، والمصريين خصوصاً . الى حد سلب عنهم كل احساس انسانى . وانهم فى حضيض من الجهل . لا يميزون فيه بين الغريب والقريب ، ولا بين العدو والحبيب ، هذا دليل على أن الانكليز (الا من أنار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون أن الامم الشرقية ، والامة المصرية . في درجة الحيوانات السائمة . والدواب الراعية ، لا تتألم الا من الجوع . وفواعل الطبيعة المادية. وليس لها من الاحساس الا نوع من الانفعالات البدنية ، ولا تعرف من شؤونها الا مابه تقوم حياتها الحيوانية ، فتألف راكبها ، والعامل عليها . ومستخدمها ، في أى عمل من الاعمال الشاقة، ما دام يقدم لها طعاما وشراباً ، وانها تهش وتبش لرؤية من يقدم لها غذاءها وعشاءها ، وان كان من أشد البلاء عليها ، بما يسومها من مشاق الاعمال ، فاذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها ، الا فاعجبوا ان كانت هذه عقيدة رجال الحكومة الانكليزية فى الامم التى يتسلطون عليها ، فأى معاملة تكون منهم لها ، الا يعاملونهم معاملة العجموات والحيوانات الرتع ، بلى ، وهكذا يعاملون ، وهذا تصرفهم في البلاد الهندية ، يشهد بأفصح لسان على ما يعملون .

فالمصريون الآن بين أمرين أفضلهما أيسرهما ، إما أن يتناكفوا ويتضافروا ويبذلوا أموالهم وأرواحهم في حفظ شرفهم الانسانى،ومكانتهم العربية ، وأداء حق عقيدتهم الدينية ، ويخلصوا أنفسهم من عبودية قوم لا ينظرون اليهم الا كما ينظرون الى البغال والحمير ، وان هموا بذلك وجدوا لهم من اخوانهم المسلمين أنصاراً ينتظرون الآن حركة منهم ، وهذا أشرف الامرين وما هو عليهم بعسير ، وإما أن ينسلخوا عن جميع

الخصائص الانسانية ، ويخلعوا حلية الايمان ، ويتبرأ منهم شرف العرب ، وليحملوا ناف العبودية على أعناقهم ، وليقاسموا الحيوانات في حظوظها ، وليستعدوا لكل ذلة . وليقبلوا كل ضيم ، وهذا أعسر الامرين وأدناهما وما أظن مصرياً يختاره لنفسه ولئن اختاره « معاذ الله » فسيذهب الله بهم ويورث الارض قوماً آخرين ، فان الله غيور على دينه . غيور على العدل . منتقم من الضالين ، وانا لله وانا اليه راجعون .

اللورد نورثبروك

حاكم مصر الجديد

كثيراً ما أتينا في جريدتنا على بيان مسالك الانكليز في تملك الهند وتذليلهم لاهاليه . وذكرنا أن سيرة الحكومة الانكليزية في افتتاح البلاد لاتشابه سير الفاتحين الذين يزحفون بخيلهم ورجلهم على الاقطار . فيقتلون ويقتلون . حتى يتغلبوا على من يريدون . وقلنا أن الانكليز ملكوا نحو ثلث العالم بلاسفك دماء غزيرة . ولا صرف أموال وافرة . وانما ملكوا ماملكوا بسلاح الحيلة . يدخلون فى كل بلد أسوداً ضارية . فى جلود ضان ثاغية . يعرضون أنفسهم فى صورة خدمة صادقين . وأمنة ناصحين . طالبين للراحة . مقومين للنظام . نادينا مراراً بأن الانكليز اذا أرادوا التدخل فى ملك للشرقيين . ورأوا أن القائم به رجل حاذق بصير . وان وجوده فى الملك يبطئ سيرهم الى ما يقصدون . بادروا الى التشويش عليه : فاما أن يفسدوا عليه قلوب رعيته . ويثيروا

عليه احقادها . أو يغروا أحد أعضاء العائلة المالكة بالعصيان وطلب الملك ليجدوا فى ذلك وسيلة للدخول في الامر . أو يتفقوا مع الوزراء على خلع صاحب السلطة . ثم ينصبون بدله إما ضعيفاً أحمق . واما صبيا لم يبلغ الرشد.إما من أبناء الملك أو أقاربه ليتمكنوا من بلوغ مقاصدهم تحت علمه . ويبلغوا غاياتهم باسمه . ويقطعوا المسافة الطويلة في مدة قصيرة . بلا ممانع ولا عائق . مع اصابتهم جزيل الاجر . على ما عملوا في بداية العمل .

هذا كما فعلوا من مدة غير بعيدة مع « راجا برودا » خلعوه بدعوى باطلة.لما أحسوا فيه البصيرة والحزم . وأقاموا بدله ولداً صغيراً من عائلته . ثم انتصبوا له أوصياء . فوضعوا أيديهم على جميع خزائنه . وتولوا ادارة ممالكه . واستلموا قيادة عساكره . ولم يبق له الا الاسم . يذكر ولا يستكر . كل هذا تحت راية العدالة والاصلاح . وحفظ الراحة وتقرير النظام . ولم يساقوا اليه الا بباعث المحبة والاخلاص « ولا يذكر هناك اسم التملك والاستيلاء » . نعم ولهم الحق فى استبقاء اسم . والسكوت عن اخر . فان أمراء الشرقيين لا يبالون بما دلت عليه الاسماء . وانما يهمهم طنطنة الالفاظ وضخامة الالقاب .

إذا سلب الامير الشرقى ملكه وماله ، وجرد من جميع حقوقه وبقى له لقبه ولواحق لقبه ، فهو في سكرة من لذة ما بقى له ، وفي ذهول عما سلب منه ، هذه خلة عرفها الانكليز في كل أمير شرقى ، فلم لا يقرون أعينهم بحفظ هذه الاسماء ، بعد ما جردت عن معانيها . وأى داع يدعو رجال الانكليز لازعاج قلوب الامراء ، بنزع هذه الالقاب ، إن اللقب الضخم حصن حصين ، يسجن فيه الامير الشرقى ، أو جب عميق يلقى

فيه ، وهو يظنه جنة عرضها السموات والارض ، فليعش أمراء المشرق متمتعين بنعيم ألقابهم ، وسعادة أسمائهم ، ويكفيهم من المجد أن يقال لهم بين خدمهم وخاصتهم ، فى داخل دوائرهم « نواب صاحب » « راجا صاحب » « خديوى صاحب » « سلطان صاحب » . « واخجلتاه » هذه الالقاب كانت تشير إلى ملك فسيح ، ومجد شامخ ، وشوكة قوية ، وسطوة تخضع لها الشم العوالى ، فكيف طابت نفوس أمراء المشرق بقبولها عارية من كل شرف ، لم يبق من معناها الا سلطة على الخدم والحشم ، وما هم فيها بأحرار ، بل لابد أن يوافقوا فيها رضاء الاجانب .

من أدق رجال الحكومة الانكليزية فى فن الحيلة ، وأمهرهم فى صناعة الخدعة ، وأطولهم باعا في النفاق ، واخذقهم في اختراع الوسائل لسلب الاملاك من أربابها ، وأشهرهم فى عداوة المسلمين ، ذلك اللورد المحتوم (نور ثبروك) ؛ كان هذا الرجل البارع حاكما فى الهند ، فاذاق أهاليه مر العذاب ، في كؤوس المحبة والوداد ، كم خرب بيوتاً ، وقلب عروشاً ، وكم خفض رفيعاً ، وأذل عزيزاً ، وهو في جميع سيئاته يبكى بكاء السفقة ، ويسكب دموع المرحمة على الهنديين ، ويقول إننى أول انكليزى تهمه رفاهة أهل الهند ، وأننى وحيد بين الانكليز بمحبة الهنود ، والسعى فيما يعود عليهم بالصلاح والنجاح ، وأننى استغفر الله إن كنت قصرت في عمل يؤمن بهم الى الفلاح ، وينادى فى الهنديين بقوله واسفاه إنكم إلى اليوم ما عرفتمونى ، ولا احطتم بما حواه ضميرى ، من إرادة الخير لكم ، هذا هو الكاهن الحاذق في وعظه « ودونه فى النفاق عبدالله بن أبى سلول رأس المنافقين في الاسلام » . . .

إن الحكومة الانكليزية عرفت قدره فى براعته ، ومعرفته بوجوه

المكر ؛ وخبرته باحوال الامراء الشركسيين ، وسعة علمه بكيفيات التصرف فى عقولهم واهوائهم ، وطرق أخذهم من حيث لايشعرون ، واعترفت له حكومته بصدق الطوية في معاداة المسلمين ، لاجل هـذا قررت أن تبعثه على مصر ، وعزمت على إرساله إليها مفوضاً من قبلها يفعل ما يشاء ولكن لانظن حبالته الخداعية تصرع فطانة المصريين وتأخذ عقولهم فان تسنى له نجاح ؛ ورضى المصريون على أنفسهم عار الذل ، ووصمة الضيم ، فلا يكون إلا باستعمال توفيق باشا آلة في جميع أعماله ، يستخدمه لادخال مصر فى ملك الحكومة الانكليزية . يلقنه الاوامر السامية . ويلهمه الارادات السنية . لتذليل أهل بلاده وسوق المصريين لقتل إخوانهم وفتح البلاد الثائرة وإقرار السلطة فيها للحكومة الانكليزية . فان تم له ما يريد من تسكين الفتن وتقريب المصريين للرضاء بحكومة تنفر منها طباعهم عمد إلى خلع توفيق باشا باية علة وطلب تولية إبنه عباس لكونه ولداً صغيراً لم يبلغ الحلم واستند فى ذلك إلى الفرمانات السلطانية « يحترمونها إذا وافقت أغراضهم » وجعل نوبار باشا ديواناً له « الديوان وزير يعينه الانكليز من طرفهم في الممالك التى تبقى فى الهند تحت أسماء الامراء الذين لايعرف فيهم الرشد ولا يجوز عزله إلا بأمر من الحكومة الانكليزية » نوبار باشا لايقصر في هذا العمل ولا يألو جهداً فى ابلاغه الى نهايته ، نوبار باشا رجل لاهو مسلم فيغار على دينه ولاهو مصرى فيحتمى على وطنه ولا هو عربى فتأخذه النغرة على جنسه وبهذا الطريق ينال سلطة في القطر المصرى مدة لاتنقص عن الباقى من عمره ؛ ويكون فى أمان من العزل ؛ تحت ظل الحكومة الانكليزية

هذه مقاصده التى بلغتنا من مصدر يوثق به ولا نظنه ينجح فيها

فان صلاح الامر فى مصر لايقوم به إلا من هو أعرف بحال المصريين وأقرب إليهم من « نور ثبروك » هذا اللورد يسلك في سيره على ماجرى عليه فى الهند ، إنا نذكر طرفاً من أعماله عبرة للمعتبرين ، (ان جيرت ستك » كان راجا على ممالك (جنبه) الواقعة فى جنب (عنبرسر) من طرف (همالیا) فلما مات هذا الملك تولى إبنه (سرسينك) وهو ولده من الملكة ثم مات وتولى شقيقه (سوجت سنك) على طبق قانون الوثنيين فلما ذهب اللورد (نور ثبروك) حاكما فى الهند قصد إلى تنفيذ حكمه في تلك المملكة واستملاك أراضيها حسب المألوف بين أمثاله من رجال حكومته ، فطلب من « سوجت سنك » أن يتنازل عن الملك لاخيه « قوبال سنك » وكان وليدا من جارية ولا يجوز في قوانين الوثنيين أن يتولى الملك أبناء الاماء ما دام من أبناء الاحرار حى ، فلما تمنع « سوجت سنك » من التنازل اعتماداً على قانون بلاده ، أنزل بحكم اللورد جبراً بعد ما ضربت زوجته التى كانت ملكة تلك البلاد « لكونها زوجة الملك » ونهب جميع ما كان في بيت الملك من الخزائن والتحف والجواهر الثمينة والمخلفات القديمة « أنتيكات » التى كان يتوارثها الملوك من اجيال طويلة « فان عائلة الملك كانت من قدماء العائلات الملوكية » ثم نصب بدله « كوبال سنك » وبعد مدة قصيرة عزل « كوبال سنك » ونصب ولده الصغير « سيام سنك » ليكون الامر والنهى حساً ومعنى بيد أمرآء الانكليز ، وتحت تصرف الديوان الذى أقاموه من طرفهم هذا نموذج لما يطول عده من أعمال اللورد نور ثبروك في الهند

ثم أن « سوجت سنك » المخلوع ظن أن نورثبروك وحده هو الظالم ، وأنه لو رفع أمره للحكومة العليا فى لوندرا يجد لديها عدلا

ويصادف منها انصافاً فجاء من مدة ست سنوات وعرض حاله على الحكومة العادلة فاذا القلوب متشابهة . والنفوس متوافقة . والآراء متألبة على سلب الحقوق ، والغلو فى العدوان . وفى خلال هذه المدة انفق كل ما كان عنده في المطالبة بحقه ، والمرافعة مع ظالمه ، حتى أصبح صفر اليدين ، لايملك قوت يومه . ولا يجد لهمنصفاً ، هذا الملك السيء الحظ مع ما كان له من رفعة الشأن ، وارتفاع نسبه في الملك إلى أجداده الاقدمين ، من نحو الف سنة نراه الآن يتضور من الجوع في بلاد أوربا رث الثياب حقيراً ذليلا ، هذا الذى احترمه االورد نور ثبروك ، هذا هو اللورد نور ثبروك الذى تريد حكومة انكلترا أن ترمى بهمصر وهذا هو الاصلاح الذى يقصد اجرآءه فيها ، لكن رجاءنا فى المسلمين وأملنا في المصريين ، وقوة إيماننا بوعود الله . وصدق النبأ عما تكنه الحوادث المصرية ، وتألب الدول على معاكسة الحكومة الانكليزية ، واضطرار الدولة العثمانية للدفاع عن مصر ، كل هذا يبشرنا بخيبة هذا الغادر فى قصده ، والله لايهدى كيد الخائنين

نكته

عند ما كان الشيخ محمد عبده يحادث أرباب السياسة في لوندرا كان أغلبهم يقول له كثيرا ما سمعنا من الاجانب الذين ينتمون الى البلاد المصرية أخباراً متعلقة بها . لكنا لا نحلها محل الاعتبار ، لما نعلم من بعدهم عن الشعب المصرى الحقيقى ، أما أنت فلكونك عريقاً فى المصرية.

وعالماً من علماء المسلمين ؛ فنحب أن تبين أفكارك . وما تعلمه من أحوال الاهالى المصريين . وشؤون أمرائهم واستعداداتهم ، وما يليقون له : وما يليق بهم . فانا نرى ذلك منك حاكيا عن حقيقة الامر فيهم . وكاشفا عن أفكار أهالى مصر عموما . وقد أشار الى هذا المعنى جريدة البال مال كازيت الصادر بتاريخ ٧ أوغسطس ١٨٨٣

معارضة الانكليز

تنبهت أفكار الدول الاوروبية في هذه الايام ، الى ما يمسها من ايغال الانكليز في طمعهم ، وان ظفرهم فى أعمالهم المشرقية لما يخمد أنفاس أوربا ، ويسد عليها أبواب التجارة ، ولو نجح الانكليز فى سيرهم الى ما يطمحون اليه ، لم يبق موضع قدم للتجارة الاوربية ، فيضرب الفقر في غالب أقطار أوربا التى قوام معيشتها التجارة ، وأن الدول لتعجز بعد هذا عن حاجاتها . هذا فزع ألمت بدايته بنفوس الدول من صيحة الطبيعة ، وزاد عليه ما خدش خواطرها من الاهانات المتتابعة اللاحقة بها من غرور الانكليز . دولة انكلترا هي التى تركت الدول تأمر فى الاستانة ، واستبدت باطلاق النيران على مدينة اسكندرية ، هذه الدولة هي التى دعت الدول العظام الى مؤتمر للمداولة في مسئلة مصر ، معترفة بحقوقهن فيها ، فلما لم يجبنها الى مطلبها الباطل ، صرفت نوابهن ، وانطلقت فى أعمالها غير مبالية بهن ، وعزمت على ارسال اللورد نورثبروك ، والجنرال ونسلى ، فى آن واحد الى مصر

هذا كله حرك خواطر الدول ، وصار من أعظم البواعث على اجتماع الامبراطرة الثلاث في شهر سبتمبر كما أنبأت الجرائد ، وأكدت أن موضوع المداولة بينهم هذه المسئلة المهمة : لهذه المسئلة كانت مدينة وارزين دار ندوة سياسية ، وبها وجد البرنس بسمارك مجالا واسعا للسياسة ، تلاقى الكونت كالنوكى مع البرنس بسمارك ، وطالت مدة الاجتماع ولحق بهما موسيودى جيرس وزير دولة الروسية ، وكان البحث فيما ألم بالدول بعد مؤتمر لوندرا . ثم عقب ذلك سفر موسيو كورسيل سفير فرانسا فى برلين الى وارزين لملاقاة بسمارك « وان أولت بعض الجرائد الانكليزية حركة هذا السفير بمقصد آخر » . فهذه الزيارات المتتالية بين هؤلاء الوزراء العظام . بعد خيبة المؤتمر تفتح للمتأمل باباً واسعاً من الفكر . وتشف عن أمور عظيمة سيكشفها الزمان عن قريب . هذا الى الامر الجديد الذى صدر من دولة المانيا وهو تعيين وزير فى سفارة مبجلة لدى شاه فارس . وفى أعضاء سفارته بروكش باشا المشهور بعلم الخط المصرى القديم . وهي أول مرة كان لهذه الدولة سفير عند الشاه . ثم ذهاب ميرزاخان سفيراً خصوصياً من الدولة الفارسية الى الدولة الروسية . ونيله غاية التبجيل والتكريم

كل هذا ينبئنا أن في كمين الغيب مصيبة كبرى ستنقض على دولة الانكليز . ان الاحقاد قد أخذت بقلوب الامم الاوروبية وامتلأت الافئدة غيظا حتى طفحت . ولهذا لا ترى جريدة المانية أو نمساوية أو فرنساوية أو روسية الا وهي مشحونة بالصعن والتنديد . والوعيد والتهديد ، والانذار بسوء عاقبة حكومة الانكليز . ليس ببعيد على عدل الله أن ينكس أعلام العاتين . الذين يعثون في الارض مفسدين

ويسلبون ممالك العالم غيلة . ويهضمون حقوق الامم بغياً وعدواناً ، ويسيمونها عذاب الرق والعبودية عتواً واستكباراً . أظلم جو السياسة على سابلة الانكليز ، وزأرت عليهم ضارية الويل من كل جانب . ولهم في هذه الاهوال حركة الخابط . إماسترا لضعفهم . أو غروراً ببأسهم ، ويتعلقون بحبال الوسائل لامتلاك مصر والسودان . اللورد نورثبروك وسميع الله خان الدهرى يذهبان الى مصر لتأليف القلوب . وجمع الخواطر على ولاء الحكومة الانكليزية . وان ولسلى بعد ما نال من حسن الصيت بصرف الدنانير في التل الكبير . عزم على أن يفتح فتحاً آخر بمثل تلك الوسيلة . ولكنا لا نظن فى السودان مثل شهيد الخيانة وأبى سلطان باشا اضرابه. هذا ومن جهة أخرى يسعون لاجبار الحكومة المصرية على اعلان الافلاس واشهار العجز عن القيام بنفقات الحكومة . ليجدوا فى ذلك وسيلة لتقرير حمايتهم على القطر المصرى . وتخفيض فائدة الدين والاستبداد بشؤون المملكة . انهم فى الحرب المصرية نالوا من الدولة العثمانية فرمانا سلطانيا بعصيان عرابى . فحقنوا به دماء رجالهم . وصانوا كثيراً من أموالهم . واليوم يسعى اللورد دوفرين بمواعيده العرقوبية ، وايمانه الكاذبة عند الباب العالى ليحمله على ارسال عشر مدرعات الى اسكندرية . وسوق جيش الى سواحل البحر الاحمر ليكون هذا بدل الفرمان بعصيان محمد احمد . ويفوز الانكليز بالتسلط على مصر والسودان . ويحلفون وهم الكاذبون، إنهم لا يمسون حقوق السلطان « هل أبقوا حقوقا تمس » حتى إذا ثبتت أقدامهم تحت ظل العلم العثمانى . قلبوا للعثمانيين ظهر المجن وأجابوهم بهز الرؤس وكثرة الانياب . ولا نظن أن الدولة العثمانية تغتر بوعود الانكليز مرة ثانية، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وقد

جربت منهم حلاوة الوعد ، وذاقت في أخلافه مضاضات الاهانة ، ومرارات التحقير ،

نعم هذا وقت يتسنى فيه للدولة العثمانية أن تتفق مع سائر الدول لصون مصالحها ، ولا يخطرن ببال عثماني أنه ينال خيراً بالاتفاق مع الانكليز ، إن حكومة بريطانيا ماعاهدت عهداً إلا ونقضته ، بعد ما جنت ثمرته ، فربحها في العهود خاص بها ، لايشركها فيه غيرها . لم يخف على الدولة العثمانية أن الانكليز تصرفوا في الاراضي المصرية تصرف المالكين بلا مشورتها . وهبوا قسما عظيما من السودان الشرقي للحبشة وأثاروا حرباً صليبية بين الحبشيين ومسلمي السودان . تزعوا إلى الاستيلاء على زيلع وهرر وبربرة ، هل كان شيء من هذا باذن الباب العالي ، فعلى أي وجه تثق الدولة العثمانية بانكلترا ، بعدما جربت من غدرها ما جربت ورأت من عدوانها ما رأت . لو تساهلت الدولة مع الانكليز في مسئلة مصر فسنسمع عن قريب بأمور في الحجاز وسوريا واليمن وبغداد وغيرها من دسائس الانكليز . أما لو اقدم العثمانيون بعزيمة ثابتة واقبلوا على شأنهم في مصر ، مع هيجان الافغانيين وانفراد انكلترا عن سائر الدول ، لوجدوا لهم انصاراً من جميع المسلمين في الشرق ، ومن المصريين والسودانيين ، ولارغموا الانكليز ، واسترجعوا ما فقدوه من المكانة أيام حرب الروسية ، ولاعادوا عزتهم الاولى هكذا ينبغي أن يساق الجيش العثماني لصدمة الانكليز لا لخدمتهم فان لم تفعل الدولة العثمانية ، فعلى الدنيا العفا وعلى الاسلام السلام .

وليعلم المصريون من الفلاحين والعرب أن الانكليز لايقصدون إلا استعبادهم واستخدامهم كما يستخدم الارقاء وأول نير للذل يوضع على

أعناق أمرائهم ، فعليهم ألا يكونوا آلة فى تمكين العدو من رقابهم ، وأن لايكون بعضهم فخا لصيد باقيهم ، لعمر الله انا لفى عجب من الذين يحفظون القلاع فى السودان ، ومن المصريين الذين يزحفون لمقاتلة السودانيين ، هل يعلمون اى أمة يخدمون ، بلى ان حامية كسالا حافظت عليها حتى تسلمها للحبشة ، وأن حماة القلاع فى السودان يحفظونها حتى يسلموها لقواد الانكليز ان استطاعوا ، نعم كنا نحب أن نرى هذه الشهامة من العساكر المصرية ، لكن إذا لم يكونوا في تصرف دولة أجنبية أما اليوم فشباتهم هو العار بعينه ، والله لا أظن شخصاً في قلبه ذرة من الايمان تسمح له نفسه بهذا العمل . فان لم يسعوا فى اخراج عدوهم من ديارهم ؛ والظن بهم أن يسعوا فلا أقل أن يكفوا عن مساعدته في تملكهم ألا يعلم المصريون أن حركة خفيفة منهم في معارضة الانكليز فى هذا الوقت تجلب مداخلة الدول وتكون سبباً لانقاذهم من هذا العدو الذى لايكتفى بأكل لحومهم حتى يهشم من عظامهم فليعلموا ذلك وليعملوا والله لايضيع أجر العاملين .

الدهريون في الهند

دخل الانكليز بلاد الهند ولعبوا بعقول أمرائها وملوكها على نحو يضحك العقلاء ويبكيهم ، وكانوا يوغلون في احشاء الهند ويتخطفون أراضيه قطعة بعد قطعة . وكلما سادوا في أرض أدلوا على سكانها وأظهروا الضجر والسآمة من الاقامة فيهم قائلين أن الانكليز لا يشتغلون الا

بالاعمال التجارية ، أما مقارفة الادارة والسياسة فليست من شؤونهم وانما يدعوهم الى احتمال أثقالها الشفقة على الملوك والامراء العاجزين عن سياسة ممالكهم ، ومتى قدر الامير أو الملك على ضبط بلاده فلا يبقى انكليزى فيها لان لهم أشغالا مهمة أخرى تركوها لمحض المرحمة ، سلب رجال الانكليز كل مالك ملكه بحجة أن العمل في الملك ثقيل على النفس متعب للفكر والبدن فالاولى لصاحب الملك أن يستريح وأن يموت فقيراً ذليلا تخلصاً من عناء التدبير وينادون بأنه متى سنحت الفرصة وجاء الوقت الذى لا يكون للاعمال المعاشية ولا المعادية تأثير على الابدان ولا على الافكار فانهم مستعدون لترك البلاد (يوم المحشر). اليوم يقولون هذا الكلام بعينه في مصر .

لما استقرت أقدامهم في الهند والقوا به عصاهم ومحيت آثار السلطنة التيمورية نظروا الى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين كل واحد منهم مجروح الفوآد بزوال ملكهم العظيم وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالا وجنوبا ، وأحسوا أن المسلمين ما داموا على دينهم . وما دام القرآن يتلى بينهم ، فمحال أن يخلصوا في الخضوع لسلطة أجنبي عنهم ، خصوصا ان كان ذلك الاجنبي خطف الملك منهم بالخديعة والمكر تحت ستار المحبة والصداقة . فطفقوا يتشبثون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الاسلامى، وحملوا القسس والرؤساء الروحانين على كتب الكتب ونشر الرسائل محشوة بالطعن في الديانة الاسلامية ، مفعمة بالشتم والسباب لصاحب الشريعة (برأه الله مما قالوا) فأتوا من هذا العمل الشنيع ، ما تنفر منه الطباع ، ولا يمكن معه لذى غيرة أن يقيم على أرض تنشر فيها تلك الكتب ، وإن يسكن تحت

سماء تشرق شمسها على مرتكبي ذلك الافك العظيم ، وما قصدهم بذلك الا توهين عقائد المسلمين ، وحملهم على التدين بمذهب الانكليز ، هذا من جهة . ومن جهة أخذوا في تضييق سبل المعيشة على المسلمين ، وتشديد الوطأة عليهم ، والاضرار بهم ، من كل وجه ، فضربوا على أيديهم في الاعمال العامة ، وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس ، ونفوا علماءهم وعظماءهم الى جزائر « اندومان » و « فلفلان » رجاء أن تفيدهم هذه الوسيلة ان لم تفدهم الاولى فى رد المسلمين عن دينهم ، باسقاطهم فى أغوار الجهل بعقائدهم ، حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم ، فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين فى الوسيلة الاولى ، وطال عليهم الامد في الاستفادة من الثانية . نزعوا الى تدبير آخر فى ازالة الدين الاسلامى من أرض الهند . أو اضعافه . لانهم لا يخافون الا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب ، والحق المسلوب . فاتفق أن رجلا اسمه احمد خان بهادور « لقب تعظيم في الهند » كان يحوم حول الانكليز لينال فائدة من لديهم ، فعرض نفسه عليهم وخطا بعض خطوات لخلع دينه والتدين بالمذهب الانكليزى ، وبدأ سيره بكتابة كتاب يثبت فيه أن التوراة والانجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم ، ثم راجع نفسه فرأى أن الانكليز لن يرضوا عنه حتى يقول انى نصرانى وأن هذا العمل الحقير لايؤتى عليه أجراً جزيلا ، خصوصاً وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة وما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصاً معدودة فأخذ طريقاً آخر فى خدمة حكامه الانكليز بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم

فظهر بمظهر الطبيعيين « الدهريين » ونادى بأن لاوجود إلا للطبيعة العمياء وليس لهذا الكون آله حكيم « إن هذا إلا الضلال المبين» وان جميع الانبياء كانوا طبيعيين لايعتقدون بالآله الذى جاءت به الشرائع «نعوذ بالله » ولقب نفسه بالنيجرى « الطبيعى » وأخذ يغرى أبناء الاغنياء من الشبان الطائشين فمال إليه أشخاص منهم تملصا من قيود الشرع الشريف ؛ وسعياً خلف الشهوات البهيمية ، فراق لحكام الانكليز مشربه ورأوا فيه خير وسيلة لافساد قلوب المسلمين ؛ فاخذوا فى تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في « علي كده »وسموها مدرسة المحمديين ، لتكون فخاً يصيدون به ابناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل « احمد خان بهادور » . كتب احمد خان تفسيراً على القرآن فحرف الكلم عن مواضعه ، وبدل ما أنزل الله . وانشأ جريدة باسم تهذيب الاخلاق لاينشر فيها إلا ما يضلل عقول المسلمين ، ويوقع الشقاق بينهم ، ويلقى العداوة بين مسلمى الهند وغيرهم ، خصوصاً بينهم وبين العثمانيين ، وجهر بالدعوة لخلع الاديان كافة «لكن لايدعو إلا المسلمين » ونادى الطبيعة الطبيعة ليوسوس للناس بأن أوربا ما تقدمت في المدنية ، وما ارتقت في العلم والصنعة ، وما فاقت في القوة والاقتدار إلا برفض الاديان ، والرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين « على زعمه » وهو بيان مسالك الطبيعة « قد افترى على الله كذباً » ، ولما كنا في الهند احسسنا من بعض ضعفاء العقول اغتراراً بترهات هذا الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة فى بيان مذهبهم الفاسد وما ينشأ عنه من الفاسد وأثبتنا ان الدين أساس المدنية وقوام العمران وطبعت رسالتنا في اللغتين الهندية والفارسية . احمد خان ومن تبعه خلعوا لباس الدين وجهروا

بالدعوة إلى خلعه ابتغاء الفتنة بالمسلمين وطلباً لتفريق كلمتهم وزادوا على زيغهم أنهم يزرعون الشقاق بين أهل الهند وسائر المسلمين ، وكتبوا عدة كتب فى معارضة الخلافة الاسلامية ، هؤلاء الدهريون ليسوا كالدهريين فى أوربا فان من ترك الدين في البلاد الغربية تبقى عنده محبة أوطانه ولا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الاجانب ، ويبذل في ترقيتها والمدافعة عنها نفائس أمواله ، ويفدى مصلحتها بروحه . أما احمد خان وأصحابه فانهم كما يدعون الناس لنبذ الدين يهونون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكم الاجنبي فيها ويجهدون في محو آثار الغيرة الدينية والجنسية وينقبون على المصالح الوطنية التى ربما غفل الانكليز عن سلبها لينبهوا الحكومة عليها فلا تدعها . يفعلون هذا لا لاجر جزيل ، ولا شرف رفيع ، ولكن لعيش دنيء ونفع زهيد . (هكذا يمتاز دهرى الشرق عن دهرى الغرب بالخسة والدناءة بعد الكفر والزندقة)

أحسن الانكليز الى احمد خان بتوظيف ولده مولوى محمود عضواً في مجلس قرية من قرى الهند لاتزيد عن (شبراخيت) في مديرية البحيرة ، ومن حبائله لصيد الضعفاء من المسلمين أنه يعدهم ويمنيهم بانهم لو تبعوه لادخلهم فى وظائف الحكومة بما له من الجاه عند جائرة الانكليز ، حكومة الانكليز لم توظف من أصحابه إلا أربعة أعضاء فى مجالس القرى ولا يوجد وطنى هندى فى مثل هذه الوظائف سواهم . هذا هو المجد الذى ناله احمد خان ثمناً لدينه ووطنه ، فهو كما قال صديق نواب حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف المشهورة ان (احمد خان) دجال آخر الزمان . نعم ساعده حكام الانكليز على استخدام

بعض من يقدمهم لكن لافى الحكومة الانكليزية الهندية ولا على الخزينة الانكليزية وإنما يلزم الحاكم أحد النوابين الباقين على صورة استقلالهم أن يوظفوهم في بعض الوظائف الدانية .

راق هذا المشرب فى أعين الحكام الانكليز وابتهجوا به وظنوه موصلا إلى غايتهم من محو الدين الاسلامى من البلاد الهندية ، هؤلاء الدهريون صاروا جيشاً للحكومة الانكليزية في الهند يسلون سيوفهم لقطع رقاب المسلمين لكن مع البكاء عليهم والصياح بهم ، إنا لانقتلكم الا شفقة عليكم ورحمة بكم وطلباً لاصلاحكم ورفاهة عيشكم ورأى الانكليز أن هذه أقرب الوسائل لنيل المقصود من ضعف الاسلام والمسلمين .

كان التلميذ الارشد لاحمد خان والوزير الاول والمدبر له فى جميع شؤونه رجلا إسمه سميع الله خان

سميع الله خان هو اعظم الدهريين دهاء . وأشدهم اجتهاداً فى تضليل المسلمين ، وأدقهم حيلة وأقواهم مكراً في ايجاد الوسائل لتفريق شمل المؤمنين ، وتمكين الحكومة الانكليزية فى أرض الهند ، يقوم هذا الخادع خطيباً فى محافل المسلمين فتسبق دموعه كلامه ، ويأتى بغاية ما عنده من الفصاحة لهدم أركان الديانة الاسلامية ، وابطال عقائدها الاصلية ، ويتجرأ على حضرة الالوهية ، ويطعن في الرسالة وصاحبها ، كل ذلك وهو ينتحب كأنما يرثى الدين وأهله .

اذا دخل فى بلد من البلدان لاداء هذه الخدمة واظب أياماً على دخول المساجد ، وحضور المحافل الدينية ، واستدرج الناس بعذب الكلام ، ولطف الوعد ، وجذبهم اليه من حيث لا يشعرون ، فاذا

اجتمع عليه بعض من الناس اغتراراً بطلاوة ظاهره بدأ فى دعوتهم الى مشربه الـكدر « خلع الدين »

• هذا العدو المبين للاسلام والمسلمين قد نال بمساعيه هذه وظيفة قاض « فى الشريعة الانكليزية » في بلدة « أكره » وهي بلدة لا تزيد عن دسوق فى مديرية الغربية ، قالت جريدة التيمس بعد ما مدحت سميع الله خان بكل مايمكن أن يمدح به أن هذه الوظيفة (قاض في بلد صغير) هي أعلى وظيفة يناالها هندى وطنى « أيحتاج لاثبات العدالة الانكليزية الى شاهد أكبر من هذا » .

نور ثبروك اللورد الانكليزى الذى أشرنا الى طرف من تاريخه فى الهند في العدد الماضى ، عرف سميع الله خان حق المعرفة عنـد ما كان حكمداراً في الهند ووقف على أنه أصدق الناس فى خدمة الانكليز وأقدرهم على أدائها . ولهذا طلبه ذلك اللورد ليكون كاتب سره في مصر ليستعمله فى تنفير المصريين من الدولة العثمانية ، وفي اقناع المصريين بأن حكومة انكلترا تريد بهم خيراً ، ويستخدمه في استمالة قلوب العلماء لانه واحد منهم « على دعواه » وقد يكون من نيته أن يدخل الجوامع ويعظ ويخطب ويروى عن عدل الانكليز ما لا صحة له وما تكذبه المشاهدة ، ولكن رجاؤنا فى نباهة المصريين وصدق عقائدهم الدينية وشدة ارتباطهم بالدولة العثمانية أن لا ينخدعوا لهذا الراكس الهندى (الراكس بلسان السنسكريت الشيطان المريد) لا نجح الله له مقصدا ولا أناله مبتغى

جريدة الاهرام

اشتد عليها غضب نوبار باشا فأصدر أمره بتعطيلها شهراً وقفل مطبعتها . قيل في السبب أنه نشر رسائل مدير الجريدة وهوفي لوندرا على ما فيها من بيان بعض مساوى السياسة الانكليزية على خلاف رغبة سعادة الباشا . وقيل ان السبب نشر التشكر الذى قدم الى المدير والمحرر من أعيان البلاد دلالة على استحسان مشرب الجريدة (استقباح سياسة الانكليز) ولكن كتب الينا من مصدر خاص أن هذه المسائل العمومية لا تهم نوبار باشا الا اذا مست مصلحته الخاصة ، فالسبب الحقيقى هو أن المنهج المستقيم الذى سلكته الاهرام دعا الى ذكر بعض الرجال الوطنيين مثل رياض باشا وشريف باشا مع وصفهما بالوطنية وعلو الهمة وكمال الغيرة . نوبار باشا ساع الى أمر مهم وهو ما ذكرناه في العدد السابق ونشرته بعدنا جريدة الديبا وسائر الجرائد الانكليزية . أن يكون ولى القاصر (عباس) بعد خلع أبيه فينال بسطة في السلطة واطلاقاً فى الامر والنهى وعلم أن هذا وقت الفرصة لحرص الحكومة الانكليزية على تملك مصر وهى محتاجة في ذلك الى كل من ليس له وطن ولا دين ولا جنس في مصر فهى في شدة الاحتياج لنوبار باشا . وتوفيق باشا قبة جوفاء لا يرجع منها الا صدى الاصوات ان قلت لا فلا أو قلت نعم فنعم فهو في غضبه ورضاه تابع لما يلقى اليه فعلم نوبار باشا أن خديوياً مثل هذا يمكن أن يكون واسطة في تمكين الانكليز من مصر من حيث لا يشعر

وبتقديم هذه الخدمة لهم يبنى لنفسه من العزة قصراً شاهقاً .

فكيف يطيب لنوبارباشا مع هذا السعى أن يسمع ذكر رياض باشا وشريف باشا مع وصفى الوطنية وعلو الهمة . يخاف أن الاكثار من ذكر هؤلاء الرجال ربما يحرك الخواطر الوطنية فيندفع منها سيل يهدم كل ما يبنيه . ان صاحب الاهرام أكثر من ذكر الوطن والوطنيين ونوباباشا أبعد الناس عنهما لهذا أغضبه ذكرهما . كلما ذكر لفظ الوطن أو الملة أو الجنس أو الامة سواء كان فى مقال عام أو فى جانب شخص خاص حسب نوبار باشا أن فى الكلام تهكما به واستهزاء . ولا عجب من نوبار باشا ان ظن ما ظن أو فعل ما فعل فالرجل ليس بمصرى ولا عربى ولا مسلم فاذا باع مصر بأبخس الاثمان فهو الرابح لاخسر ملة ولا وطنا ولا جنسا

قيل ان نوبار باشا يطلب ابعاد الزبير باشا من مصر فان نال مطلبه لم يبعد أن يطلب لشريف باشا ورياض باشا وكل ذى شهامة أو فكر في مصر مثل ما طلب للزبير وتكون الحكومة النوبرية حكومة هندية وهل يبعد مثل هذا على من يسعى لخلع الخديو . ان الذى يؤيد ما روى لنا فى سبب قفل الاهرام هو أن نوبار باشا ما تحرك لحجز العروة الوثقى عن دخول مصر الا عند ماذكر فيها رياض باشا مع ذكر بعض أوصافه والا فان كان السبب ذكر الاسلام والمسلمين فيها فذلك ينذرنا بقفل الازهر بأمر نوبار باشا .

انى أتعجب وكل ذى احساس يتعجب من سكان الديار المصرية من المصريين والاتراك والحجازيين واليمانيين . الا يوجد بين هؤلاء فتى يشمر عن ساعده ويتقدم بصدره ويخطو خطوة الى هذا الوزير

الارمنى فيبطل هذه الصفة وينقض هذه البيعة ويكشف له وللمغرورين من أمثاله حقيقة اوطنية ويرفع الحجاب عن واجبات الملية لا حول ولا قوة الا بالله .

ان المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل في الذل، ويعيشون من خوف العبودية فى العبودية ، ويتجرعون مرارات سكرات الموت ، فى كل لحظة خوفاً من الموت ! لا الدين يسوقهم الى مرضاة الله ، ولا الحمية الوطنية تدفعهم الى ما به فخاربنى الانسان .

لاهور

وصل الينا رقيم من لاهور باللغة الهندية (ورجاءونا أن تكون المكاتبة فيما بعد باللغة الفارسية) فرأينا أن ننشر ملخصه قال الكاتب:

انا نسمع صاحب جريدة (أخبار عام) اللاهورية ينادى من صميم قلبه بأن الانكليز سلاطيننا خصوصاً عند كلامه فى الانتقاد على العروة الوثقى ومن غريب كلامه قوله ان غرض العروة أن تفصم رابطة الاتحاد بين الرعايا الهنديين وسلاطينهم الانكليز . ولا يخجل من قوله ان سلاطيننا الانكليز هم الذين زينوا الهند باصلاح طرقه ومد السكك الحديدية فى انحائه ووصل أرجائه بأسلاك التلغراف . كأنما الانكليز من سلالة بكر (ماجيت) أو من جنس (الجهترى) أو من أحفاد (أكبر شاه الهندى) واذا سمع سامع صوت هذه الجريدة على بعد يظن أن هذه الاعمال التى زينوا بها الهند (على رأى الجريدة) ما قام بها الانكليز

الا لمنفعة الهنديين ويتوهم أن الهنديين جنوا من ثمرتها شيئاً وان ضجر الهنديين من سلطة الانكليز ونزوعهم الى التملص منها انما هو من كفران النعمة ، يا عجبا من هذا البندت اللاهوري أنه يرى فقر أبناء وطنه ومسكنتهم ويشهد بعينه أنهم لا يجدون ما به معيشتهم اليومية وان أسعد الناس منهم من يحصل عشر روبيات في الشهر بعد أن يبلغ درجة عالية من الكمال ومن جملتهم نفس صاحب الجريدة . فكيف يطيل لسانه بشكر هذه الحكومة ويضع على ظهور الهنديين حملا ثقيلا من المنة لمد سكك الحديد وخطوط التلغراف . ان كانت حكومة الانكليز تسوس الهند بالعدل فأين ذهبت ثروة أهاليه مع خصب الارض ووفرة الثمرات ولأى سبب ابتلى الناس بالفقر حتى لا يجدون قوتاً ، ان الجرائد الانكليزية في الهند تنذر حكومتها بأنه لو استمرت الادارة الهندية على حالها هذا فلا يمضى عشر سنوات الا وتكون فتنة عمومية تأخذ بجميع أطراف الهند ويكون منشأوها الجوع .اذا انشأت الحكومة الانكليزية سكك الحديد لنقل بضائع الانكليز وترويج تجاراتهم وحمل العساكر لقتل أبناء البلاد وليس عند الهنود الآن ما يباع ويشترى حتى يستفيدوا من سهولة نقله فلأى شيء تكون المنة على الهنود ، واذا مدت خطوط التلغراف لاستطلاع ما يجرى فى ممالكها وتسهيل المخابرة بين رجالها فأى منفعة في هذا توجب مسرة الهنود .

ان رجال الانكليز بعد ما دخلوا البلاد على هيئة تجار وكانوا يخضعون للصغير والكبير أزيد من قرن بلغ من أمرهم الآن أن لا يعدوا الهنود من فصيلة الانسان . اذا أراد حكام الانكليز أن يجمعوا أعيان البلاد لالزامهم بأداء ضريبة جديدة هيؤا مكانا عاليا يرتفع عن

الارض نحو ثلاثة أذرع لتوضع عليه كراسى السادات الانكليز ويجلس الهنود في منخفض من الارض اظهاراً للامتياز مع أنهم ما جمعوهم الا لسلخ ما بقى من جلودهم وامتصاص ثملة دمائهم . أى أمة متوحشة أو متمدنة تعامل أمة أخرى بهذه المعاملة . احلف بالله ان جنس الهندو (قوم برهما) حين ما قدموا من ايران وفتحوا الهند ما عاملوا السكنة القدماء بهذه المعاملة مع أنهم كانوا يعتقدون أنفسهم سماويين وما اذلوا جنس (الباريا) بهذه الدرجة مع أنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الآلهة . قبلوا جنس (التلنكان) في مصافهم وأشركوه في حقوقهم مع كونه مغلوباً لهم ، فتح المسلمون أرض الهند فعاملوا الوثنيين كمعاملتهم لبنى ملتهم وما حرموهم من الوظائف السامية ، ومامن سلطان مسلم تسلط في الهند الا كان له من الوثنيين عمال ووزراء . كان المسلمون يسيرون مع الوثنيين سيرة الاخوة حتى أوقع الانكليز بينهم الشقاق فى بنجاب وأطراف مدراس . يزعم الانكليز ان المسلمين أولو تعصب دينى يجور بهم عن العدل مع انا نرى الى الآن فى الهند حكومات صغيرة يحكمها راجوات ونوابون من أهل السنة والشيعة ونرى للراجا الوثنى وزيراً مسلماً وعمالا مسلمين وللنواب المسلم وزيراً وثنياً وعمالا وثنيين وهكذا السنيون مع الشيعة والشيعيون مع اهل السنة ولا نرى فى الملايين الكثيرة المحكومة بالانكليز رجلا هندياً في وظيفة شريفة . ان هذا البندت (صاحب اخبار عام) لا يخجل من قوله ان الانكليز سلاطيننا اى سلطان يستنكف من شرف رعيته ويعدهم فى عداد البهم .

ان الاورم ربيون لما صار حاكما على الهند ورأى أن الروسية وصلت الى مرو واحس بنفرة الهنود من الحكومة الانيكليزية واستعدادهم

للثورة أراد ان يطيب قلوبهم بأمر حقير يسخر منه الابله فضلا عن الحكيم وهو توظيف (رام جندر متر) ومولوى محمود بن احمد خان في وظيفة القضاء ببلدة صغيرة وهما ممن تعلم الشريعة الانكليزية في بلاد الانكليز (انظر كيف يطيب قلب امة عظيمة مجروحة الافئدة ساقطة فى جحيم الشقاء بمثل هذه المنحة المضحكة) وهذا الالتفات من اللورد لكمال سياسته وحذقه . فماذا يكون موقع الهنود من نظره اذا كان يظن أن الامم العظيمة المحترقة بنيران الظلم من أزمان نعترف بعدالة الانكليز لمجرد توظيف شخصين في وظيفة صغيرة .

ان هذا مما عده اللورد الانكليزى أمراً لازما لصون سياسته مما عساه يطرأ عليها ومع ذلك قام الانكليز في الهند ورفعوا شكواهم إلى لوندرا من تصرف اللورد ولا يزالون يرفعون ويقولون كيف يجلس (كالا) أى الهندى الاسود على منصة القضاء وربما يأتى وقت تقام فيه الدعوى بين يديه على انكليزى فيصدر الحكم منه عليه (كيف يصدر الحكم من هندى على انكليزى) . فليعتبر من يعتبر . ان الانكليز لانسمح نفوسهم أن يعترفوا بانسانية الهندى ولو للضرورة أيحب البندت اللاهووى أن يلقى غشاوة الغش على عينيه واعين اخوانه ويفترى الكذب بقوله ان بين الهنديين وحكومتهم نوعا من الالتئام . وهل مثل هذه الحكومة يلتئم معها ذو احساس . ان البندت يقول فى جريدته وفي اثناء انتقاده على العروة ان سلالة الامراء وابناء العائلة التيمورية (ملوك الهند) عراة في الاسواق يتضورون جوعا ولا يجدون خصا يأوون اليه . فان كان هذا حال الامراء باعتراقه فكيف يكون حال سواهم وكيف طوعت له نفسه ان ينطق بكلمة تشعر بالرضاء عن حكومة

الانكليز أنه يتملق للحكام ولـكن لا أظنه ينال على هذا التملق أكثر من عشر روبيات في الشهر فليس له أن يتعب لسانه ويجهد نفسه مجاناً لا ينكر البندت أن الانكليز اذا خاطبوا هنديا لا يكلمونه الا بالعصا واذا عدى انكليزى على هندى فقتله حكم أطباء الانكليز بأن القتيل مات بالسل المزمن أو داء الكبد أو بمرض عياء ورثه عن ابائه كيلا يقاص انكليزى بدم هندى ☆ فيذهب دم الهندى هدرا ☆ ان ظلم الانكليز وجورهم يظهر لكل ناظر من صفحة تلك الورقة الصغيرة (أخبارعام) واني أقول بلسان كل هندى وثنيا أو مسلما سنيا أو شيعيا أن البندت لا يمكنه بورقته هذه أن يقطب جروح الهنديين ولا أن يطفىء لهيب أحشائهم مما يرونه كل يوم من سلب الاملاك واهانة الاديان وتضييع الحقوق وحرمان الاهالى من خدمة أوطانهم وليس في طاقة قلمه أن يرفع شيئا من الواقع ولا أن يحدث خاطر محبة الانكليز فى قلب هندى الا من خربت ذمته ومرق من عهود دينه ووطنه . وان البندت يعرف هذا ولـكنه يسعى لعله يحصل شيئا زهيدا ويقنع به لان بعضا منا وكثيرا من الشرقيين صارت حوصلتهم كحوصلة العصفور يملاؤها حبتان من الحنطة ، وسنكتب اليكم عن تفصيل الاعمال الانجليزية عندنا ان شاء الله . اه

فرنسا والمانيا

جزمت جريدة نفيل بريس ليبران الباعث على سفر البارون كورسل (سفير فرانسا في برلين) الى وارزين هو اهم أمر سياسى ، وفى ظنها أن الحديث بينه وبين البرنس بسمارك انتقل الى موضوع الحرب الصينى ومسئلة الكونكو . قالت الجريدة ان بسمارك قد غير منهجه السياسى الذى قد سلكه من سنة ١٨٧٠ . كان مضطرا لابعاد فرنسا عن سائر الدول واليوم وجه عزيمته لابعاد انكلترا . ولما اجتمع الامبراطرة الثلاث فى سنة ٧٢ اضطربت خواطر الفرنساويين وكان كل منهم يحدث نفسه هل ينتظر اتفاق بين الامبراطرة على مناوأة الجمهورية . أما اذا اجتمعوا في هذا العام فلا يخالط الريب قلب فرنساوى بل تكون النفوس ساكنة مطمئنة . لا يوجد فى دولة أوربية ما يوجب حدوث قلق فى باريس ولا بوجه ما . بل يوجد ما يثبت الطمأنينة فان من نية الاستاذ (بسمارك) فى وارزين أن يقرب فرانسا الى سائر الدول البرية وان زيارة البارون كورسل للبرنس تعد اكبر شاهد على ما نقول اه

الانجليز والدول

ما للحكومة المصرية لاهية عن شأنها ، ماذا تبتغى من سكونها وميلها مع ريح الحكومة الانكليزية ، ماذا تنتظر الدولة العثمانية بعد انحلال المؤتمر على غير طائل . اتظن الحكومة المصرية انْ خضوعها لاوامر بريطانيا ، واهتمامها بخدمة عساكرها الزاحفة الى السودان . مما يوجب

الخجل لحكومة الانكليز، فتستحي بعد ذلك ان تكفر نعمة الصداقة وترعى سابقة الخدمة ، فتترك مصر نقية الراحة ، بريئة الذمة ، وتمكن الامر للحكومة المصرية ، وتشيد الخديوية لتوفيق باشا ، ان خطر هذا الوهم ببال الحكام في مصر فقد خرفوا فليس يحوم مثل هذا الهاجس في فكر الا وقد مسه الخبل ، ولا يختلج فى صدر حتى يختم عليه بطابع العمى .

حكومة بريطانيا انتحلت بنفسها أسباباً للدخول فى وادى النيل ، وأنشأت له عللا فغايتها من كل أعمالها أن تكون لها سلطة ممتازة فيه سواء تأيد توفيق باشا أو تأود ، لما أحس رجالها أن بحث المؤتمر ربما ينجر الى ما يمس غايتهم هذه تملصوا منه واستبدوا بأعمالهم وأخذوا على أنفسهم تسكين عاصفة الثورة السودانية . فان تم لهم ما أرادوا واستقلوا بالعمل في السودان فهل يرجى منهم أن يخلوا مصر بعد ما فتحوا من ورائها ما فتحوا . ان هذا الاخيال باطل . هل تهورت انكلترا وأغاظت جميع الدول العظام وهيأت نفسها خطر تألبهم عليها حبا فى توفيق باشا ورغبة في حفظ مسنده . هذا مما لا يعقل . ربما تكون الدولة العثمانية والحكومة المصرية في رجاء أن الدول الاوربية يستفزها الغضب فتندفع بقواها على دولة الانكليز فتكبلها فى سياستها وتلجئها للجلاء عن مصر فتتركها لاهلها وكفى الله المؤمنين القتال ، ان كان ذلك سبب الفترة فهو ثقة في غير محلها ونوع من الطمع غريب . قد يكون اتفاق الدول على معاكسة الانكليز متعلقاً بجهات أخر ولا يكون اخلاء مصر من مواضيع الاتفاق كما أشار اليه كثير من الجرائد حيث ذكرت أن من المقاصد التى يجتمع لها القياصرة الثلاث كفء الروسية عن

مطامعها في أوربا واطلاق العنان لها في آسيا والاقطار الهندية . اليس من الممكن أن مناوأة الدول للانكليز تنتهي بسلب جزء أو أجزاء من أراضي المسلمين في مقابلة تمكن الانكليز في أرض مصر

نبهت بعض الجرائد المهمة على شيء من هذا وصرحت بما لا ينطلق اللسان بذكره . ان للدول اهتماما بنكاية الانكليز ومن أعظم البواعث على اجتماع القياصرة خروج انكلترا عن حدها في الاستئثار بالمنفعة على غيرها لكن الدين من الواجب على صاحب البيت أن يبدأ بعمل في الذود عن بيته قبل أن يساعده الجيران خصوصاً ان كان للجيران اطماع متنوعة بعضها يمنع عن المساعدة وبعضها يحمل على التواني وتأجيل العمل لاوقات أخر ومايدرينا لو حولنا الامر الى الجار لينقذ المغصوب من يد الغاصب لعله بعد استخلاصه يختص به نفسه فما الذي جنيناه من ثمار مساعيه وأية فائدة حصلناها . لوشحت الحكومة المصرية بحياتها ، وأبصرت أن بقاءها في ابائها ، وترفعت عن هذا الخضوع البارد،وتجافت عن تسهيل الطرق ، وتمهيد السبل ، لمسير العساكر الانكليزية ، ثم قامت الدولة العثمانية على المطالبة بحقوقها ، وذهبت في الطلب مذهب العمل ، ولم تكتف بلوائح تسطر ، وحجج تنشر ، ولم تستند على سفرائها الذين ليس لهم خوض حقيقي الا في ملاذهم وشهواتهم ؛ لو كان كل هذا لشاركت الدولة العثمانية ومعها حكومة مصر سائر الدول في معاكسة انكلترا ، وحيث أن للدولة العثمانية والحكومة المصرية الحق الاول والملكية الشرعية في تلك الاقطار فما يكون منهما من الاعمال يكسبهما تخليص البلاد ، فان الدول تكون في عونهما ولا حق لواحدة منها فيما بعد أن تستأثر عليهما

ان اقدام الدولة على العمل وعدول الحكومة المصرية عن مسلكها المضر بها مما يقرب المسافة ويقصر المدة ويقوى حجة الدول فى مطاردة انكلترا ☆ لو تساهلت الدولة العثمانية واطمأنت الحكومة المصرية لحالتها الحاضرة فبأى وجه تؤمل الحكومتان نفعا من معارضة الدول على فرض لو استخلصت مصر من أيدى الانكليز ☆ ماذا يبعث الدول على مقارعة دولة عظيمة كدولة بريطانيا لتسلبها ملكا عظيما ثم تسلمه للدولة العثمانية أو الحكومة المصرية. لانتحاشى أن نقول أن الدولة العثمانية والحكومة المصرية واقعتان بين خطرين عظيمين . ان فاز الانكليز في السودان فقد ضاع القطر المصرى ، واستقرت فيه السلطة لحكومة انكلترا سواء عارضت الدول أم لم تعارض ، وضياع القطر المصرى هو ضياع الكل كما أشرنا اليه مراراً وكما يشهد به موقع البلاد المصرية من سائر بلاد المسلمين ، وان خاب الانكليز في منازلة الثائرين فليس يخفى على عقل عاقل ما يترتب على هذه الخيبة وما ينشأ عن غلبة محمد احمد واتباعه وانهزام العساكر الانكليزية . وربما كان هذا الامر الثانى سبباً لمداخلات أجنبية في جميع أقطارنا .

ليس من الصعب على الدولة العثمانية ولا على الحكومة المصرية أن تظهرا شيئاً من الشدة ، وتأخذا بجانب من القوة ، وتقفا على قدم الثبات ودولة انكلترا في اختباط مع الدول وارتباك بالسودان ، والمسلمون من جميع الاقطار في هياج شديد ، لو قامتا بما يسهل عليها لحفظ لهما الموجود ورد المفقود ، وسدت أبواب المطامع ، وأخذ الدولة العثمانية مكانا من القوة تخشع له قلوب الجبارين ، ولازدادت بذلك ثقة المسلمين وانبعثت آمالهم . سلكت جريدتنا مذهب الصدق فى بيان حال الانكليز مع

الدولة العثمانية ، واثبتت عن بصيرة وكمال خبرة أن الانكليز يهابون منافرة الدولة ويخشون سوء مغبتها . جريدتنا تنادى بذلك من يوم صدورها بينا أن للدولة سلطة معنوية فى الهند لم تبلغها حكومة الانكليز بعد إفراغ جهدها . هذه حقيقة الامر ومع ذلك لاندرى سر هذه السياسة اللينة التى لا نرى لها اثراً الافي الاوراق وتحت أسنة الاقلام والانكليز يقاتلون ويتملكون وتزداد اقدامهم رسوخاً يوماً بعد يوم وانطلق بهم الغى الى أن أطالوا أيديهم الى الاوقاف المصرية يطلبون التصرف في خزينتها والقيام على ادارتها ، نعيد الكلام مرة أخرى ونقول أن جميع المسلمين في الاقطار الهندية وما يتاخمها قائمون على قدم وساق متهيئون لمواثبة اعدائهم وسالبي حقوقهم فبثبات ما من الدولة العثمانية يظهر له أثر عظيم يضطر الحكومة الانكليزية الى ترك مصر ، ليس للدولة أن تضيع هذه الفرصة فقلما يأتى الزمان بمثلها ، الدول متألبة على الانكليز والروسية مشرفة على الهند ، والهنديون فى هياج ، وخطب السودان غير يسير ، فان لم تأخذ الدولة حقها من الانكليز فى هذا الوقت ، فمتى ؟

تعظيم توفيق باشا لنورثبورك

ورد خبر من القاهرة بوصول اللورد نورثبورك اليها وحصلت الملاقاة الرسمية بينه وبين توفيق باشا وقدم اليه رقيما من اللورد غرانفيل يؤذن أن اللورد نورثبورك هو الوكيل الاعلى للحكومة الانكليزية فى القطر المصرى ويطلب من الحكومة المصرية أن تساعده فى حل

المشاكل الحالية خصوصا المسائل المالية ، فاظهر توفيق باشا غاية المسرة من تعيينه بهذه الوظيفة وأكد له خلوص الوداد وكمال الرضى بجميع مطالبه اه

يظهر أن توفيق سر بقدوم اللورد نور ثبورك وان لم يكن بينه وبينه معارفة خصوصية ولا له سابقة علم باحواله ولا بما يريدان يعمله في بلاده ، هذا يمكن ، ولكن ليت شعرى ماذا يجنى هذا الخديو الشاب من مرضاة هذا الخادع ، وماذا يصيبه من سهام حيله ؛ بينا في بعض الاعداد الماضية بعض صفات هذا اللورد وطرفاً من أعماله فى الهند ونذكر الآن عملا آخر منها ☆ طلب وهو حكمدار الهند ان يمكن السلطة الانكليزية فى مملكة (كابورتال) وهى مملكة واسعة تتاخم لاهورو (بتيالة) فادعى على مهراجتها (ملكها) انه مجنون وهو فى رشاد عقله واعتدال مزاجه وخلعه بهذه الدعوى وسجنه في (بكسو) حتى مات حتف انفه وقيل بالسم وكان هذا الملك المخلوع ابن « راندهير سنك » ونصب بدله ولدا صغيراً من أولاد كاتب من كتاب ذلك الملك ليعد المملكة بذلك للدخول في حوزة الحكومة الانكليزية

كانت الحكومة الانكليزية تركت لبعض الرجوات المخلوعين غابات صغيرة من بقايا أملاكهم للصيد فكان أولئك المساكين يسلون أنفسهم على ضياع ممالكهم بصرف بعض الزمان فيها ، فلما جاء اللورد نور ثبورك حاكما فى الهند رآها كثيرة عليهم فنزعها من أيديهم وحرمهم من هذه المنفعة الزهيدة ، هذا اللورد هو الذى طلب سميع الله خان الدهرى ليكون معيناً له فى مصر على أرضاء المصريين بحكومة الانكليز وهو الذى أعطى المبالغ الوافرة للمعلم بالمر ليثرها بين العرب حتى

يثوروا في أراضى الدولة العثمانية أيام الحرب المصرية كما أخبرنا الثقة الصادق من لوندرا ولـكن العرب قتلوا رسوله هذا وشنق به أشخاص فى مصر بلا جرم . هذا اللورد هو الذى يبتهج توفيق باشا بقدومه . صان الله الاراضى المصرية المقدسة من شر هذا المحتال ومن شر صاحبه سميع الله خان الدهرى .

كيد الانجليز فى مصر

أرسل الانكليز مراكبهم الى ثغر اسكندرية سنة ١٨٨٢ بلا سبب أو لقصد تهييج الخواطر الساكنة ، ثم أطلقوا نيران مدافعهم على ذلك الثغر فـكان عملهم الاول والثانى سبباً في خسارات جسيمة نكب بها سكان البلاد ثم كان الضمان عليهم . هذا اما من سوء حظ المصريين أو لضعف الحـكومة أو خرقها . لاريب أن خزانة الحـكومة المصرية فى عجز عن أداء هذه الغرامة الثقيلة التى هى في الحقيقة قصاص بلاجناية. ولـكن مع ذلك للمصابين حق في المطالبة بخسائرهم وليس لهم صبر على الامهال فيها ، فحدثت ربكة وحكومة الانكليز كالصياد الماهر لايطلب السمك الا عند تعكير الماء رأت أن تصيد صيداً أو تخطو خطوة أخرى الى مقصدها فى مصر بعد خطواتها السابقة أو تمكن مخالبها في احشاء مصر بل يصح أن نقول أن الحكومة الانكليزية بحيلتها التى أشرفت على تتميمها تريد أن تقبض على زمام البلاد المصرية فتكون بأسرها فى تصرفها .

من المعلوم أن عمار المساجد والمدارس الدينية انما هو بالاوقاف التى

أنشأها صلحاء الملة من أزمان مديدة ولايزال ينشئها المقتفون لآثارهم، وقيام الدين الاسلامى انما هوبعمار المساجد والمدارس الدينية ، فالاوقاف عماد عظيم يقوم عليه عرش الديانة الاسلامية . فقصد رجال الحكومة الانكليزية بكيدهم أن يجعلوا العلماء الذين يعمرون مساجد الله ومعاهد العلوم الشرعية خاضعين لاحكامهم ، مرتبطين بمرامهم حتى يستعملوهم ، (وان طلبوا محالا) في جلب قلوب الاهالى اليهم وتأليفها على ولائهم وربما نالوا بهم حجة عند دول أوربا،يثبتون بها رغبة المصريين في بقائهم تحت سلطة الحكومة الانكليزية واطمئنانهم الى ما تقتضى به فيهم

هكذا رأى اللورد نورثبرك أن يحل مسئلة التعويضات بأن تدفع الحكومة الانكليزية قرضاً للخزينة المصرية تؤدى به تعويضات الخسائر التى حدثت من ضرب اسكندرية على شرط أن تكون الاوقاف العمومية كافلة للقرض وفوائده وتكون ادارة الاوقاف في تصرف رجال من الانكليز .

ألا أيها النائمون تيقظوا ؛ الا أيها الغافلون تنبهوا ، يا أهل الشرف والناموس ، ويا أرباب المروءة والنخوة ، ويا أولى الغيرة الدينية ، والحمية الاسلامية ، ارفعوا رؤوسكم ، تروا بلاء منصباً على أوطانكم ، وما أنتم ببعيد منه ، ولا معزل عنه ، ان لم يكن أصابكم اليوم ، فسيصيبكم غداً ، تساهلتم فى الذود عن حقوقكم المقدسة ؛ ولهوتم عنما اضمرت لكم هذه الحكومة من الاهانة والتذليل ، وسوم الخسف وتعللتم بالاوهام . فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى ، حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور . أصبحتم على شفا جرف المذلة ، ويخشى أن يقذف بكم بعد قليل في جحيم العبودية

الا ان وقت التدارك مافات ، فالارواح في الاجساد ، والعقول في الرؤوس ، والهمم في النفوس ، واقدام العدو فى زلل ، وشؤونه فى خلل، فاثبتوا ولا تهنوا . ولاتحزنوا وأنتم الاعلون ، ان كنتم مؤمنين ، لاترضوا بالدنية ، خوفاً من المنية ، واعلموا أن ثباناً قليلا واقداماً خفيفاً ، في هذا الوقت يفعل ما لا يفعله الجيش العرمرم ، نعم فان الدول متفقة على معاكسة الانكليز، والانكليز في شغل شاغل بالمسئلة السودانية ، وقلوب رعاياهم في الشرق خصوصاً المسلمين ، منحرفة عنهم ، وكوامن الاحقاد متهيئة للوثبة عليهم . فعمل صغير فى مناوأتهم من أهل مصر يوجب بعون الله سقوطهم ، وتنكيس أعلامهم . ورجوعهم بالخيبة خاسرين ، فالثبات الثبات وحذار حذار من التوانى والتقاعد ، هذا وقت يتقرب فيه المؤمنون الى ربهم بأفضل عمل شرعى . هذا وقت تنال فيه سعادة الدارين ، للعامل فيه خير الدنيا وله فى الآخرة الحسنى وزيادة ، هذا وقت تظهر فيه ثقة المؤمن بوعد ربه ، هذا وقت يشكر فيه العامل على بسيط الارض ، ويحمد له عمله فوق سبع سموات ، الا أن الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوا أعداءكم ولا تكونوا كالذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، ان الله تعالى قد جعل من علامات الايمان حب الموت اختياراً لرضاه واعلاء لكلمته ، كونوا مع الله فى نصره ينصركم ويثبت أقدامكم ، ثقوا بوعد الله فلن يخلف الله وعده ، ان أخلصتم له في العمل سلوا قلوبكم ، وامتحنوا أيمانكم ، ولا ترتابوا في وعود ربكم ، فلن يرتاب فيها الا القوم الكافرون

فرانسا وانكلترا

أظهرت جريدة استندارد عند كلامها على السياسة الفرنساوية حدة زائدة وقالت انا وان كنا لا ننصح حكومتنا (الانكليزية) بمعاداة دولة فرانسا ولكن علينا أن ننهج الطريق الذى يوافقنا بدون أن ننتظر فضلا من الامة الفرنساوية ولا أن نخشى غائلتها فان كل عمل لا يبنى على هذا الاساس لا تكون غايته الا الخيبة ولا عاقبة له الا الخسارة وأن تباين المصالح بين فرانسا وانكلترا فى درجة لا يمكن معها وفاق بين الدولتين اه

ولم تنفرد جريدة استندارد بهذا القول ولكن على شاكلتها جميع الجرائد الانكليزية المهمة وليست جرائد فرانسا بأقل حدة من جرائد انكلترا فى تسوئة السياسة الانكليزية وهذا مما يرشد الى تمكن النفرة بين الدولتين ، وربما ذهب بهما التباغض الذى يزداد يوما بعد يوم الى مقارعة أشد من مقارعة الكلام ، والسياسيون فى انكلترا يرون أنهم يخسرون في ذلك اليوم أكثر مما تخسر حكومة فرانسا ، فان انفرادهم عن الدول وضعفهم فى القوى العسكرية ، وجفول أمتهم من الحرب خارج بلادهم ، اذا امتد زمنها أو كان المنازل فيها أمة قوية حربية ، كل هذا سيوقعهم في فشل لا يسهل عليهم النجاة من عواقبه ، نسأل الله تحقيق ما نخافون .

اسف

أنبأت الاخبار الاخيرة بحدوث ثورة في دارسين من بلاد ارمنستان قصد الاخلال بالسلطة العثمانية في تلك الاقطار ومهب ريح هذه الثورة من جمعية الارامنة في تفليس والاسلحة والذخائر ترد الى الثائرين من تلك الجمعية . هذه هي الامم الخاملة التي لم يكن لها في الكون مكان ، ولا على صفحة الوجود أثر ، ولا في صفوف الامم العظام قدم ؛ أصبحت تطلب اسما رسمياً وشأناً علياً ، تنفق أموالا ، وتبذل أرواحاً ، ولا تبالى باغوال المنايا ، فما بال المسلمين فى بعض الاقطار وقد كانوا هامة العالم ، نراهم اليوم فى قنوط ويأس ، تتخطف الدول الاجنبية ممالكهم ، وهم في سكون يكتفون باسف العجائز ، وتحسر الزمنى ، مع أن لهم دولا عظاما ، وعددهم يتجاوز مائتى مليون من النفوس . ان هذا لشيء عجاب

نكاية الانجليز

حركات العقلاء على حسب المقاصد ، ومقدرة نقدرها وأولاها بالاعتبار ما يصدر عن كبار الرجال الذين يدبرون شؤون الممالك على قواعد العقل وأصول الفكر . على رعاة الامم في كل مملكة أن يكون برصد لكل حركة سياسية وبمرقب للنظر فى غاياتها والتنقير عما بعث عليها . رب نهضة من سياسى معظم تميد لها الراسيات فى كل دولة وتضطرب لها الروابط العامة بين أمة وأمة . فليس لحنك فى السياسة أن يقصر نظره على ما عنده ويرد كل حادث سياسى الى ما رسم في

مخيلته واعتقده موافقاً لمصلحته فيضل عن الرشد بالقصور ويغيب عنه الصواب بالغرور ، بل عليه أن يطالع مقاصد السياسيين في لوح الامكان ويتلوها في صفحات المنافع والمضار التي يحمل على جلبها أو يدعو الى دفعها طبائع الامم ولوازم مليتهم ومواقع بلدانهم وعلائقهم مع من سواهم حتى يمكنه أن يكون بين هذه الجواذب والدوافع حافظاً لمداره، واقياً لنظام سيره . يكون على غوارب أمواج الحوادث كالملاح الماهر، يضرب بسفينته عروض البحار ، في أمن من الاخطار ، يستفيد حتى من العواصف . وينجو حتى من القواصف .

كانت حكومة فرانسا أشد الدول في دفع انكلترا عن مطالبها المالية وبهذه الشدة سقط المؤتمر ، بعد هذا بذل البرنس بسمارك جهده في اجتماع القياصرة الثلاثة فاجتمعوا في (اسكيارنيافيس) . ثلاثة ملوك عظام تلاقوا بعد طول المخابرة ومعهم وزراؤهم رجال تميزوا بين السياسيين بعلو الرأى وبعد الغاية . هل كان هذا التلاقي لاطفاء لوعة الشوق واجابة داعي المحبة الشخصية . لا . هل كان كما قاله بعض الجرائد للتداول في الوسائل التي يجب استكمالها لقهر الفوضويين . كيف يكون هذا وليس أعوان الفوضى الا كلصوص تقمعهم السطوة الداخلية ويكفي لسد أبواب الفرار في وجوههم مخابرات خفيفة بين أولئك الملوك كما هو الشأن في أمثالها من المسائل الجزئية . ما تقوله الجرائد من هذا القبيل انما يقصد به التعمية وصرف الاذهان عن النظر في الحقيقة ☆ أي غرض عظيم دعاهم للاجتماع ☆ لم يجتمعوا لنفع دولة واحدة فان حكم المنافسة محي فضيلة الايثار . قد انضم لهذا الاجتماع تعدد الملاقاة بين البرنس بسمارك بهذا الاتفاق الامبراطوري أن يجعل لفرنسا ركنا شديداً في

معارضة انكلترا حتى يستحكم الشقاق ويفضى الى حرب توهي القوة الفرنساوية ويصيب منهـا ما يحب . هذه فائدة خاصة بدولة الالمان لو قدرت على نيلها فماذا ينال الدولتين المنافستين لها من الاتفاق معها . أو يريد البرنس مجرد المجاملة لفرنسا وتقطيب جراحها بتأييدها فى رغباتها فتكون المصافاة بينها وبين المانيا وتنسى الاحقاد بينهما . غاية لاتطلب والشأن فيها كسابقتها . يقصد البرنس مجرد الانتقام من وزارة بريطانيا تشفيا من غيظ الاهانة التى لحقته في المؤتمر . ان كان هذا فمـا بال الدول تتفق معه على انتقام شخصى لا يمس المصلحة المشتركة . هل هذه الحركة الشديدة موجهة الى ما يقصده بسمارك من التملك والفتوح في الشرق وإلى هذا القصد تنتهى . أيصح أن يكون ذلك الامر الـكبير وسيلة لهذا الغرض الحقير . على أن انكلترا كانت أقرب الى المانيا في هذه الوجهة وأجدر بأن يميل اليها البرنس ويتحالف معها لنيل هذه البغية .

هل أراد البرنس أن يحتل الروسية ويلهى فرانسا بالمسئلة المصرية لتنام الاعين عن دولة النمسا فتتقدم من طرف هرسك وبوسنه الى ماشاء الله ووسعت القوة . شفقة فى غير موضع وصنيعة في محل القطيعة . هل أحب البرنس أن يمتع نظره بشهود الفتوحات فبعد ما فتح للنمسا بابا في الشرق من جهة هرسك رسم للروسية طريق هراة وقندهار ، ومد لفرنسا خطا في حدود تونس وهو قرير العين بما يرى ويسمع من توسع هذه الدول فى فتوحاتها وان لم تعد من ذلك فائدة على الامة الالمانية . شئ لا يأتى عليه الفـكر ولا يصيبه النظر . هذا ولا يصح لنا أن نقول إن الحلف العظيم بين القياصرة واهتمامهم بتأكيد الروابط

بينهم لمجرد كف يد الانجليز عن مصر وابقاء فائدة الدين ومبلغ الاستهلاك على ما كانا عليه ، وحفظ قانون المالية المصرية كما ظن مكاتب التان البرليني قال ان فى عزم البرنس بسمارك يؤيد الحجة الفرنساوية بثبات شديد وارادة صحيحة ، وسيكون مع فرانسا يداً واحدة فى ابقاء الحالة المالية في مصر على ما كانت عليه ، وفى زعم المكاتب أن هذا كان باعثاً لسياسي انكلترا على بذل الجهد لحل عقدة الاتفاق بين المانيا والنمساويين فرانسا . فان المسئلة المصرية بمجردها ليست مما يدعو الى حملة عمومية

انى أرى تحت هذا النقع جحافل أهوال ، ووراء هذا الغيم وابلات أرزاء ، أرى تنقلا قريبا فى حدود الجغرافيا السياسية ، وتغيراً عظيما فى الخطط الدولية ، وانقلابا في هيئة الروابط العمومية ، نعم قد يكون من المبادى الاولية لهذا العمل أن يتفق البرنس بسمارك مع فرانسا فانه لم يجد خيراً في مناوأتها زمنا طويلا . وكلما رام الوضع منها زادت علواً وارتفاعا فيريد أن يجرب صداقتها ، كما جرب عداوتها ، وأن يدفع البرنس دولة الروسية الى آسيا فهو أسلم للدولتين الالمانيتين ، ثم يبعث النمسا على التقدم خطوات حيث تولى وجهها وفيما تخلفه ورأها فائدة البرنس النقدية ☆ أرسل البرنس ولذه الكونت هيربرت بسمارك سفيراً فى لوندرا ليكون حفيظا لسره أمينا على عمله ، حتى اذا فاته ما يرجو من العزيمة الاولى ، لم يخجل من الانقلاب عنها الى الاخرى ، وربما يرى الارتباك الذى يؤدى به الى ما يريد انما يكون بعقد مؤتمر جديد باسم المسئلة المصرية ، ويقال انه سيثبت على شدته فى هذه المسئلة الى حد كما روته الجرائد المهمة ☆ قضت الحوادث أن تكون الدولة العثمانية والحكومة المصرية التى هي جزء من أجزاء الدولة فى مهب رياح

مختلفة فعليها التيقظ التام والاحتراس الشديد كيلا يكون خسارها فى استفادة غيرها . اذا قامت الدولة بعمل كما يليق بها حفظت حقوقها وصانت بقية ممالكها . الحكيم اليقظ يستفيد من كل حادثة والا خرق الغافل عرضة لكل خطر . الدول تطلب نكاية الانكليز من كل وجه فما الذى يمنع الدولة العثمانية من مجاراة الدول العظام وهي أقدرهن على الاضرار بهم فانهم في بلادها يعبثون فيها مفسدين وسكان البلاد لاينتظرون الا خطوة من دولتهم اليهم فيقيمون القيامة عليهم

اسماعيل باشا

رأينا في جريدة الماتان نقلا عن الغلوا أن موسيو كورسيل سفير فرنسا في برلين أخبر حكومته بوجه رسمى أن القياصرة الثلاثة استقر عزمهم أن يبعثوا الى الخديو (توفيق باشا) بلائحة مقتضاها أن مسنده سيكون فى خطر اذا استمر زمنا طويلا على الركون لانكلترا في الدسائس المالية بالقطر المصرى . وان السعى في عود اسماعيل باشا الى مصر سيكون مؤيداً من وزارات برلين وسنبتر سبورج وفينا وباريس وأن موسيو هيربرت دو بسمارك يأخذ على نفسه أن يشهر الدوائر السياسية بلوندرا ما يترتب على عود الخديو السابق من الفوائد حيث يظهر علنا أن عود اسماعيل باشا هو أفضل في نظر الدول من الاعمال التى تصدر من انكلترا متعلقة بمصالح أوربا ومنافعها فى البلاد المصرية اه

انا نعلم أن اسماعيل باشا لو رجع الى مصر لايكتفى بتخفيض سلطة الانكليز في وادى النيل ، بل يبذل جهده فى محو النفوذ الانكليزى

بالمرة ، وربما مد بجباله الى سائر البلاد المشرقية الداخلة في سلطة الانكليز ليحبط أعمالهم فيها ، ويهدم أركان سلطتهم عليها ، لانه يعلم أن الدولة الانكليزية هي السبب في كل مصاب نزل به وكان الانكليز أحسوا بذلك منه على ما روته بعض الجرائد فدفعوه عن نيل مقصده ولا يزالون يدفعونه ☆ لكن لو اتفقت بقية الدول مع الدولة العثمانية على ارجاعه لم يبعد وقوعه غير أن احدى الجرائد ذكرت مانعا قويا وعائقا شديداً يحول دون نجاح هذا المقصد وهو امتناع الذات الشاهانية عن اصدار الفرمان لاسماعيل باشا بخديوية مصر أيا كانت الحالة . واستعظام هذا المانع مبني على ما ترآى للسلطان من أن اسماعيل باشا وهو في أوربا أعزل فاقد السطوة لاحول له ولا قوة كان مهتما للتشويش على الخلافة العثمانية ومعارضة الذات الشاهانية وان الرسائل الكثيرة والمقالات المتعددة المطبوعة في الالسن المختلفة المشحونة بما يمس الخلافة وقد وصل الى علم السلطان أن الحامل على تحريرها هو اسماعيل باشا ، فهذا الظن هو الذي يمنع السلطان من تسهيل الطريق لعودته لحسبانه أنه لو صار له نفوذ وسلطة في مصر فربما صدرت عنه أعمال لا توافق مصلحة الدولة . فعلى رأي صاحب الجريدة أن عود اسماعيل باشا الى مصر بعد اليأس من انكلترا لا يكون الا باصلاح الصلة مع السلطان واستمالة سائر الدول ☆ هل يمكن هذا ☆ ربما يمكن اذا وثق السلطان بما يطمئن به ووضح للدول مايصح الركون اليه . هذا اذ لم تراع الدول ولا الدولة العثمانية حركة الافكار العمومية في مصر فان جعلت هذا أساس العمل زادت المسئلة صعوبة فان الرأي في هذه الايام مختلف بالديار المصرية فمن الناس من سبقه ميله لتوفيق باشا ومنهم من قام يدعو

الى حليم باشا ويطلب من الناس أن يوقعوا على محضر بطلبه كما جأنا به خبر الثقة ، ومنهم من هو ممسك عن الرأى صامت عن القول؛ وسنأتى على بيان هذه المسئلة فيما بعد اذا دعت الحوادث حقيقة للكلام فيها .

الفرصة

اذا تليت سطور الحوادث الاخيرة وأعطيت حقها من الاعتبار ولوحظ ما وصلت اليه هيئة السياسة فى أوربا لهذا العهد القريب وما يشف عنه اجتماع القياصرة الثلاثة وما يرشد اليه تداول الزيارات بين البارون دوكورسيل سفير فرانسا في برلين ، وبين البرنس بسمارك ولو تبصر متأمل فيما يتبع ذلك لصح له الحكم بخطر الحالة في مصر على انكلترا وانه لم يبق لتخليصها من يديها الا شيء واحد وهوقيام العثمانيين على حقوقهم واشتدادهم في طلبها وعدم اطمئنانهم لرقيا وكلاء الانكليز في الاستانة . خصوصاً في هذا الوقت الذى همت فيه الدول بتخفيض السلطة الانكليزية ونزع مصر من يد انكلترا ويرى السياسيون أنه لا شيء أشد تأثيراً وأجمل عائدة فى تلطيف المسئلة المصرية من مداخلة الدولة العثمانية .

أخبر مكاتب التان في فينا بناء على ما وصل اليه من مصدر يوثق به أن دولة المانيا والنمسا والروسية من رأيهن أن تداخل الدولة العثمانية وتجديد سلطة السلطان فى وادي النيل يوجب تعديل الحالة السياسية وليس الغرض من هذا الا كف أيدى الانكليز عن تلك الاقطار . فليس من الرأى أن تصغى الدولة العثمانية لنصائح انكلترا ووكلائها وهى

ترى أن جرائد الانكليز تنادى بلسان الامة الانكليزية على حكومة بريطانيا طالبة منها اعلان الحماية على مصر بل والتمكين فى خرطوم بعد رفع الحصار عنها وتنصحها بمد سكة الحديد من سواكن الى مدينة خرطوم ، فلو تساهلت الدولة في هذا فقد فرطت في جزء عظيم من ممالكها ، وأضاعت حقاً ثابتاً وأى دولة سواها تهتم باخراج الانكليز من مصر ، فهى صاحبة الحق فيها فلا يكون للدولة نصيب من ملكها اذا أضاعته بالتفريط .

اللورد نور ثبروك وزبانيته يسعون لجلب قلوب الاهالى بتزيين الامانى وتخييل الآمال « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا » ليتخذوا من ميل المصريين حجة يجادلون بها الدول ويثبتون لانفسهم حقا قانونيا فى الاقامة بمصر . ثم من جهة أخرى يحشدون قوة عظيمة الى مصر استعداداً لتلقى الحوادث المنتظرة لكن تحت اسم انقاذ كوردون فلو وجد الانكليز برهانا من الحيلة ومنعة بالقوة وحملهم الغرور والكبرياء على مشاورة الدول اعتماداً على عدم الاتصال في البر وتمكنهم من النقاط الحربية في البحر كمالطة وقبرس وان تحارب الدولة العثمانية فهم أقدر الناس على محاربتها من جهة العريش وفي عموم السواحل فماذا تكون العاقبة . هل تكظم الدول غيظهن ويتركن الانكليز وشأنهم . لا نظن ذلك ولكن اذا حالت الموانع دون نكاية الانكليز في مصر عمدت الدول الى نكايتهم بالحصول على غنيمة تعادل مصر ولا تكون الا من بلاد المسلمين فتساهل أصحاب الحق الشرعى بوادى النيل يضيع لهم حقوقا أخر فى غيره

ان الدولة العثمانية أولى من سائر الدول بالعمل في المسئلة المصرية

وأجدرهن بالاهتمام بها ، ومن الواجب أن تكون أشد حرصا على الظفر بالانكليز فيها . ان الدولة في مقام المدافع عن حياته وهو بحكم الطبع أقوى باعثا وأدنى للعمل من طالب الفائدة . ان شر يقع أولى بالتلافي من شر يتوقع وان خطراً عاجلا أحرى بالالتفات من وهم باطل ☆ نفوس المصريين فى هياج فان ما أفسد قلوبهم على الانكليز من سوء التصرف في الحكومة واستلام ادارتها وابطال الحقوق الوطنية وحشد الجيوش الى البلاد لقصد التمكن فيها ، كل هذه سهام خرقت شغاف القلوب وزاد الجراح نغرا ما اعترفت به جريدة التمس من اشتداد الارتباك وتعطل أسباب المعيشة ووقوف دولاب التجارة واشراف العائلات الكثيرة على الافتضاح خصوصا الذين كانوا فى خدمة أوطانهم وحرموا منها . فلو أحس المصريون وهم فى هذه الحالة بحركة خفيفة من دولتهم (العثمانية) لكفوها شر الانكليز وقليل من العمل فيه الكفاية . اليوم يتوجه الانكليز الى السودان فلو لمحوا ثباتا من العثمانيين لوقفوا وقفة الحائر بل سقطوا فيما لا منجى لهم منه . أن الخطر كل الخطر في سكوت العثمانيين عن طلب حقوقهم ، وليس من الرأى أن يخاطروا بأنفسهم ثقة بمواعيد الانكليز وفى علمهم أن لا وفاء لها . فهذا هو الوقت الذى يتمكنون فيه من اعادة سلطتهم فى القطر المصرى الى أعالى السودان وفى ذلك صيانة ممالكهم من العدوان ولا يرضى بفوات هذه الفرصة الا من أسلم نفسه للموت والقى بها الى التهلكة . هذا ما يثبته العيان ولا يختلف فيه اثنان . فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل

غلادستون

قامت الدول الاوربية كافة على المطالبة بحقوقها واعنات الانكليز في مصر خصوصاً دولتي فرانسا والمانيا وكلهن يطالبن انجلترا بانجاز وعودها ويقمن الحجة عليها في أعمالها بمصر على كيفيات مختلفة ومن وجوه متعددة .

ومحمد احمد واتباعه قد فرغوا من أعمالهم الزراعية واحرزوا غلتهم وهيئوا مؤنهم وجندوا الجنود الكثيفة وقصدوا أطراف دوصد وبربر وفي الاخبار الاخيرة انهم سيروا جيشين على طريقين احدهما يزحف من الصحراء والآخر على خط النيل . والقلق والاضطراب وضيق الحال واختلال الامن تزداد في مصر كل يوم حتى صار يخشى من فتنة عامة خصوصا بعد ما أحس الناس بسوء نية الانجليز ، ويمد هذه الافكار ما فشى بين العساكر والعامة من أن السلطان غير راض عن أعمال الانجليز في مصر ولاهو مرتاح لزحفهم على السودان ، وبوده لو يصادفون مقاومة لا يخطون بها خطوة ، ونزول ماء النيل وفقدان وسائل النقل ووعر الطريق وبعد المسافة ، كل هذا أطفأ تلك الحرارة ، التي كانت تطير بالعساكر الانكليزية إلى خرطوم بأسرع من حركة البخار لانقاذ كوردون كما يزعمون أو تملك خرطوم كما هو حقيقة القصد . وانقلاب قلوب الهنديين على حكامهم الانكليز وظهور تلك الضغائن مع العجز عن سترها خصوصا من النوابين والرجوات الذين يتوجسون الشر من وثبات الحكومة الانكليزية عليهم وهم الآن في ضجر شديد من تضييقها وتشديدها في مراقبة أعمالهم وهم على صورة الاستقلال ، حتى

ان بعضاً منهم ومن أعيان الاهالى الهنديين بعثوا باناس الى سرخس ومرو واشقاباد على مابلغنا ليعرضوا اخلاصهم ويتبينوا يوم خلاصهم ، ذلك كله احدث قلقا واضطرابا في أفكار سياسي الانكليز واختباطا في سيرهم ، فمن جهة يريدون سترخجلهم من الاعمال المصرية مع قضاء بعض أوطارهم فيطلبون الى الدول تشكيل مراقبة عمومية وترك مصر وشأنها مع بقاء شرذمة من عساكرهم في وادى حلفا لصيانة الحدود المصرية بعد طرد الجند الوطنى (كما صانوا سائر الممالك الهندية بأمثال هذه الشرذمات) ويتوهمون انهم يلهون الدول بهذه الاضحوكة ، ومن جهة أخرى يبتغون اقناع انفسهم واقناع الامة الانكليزية بأوهام خيالية وترهات صبيانية يجعلونها أساسا لسياستهم في الممالك الهندية . من ذلك ما اعتمده اللورد دوفرين (ذلك السياسى المشهور الدى أفسد شؤون مصر) قاعدة متينة لصون الممالك الهندية بعد أن عين حكمداراً عليها . قال في مقال القاه في بال فاست أنه يعد نفسه سعيداً بمعرفته الخصوصية لموسيو جيرس وزير خارجية الروسية ثم اثنى عليه بجدة تنبىء عن الاخلاص وقال انى ارى لموسيو جيرس رغبة صادقة فى حصول المصافات بين الروسية والانكليز ورفع الشقاق بينهما وبالغ في القول حتى قالت جريدة المومبريال دوبلماتيك بعد ذكر تهنئة الروسية للورددوفرين على الوظيفة الجديدة أن اللورد مكلف بعقد وفاق تعين به مهلة لتلاطم الدولتين المتنازعتين في آسيا الوسطى بعد تحديد تخوم افغانستان من طرف الشمال ، هذا ما اندفع اليه جناب اللورد بقوة الاضطراب وشدة الشغف بتسكين خواطر الشعب الانكليزى وتغرير العقول فى الهند وارضاء القلوب عن سياسة الحكومة

وربما أرضاء نفسه ايضا ، والقارىء يعلم من هذه الحالة مقدار العجز الملم بسياسي بريطانيا حيث طفقوا يجعلون من مبانى سياستهم فى الشرق معارفة شخصية بين حاكمهم في الهند وبين وزير الروسية ، مع أن الروسية لم تخط خطوة فى الشرق الا وغايتها الهند ولم تتقدم قدماً اليه الا بعد عهد ينكث وميثاق ينقض فان حلف وزير الروسية للورد هذه المرة فلا يختلف هذا اليمين عن الايمان السابقة ، على أن المحبة الشخصية لا قيمة لها في السياسات الكلية وما سرور الانكليز بها الا من آثار الذهول وسرسام العقول

وأعجب من هذا أن غلادستون يرفع صوته بين شعبه بقوله أن من ضعف العقل أن يظن الوهن في امبراطورية الانكليز أو يترقب بها الضعف في المستقبل وأن بسطة الدول مما يوجب بسطة انكلترا . عجبا . اذا انبسطت الروسية الى الهند فالى اين تنبسط انكلترا ، أظنها تنقبض . لا تنبسط . ويقول أن يوما تشعرون فيه بالخوف لبعيد وليس بقريب سبحان الله الروسية وضعت يدها على باب الهند (سرخس) وشهرتها عمت انحاؤه وقلوب أهليه ميالة اليها وهي لا تهاب الانكليز ولا تتوانى فى سيرها فأى يوم يشعر فيه بالخوف بعد يومه هذا ، كأن الوزير لا يحس بالخطر حتى تحل الروسية فى بنجاب أو تصل الى نهر السند

لاجرم ان الارتباك يضل بالانسان عن رشده ، ومن المضحكات ما ذهبت اليه جريدة البال مال من أن هذا الكلام من غلادستون يدل على ثقة جديدة منه بالدول بعد مفاوضات حل بها المشكلات ، وأن من له ادنى المام بحال الانكليز فى ممالك الهند وضعف عسكريتهم وتوزع اساطيلهم لحفظ سائر املاكهم ونفرة الرعايا الشرقيين منهم مع تألب

الدول عليهم وتقدم الروسية الى الهند يوماً بعد يوم يحكم بأن قد حل اجلهم وقرب يوم يهدم فيه سلطانهم ويتقلص ظل سلطتهم في المشرق ويهزأ بما يقول غلادستون (ان امبراطورية انكلترا تزداد قدرتها بتجدد الايام) ومن رأى العقلاء أنه لو تقدم محمد احمد وساعده أهل الشهامة من الصعيد والشرقية والبحيرة فى مصر وخاب أمل الانكليز في حملتهم وقامت الفتنة في الهند وتقدمت الروسية وخلصت النفوس من رق العبودية وقضى الامر وقيل بعداً للقوم الظالمين

الحق

اعتدى على الحق جاهل فنال نكاله . ينتصر الحق ويخذل الباطل وان طاوله الكرم وامهله العفو ومده الغرور

عماء بعض الناس فى مصر

أو تعاميهم عن مقاصد الانكليز فيها

تسعى حكومة بريطانيا بكل مافي وسعها لتوقيف دفع الاستهلاك وتنقيص فائدة الدين المصرى ويعترضها في ذلك سائر الدول الاوربية العظيمة . هل الدولة الانكليزية هى أشد الدول رحمة على العالمين عموما وعلى المصريين خصوصا فدعتها الرحمة للقيام على هذا العمل قصداً لراحة المصريين وتخفيفا لثقل الدين على الخزينة المصرية وقوصلا لرفاهية

الاهالى وتوسيع دائرة ثروتهم . أو أن هذه الدولة لم تبالغ فى الشفقة وهي على حد الاعتدال في الحكم ولكن الدول تجاوزوا القسط فى القسوة خشونة وغشمرة أو لعداوة خصوصية بينهم وبين المصريين لهذا لا يريدون تخفيف شيء من اثقالهم . أو انها اطلعت على احوال المصريين وكشف حقيقة ماهم عليه وعلمت عجزهم عن الوفاء مما عليهم وخفيت هذه الحقيقة على سائر الدول فرأت حكومة بريطانيا أن تخبر الدول بما وقفت عليه قياما بخدمة الصدق وانما يعارضها من سواها جهلا بواقع الامر . لا . لا

ليس شيء من ذلك . من ساح في المستعمرات الانكليزية كالبلاد الهندية ونحوها تبين له أن الاهالى فى تلك الممالك حملوا من اثقال الضرائب وأوقار الرسوم الدائمة والموقتة مالا يعرف له غاية ولا يؤخذ فيه بقياس حتى سقطوا فى مهواة من الفقر لا يجدون منها خلاصا يوجد ملايين من أهل الهند يقتاتون بالاعشاب البرية لفقدان اقوات الانس مع خصوبة اراضيهم وجودة منابتهم . فهل يصح لعاقل أن يظن بعد هذا أن الانكليز ضنوا برحمتهم على رعاياهم الهنديين وافاضوا فيضها على المصريين ، أى رابطة بين المصريين والجنس البريطانى تدعو الى هذا الاختصاص ، هل يصح ان يقال ان الامة الفرنساوية مع ما لها من سابق الآثار فى مصر تعادى المصريين وتقسو عليهم وتطلب تنكيلهم حقداً وانتقاما وهذا هوما يحملها على المعارضة فى تخفيف الفوائد وتوقيف الاستهلاك قصد الاضرار بالمصريين ووافقها على ذلك الدول الباقية ، هذا مما لا يعقل فان فى مصر ما يستميل الدول اليها لا ما يبعثها على الانتقام منها كما لا يعقل أن وكلاء السياسة في مصر ومديرى خزينة الدين من رجال الدول العظام قد خفى عليهم حال المصريين وشؤون ماليتهم

وتفرد الانجليز بعلمها من بين سائر الامم على أن من يزعم ان ارض مصر فقيرة فى ثروتها قاصرة عن أداء ما اوجبه عليها عهد الدول فقد إفترى كذباً فان مصر قد قامت بوفاء ماطلب منها أيام وزارة رياض باشا احسن قيام مع غاية السعة وارتياح الاهالى الى تأدية الضرائب بانواعها ومسرتهم التامة من تقسيم المطلوبات على حسب المواسم الزراعية وهكذا استمر الحال بعد رياض باشا على الاساس الذى وضع في عهده الى أن زحفت انكلترا بجيش من دسائسها على تلك النفوس المطمئنة فاقلقتها ، وتلك الارواح الساكنة فاثارتها فما تبتغى انكلترا الآن من الالحاح على تنقيح قانون التصفية وتنقيص الفوائد وماذا بعث الدول على معارضتها

تريد حكومة بريطانيا أن تسود على مصر وتستعبد أهلها وترى أن بقاء الحالة المالية على أصولها السابقة يرجع بالمنفعة على الدائنين من الامم المختلفة فلا يكون حظ الخزينة الانكليزية الخاصة من ثروة مصر وافر ، ولهذا بادرت قبل اعلان الحماية أو السيادة أوالاستملاك بالسعى فى تخفيض فائدة الدين لتستأثر فيما بعد بما تزعم التفضل به الآن على المصريين فهى تسعى لفائدتها الخاصة ليس الا ، هذا قصدها لم يخف على الدول فقمن بمعارضتها وأصررن حرصاً على مصالحهن لا تهدرفداء لحظوظ الانكليز وقضاء لشهواتهم ، يهم الدول جلاء الانكليز عن مصر عاجلا أو آجلا لهذا تهتم بسد أبواب الحيل عليهم واقامة العقبات الصعبة في كل خطوة يخطونها الى ما آربهم

ظهرت مقاصد الانكليز وانكشفت مضمراتهم لعموم أوربا ولم يبق فيها ريبة عند دولة من الدول الاوربية وان كان بعض الغفل فى

تلك البلاد المنكودة الحظ (لا نريد نوبار باشا فانه ضارب فى طريقه ذاهب الى مقصده يتزلف للانكليز بكل ما يمكنه لينال بهم ما أشرنا اليه مراراً) تسول لهم أنفسهم اما جهلا واما طمعا ان يميلوا مع ريح الحكومة الانكليزية ويظنون أنها لا تقصد بالبلاد المصرية الا خيراً فاذا فاض الخير في البلاد وشملت الراحة جميع أنحائها انجلت العساكر الانكليزية عنها كما جائت اليها ورجعوا الى بلادهم فرحين بأنهم أدوا فرائض الذمة وحقوق الانسانية

والعجب من هؤلاء المغرورين كيف لم يعتبروا بحركات اللورد نورثبروك يتجول فى البلاد المصرية ويستدعى اليه العمد والمشائخ ويذاكرهم فيما يريد طوراً بالسر وآخر بالعلن ويجاذبهم أطراف الاحاديث فيما يمكن أن يتخذ وسيلة لتمكين حكومته من الولاية على تلك البلاد ، اما كان يكفى هذا السير لدرك الحقيقة ، فبم يعلل الغافلون أنفسهم وأى أوهام تخيل لهم ما يظنون ، الم يكشف الغطاء عن نية السوء سؤال اللورد نورثبورك للشيخ العباسى المهدى شيخ الجامع الازهر ومفتى القاهرة حيث افتتح الكلام معه بقوله (ماذا نعلم من أفكار الاهالى لو أردنا نحن الانكليز أن نديم الاقامة فى البلاد) فلو لم يكن لدولة الانكليز عزم على تملك وادى النيل فكيف كان هذا السياسى الداهية يبتدر شيخاً من أجل المشائخ وأعلامهم مقاماً في القطر المصرى بهذا السؤال مع أن أقل ما فيه اثارة الظنون واحداث الريب اجابه حضرة الشيخ بما يفيد نفرة القلوب من بقاء الانكليز في معاهد مصر . فاستدرك اللورد ما فرط منه بقوله انا لا نريد البقاء ولكن كان استدراكه مناقضا لما دل عليه أول سؤاله وما الانكار الا خديعة لا تخفى على الصبيان فضلا عن الراشدين ،

يريد اللورد بهذه المحاولات أن يستكن مضمرات القلوب ليتبين له ضروب السير الى ما يقصد من التسلط على أرض مصر حتى اذا سد في وجهه باب حاول قرع باب آخر

أما آن لهؤلاء المخدوعين أن يرجعوا لأنفسهم ويمدوا نظر الانتقاد لحركات هذا اللورد . أى اصلاح يقصده اللورد من طرد العساكر المصرية والغاء كل ما يسمى جنداً مصرياً ومحو هذا الاسم من دفاتر الحكومة المصرية . ان اللورد يلح بكل اهتمام على استبدال الجند المصرى بأعوان الشرطة والخفر المسمى بالضابطة ، ما هذا الاهتمام ان لم يكن من قصده تمهيد الطرق للتسلط التام على مصر ، هذا سبيل سلكه الانكليزى في جميع فتوحاتهم كما نبهنا عليه مراراً وأن هذا الكيس الداهية الانكليز لا يحيد عنه بعد ما سلكه أسلافه من قبله وقفاهم عليه عندما كان حكمدار الهند وجنوا ثماره . يجتهد بما فى وسعه لطرد العساكر المصرية وابدالهم بالضابطة ليقترح بعد أيام تبديل رجال الضابطة المصريين بأقوام من الجيوش الانكليزية البريطانية أو الهندية تعللا بفساد أخلاق المصريين وعدم أهليتهم للخدم النظامية وعجزهم عن القيام بوظائف الضبط وصيانة الراحة وبذلك يجرد الحكومة من جميع قواها وتكون السلطة الانكليزية سائدة في جميع الجهات بلا معارض لها من طرف الحكومة المحلية كل هذا يجريه قبل اعلان السيادة والاستملاك كما فعل سابقوه في الهند مع كل نواب وراجا ولا يزال يفعل خلفهم من بعدهم

يزعم الانكليز أن تدخلهم في مصر انما كان لتسكين الاضطراب وازالة العصيان وتقرير الراحة . ارتفع العصيان وسجن عرابى ورؤساء حزبه وتبددت جموعهم ولم يبق أثر لما سموه عصياناً والزمت دولة

بريطانيا حكومة مصر بالتنازل عن السودان من مدة طويلة . فماذا تريد من ارسال الجيوش إلى مصر الان ، أمجرد إرسال كوردون كما يدعى رجال الانكليز ؟ إنهم يقولون أن كوردن يسوق مراكبه في كل وقت لمحاربة الثائرين وتشهد الجرائد الانكليزية نفسها بانه يستطيع الخلاص باى وجه متى شاء فليس هناك حاجة إلى تجريد الجيوش وسوقها إلى الاراضى المصرية تحت هذه التعلة . هل تريد حكومة بريطانيا بتوقية جيوشها أن ترفع الخلل الداخلى وتكف أيدى الناهبين وقطاع الطريق هذا خلل ما حدث إلا بوجود الجيوش الاجنبية والنفرة من السلطة الغريبة فكيف يمكن محو الشيء بتقوية علل وجوده ، هذا الخلل يرتفع ويمحى أثره اذا انجلى جيش العدو عن الديار ولم يبق له فيها رؤوس ولا أذناب ، نعم هذه كلها تعلات يزعمها الانكليز حجاباً لما يسعون اليه من الاستعلاء على عرش السيادة فى مصر وحط الرجال فى سهولها وحزونها

فلم يبق بعد هذا سوى أن ينتبه الغافل ، ويلتفت صاحب الامر إلى مايحف به ليحترس من هذا الكيد العظيم ، ولا يعين الانكليز على مقاصدهم جهلا منه أو اغتراراً بما يخيلون له من نفع يعود على شخصه أو بلاده ، سبحان الله هل كان مثل هذا الامر يحتاج إلى تنبيه . هذا محل العجب من غفلة امراء الشرق ، لاتفيدهم التجارب ، ولا تريبهم المحن ولا تعلمهم الحوادث ، ولا تدر بهم النوازل ، وتناوب الرزايا والمصائب . من له ادنى خبرة بسير الانكليز في ماضيهم أو حاضرهم يعلم أنهم يملكون البلاد بايدى سكانها ويقتلون أمراءها بسيوف أنفسهم . يرى هذا الامير الشرقي فى أرض جاره فيظن النازلة خاصة بموقفها فيلهو عنها ولا يخشى السقوط فيما سقط فيهُ غيرهُ فيقع فى نفس الشرك الذى

صيد به جاره . مثلهم مثل الاغنام يسوق الجزار منها واحداً بعد واحد الى المجزرة وسائر القطيع في غفلة عما يجرى على احاده يرعى ويرتع آمناً مطمئناً حتى يفنى . لا عار على أمة قليلة العدد ضعيفة القوة اذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة وأكثر سواداً وقهرتها بقوة السلاح . وانما العار الذى لايمحوه كر الدهور ولا ينسيه تطاول الازمان ، هو أن تسعى الامة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتمكين أيدى العدو من نواصيهم ، أما غفلة عن شؤنهم ، أو رغبة فى نفع وقتى وجزاء نقدى على خيانتهم ، فيكونون باحثين عن حتفهم بظلفهم

علينا أن نرفع أعلام المحبة الوطنية ، ونحمل عوامل الشهامة الاسلامية ونوقد نيران الغيرة الجلسية ، لتخيب آمال الانكليز وترد كيدهم فى نحورهم ونقذف باولئك المغفلين الذين يميلون اليهم خارج تخوم هذه الحيار ليلحقوا بالخائنين ممن سبقهم ويذوقوا عذاب الهون بما كانوا يكسبون . هذا اذا حصل اليأس من تيقظهم ورجوعهم إلى الحق والصدق في محبة الاوطان ورعاية مصالحها فان تابوا وأصلحوا وأنابوا كل الحق ظهيرهم وكان الله وليهم ونصيرهم ، وهو نعم المولى ونعم النصير

اخفاق سعى الانكليز

بينا العلة في اهتمام الانكليز بتحوير قانون المالية المصرية ومعارضة الدول لهم فيما يرغبون ولما لم يجدهم الحاحهم نفعا وثبتت الدول في امتناعها نكبوا عن طريقهم واستكانوا لرأى الدول وأعلن ترجمان سرهم ولسان حالهم (نوبار باشا) لجميع قناصل الدول فى مصر أن الحكومة المصرية (الانكليزية) رجعت عما عزمت عليه وكانت نفذته من توقيف الاستهلاك كان قصد الانكليز بهذا التصرف اثبات سلطة وتنوية شوكة على المصالح العامة في مصر وهو نفوذ عاجل وكانوا يؤملون فيه فائدة آجلة كما أشرنا اليه ولما رأوا أن طول الزمن على معارضة الدول لهم ربما يحول بينهم وبين غايات أخر يبتغون الوصول اليها انقلبوا عن وجهتهم ونقضوا عزيمتهم بلا خجل ولا نظن أن يخفى على المصريين سر العزيمة الاولى وسر النقض الثانى وأن هذا التنازل انما دعت اليه الضرورة الحاضرة ووجود العقبة السياسية أما سائر مطامعهم وبقية مقاصدهم فانهم يغذون اليها السير ولا يدعون منها نقيراً إلا أن تصادمهم جيوش الهمم وتقوم في وجوههم عقبات العزائم . هنالك يرجعون بالخيبة ويخسرون خسراناً مبيناً .

تم الكتاب والحمد لله

فهرس

صفحة	
☆	المقدمة
١	ترجمة السيد جمال الدين الافغانى
١٥	ترجمة الشيخ محمد عبده
٢٤	باب المقالات والفصول
٢٥	فاتحة جريدة العروة الوثقى
٣٨	الجنسية والديانة الاسلامية
٤٥	ماضى الامة وحاضرها وعلاج علاها
٦١	النصرانية والاسلام وأهلها
٧٢	انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك
٨١	سبات من له الحق وحراك من لا حق له
٨٦	التعصب
١٠٢	القضاء والقدر
١١٧	الفضائل والرذائل وأثرها
١٣٠	الوحدة الاسلامية
١٤١	الوحدة والسيادة
١٥١	الامل وطلب المجد
١٦٣	رجال الدولة وبطانة الملك
١٧٠	كم حكمة لله في حب المحمدة الحقة
١٧٨	الشرف
١٨٧	الامة وسلطة الحاكم المستبد
١٨٩	دعوة الفرس الى الاتحاد مع الافغان

صفحة	
١٩٦	امتحان الله للمؤمنين
١٩٩	ومن يضلل الله فماله من هاد
٢٠١	أسباب حفظ الملك
٢١٠	ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض
٢١٥	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات
٢١٨	سنن الله في الامم وتطبيقها على المسلمين
٢٢٨	الوهم
٢٣٨	الحين
٢٤٥	زلزال الانجليز فى السودان
٢٥٤	باب التنف والاخبار
٢٥٥	سياسة انجلترا فى الشرق
٢٥٩	مصر
٢٦٦	أعجوبة
٢٦٧	غريبة ☆ كوردون باشا
٢٦٩	كراهام وعثمان دجمة
٢٧٠	المسألة المصرية
٢٧٤	الانجليزى في السودان
٢٧٨	صدى دعوة السودان
٢٧٩	اضطراب سياسة الانجليز فى مصر
٢٨٠	برلمان انجلترا
٢٨٣	الباب العالى
٢٨٥	ايرلندا
٢٨٦	الفرنساويون في التونكين
٢٨٧	منثورات

صفحة	
٢٩٣	الشيخ المرغنى
٢٩٤	خرطوم
٢٩٦	تحكم اللورد دوفرين
٢٩٧	مقاصد انجليزية فى مصر
٢٩٨	حجة نوبار باشا ☆ عثمان دجمه
٢٩٩	معاملة محمد احمد للرسل المسيحيين ☆ أخبار أخيرة
٣٠١	نصيحة
٣٠٥	الدولة العثمانية
٣٠٦	انجلترا فى سواحل البحر الاحمر
٣٠٩	خرطوم
٣١٢	أمانى انجلترا فى حركات محمد احمد
٣١٤	الحزم والعزم
٣١٥	اسطورة
٣١٧	القوة للحق
٣٢١	الجرائد الانجليزية والعروة الوثقى
٣٢٣	عجز ومراوغة
٣٢٧	انجلترا والجيش
٣٢٩	رأى المسيو بلونت فى المسألة المصرية . اسطورة ☆ اسطورة
٣٣٠	اضحوكة
٣٣١	المسألة المصرية والانجليزية
٣٣٦	هول الامر على كوردون
٣٣٨	محاولة في مصر
٣٤٠	رأى الجرائد الفرنساوية فى الانجليز
٣٤١	خداعة جديدة

صفحة	
٣٤٢	دسيسة اخرى
٣٤٣	الورطة الجديدة
٣٤٧	العروة الوثقى . رياض باشا والسياسة الانجليزية
٣٥٣	السودان
٣٥٦	فرصة سانحة
٣٦٤	العروة الوثقى ☆ اسماعيل باشا
٣٦٥	نجد
٣٦٦	الجرائد الهندية ☆ صفقة خاسرة
٣٦٩	أخبار سياسية
٣٧١	المسألة المصرية دولية
٣٧٦	العروة الوثقى
٣٧٩	تصرف الانجليز في الهند
٣٨٣	نصيحة في الادب
٣٨٤	أخبار سياسية
٣٨٧	فى التوانى الهلكة
٣٩٢	منشور انجليزى قديم
٣٩٣	ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار
٣٩٥	أمانى الانجليز في الحوادث المصرية
٣٩٩	السودان ومصر
٤٠١	زبير باشا
٤٠٣	أخبار سياسية
٤٠٤	الثبات الثبات
٤٠٧	برهمن لاهور
٤٠٨	هـذا

صفحة	
٤١٠	العدالة الانجليزيه
٤١٤	انجلترا وفرنسا
٤١٩	الاتفاق
٤٢٣	الباب العالى
٤٢٥	الانجليز والاسلام
٤٢٧	الباب العالى والانجليز
٤٣٠	جريدة اوده اخبار واميرتا بازار برتركا
٤٣٣	تركيا
٤٤١	الباب العالى
٤٤١	اسماعيل باشا
٤٤٢	يقظة من سنة
٤٤٤	اسف
٤٤٥	حيلة انجليزية
٤٤٦	وداد الانجليز للمسلمين
٤٤٧	التهتك فى الحيلة
٤٥٠	فرصة يجب أن لاتضيع
٤٥٥	تنبيه
٤٥٦	توفيق باشا
٤٥٦	هؤلاء رجال الانجليز وهذه أفكارهم
٤٦١	اللورد نورثبروك حاكم مصر الجديد
٤٦٦	نكتة
٤٦٧	معارضة الانجليز
٤٧١	الدهريون فى الهند

صفحة	
٤٧٨	جريدة الاهرام
٤٨٠	لاهور
٤٨٥	فرنسا والمانيا
٤٨٥	الانجليز والدول
٤٨٩	تعظيم توفيق باشا لنورثبروك
٤٩١	كيد الانجليز في مصر
٤٩٤	فرنسا وانجلترا
٤٩٥	اسف . نكاية الانجليز
٤٩٩	اسماعيل باشا
٥٠١	الفرصة
٥٠٤	غلادستون
٥٠٧	الحق
٥١٤	اخفاق سعى الانجليز